

مطبوعات
مكتبة الملك فهد الوطنية

الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ

المملكة العربية السعودية

في الفترة (١٣٣٨ هـ - ١٣٧٣ هـ / ١٩٢٠ م - ١٩٥٣ م)

د. الجوهرة بنت عبدالرحمن المنيع

الرياض
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ

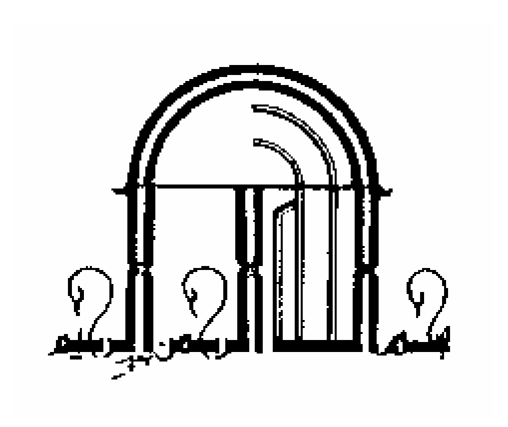
المملكة العربية السعودية

في الفترة (١٣٣٨هـ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٠ - ١٩٥٣)

د. الجوهرة بنت عبدالرحمن المنيع

الرياض

١٤٣١هـ/٢٠١٠م



الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية

ⓗ **مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٣١هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنيع ، الجوهرة بنت عبدالرحمن

الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية.

الجوهرة بنت عبدالرحمن المنيع. ـ الرياض ، ١٤٣١هـ

٤٠٠ ص ؛ ٢٤ × ١٧ سم

ردمك: ٣-٣٦٠-٠٠-٩٩٦٠-٩٧٨

١ـ السعودية. وصف ورحلات ٢ـ العالم العربي ـ وصف ورحلات

٣ـ السعودية ـ تاريخ ـ مصادر أ. العنوان

ديوي ٩١٥,٣٠٤ **١٤٣١/٣٢٤٨**

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٢٤٨

ردمك: ٣-٣٦٠-٠٠-٩٩٦٠-٩٧٨

ص ب : ٧٥٧٢

الرياض : ١١٤٧٢ المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٢٤٨٨٨

فاكس : ٤٦٤٥٣٤١

المحتويات

المقدمة

كانت شبه الجزيرة العربية وما زالت مهوى أفئدة المسلمين ومحط أنظارهم، فهي تحوي أقدس البقاع وأطهرها .. ومن الطبيعي أن تتجه وفود المسلمين إلى تلك البقاع دائمًا وأبدًا أداءً للفريضة، وطلبًا لرضى الله عز وجل؛ فالحج أهم باعث يدفع المسلمين إلى تكبد المشاق في الارتحال إلى تلك البلاد، وهذه الرحلة المقدسة هي نواة الرحلات العربية إلى شبه الجزيرة العربية .

ولعل الكتابة عن رحلة الحج كانت من الأهمية بمكان، إذ يرشد كاتب الرحلة من يأتي بعده إلى أفضل الطرق والمسالك وأكثرها أمنًا وبعدًا عن قطاع الطريق، كما يبين تكاليف الرحلة، بل إن بعضهم يحتسب الأجر في إرشاد غيره إلى أهم المناسك وكيفية أدائها على الوجه الأكمل.

وبينما اكتفى الرحالة العرب قبل عهد الملك عبدالعزيز بمنطقة الحجاز لأداء فريضة الحج، نجدهم خلال عهده يتجولون في أنحاء المملكة يصحبهم في تجوالهم الأمن والاطمئنان ، نتيجة معطيات العهد الجديد، إذ كان للنقلة والتغيير الذي شمل نواحي الحياة أثره الواضح والملموس في كثافة الرحلات إلى المملكة العربية السعودية، وتنوع تلك الرحلات وثرائها بالمادة العلمية عن مختلف جوانب الحياة في المملكة، والتي قام أولئك الرحالة برصدها وتدوينها في أثناء زيارتهم للمنطقة .

وقد بدأت الرحلات العربيةفي فترة كان الملك عبدالعزيز يسعى فيها جاهداً لاستكمال توحيد البلاد حيث تمكن في أعقاب الحرب العالمية الأولى من ضم حائل عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وبعد ذلك بعام دخلت منطقة عسير في طاعته بشكل كامل، ثم أعقب ذلك ضم الحجاز كاملاً عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، واستمر كفاحه في سبيل توطيد دعائم تلك الوحدة واستقرارها حتى

تم إعلان توحيد البلاد باسم المملكة العربية السعودية في ٢١جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ ٢٢سبتمبر ١٩٣٢م .

لقد كان لتلك الملحمة التي قادها الملك عبدالعزيز صداها الواضح والملموس ليس على العرب والمسلمين فقط ، بل على العالم، ونتيجة لجهود الملك عبدالعزيز السياسية والإصلاحية تحول إحجام الرحالة العرب وغيرهم عن ارتياد شبه الجزيرة العربية قبل العهد السعودي إلى تطلع وإعجاب .

وتتابعت الرحلات العربية إلى المملكة العربية السعودية ؛ نتيجة توطيد دعائم الأمن والإصلاحات الكثيرة التي شملت جوانب الحياة المختلفة، فقدم كثير من الكتاب والمفكرين والصحفيين والسياسيين، وأسهم هؤلاء في نقل الصورة الحقيقية للحياة في المملكة العربية السعودية إلى خارج البلاد في فترة كانت البلاد تنقصها وسائل الإعلام الفعالة التي تستطيع القيام بهذا الدور، لذا فقد قام هؤلاء الرحالة حسب إمكاناتهم بهذه المهمة الإعلامية وتمكنوا من إطلاع القراء في أنحاء الوطن العربي على كثير من جوانب الحياة في المملكة العربية السعودية، وأبرزوا الجوانب المشرقة مثل: جانب الأمن، وخدمة الحجاج، والعناية بالحرمين الشريفين، وكذلك المحاولات الجادة للنهوض بالمجتمع إداريًا وتعليميًا وصحيًا واقتصاديًا .

الدراسات السابقة:

يتضح من استقراء الدراسات السابقة أن موضوع (الرحلات العربية من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية) لم يتناوله على حد علم الباحثة أحد من الدارسين في رسالة علمية أو بحث متكامل يقوم فيه برصد هذه الرحلات ودراستها وتحليلها ومن ثم توظيفها ؛ لتكون مصدرًا لدراسة تاريخ المملكة العربية السعودية.

وكل ما هنالك من الدراسات السابقة عدد من المقالات التي تعرضت لبعض مفردات البحث إلا أن معظمها لا يتجاوز منهجها التعريف أو التلخيص أو العرض، كما أن الدراسات السابقة لم تركز على فترة موضوع البحث.

- ومن تلك الدراسات المصنفات التي تناولت رحلات الحج والزيارة، ولعل أبرز من صنف في هذا المجال حمد الجاسر حيث تناول في مجلة العرب في أعداد متتابعة في بضعة عشر عامًا عددًا من رحلات الحج والزيارة، بدأها عام ١٣٨٦هـ بملخص لرحلة النابلسي إلى عام ١٤٠٢هـ، ونشر فيها ملخص رحلة الشيخ محمد بن صالح القيرواني، وهذه المقالات هي خلاصات وأوصاف تتعلق بالمدينتين الكريمتين.

- ومن تلك الدراسات: رسالة مقدمة لجامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير في الأدب بعنوان : (أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية)، وقد عني الباحث بدراسة أدب الرحلة من خلال ما دونه الرحالة السعوديون ، وتناول البحث ثلاثة محاور أساسية تمثلت في: المضمون الفكري لهذه الرحلات، وجانب البناء الفني لها، ثم الخصوصية الأدبية المميزة للأدباء بعضهم عن بعض.

- ولعل من أقرب الدراسات السابقة لموضوع البحث مقال منصور الحازمي (رحلات العرب في جزيرة العرب، البلاد العربية السعودية ١٩٠١م – ١٩٧٢م) والمنشور في مجلة الدارة ،حيث استعرض بشكل موجز أبرز الرحلات العربية الحديثة للمملكة العربية السعودية مضموناتها وأهدافها، كما ألمح إلى بعض الرحلات السابقة لها والتي اقتصرت في الغالب على منطقة الحجاز، ثم بين أن لجهود الملك عبدالعزيز في توحيد الجزيرة العربية وبعث الأمن في ربوعها أكبر الأثر في جذب الرحالة العرب إلى المملكة العربية السعودية.

- كما نشر الحازمي بحثًا بعنوان : (بلادنا في عيون الرحالة العرب عهد الملك عبدالعزيز) ضمن بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام، وقد استعرض فيه صورًا لجوانب الحياة المختلفة من خلال كتب الرحلات العربية، مركزًا على الأساليب الأدبية والصور الفنية في تلك الجوانب.

وباستعراضنا للدراسات السابقة نجد أن موضوع البحث وهو (الرحلات العربية من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية) من الموضوعات التي لا تزال بحاجة إلى دراسة شاملة تتضمن رصدًا لهذه الرحلات، وتحليلاً لأبرز ما ورد فيها من معلومات وحقائق عن تاريخ المنطقة.

أهداف البحث ودواعي الاختيار :

يهدف البحث إلى محاولة حصر كثير من الرحلات العربية المدونة عن المملكة العربية السعودية، ثم دراسة معظم محتوى تلك الرحلات للكشف عن أهداف أولئك الرحالة ودوافعهم، واستخلاص المعلومات المتعلقة بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية، مع الأخذ في الحسبان نقد المعلومات التي أوردتها مصادر الرحلات وتحليلها ومقارنتها وتوثيقها مع ما جاء في بعض المصادر الأخرى لتاريخ تلك الفترة، ومن ثم توظيف تلك المعلومات في تتبع التطورات التي طرأت على نواحي الحياة في المملكة العربية السعودية والتي لفتت انتباه أولئك الرحالة فأسهبوا في الكتابة عنها .

ومع وفرة المعلومات في كتب الرحلات العربية إلا أن تلك المصنفات لم تلق الاهتمام الكافي من قبل الباحثين مع أنها تعد من المصادر المهمة التي تناولت تاريخ المنطقة من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية .

وتنفرد كتب الرحلات بأهمية خاصة؛فمصنفو تلك الكتب هم من معاصري الأحداث في إحدى الفترات المهمة التي مرت بها المملكة من تغيرات وتطورات سريعة ومتتابعة مقارنة بما قبلها، لمعاصرة هؤلاء وكونهم شهود عيان للأحداث يزيد من قيمة مؤلفاتهم مقارنة بمعاصريهم ممن صنفوا في تاريخ المملكة، فبعضهم كتب عن طريق السماع والرواية، وهي عرضة للزيادة والنقص، إضافة إلى أن المصادر المعاصرة لتلك الفترة صبت جلَّ اهتمامها في الغالب على الجوانب السياسية، أما كتب الرحلات العربية فقد ألقت الضوء على كثير من الجوانب المختلفة في تاريخ المملكة، فأعطت صورة أوضح وأشمل لتاريخ تلك الفترة .

وبعد اطلاع الباحثة على كثير من كتب الرحلات تبين وجود معلومات كثيرة تتطلب بذل الجهد لاستخراجها وتصنيفها ومن ثم بحثها ودراستها، وتأمل الباحثة أن تكون قد توصلت إلى نتائج مرضية تظهر أهمية كتب الرحلات واعتمادها مصدرًا من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية في تلك الفترة .

وقد عنيت هذه الدراسة بما دونه الرحالة العرب في كتب مخصصة لرحلة أو رحلات معينة، وتركت ما نشر من هذه الرحلات في الدوريات المختلفة، لقصرها أحيانًا، ولصعوبة الإحاطة بها في مظانها المختلفة، ولأن بعض الرحالة قد جمعها وأعاد نشرها في كتاب واحد أو أكثر .

وقد اقتصر البحث على دراسة مؤلفات الرحالة العرب الذين قدموا من خارج المملكة العربية السعودية، واستبعدنا الرحالة السعوديين ؛ لكون مؤلفاتهم تعبر عن وجهة النظر الوطنية، كما أنهم قلما يعرضون للظواهر الاجتماعية والجوانب الاقتصادية ؛ لأنها مألوفة ومعروفة لديهم . وقد استبعدنا

من كتب الرحلات العربية مؤلفات حافظ وهبة : (جزيرة العرب في القرن العشرين)، و(خمسون عاماً في جزيرة العرب)، وكذلك مؤلفات فؤاد حمزة (البلاد العربية السعودية)، و(قلب جزيرة العرب) لأن هذه المؤلفات لم تعبر عن رحلات قام بها أصحابها، كما أنها كتبت بأسلوب الكتب التاريخية في تقرير الحقائق ولم تتخذ نمط الرحلات العربية في العرض وأسلوب الطرح، وأدرجنا كتاب فؤاد حمزة : (رحلة في بلاد عسير) لاتخاذه منهج وأسلوب الرحلات في جمع ورصد المادة العلمية، ولأن رحلته تندرج ضمن أهداف ودوافع الرحلات العربية .

وبعد فإني لأرجو أن أوفق في إبراز أهم الجوانب التي تناولتها مؤلفات الرحالة العرب عن تاريخ المملكة العربية السعودية .

منهج البحث :

اتبعت في دراستي هذه المنهج التاريخي القائم على التحليل والموازنة والنقد والمناقشة الموضوعية بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية المجردة .

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة .

التمهيد : اشتمل على نبذة عن تكوين المملكة العربية السعودية وأدب الرحلة، ومفهوم الرحلة في اللغـة، والرحلة في الإسلام، وأهمية الرحلات العربية.

الفصل الأول : وقد أفردته للحديث عن الرحلات العربية إلى المملكة العربية السعودية من ناحية مواطن الرحلات العربية وأهدافها وخصائصها، ثم تراجم للرحالة العرب ونبذة عن رحلاتهم .

الفصل الثاني : يختص بشخصية الملك عبدالعزيز وسياسته من خلال مصنفات الرحلات العربية وقسمته ثلاثة أقسام: الأول يتعلق بشخصية الملك

عبدالعزيز من حيث صفاته الجسدية والخُلقية وعاداته، والثاني يتناول جوانب من سياسته الداخلية، ويحوي القسم الثالث جوانب من سياسته الخارجية .

الفصل الثالث: يتناول التنظيمات الإدارية من خلال الرحلات العربية، كنظام الحكم والإدارة وما يتعلق به من وزارات وأجهزة حكومية، ثم نظام الشورى والنظام القضائي، يلي ذلك تنظيمات الحج والعناية بالحرمين الشريفين .

الفصل الرابع : أفردته للنواحي الاجتماعية من خلال الرحلات العربية، ويشمل: فئات المجتمع، والملابس، والطعام، والعادات، والتقاليد، ثم النواحي الصحية، والتعليم .

الفصل الخامس : تناولت فيه الجوانب الاقتصادية من خلال الرحلات العربية وتشمل: الزراعة، والرعي، والتجارة، والصناعة، والنفط، والميزانية، والنقد، ثم المشروعات الاقتصادية وأبرزها الاتصالات ومشروعات المياه .

ويشمل الفصل السادس: الجوانب الداخلية والأحوال الثقافية من خلال الرحلات العربية، وتركز البحث في الجوانب الداخلية حول الأمن، فأعطينا نبذة عن الأوضاع الأمنية سابقًا، والوسائل التي اتخذت لإقرار السياسة الأمنية في عهد الملك عبدالعزيز، ثم مظاهر الأمن الذي شمل أنحاء البلاد . أما الأحوال الثقافية فقد تمثلت في المكتبات والصحافة والطباعة والأدب .

أما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، يلي ذلك ثبت للمصادر والمراجع .

ولا يخفى أن لكل بحث علمي مشاقه وصعوباته التي تكلف الباحث بذل الجهد والطاقة للتغلب عليها بعون الله وتوفيقه .

أهم الصعوبات التي واجهت الباحثة :

- عند الترجمة لمؤلفي الرحلات العربية، وعلى الرغم من الجدية في البحث إلا أننا لم نعثر على ترجمة للبعض منهم، وربما يرجع هذا إلى عدم شهرة هؤلاء أو بروزهم في مجالات معينة، لذا لم تتوافر لهم ترجمة أو سيرة ذاتية خلافاً لبقية الرحالة العرب الذين برزوا في مجالات مختلفة سياسية وأدبية وإعلامية وغيرها.
- أن مصنفي الرحلات العربية لم يتبعوا منهجًا معينًا في مؤلفاتهم، ولم يخضعوا كتاباتهم لضوابط محددة، كما دون عدد منهم مؤلفاتهم بأسلوب أدبي، وقد أدى هذا أحيانًا إلى اختلاط المعلومات والتداخل بينها، أو تأتي المعلومات مبعثرة في ثنايا الكلام لا يجمع شتاتها رابط معين، وهذا يستلزم بذل الجهد مع الدقة في استخراج المادة العلمية وتنظيمها في وحدات موضوعية .
- ندرة الوثائق الخاصة بمؤلفات الرحلات العربية أو بمصنفيها بشكل مباشر، لذا فالوثائق التي تم استخدامها في هذا البحث تتعلق بالجوانب السياسية والتنظيمات الإدارية والاقتصادية وغيرها .
- تشعب المادة العلمية في جوانب وقلتها أو ندرتها في جوانب أخرى، وهذا يرجع - كما أسلفنا - إلى عدم خضوع كتب الرحلات إلى منهج معين، إضافة إلى أن عددًا من مؤلفيها كانوا يكتبون بحسب ما يعرض لهم في رحلتهم، أو بحسب ما يشكل أهمية في نظرهم، فتأتي المعلومات أحيانًا مبتورة مما يستلزم الرجوع إلى المصادر المعاصرة في محاولة للربط والتوضيح .
- إن موضوع البحث كان جامعًا لجوانب متعددة منها ما يتعلق بالتعريف بالرحالة ومؤلفاتهم، ومنها ما يتعلق بالنواحي السياسية والاجتماعية

والاقتصادية والثقافية؛ وهذا الاختلاف والتباين بين الفصول أدى إلى انتقالي في كل فصل إلى التعامل مع نوعية مختلفة ومتباينة من المعلومات مع اختلاف أسلوب طرحها ومناقشتها .

وفيما يلي عرض موجز لأهم المصادر التي استخدمت في مجال البحث:

لا شك أن كتب الرحلات العربية كانت المصدر الأساس الذي استقى البحث منها مادته العلمية ، وقد تم في الفصل الأول استعراض هذه الكتب من ناحية خصائصها ومميزاتها وما حوته من معلومات، ونكتفي هنا بذكر أهم المصادر التي تم الاستعانة بها إلى جانب كتب الرحلات، وكان الهدف من الاستعانة بها المقارنة والتوثيق والتوضيح والتعليل وإكمال النقص والربط بين المعلومات، مع مراعاة عدم التوسع في الرجوع إلى تلك المصادر إلا ما تقوم به الضرورة .

فمن هذه المصادر :

كتاب : (شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز) لخير الدين الزركلي، وهو يتكون من أربعة أجزاء ، وترجع أهميته إلى كونه من أشمل المصادر التي كتبت عن تاريخ المملكة العربية السعودية إضافة إلى علاقة مؤلفه المباشرة بكثير من الأحداث التي دونها نظرًا لطبيعة عمله في خدمة الملك عبدالعزيز، وقد توفرت في هذا الكتاب كثير من المعلومات المهمة ، وتركزت حول سيرة الملك عبدالعزيز ونشأته وكفاحه في سبيل توحيد البلاد ، وما اعترضه من ثورات وفتن، وسياسته الداخلية والخارجية ، وعلاقات بلاده مع الدول الأخرى، والنظم الإدارية والجوانب الاقتصادية ، وعدد من الجوانب الحضارية ، كما تناول كثيراً من الموضوعات التي لا يتسع المجال لتفاصيلها .

- (البلاد العربية السعودية) لفؤاد حمزة وهو يعد من المصادر المهمة في تاريخ تلك الفترة ، حيث عمل مؤلفه في خدمة الملك عبدالعزيز لفترة من الزمن، وقد خصص الفصل الأول منه للملك عبدالعزيز، فتناول نسبه ومولده ونشأته ودخوله الرياض وصفاته وتعريفًا بأبنائه وخاصة سعود وفيصل، ثم عرض لنسب آل سعود ونبذة عن تاريخهم. وأفرد بقيته لتناول النواحي الإدارية في المملكة من حيث شكل الحكومة، والتنظيمات الإدارية، والأجهزة الحكومية كمجلس الشورى، والوزارات كوزارة المالية، ووزارة الخارجية، ووزارة الداخلية، والاهتمام بالقضاء والمحاكم، والإدارات العامة التي تم إنشاؤها كمديرية الصحة، ومديرية المعارف العامة، ومديرية الشرطة وغيرها، وكذلك عرض للنواحي العسكرية: كالدفاع والجيش وتسليحها، وختم كتابه بالحديث عن المواصلات البحرية والجوية .
- (جزيرة العرب في القرن العشرين)، و(خمسون عامًا في جزيرة العرب) لحافظ وهبة والذي عمل في خدمة الملك عبدالعزيز فترة طويلة من الزمن وكان معاصرًا ومعايشًا للكثير من الأحداث التي دونها، ففي كتابه: (جزيرة العرب في القرن العشرين) تناول طبيعة شبه الجزيرة العربية بشكل عام ثم أعطى تفاصيل جغرافية واجتماعية واقتصادية عن الحجاز ونجد وعسير والأحساء والكويت وإمارة البحرين، كما تناول الحكومات العربية، وكان تركيزه على الثورة العربية وعلاقتها بالشريف حسين، ثم عرض للملك عبدالعزيز وعلاقاته مع بريطانيا ومع جيرانه من الدول العربية، ثم تناول حياة الملك عبدالعزيز وأعماله الإصلاحية وعلاقته بالإخوان، وختم كتابه بحديثه عن الدعوة الإصلاحية في نجد .

أما كتابه : (خسمون عامًا في جزيرة العرب) فقد سار فيه على نهج كتابه الأول، وعالج فيه مسائل مشابهة؛ فافتتحه بالحديث عن الملك عبدالعزيز بعرض موجز لتاريخ حياته وأبرز أعماله ثم وفاته، أعقب ذلك حديثه عن ضم الحجاز والعلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية، وموقف الملك عبدالعزيز من عدد من القضايا العربية، وتعود أهمية هذين الكتابين إلى دعم المؤلف لهما بكثير من الوثائق والمراسلات .



التمهيد

- تكوين المملكة.
- أدب الرحلة.
- الرحلة في اللغة.
- الرحلة في الإسلام.
- أهمية الرحلات العربية.

التمهيد :

تكوين المملكة العربية السعودية :

يتناول البحث الفترة الممتدة من عام ١٣٣٨ – ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٠ - ١٩٥٢م، ففي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م بدأت طلائع الرحلات العربية إلى المناطق الخاضعة للملك عبدالعزيز بعد أن كانت في السابق قاصرة على منطقة الحجاز، وتتوقف تلك الدراسة عند عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م وهو العام الذي توفي فيه الملك عبدالعزيز، وتتناول هذه الدراسة المملكة العربية السعودية من خلال ما دونه مصنفو الرحلات العربية، وعليه فمن الضروري إعطاء نبذة عن تكوين المملكة العربية السعودية التي كانت مقصدًا لهذه الرحلات، فقد انطلق تأسيس هذه المملكة على يد الملك عبدالعزيز في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ الموافق الخامس عشر من يناير عام ١٩٠٢م ، حيث استطاع في ذلك التاريخ استخلاص الرياض بعد أن وضع خطة محكمة لدخولها، فتمكن من ذلك على الرغم من ضعف إمكاناته وقلة عدد أتباعه[1]، وقتل عامل ابن رشيد عليها (عجلان بن محمد) وما أن استتب له الأمر في الرياض حتى شرع في تحصينها وبناء أسوارها المتهدمة تحسبًا لأي هجوم مفاجئ، ثم توجه في ذلك العام إلى البلاد الواقعة جنوب الرياض بهدف تأمين ظهره، ولبعدها عن قاعدة ابن رشيد في حائل . فتمكن من ضم الخرج والأفلاج والحريق وحوطة بني تميم، فأصبح نفوذه يمتد من الرياض إلى وادي الدواسر جنوبًا، ثم توجه إلى مناطق الوشم وسدير والمحمل والشعيب وتم له إخضاعها عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م، وشجعته هذه الانتصارات على التطلع إلى إقليم القصيم، فجاهد لتخليصه من آل رشيد ما بين عام ١٣٢١هـ ـ ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٣ـ١٩٠٩م[2]،

(١) عن تفاصيل ذلك انظر : **الطريق إلى الرياض : دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ - ١٩٠٢م**. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م) ص٥١ ـ ٩٩

(٢) حمزة، فؤاد . **البلاد العربية السعودية** . ـ ط٢ . ـ الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص٢٧

وكان تطلعه إلى منطقة الأحساء لكونها جزءًا من الدولتين السعوديتين الأولى والثانية ؛ إضافة إلى أنها المنفذ البحري لمنطقة نجد وهي غنية بمواردها الزراعية وثرواتها البحرية، وفي ضمها تعزيز لقوته أمام خصومه، خاصة أن الدولة العثمانية كانت تقف مع خصمه ابن رشيد، ونتيجة لضعف الدولة العثمانية وانشغالها في جبهات متعددة، وعدم قدرة حامياتها في الأحساء على حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة ، فقد انتهز الملك عبدالعزيز الفرصة وتقدم عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م إلى منطقة الأحساء، واستطاع دخولها ومحاصرة الحاميات العثمانية فيها إلى أن استسلمت، فقام الملك عبدالعزيز بترحيلهم إلى بلادهم[1]. وكان لنجاحه في ضم وتوحيد منطقة الأحساء مع أقاليم نجد أثره في تعزيز موقفه، وبمرور السنوات كان وضعه العسكري يزداد قوة، فقام باستكمال مراحل توحيد البلاد حيث تم له دخول حائل عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م موحدًا بذلك إقليم جبل شمر مع ما سبق توحيده من مناطق[2]. وكان توجه الملك عبدالعزيز إلى منطقة عسير لأسباب منها استنجاد بعض قادة المنطقة به نتيجة لتبعيتهم السابقة للدولة السعودية الأولى ورغبتهم في توحيد عسير مع بقية أجزاء الدولة السعودية الحديثة. فأرسل الملك عبدالعزيز حملة عسكرية تمكنت من ضم منطقة عسير عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م[3] .

---

(١) الريحاني، أمين . **تاريخ نجد** . ـ بيروت: دار الجيل، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م . ـ ص٢٠٥ - ٢١١، العثيمين . ـ عبدالله. **تاريخ المملكة العربية السعودية** . ـ ط٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ) ج٢. ـ ص١٣٥ — ١٤٠ .

(٢) الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**. ـ ط٢. ـ الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ج١، ص٢٥٣ - ٢٥٨. حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص٢٧. **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**. ـ ط٢. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ـ ص٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) الريحاني، أمين. **تاريخ نجد**. ـ ص٣٠٠ - ٣٠٣. حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص٢٧، نصيف، حسين. **ماضي الحجاز وحاضره**. ـ ط١. ـ جدة: ١٣٤٩هـ. ـ ج١، ص١١٨.

وبعد ضم حائل ثم عسير تفرغ الملك عبدالعزيز لحسم موضوع الحجاز والشريف حسين الذي قام بمنع أهل نجد من أداء فريضة الحج لمدة خمسة أعوام[١]، ولسوء الأوضاع الأمنية في الحجاز تقدمت قوات الملك عبدالعزيز، فاستطاعت دخول الطائف ثم توجهت إلى مكة المكرمة، ودخلتها وهي تنادي بالأمان، وكانوا محرمين فطافوا بالبيت وسعوا وتسلموا زمام الأمور يوم ٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، كما حوصرت المدينة المنورة في أثناء ذلك واستسلمت في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، بعد أن أعلن الأمان والعفو العام للضباط والجنود والأهالي[٢]، وبعد قرابة عام من حصار جدة استسلمت فدخلتها القوات السعودية في جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ ديسمبر ١٩٢٥م، ومنح الملك عبدالعزيز الأمان والعفو العام للسكان، و بذلك تم توحيد معظم أجزاء البلاد على يد الملك عبدالعزيز[٣]. ولم يتبق إلا إمارة الأدارسة في منطقة جازان، وكانوا قد عقدوا مع الملك عبدالعزيز معاهدة مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، وضعت بمقتضاها إمارتهم تحت الحماية السعودية، فتولى الملك عبدالعزيز الإشراف على الشؤون السياسية والعسكرية لإمارة الأدارسة تاركًا لأميرها الإشراف الداخلي بمعاونة ممثل سعودي. وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٤م قام الحسن بن علي الإدريسي بالتمرد على الحكومة السعودية، فأرسل إليه الملك عبدالعزيز قوات ضمت المنطقة إلى بقية أجزاء المملكة العربية السعودية [٤].

(١) الريحاني، أمين . **تاريخ نجد**. ـ ص٣٢٦ ،٣٢٧. الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ٣٢٩ .

(٢) الزامل، عبدالله . **أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود**. ـ ط١. ـ بيروت: المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢.ـ ص١٨٠ .

(٣) **أم القرى**، العدد ٥٢، في ١٣٤٤/٦/١١هـ، ص٢ -٤. الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٣٤٤ — ٣٤٨ .

(٤) العثيمين، عبدالله . مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٥ — ٢٠٨ . للمزيد من التفاصيل عن جهود الملك عبدالعزيز في توحيد البلاد انظر : **الأطلس التاريخي**، مرجع سابق، ص١٦٨ — ٢٠٤ .

وقد تم توحيد البلاد رسميًا باسم المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م[١] بعد جهاد وكفاح طويل واجه فيه الملك عبدالعزيز الكثير من الشدائد والفتن والثورات، ولكنه استطاع - بعون الله - اجتيازها، وكان جل همه منذ بداية التأسيس القضاء على الفوضى والاضطراب، وتوفير الأمن والاستقرار الضروريين للنهوض بالبلاد، أعقب ذلك ظهور كثير من التنظيمات الإدارية ومنها التنظيمات الخاصة بالحج والتي أسهمت في تحسين الأوضاع والخدمات المقدمة لحجاج بيت الله الحرام مقارنة بما سبق . وواكب ذلك الاهتمام بتطوير النواحي الاجتماعية عن طريق توفير الرعاية الصحية للمواطنين ونشر التعليم بينهم، كما نالت النواحي الاقتصادية اهتمامًا بالغًا لبناء الاقتصاد الوطني على أسس قوية ومتينة .

أدب الرحلة :

يمثل أدب الرحلة لونًا أدبيًا، له بواعثه وخصائصه وأهدافه، وله أدواته الفنية، وكل ذلك يتشكل مع كل رحلة أدبية وفق غاياتها وقدرة صاحبها ومهارته الأدبية في الملاحظة والرصد .

فأدب الرحلة لون أدبي ذو خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى، إذ يختط له خطًا متميزًا، فهو يعنى برصد الواقع كما هو دون اللجوء إلى الخيال إلا في محاولة تقديم الواقع في ثوب أدبي[٢]. ومن تعريفات أدب الرحلة ما ذكره أحد الباحثين في قوله: ((إن (أدب الرحلة) يعني الكتب الرحلية أو المقالات المتصلة التي سجل فيها أصحابها مشاهداتهم

(١) حمزة، فؤاد . **البلاد العربية السعودية**، ص٢٨ .
(٢) آل حمادي، عبدالله بن أحمد . **أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٧ - ١٤١٨هـ، ص١ -٧ .

وحوادثهم وآرائهم الرحلية، على اختلافها وتنوعها من خلال شعورهم بها ورؤيتهم لها في لغة أدبية موحية))[1]، ويقول في موضع آخر: ((ولا يعني ذلك أن أدب الرحلة مبالغات ومحسنات، وافتئات على الحقائق، بيد أنه مزيج من الحقائق والمشاهد والحوادث تنطلق عبر ذات الأديب في لغة سليمة وأداء أدبي، وقدرة على الاختيار والتعليق والتنويع))[2] .

والرحلة ميدان واسع يتنافس فيه التاريخ والأدب وفنون وعلوم أخرى، ولكنها في بعض أشكالها فن أدبي خالص، أو أقرب إلى الفن الأدبي[3]، وعلى هذا النمط تسير الرحلة فنًا مختلطًا لا يجمع شتاته سوى صاحب الرحلة. وللكاتب الحرية أن يكتب ما يشاء وبالطريقة التي يريدها، ومن هنا فإن الرحلة أقرب في الحقيقة إلى المذكرات التي يدون فيها كاتبها وبشكل عفوي ما حدث له أو سمعه أو شاهده في فترة معينة من حياته، والرحلة فترة محددة في حياة إنسان، وهي غالبًا ما تبدأ بتاريخ وتنتهي بتاريخ، وقد تستمر أيامًا أو شهورًا أو سنوات[4].

الرحلة في اللغة :

جاءت الرحلة في اللغة بعدة معانٍ منها السير والضرب في الأرض: الترحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإزعاج . يقال: رحل الرجلُ إذا سار، ورجل رَحُول وقوم رُحّل أي يرتحلون كثيرًا . ورَجُل رَحّال: عالم بذلك مُجيدٌ له، وإبل مُرَحّلة: عليها رحالها، وهي أيضًا التي وضعت عنها رحالها[5].

---

(١) المرجع السابق، ص٨ ، ٩ .

(٢) المرجع السابق، ص٣٤ .

(٣) الحازمي، منصور . رحلات العرب في جزيرة العرب ، **البلاد العربية، ١٩٠١ - ١٩٧٢م** . **الدارة**، العدد الثالث، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ، مارس ١٩٨٠م، ص٣٠ .

(٤) المرجع السابق، ص٣٢ .

(٥) ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**. ـ ط٣. ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ج١١، ص٢٧٦ ، ٢٧٧ .

وجاءت الرحلة بمعنى الانتقال من مكان لآخر : ارتحل البعير رحْلةً: سار فمضى، وارتحل القومُ عن المكان: انتقلوا، كَتَرحّلوا، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارْتَحلَ القومُ عن المكان ارتحالاً . ورَحَلَ عن المكان يَرْحَل وهو رَاحِلٌ من قوم رُحَّل: انتقل[1].

وجاءت الرحلة أيضًا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان: الرَّحْلة الارتحال، والرُّحْلةُ بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول: أنتم رُحْلتي أي الذين أرتحل إليهم. وتطلق الرحلة على السَّفْرَةُ الواحدة[2]. فالشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وانتقل وسافر من موطنه قاصدًا جهة أخرى، لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر .

والرحال والرحالة اصطلاح يطلق مبالغة على الرجل يخرج إلى بلد آخر أو أكثر، ويقع جمعًا، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة[3].

الرحلة في الإسلام :

لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها، ومنها الرحلة، سواء أكانت للعلم أو الهجرة بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام أو الحج أو التجارة[4].

---

(١) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد. **القاموس المحيط** . ـ القاهرة: مطبعة البابي الحلبي،د. ت ـ ج٣، ص٣٩٤.

(٢) ابن منظور. مرجع سابق، ج١١، ص٢٧٨ - ٢٧٩. الفيروز أبادي. مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٤.

(٣) نواب، عواطف. **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين** . ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية،١٤١٧هـ،ص٤٠ـ٤١. جبر، يحيى عبدالرؤوف. **شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة**، بحث من بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٦.

(٤) نواب، عواطف. مرجع سابق، ص٢٩ .

وتعد رحلة قريش التجارية من أوائل الرحلات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ❖ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ❖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [1] . وقد ورد لفظ الرحلة صريحاً في هذه السورة، كما حفل القرآن الكريم بالأمثلة الكثيرة لأنواع الرحلات، وقد أفردت سورة قريش للحديث عن رحلة قريش التجارية، وهي من أهم الرحلات في التاريخ نظرًا لأبعادها الحضارية والدينية، فموقع مكة المكرمة في وادٍ غير ذي زرع جعلها منطلقًا للتجارة في خطين شمالاً وجنوبًا باتجاه الشام واليمن، ولأجل حرمة البيت زادت مكانة أهله عند العرب، لأن الله مَنَّ عليهم بالأمن فجعل نفوسهم تألف الرحلة، وتنال من ورائها ما تنال[2].

ولا ريب أن الرؤية الجديدة التي هيأها الإسلام للرحلة كانت من أهم الأسباب التي أعانت على استمرارها وانتشارها على نحو خالفت فيه الرحلة الجاهلية من حيث سمو المقصد وجدية الهدف، فقد أخذت الرحلة في الإسلام أبعادًا جديدة حيث حث الإسلام على الرحلة لأسباب متعددة، منها التأمل في المخلوقات، والاتعاظ من آثار الأمم البائدة، والجهاد في سبيل الله، والرحلة في طلب العلم، والرحلة للحج والتجارة، وقد جاء في القرآن الكريم حث على الرحلة والسير والضرب في الأرض في آيات كثيرة، وأن يكون مع الارتحال تأمل وتفكر وتدبر[3]، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بها﴾[4]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

---

(١) سورة قريش، الآيات: ١ - ٤ .

(٢) نواب، عواطف. مرجع سابق، ص ٢٩ ،٣٠. آل حمادي، عبدالله. مرجع سابق، ص١١. جبر، يحيى عبدالرؤوف ،مرجع سابق، ص٧،٨ .

(٣) آل حمادي، عبدالله. مرجع سابق، ص١٥. نصار، حسين . **أدب الرحلة** .ـ القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١م ، ص٤ .

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٦.

كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [1]. والدين الإسلامي وهو يحض على الرحلة في هذه الآيات وغيرها قد أعلى من شأنها وأجزل لصاحبها الثواب، لذا كانت الرحلة عنصرًا قويًا في حياة المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهرة، فقد رحل المسلمون لزيارة مهبط الوحي، ورحلوا في طلب العلم من بلد إلى آخر، حيث كانت مراكز العلم منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ورحلوا للتجارة في مشارق الأرض ومغاربها، كما رحلوا لحمل البريد بين الملوك والأمراء، كل هذه النماذج من الرحلات عرفها العرب المسلمون، وقد شجعهم على الاستزادة منها اتساع رقعة العالم الإسلامي، فقد عني المسلمون عناية خاصة بعد الفتوح بالبلاد التي خضعت لهم وأصبحت جزءًا من دولتهم، فدونوا لها الدواوين، وعبدوا إليها الطرق، ونظموا لها البريد، وهذا مما أسهم في ازدياد عدد الرحلات والاهتمام بها [2].

أما عن التأليف عن الرحلة ، فقد بدأ عند العرب المسلمين الأوائل منذ القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد، ولكنهم لم يدونوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات قائمة بذاتها إلا نادرًا، أما معظمهم فقد أدمج حديث وأخبار تلك الرحلات فيما ألفوه من كتب التاريخ أو تقويم البلدان، أما التأليف للرحلة بمعناه الصحيح فيمكن القول: إنه بدأ في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حيث دون كثير من الرحالة المسلمين أخبار أسفارهم وتنقلاتهم، فذكروا المدن التي زاروها، والمسافات التي اجتازوها، والصعوبات التي تغلبوا عليها، ووصفوا البلاد، وقيدوا مشاهداتهم عن صناعتها وتجارتها، كما أتوا على وصف حياة السكان[3].

---

(١) سورةالعنكبوت، الآية: ٢٠.

(٢) رمضان، أحمد . **الرحلة والرحالة المسلمون** . ـ جدة: دار البيان العربي، ص٧،٨، زيادة، نقولا. **الجغرافيا والرحلات عند العرب** . ـ ط٣. ـ بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م ، ص١٥ .

(٣) زيادة، نقولا . مرجع سابق، ص١٥ .

أهمية الرحلات العربية :

إن نمط كتابة الرحلات فن قائم بذاته زاخر بالكثير من المعلومات التي تهم عالم السياسة والمؤرخ والجغرافي وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع، فأهميتها تتجلى بما تحويه من مادة علمية عن تلك النواحي، وغالبًا ما تكتب بأسلوب أدبي منسق، وأحيانًا تكون بأسلوب علمي تقريري، ولكنها في كلتا الحالتين لا تخلو من اعتمادها على المشاهدة والسماع في ملاحظة الظواهر ثم تدوينها .

ومن المعلوم أن الرحلات تعد من أهم مصادر كتابة التاريخ ؛ فهي على عكس جميع المصادر الأخرى تعتمد على الإدراك المباشر للأحداث، ولا تعتمد على النقل والسماع فقط، مما يجعل منها شهادة حية للوقائع التاريخية[1] .

وتختلف كتب الرحلات عن الكتاب التاريخي الذي يعنى بالحقائق فقط، أو يحاول تقديم صورة موضوعية مجردة عن الميول الذاتية . ومع أن في كتب الرحلات كثيرًا من الحقائق إلا أنها لا تخلو من الانطباعات الشخصية والانفعالات التي تمليها الظروف والمواقف المتباينة . والفرق بين المؤرخ والرحالة أن الأول يستقي معلوماته في غالب الأمر من الكتب والمستندات والوثائق، بينما يستقيها الرحالة من التجوال والتأمل والاستماع والمشاهدة [2] .

وكان للعرب المسلمين السبق في ميدان الرحلات، وظلوا متفوقين إلى أن قامت حركة الكشوف الأوربية. ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ازداد زخم الرحلات الغربية إلى البلاد العربية بشكل عام، ولشبه الجزيرة العربية

---

(١) التوزاني، محمد . **الرحلة الحجازية** . ـ الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٩٧م ، ص٤ .

(٢) الحازمي، منصور . **بلادنا في عيون الرحالة العرب :** (عن الملك عبدالعزيز) من بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام . ـ الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ص٢٨ .

بشكل خاص لأهداف علمية استكشافية أو لأغراض تنصيرية أو سياسية استعمارية[1].

كما كان هناك كثير من الرحلات الآسيوية غير العربية، وغالبًا ما كانت بهدف أداء فريضة الحج، وقد دون كثير من الرحالة الغربيين والآسيويين من غير العرب رحلاتهم في مؤلفات كثيرة حوت الكثير من المعلومات عن المملكة العربية السعودية في شتى الجوانب، وما يهمنا في هذا البحث الرحلات العربية التي قدم أصحابها بأهداف ودوافع مختلفة، ودونوا مشاهداتهم ومرئياتهم وملحوظاتهم عن جوانب الحياة المختلفة في المملكة العربية السعودية .

ولا شك أن الرحلات العربية إلى المملكة العربية السعودية ظاهرة أدبية وتاريخية لها أهميتها، فهذه الرحلات المدونة قد لا يشعر مؤلفها بأهميتها وقت تدوينها، ولكن بمرور الزمن ازدادت أهمية تلك المؤلفات، إذ يمكن جعلها بمثابة مصادر لتلك الفترة لمعاصرتها ولما حوته من معلومات قيمة ومهمة عن البلاد في تلك الفترة .

ولا شك أن المتمعن في كتب الرحلات يجد أن هؤلاء الرحالة يتفاوتون في درجة ملاحظاتهم واهتماماتهم. فأوجد هذا نوعًا من الشمولية في عدم التركيز على جانب دون آخر، ومن هنا تظهر أهمية الرحلات في نواحٍ متعددة.

أهميتها من الناحية السياسية :

لا شك أن ما دونه الرحالة العرب عن النواحي السياسية في المملكة العربية السعودية له أهميته التاريخية، حيث التقى عدد منهم الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود ومستشاريه ووزراءه وأمراء المناطق، واطلعوا على

(١) الفارس، أسعد . **الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهم وغاياتهم**، من بحوث ندوة الرحلات العربية إلى شبه الجزيرة العربية . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ص٥ .

كثير من الجوانب السياسية ونظم الحكم والإدارة. وكان من الواضح أن اهتمام عدد من الرحالة كان منصبًا على شخصية الملك عبدالعزيز، حيث تكررت لقاءاتهم به، واستطاعوا من خلال تلك اللقاءات التعرف إلى جوانب كثيرة من شخصيته وصفاته وسياسته الداخلية والخارجية .

لقد كان لما كتبه أولئك الرحالة عن رحلاتهم، وما رصدوه عن مشاهداتهم عامًا بعد عام أثره في إزالة الغموض والمعلومات الخاطئة حول الملك عبدالعزيز وأهل البلاد من ناحية عقيدتهم ومدى تمسكهم بدينهم، كما أعطوا فكرة واضحة عن الملك عبدالعزيز وعنايته بخدمة ضيوف الرحمن وجهوده في هذا المجال والتي من أهمها توفير الأمن والاستقرار، وهذا الأمن شمل جميع مناطق المملكة والطرق التي يسلكها الحجاج داخل المملكة، وكان أكبر حافز للمسلمين لأداء فريضة الحج بعد أن كانت رحلة الحج في الماضي محفوفة بالكثير من المخاوف والمخاطر .

أهميتها من الناحية الاجتماعية :

شكلت الناحية الاجتماعية جانبًا لا يستهان به في كتب الرحلات العربية، حيث كانت كتبهم سجلات حافلة عن النواحي الاجتماعية شملت فئات المجتمع، والعادات والتقاليد، والملابس، والأطعمة. كما أبرزوا اهتمام الملك عبدالعزيز بالنواحي الصحية ونشر العلم والتعليم. وقد اتضح من خلال ما دونه الرحالة أنه على الرغم من انشغال الملك عبدالعزيز لفترة طويلة بتوحيد البلاد والقضاء على الفتن والثورات والتي استنفدت موارد الدولة المالية القليلة إلا أن الاهتمام بالتعليم والنواحي الصحية كان على قدر الاستطاعة، وحين توافرت الموارد المالية بعد اكتشاف النفط وتصديره بكميات تجارية ازدادت العناية بهذه النواحي، وتوسعت البلاد في إنشاء المدارس والمستشفيات لخدمة المجتمع والنهوض به.

وترجع قيمة ما كتبه الرحالة عن الحياة الاجتماعية أن الكثير من معلوماتهم تلك جاءت في غالبها من الاحتكاك والتعامل المباشر مع المجتمع في تلك الفترة، واطلاعهم على كثير من مظاهر الحياة التي منها تمسك الناس بالدين، وانتشار الوعي الديني بينهم، مما أسهم في تهذيب أخلاقهم، وشمل ذلك الحاضرة والبادية، وأساليب الحياة والعادات والتقاليد.

أهميتها من الناحية الاقتصادية :

حوت مؤلفات الرحلات العربية الكثير من المعلومات عن الجوانب الاقتصادية، وترجع أهميتها إلى أن رصدهم لتلك الجوانب يأتي بشكل عفوي لدى عدد منهم عند حديثهم عن السلع وأثمان المواد الغذائية، فتأتي معلوماتهم تلك مجسدة الوضع الاقتصادي على حقيقته. ويتعمد بعضهم الآخر الاطلاع على جوانب اقتصادية معينة مثل المشروعات الزراعية من ناحية التجارب التي تمت لاستصلاح الأراضي الزراعية، ومشروعات الري والصرف مع الاهتمام بإدخال محاصيل جديدة، وكذلك محاولات التنقيب عن النفط والآبار النفطية التي تم اكتشافها وظهور الثروة النفطية وأثرها في البلاد اجتماعيًا واقتصاديًا، كما اهتموا بالمشروعات الاقتصادية كالمواصلات والاتصالات ومشروعات المياه .

وأعطى عدد منهم وخاصة ممن أدوا فريضة الحج فكرة عن الجوانب الاقتصادية في موسم الحج، وأسعار السلع ومدى توافرها، وحركة الأسواق، وأنواع الصادرات والواردات والعملات المتداولة، وقيمة تلك العملات. ولفتوا النظر إلى تلاعب الصيارفة، وجهود الحكومة السعودية لتثبيت قيمة العملة وعدم تركها عرضة لتقلبات السوق وقانون العرض والطلب .

ونستطيع من خلال ما دونه الرحالة في هذا الجانب أن نستشف الأوضاع المعيشية للمجتمع في تلك الفترة، وفرص كسب العيش المتاحة ومحدوديتها قبل اكتشاف النفط، وكذلك الأوضاع المادية في تلك الفترة الحرجة من عمر الدولة التي عاصرت فترة التأسيس، ثم المحاولات الجادة لتطوير الجوانب الاقتصادية والرقي بها .



الفصل الأول

الرحلات العربية إلى المملكة العربية السعودية

- مواطن الرحلات العربية.
- أهداف الرحلات العربية.
- خصائص الرحلات العربية.
- تراجم الرحالة ونبذة عن رحلاتهم.

مواطن الرحلات العربية :

كان الحج أهم باعث يدفع المسلمين إلى الرحلة، وتبوأت مكة المكرمة مكانة عظيمة لقداستها ولكونها نقطة التقاء ومركز تجمع للمسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، وكانت صلة وصل بين علماء العالم الإسلامي .

وخلال القرون الماضية تفوق رحالة وعلماء المغرب العربي على غيرهم في مجال الرحلات وخاصة إلى منطقة الحجاز، وتعمقت صلاتهم بالأراضي المقدسة، فقد رحل كثير منهم لأداء الفريضة وتلقي العلم ولقاء العلماء، ووضعوا كثيراً من المؤلفات عن رحلاتهم تلك .

ومنذ الربع الأول من القرن العشرين بدأ التنوع في الرحلات العربية من حيث مواطن هذه الرحلات، فلم تعد قاصرة على بلاد المغرب العربي؛ بل أسهمت كل من مصر وبلاد الشام في هذه الرحلات. وبعد ضم الملك عبدالعزيز للحجاز كادت تتفوق مصر وبلاد الشام على بلاد المغرب العربي من ناحية عدد الرحلات وتنوع دوافعها بعد توفر الأمن والاستقرار خاصة. وبعد توحيد البلاد اتسع نطاق تلك الرحلات ليشمل جميع أنحاء المملكة العربية السعودية. وسوف نعرض فيما سيأتي لمواطن تلك الرحلات، وما اتسمت به كل منطقة من سمات خاصة.

١ – مصر :

ازدادت كثافة الرحلات العربية من مصر إلى المملكة العربية السعودية بعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ونستطيع أن نستشف من تلك الرحلات الأسباب التي دعت كثيراً من الكتاب والمفكرين والإعلاميين المصريين للقيام بتلك الرحلات، بل بلغ الحماس بعدد منهم أن تكررت رحلاته إلى المملكة العربية السعودية .

ولعل من أبرز تلك الأسباب استتباب الأمن، إذ بدأت الأنباء ترد إلى مصر وإلى أنحاء العالم الإسلامي بأن المملكة العربية السعودية بصفة عامة وبلاد الحجاز بصفة خاصة أصبحت مضرب المثل في الأمن بعد الفوضى التي كانت تعم أرجاء البلاد، يضاف إلى ذلك كرم الملك عبدالعزيز وسخاؤه مع ضيوفه حتى قبل اكتشاف النفط واتساع موارد الدولة. وكان لزيارة الأمير سعود لمصر عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م أثرها الواضح في تتابع الرحلات، حيث دعا في زيارته تلك المفكرين والكتاب والإعلاميين لزيارة البلاد والاطلاع على شؤونها، ونشر الحقائق المجردة عنها. وبعد تلك الزيارة مباشرة كانت رحلة محمد شفيق مصطفى عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، والذي صرح بأن من الأسباب التي شجعته للقيام برحلته دعوة الأمير سعود كما أسلفنا[1] .وتتابعت الرحلات المصرية حين دعت الحكومة السعودية عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م وفداً من المفكرين ورجال الصحافة في مصر لحضور الاحتفال بمناسبة عيد جلوس الملك عبدالعزيز، ولا شك أن زيارة هؤلاء كان لها أثرها الواضح من حيث الصورة التي نقلوها عن المملكة في تلك الفترة، وعاد هؤلاء كما يقول هيكل: « يلهجون بالثناء على الأمن والنظام هناك، وسُئلوا عن شدة الوهابيين .. فهونوا الأمر غاية التهوين»[2] . وكان أولئك الصحفيون يبعثون البرقيات إلى مكاتب صحفهم أثناء تلك الرحلة[3]. إلا أن منهم من لم يكتف بمقالاته تلك، بل أفرد لرحلته كتاباً خاصاً بها مثل المازني، حيث وضع عنها كتاباً بعنوان: (رحلة الحجاز)، وعبدالوهاب خضير (مشاهداتي في بلاد الحجاز) ، وتركت تلك الرحلة أثرها الواضح في محيى الدين رضا، حيث تعددت رحلاته فيما بعد، ووضع عنها مؤلفات كثيرة .

(١) مصطفى ، محمد شفيق. **في قلب نجد والحجاز** . ـ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت ، ص٧ ، ٨.

(٢) هيكل، محمد . **في منزل الوحي**. ـ ط٥ . ـ القاهرة: دار المعارف، د. ت، ص١٤٨ .

(٣) المازني، إبراهيم عبدالقادر. **رحلة الحجاز**. ـ ط١. ـ القاهرة: مطبعة فؤاد، ١٣٤٩هـ، ص١٤، ١٥.

ولم تقتصر الرحلات المصرية على أولئك الإعلاميين، بل قدم غيرهم من الرحالة بدوافع مختلفة، لعل أبرزها الدافع الديني المتمثل في أداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي. ولقد وضع أولئك الرحالة مؤلفات خاصة عن رحلاتهم تلك، تدور حول كيفية أداء المناسك ووصف الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية ومكة والمدينة المنورة، ولا تخلو تلك المؤلفات من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية وغيرها. وهناك رحلات مصرية يختلط فيها أكثر من هدف في الرحلة الواحدة من أمثلتها: رحلة محمد هيكل لأداء فريضة الحج، واستكشاف بلاد الوحي لإتمام مباحثه في السيرة. ومحمد السوادي الذي أدى فريضة الحج، وكان هدفه استطلاع أحوال تلك البلاد من الناحية السياسية [1].

٢ – بلاد الشام :

أخذت بلاد الشام نصيبها من الرحلات إلى المملكة العربية السعودية، وكان قدوم هؤلاء الرحالة من عدد من بلاد الشام (سوريا، ولبنان، وفلسطين). وإن لم تكن رحلات الشام بكثافة الرحلات المصرية، إلا أنها تميزت عنها من ناحية زمن قدوم تلك الرحلات، فرحالة الشام من أوائل الرحالة العرب الذين زاروا المملكة في عهد الملك عبدالعزيز، فرحلة محمد بهجة البيطار تعد من أوائل الرحلات العربية في عهد الملك عبدالعزيز، حيث قام برحلته من دمشق في سوريا عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م قاصدًا نجدًا حاملاً معه رسالة من محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) إلى الملك عبدالعزيز، وحين وصل إلى بلدة (الحائط) [2] لم يستطع مواصلة السير إلى داخل نجد لخطورة

(١) السوادي، محمد. **مملكة في الميزان**. ـ القاهرة: المطبعة العالمية، ١٣٧٣هـ، ص٨ – ١١ .

(٢) **قرية الحائط** : تقع في شمال المدينة المنورة، وهي ذات نخل كثير وعيون عذبة، وقد كانت في الأصل لعرب عنزة ثم امتلكها منهم ابن رشيد وعامل أهلها على نخيلها على أن يكون ثمره بينه وبينهم مناصفة. البيطار، محمد بهجة. **الرحلة النجدية الحجازية**. ـ دمشق: المطبعة الجديدة، ١٣٨٧، ص٢٩ – ٣٠ .

الطريق، فعدل عن رحلته تلك، واتجه إلى المدينة المنورة [1] . تليها زمنيًا رحلة أمين الريحاني، حيث بدأت رحلته ذات الأهداف السياسية عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م ، وتعد من أبرز وأكثر الرحلات العربية شهرة وانتشارًا، وقد شرح أهدافه السياسية في كتابه (ملوك العرب)، وتلخصت أهدافه السياسية في محاولاته التوفيق بين ملوك العرب وحكامهم لتحقيق الوحدة العربية [2].

وكانت رحلة التميمي كذلك في فترة مبكرة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، قام بها بدوافع شخصية طلبًا للعلم واستطلاعًا لأحوال نجد [3].

وإضافة إلى تميز رحلات الشام بأولية قدومها إلى المملكة، فإنها امتازت أيضًا بالتنوع الشديد في الأهداف حيث حفلت رحلات الشام بكثير من الأهداف والدوافع: من دينية، وسياسية، وإعلامية، وعلمية استكشافية، وحتى الدوافع الشخصية كما أسلفنا في رحلة التميمي.

فالأهداف الدينية تمثلت في رحلات محمود ياسين : (رحلة الحج والعمرة) و(الرحلة إلى المدينة المنورة)، ومحمد العوري : (الرحلة السعودية الحجازية النجدية)، ورحلة عبدالغني شهبندر وغيرهم. والأهداف الإعلامية تمثلت في رحلات علي الطنطاوي، ورحلة شكيب أرسلان : (الارتسامات اللطاف) مع وجود الأهداف الدينية إلى جانب الأهداف الإعلامية لدى الطنطاوي وأرسلان. والدوافع العلمية الاستكشافية نجدها في رحلة فؤاد حمزة : (في بلاد عسير)[4].

(١) البيطار، محمد بهجة . مرجع سابق، ص٣، ص٢٩ .

(٢) الريحاني، أمين. **ملوك العرب** .ـ ط١ .ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٨٣م ، ج١، ص١٤ .

(٣) التميمي، محمد أمين. **لماذا أحببت ابن سعود** .ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ، ص٣٥ ، ٣٦ .

(٤) حمزة، فؤاد. **في بلاد عسير** . ـالرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ، ص١٢ – ١٧ .

٣ – المغرب العربي :

فاق الرحالة المغاربة غيرهم من العرب والمسلمين في كثافة رحلاتهم إلى بلاد الحجاز عبر العصور الإسلامية، ودونوا رحلاتهم تلك في مؤلفات نالت شهرتها، وقد اتخذت تلك الرحلات نمطًا خاصًا تميزت به، فقد تفوق علماء المغرب العربي في هذا المجال، حيث رحل كثير من أولئك العلماء إلى الحجاز لنشر العلم وتلقيه مما أدى إلى عمق الصلات الثقافية التي تربطهم بالأراضي المقدسة[١].

ولعل من الواضح أن الرحالة المغاربة الذين قدموا إلى المملكة العربية السعودية قد ساروا على نهج أسلافهم من ناحية اهتمامهم بتدوين رحلاتهم إلى الأراضي المقدسة، وتشابه محتوى تلك الرحلات، فقد وصفوا الطريق إلى الحجاز والبلاد التي مروا بها ووسائل المواصلات المتاحة وكيفية أداء المناسك، وأعطوا وصفًا مفصلاً للحرمين الشريفين وللمدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة، كما اهتموا بالترجمة للعلماء في الحجاز سواء من أهلها أو المجاورين لها من البلاد الإسلامية، مع بيان لقاءاتهم ومذاكرتهم مع أولئك العلماء[٢]؛ كما شملت مؤلفاتهم أسماء أبرز المدارس الموجودة في مكة، والمدينة المنورة، وأهم المكتبات التي حرصوا على زيارتها واطلعوا على محتوياتها .

ولعل السمة البارزة في مؤلفاتهم والتي نادرًا ما نجدها لدى غيرهم من الرحالة العرب تبادل الإجازات مع علماء الحجاز ورصدهم لهذه الإجازات ، بل اعتدادهم بها، من ذلك ما ذكره السائح في رحلته: ((وممن زارني بمكة

---

(١) أحمدون، عبدالخالق المفضل. **الرحلة الحجازية الصغرى** لأبي عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ناصر الدرعي، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ص٥ .

(٢) نواب، عواطف. مرجع سابق، ص٧١ .

العالم المفضال وكيل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الصنيع، واستجازني كما استجزته، وكذلك الشيخ أبو السَّمح المصري خطيب الحرم المكي وإمامه ... كما أني زرت بالحرم المكي المحدّث الشهير الشيخ عُمر حمدان التونسي ... ، وأجازني تمامًا))[1].

ومع أن أوجه الشبه بين أولئك الرحالة وأسلافهم كانت واضحة جلية من حيث الاهتمام بالنواحي الدينية وطلب العلم ولقاء العلماء، إلا أنهم لم يغفلوا نواحي الحياة المختلفة من سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وعمرانية .

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى رحلات عبدالعزيز الثعالبي التي قام بها في أنحاء العالم الإسلامي، وقد اختلفت في دوافعها ومحتواها عن الرحلات المغربية الأخرى. ولعل أبرز رحلاته: الرحلة التي دونها بعنوان (الرحلة اليمنية)؛ فقد قام فيها بمساعٍ سياسية لدى المسؤولين اليمنيين والعدنيين في محاولة لتوحيد اليمن ؛ ليقف أمام الهيمنة الأجنبية، كما دون في رحلته مساعيه لدى الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن والملك عبدالعزيز لحل الخلافات على الحدود بين البلدين[2] كما سيأتي تفصيل ذلك .

وإجمالاً فقد خلف الرحالة المغاربة عبر القرون عددًا كبيرًا من الرحلات التي لا يزال كثيرمنها مخطوطًا تحفل به مكتبات المغرب العامة والخاصة[3].

---

(١) السائح، محمد. **لمحة بصر عن البلاد المقدسة**. ـ ط١. ـ دمشق: مطبعة الكتاب العربي، ١٤١٦هـ، ص١٦٤ .

(٢) الثعالبي، عبدالعزيز . **الرحلة اليمنية**. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م، ص٧،ص ١٥ .

(٣) للمزيد عن الرحلات المغربية انظر : الجاسر، حمد . في رحاب الحرمين الشريفين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، **مجلة العرب**، ج٥ و٦، س٩، ذو القعدة وذو الحجة عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥م، كما أورد عبدالكريم كريم نماذج من هذه الرحلات منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة، كريم، عبدالكريم. **صورة الملك عبدالعزيز آل سعود من خلال بعض الرحلات المغربية إلى شبه الجزيرة العربية، من بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٢ ، ٢٣.

أهداف الرحلات العربية :

لا شك أن أسلوب ومنهج الرحالة المسلمين القدامى في سير الرحلة وتدوينها لا يزال واضحًا وقويًا في مؤلفات الرحالة العرب المتأخرين، إلا أن الانطباع الذاتي والتعبير عن الثقافة العامة المعاصرة للرحالة هي من سمات أدب الرحلات الحديثة، وإن كان ثمة فوارق واختلافات في الأهداف والدوافع والاهتمامات من واحد إلى آخر، وهذا يتطلب تقسيم الرحلات إلى أقسام بحسب دوافع وأهداف كل رحلة، مع مراعاة أن بعض الرحلات لا تكون بدافع أو هدف واحد محدد، بل يختلط أكثر من دافع في الرحلة الواحدة .

ولعل من أبرز تلك الأهداف ما يأتي :

أولاً : أهداف دينية (الحج وزيارة المسجد النبوي) .

ثانيًا : أهداف سياسية .

ثالثًا : أهداف إعلامية .

رابعًا : أهداف علمية.

خامسًا : أهداف ودوافع أخرى .

أولاً : أهداف دينية :

الحج وزيارة المسجد النبوي:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2] .

لا شك أن حج بيت الله الحرام يعد أسمى هدف وأشرف غاية ينشدها الرحالة المسلم على مر العصور، إذ يعد الحج ركنًا من أركان الإسلام لمن

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧ .

استطاع إليه سبيلا. ويلي رحلة الحج في الأهمية زيارة المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة التي يقوم بها أكثر الحجاج، وإن لم تكن فرضًا عليهم .

وتبوأت مكة المكرمة مركزًا مهمًا لمكانتها الدينية ولدورها الثقافي، فقد كانت وما زالت نقطة ومركزًا لتجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، وأيضًا صلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها في مختلف العصور الإسلامية، إذ استغل كثير من أولئك الحجاج علماءَ أو طلبة علم رحلة الحج في طلب العلم ولقاء العلماء ومحاورتهم والأخذ عنهم[1] .

وقد اهتم عدد من أولئك الرحالة في مختلف العصور الإسلامية بتدوين رحلة الحج ابتغاء الأجر والمثوبة من الله في إرشاد من يأتي بعدهم من الحجاج إلى كيفية أداء المناسك والأذكار والأدعية المشروعة، ووصف المشاعر المقدسة، وغير ذلك[2]. وبعد ضم الملك عبدالعزيز للحجاز استمر الرحالة العرب في تدوين رحلة الحج، واحتسبوا الأجر كسابقيهم، وامتازت رحلاتهم بالترغيب في أداء تلك الفريضة، خاصة بعد توفر الأمن في أنحاء البلاد، والتحسن الملحوظ في الخدمات المقدمة للحجاج عامًا بعد عام. كما قدموا أيضًا وصفًا دقيقًا للطرق بين بلاد الحجاز، والمحطات الموجودة على تلك الطرق لاستراحة الحجاج، والتزود بالماء والوقود، وأسماء تلك المحطات مع تقدير دقيق للمسافة بين كل محطة وأخرى .

ولا يخفى أن أولئك الرحالة قد كتبوا عن مرئياتهم وانطباعاتهم الشخصية، حيث أبدوا كثيراً من الملحوظات حول أوضاع الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية ومقترحاتهم للسير بها إلى الأفضل، ولا شك أن عددًا

---

(١) الحازمي، منصور. **رحلات العرب**، ص٣٣، نصار، حسين. مرجع سابق، ص٢٣ .
(٢) الحازمي، منصور . **رحلات العرب**، ص٣٩ .

منهم كان يدرك أن تلك الأوضاع هي نتاج مئات السنين، وتحتاج لفترة طويلة لإصلاحها وتطويرها، ومع ذلك أثنوا على الحكومة السعودية في أنها تبذل جهدها لإصلاح الأوضاع على الرغم من الصعوبات التي تواجهها .

وتكمن قيمة تلك المؤلفات فيما حوته من وصف للنواحي السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، وركزت تلك الرحلات على الأوضاع الأمنية التي أصبحت مضربًا للمثل مقارنة بما سبق، حيث كان كثير من الحجاج يفقدون ممتلكاتهم بل حياتهم في طريقهم إلى الحج نتيجة انعدام الأمن وكثرة قطاع الطرق .

ثانيًا : أهداف سياسية :

قدم بعض الرحالة العرب إلى المملكة العربية السعودية لأهداف ودوافع سياسية، لذا فإن مؤلفاتهم اتسمت بالطابع السياسي، وانصب اهتمامهم فيها على الشخصيات السياسية ونواحي الحكم والإدارة، وسياسة البلاد الداخلية والخارجية وعلاقاتها مع الدول الأخرى.

ولعل أبرز الرحلات العربية ذات الدوافع والأهداف السياسية رحلة الريحاني التي جاب فيها البلاد العربية في شبه الجزيرة العربية بادئًا بالحجاز في أثناء حكم الشريف حسين لها عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م . ويتضح هدفه السياسي في عنوان رحلته الرئيس (ملوك العرب). وحيث ذكر أنه قام بهذه الرحلة للتوفيق بين حكام العرب وخدمة للقضية العربية، ومع فشله في مساعيه السياسية ، إلا أنه استطاع على الرغم من العقبات والمشاق أن يخترق الحدود بين تلك الإمارات العربية المتنافسة، وأن يحمل فكرته السياسية إلى الأمراء والملوك العرب، كما حقق نجاحًا في كتابة رحلته تلك، وسجل تلك الفترة المهمة في تاريخ الجزيرة العربية[1].

(١) الحازمي، منصور. **رحلات العرب**، ص٤١ – ٤٣ .

ولعل من المفيد الإشارة إلى رحلة محمد بهجة البيطار عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، والتي كانت لمهمة سياسية أوضحها في مقدمة كتابه: « فلما انقضى عهد الحكومة التركية في ديار الشام، وحلت محلها الحكومة العربية الأولى التي ترأسها الأمير فيصل بن الحسين، دعا إليه الإمام السيد محمد رشيد رضا من مصر ليكون عونًا له ... اعتزما إرسال كتابين باسمهما مع رسولين أمينين يبلغان رسالتيهما كتابة ومشافهة إلى الأمير عبدالعزيز آل سعود في نجد. وهما يدعوان إلى نصرة الإسلام، وعقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام دفعًا للعدوان الأجنبي » فتم اختيار البيطار ليبلغ الرسالة الدينية التي كتبها محمد رشيد رضا، وحمل الرسالة السياسية من الأمير فيصل رفيق البيطار ويدعى (شلاش النجدي). وعلى أن البيطار لم يستطع إكمال رحلته والوصول إلى الملك عبدالعزيز، إلا أنه نقل آراء الملك عبدالعزيز إلى الشيخ محمد رشيد رضا، واستطاع الحصول على أجوبة عن رسائله تلك عن طريق زميله شلاش النجدي الذي قام بإكمال الرحلة، ونقل تلك الرسائل إلى الملك عبدالعزيز[١].

وتعد رحلات الثعالبي أيضًا من الرحلات ذات الأهداف والدوافع السياسية فقد قام برحلات متعددة في أنحاء العالم الإسلامي، وكان من مفكري العالم الإسلامي، ترك بلاده تونس تحت ضغط من الاستعمار الفرنسي. ولعل من أبرز رحلاته تلك التي دونها بعنوان : (الرحلة اليمنية) وقام فيها بمساعٍ سياسية لدى المسؤولين اليمنيين والعدنيين لإقناعهم بعقد مؤتمر قومي عام للنظر في سُبل توحيد اليمن وتخلصه من الهيمنة الأجنبية، كما قام بمحاولات جادة لإصلاح ذات البين بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى وحل مشكلات

(١) البيطار، محمد بهجة. مرجع سابق، ص٤٥ – ٤٧ .

الحـدود، فزار الحجاز، والتقى الملك عبدالعزيز، ثم تحول إلى اليمن، وزار الإمام يحيى، ولم يخرج الثعالبي من مساعيه تلك بنتيجة تذكر[١].

ومن الرحلات التي حوت أهدافًا سياسية رحلة محمد السوادي، فقد قام بأداء فريضة الحج، وكان ينوي استغلال وجوده في المملكة في استطلاع أحوالها السياسية، وهو ما ذكره في مقدمة كتابه من اهتمامه بالوحدة العربية، والاطلاع على السياسة السعودية ووضعها في الميزان، حيث أطلق على كتابه : (مملكة في الميزان). وأن رحلته ليست رحلة حج، ومناسك، بل إن واجبه يحتم عليه تبصير العرب والمسلمين بما يجري في المملكة العربية السعودية لفهم الأوضاع السياسية، وما يجري فيها من تطور « وستخرج من هذا كله بالسياسة الشرقية مفهومة، وبالأهداف العربية مجلوة، وبالمملكة العربية السعودية موزونة»[٢]. وبالفعل نجد في ثنايا كتابه التركيز على النواحي السياسية، والشخصيات السياسية البارزة التي كان لها تأثيرها في سياسة المملكة الداخلية والخارجية .

ورحلة فؤاد حمزة لبلاد عسير كانت لهدف سياسي، مقرونًا بالأهداف العلمية الاستكشافية: « وكان أن توجهت إلى أبها في ١٤ شوال ١٣٥٢هـ/ ٣ يناير ١٩٣٤م وآليت على نفسي أن تكون رحلتي مزدوجة الفائدة من الناحيتين السياسية؛ بالعمل على إنجاح المؤتمر، والأدبية بتدوين مشاهداتي الجغرافية، وجمع المعلومات التاريخية والاجتماعية»[٣].

ومع عدم نجاحه في مساعيه السياسية إلا أنه كثف جهوده في استكشاف المنطقة، وجمع المعلومات ومعارضة الروايات حتى خرج في رحلته بصورة علمية موفقة .

(١) الثعالبي، عبدالعزيز. مرجع سابق، ص١٥ . تفصيل ذلك في الفصل الثاني عند تناول العلاقات السعودية اليمنية.
(٢) السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٧ – ١١ .
(٣) حمزة، فؤاد. **في بلاد عسير**، ص١١ .

ثالثًا : أهداف إعلامية :

أسهم الحكم السعودي بما وطده من دعائم الأمن، وما أدخله من تطوير لأوضاع البلاد في جذب كثير من الإعلاميين لزيارة المملكة العربية السعودية والكتابة عنها، وقد تتم هذه الزيارة بناء على دعوة رسمية من الحكومة السعودية، أو على مبادرة شخصية من صاحبها لمجرد الاستطلاع .

وكانت دعوة رجال الإعلام إلى المملكة العربية السعودية والاحتفاء بهم وحسن استقبالهم وتسهيل اطلاعهم على جوانب حضارية متعددة ومناطق مختلفة في المملكة مع كرم الملك عبدالعزيز معهم، دليلاً على وعيه وإدراكه لأهمية الإعلام في كشف الحقائق، ودحض ما يروجه أعداؤها من أباطيل ولا سيما بعد ضم الحجاز، وتوتر العلاقات مع بعض الدول العربية المجاورة .

ولعل من أوائل الرحلات الصحفية للمملكة رحلة محمد شفيق مصطفى، التي نشرها في كتاب : (في قلب نجد والحجاز)، ووصفه بأنه: « سلسلة مقالات سياسية واجتماعية ودينية، تتضمن حقائق ومشاهدات في قلب شبه الجزيرة العربيةلم يسبق لرحالة تدوينها» . وقد نشرت تباعًا بجريدة السياسة، وقد دفعه إلى الرحلة رغبته في استطلاع أحوال شبه الجزيرة العربية بعد توحيد نجد والحجاز تحت حكم الملك عبدالعزيز. كما شجعه على تلك الرحلة دعوة الأمير سعود بن عبدالعزيز في أثناء زيارته لمصر لكثير من المفكرين لزيارة بلاده لاستطلاع شؤونها، ونشر الحقائق المجردة عنها للناطقين بالضاد ممن لا يزالون يجهلون عنها كل شيء[1]. وقد أوضح في خاتمة كتابه أن رحلته أسهمت في اطلاعه على أحوال البلاد ويسرت له الرد على بعض المناوئين « وكذلك فإذا كان بعض الذين لا يحلو لهم الصيد إلا في الماء العكر قد زين إليهم أن يثيروا العواصف، ويشيعوا الأكاذيب عن حكم الحجاز وآراء

---

(١) مصطفى، محمد شفيق . مرجع سابق، ص٨ .

الوهابيين الدينية قصد تنفير الأمم الإسلامية من حكم جلالة الملك عبدالعزيز... ولسوف يدرك هؤلاء وأولئك من حسن نيات الملك عبدالعزيز وضروب الإصلاح في بلاد الحجاز ذاتها ما يسكت ألسنتهم، وينطقهم بالحق من حيث لا يشعرون))[1].

وتتابعت الرحلات الصحفية للمملكة العربية السعودية، منها رحلة إبراهيم المازني بعنوان : (رحلة الحجاز)، ورحلة عبدالوهاب خضير : (مشاهداتي في بلاد الحجاز). وكانت رحلتاهما إلى المملكة عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م بدعوة من الحكومة السعودية لحضور احتفالات المملكة بيوم جلوس الملك عبدالعزيز، وقدموا ضمن وفد من رجال الصحافة والإعلام مندوبين عن عدة صحف في مصر، وكان ممن قدم معهم محيى الدين رضا[2]، والذي تكررت رحلاته للمملكة فيما بعد، فأصدر أكثر من كتاب عن رحلاته تلك منها : (صور ومشاهدات من الحجاز)، (ورحلتي إلى الحجاز)، و (طويل العمر).

كما دون شكيب أرسلان رحلته في مقالات صحفية بعث بها إلى صحيفة (الشورى)، ثم جمعها في كتابه:(الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف)[3]. وعلي الطنطاوي تعددت رحلاته إلى الأراضي المقدسة، وكان يرسل عددًا من المقالات إلى مجلة الرسالة في سوريا، ثم جمع مقالاته تلك في كتابه:(من نفحات الحرم)، وأضاف إليها مقالات لم يسبق نشرها من قبل.

وتلك أمثلة للرحلات ذات الأهداف والدوافع الإعلامية، وهي كثيرة ومتعددة. وعلى اختلاف أساليبها وموضوعاتها إلا أنها قد أدت دورها الإعلامي في الكشف عن الكثير من الحقائق عن المملكة، وأشادت بما في البلاد من

(١) مرجع سابق، ص٧٠.
(٢) خضير، عبدالوهاب. **مشاهداتي في بلاد الحجاز** بمناسبة حضور عيد جلوس جلالة الملك ابن السعود .ـ القاهرة: مكتبة ومطبعة خضير، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) ص٣.
(٣) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٤ — ٥.

نهضة وتطور حيث كانت البلاد السعودية في تلك الفترة تنقصها وسائل الإعلام الفعالة التي تستطيع أن تنقل الصورة الحقيقية للحياة في المملكة إلى خارج حدودها، وقام هؤلاء الأعلام من صحفيين وأدباء حسب إمكاناتهم بهذه المهمة، وصوروا كثيراً من جوانب الحياة وبخاصة ظاهرة الأمن والإصلاحات في الحرمين الشريفين، والمحاولات الجادة لنشر التعليم، على الرغم من العوائق المادية والمعنوية [1].

رابعًا : أهداف علمية :

لا نجد الكثير من الرحلات العربية ذات الأهداف والدوافع العلمية، على العكس من الرحلات الغربية التي حفلت بكثير من تلك الأهداف لغايات استعمارية.

وعلى كلٍ فإن الرحالة العرب الذين قاموا برحلات علمية لم تكن رحلاتهم خالصة لهذا الهدف، بل قد تمتزج معه دوافع أخرى كما سيتضح لنا.

وقد حاول أولئك الرحالة تطبيق المعلومات التاريخية والتراثية والجغرافية على الطبيعة عبر الطرق التي سلكوها، وأبدوا اهتمامًا بالغًا باستكشاف البلاد والقرى التي وقفوا عليها، وبخاصة التي لها صلة بالتراث التاريخي والأدب والجغرافيا. ويربط الرحالة من هؤلاء بين مشاهداته الميدانية ومعلوماته مسترشدًا بالأدلاء والمرافقين، وسكان المناطق، وغيرهم. كما يهتم بأسماء الأماكن القديمة، والحديثة، وموقعها، وأهميتها، وأنساب القبائل، وأصولها، ولغاتها، وكذلك الأحوال المناخية، والنباتات، والحيوانات، وتحديد المسافات، والأبعاد بين البلاد التي يمر بها.

ولعل من أبرز تلك الرحلات رحلة فؤاد حمزة إلى بلاد عسير، وكان الهدف الأول من رحلته المشاركة في المؤتمر الذي عقد في أبها لحل مشكلات

---

(١) الحازمي، منصور. **رحلات العرب**، ص ٤٨.

الحدود بين اليمن والمملكة العربية السعودية في ١٤ شوال ١٣٥٢هـ/٣٠ يناير ١٩٣٤م. وقد صرح بأن رحلته كانت لأكثر من هدف، أولها الهدف السياسي، ثم الاهتمام باستكشاف المنطقة بدقة: ((إذ كان عليَّ أن أبحث مع وفد اليمن في مقاطعات الحدود، وهذا لا يمكن إلا بجمع المعلومات الصحيحة المفصلة الدقيقة عنها، وعن سكانها وما فيها))[١]. وقد انصرفت همة فؤاد حمزة إلى الجانب العلمي والاستكشافي خاصة بعد فشل المفاوضات بين الوفدين السعودي واليمني: ((فإن كنت فشلت في إكمال رحلتي على النحو الذي رسمته لها، فقد وفقت في جعل القسم الذي قمت به من الرحلة ناجحًا موفقًا [٢].

ويصف فؤاد حمزة مهمته العلمية وجهوده لاستقصاء أحوال تلك المنطقة التي تكاد تكون غير معروفة حتى لسكان المناطق الأخرى من المملكة في تلك الفترة: ((غير أني كنت هذه المرة قاصدًا بلادًا غير مطروقة تكاد تكون معلوماتنا عنها كمعلومات صبيان المدارس ... لاعتزامي تدوين مشاهداتي للأماكن والمسافات والأبعاد والآبار والموارد والقبائل والقرى والأودية، واستقصاء ما هو مجهول عنها، ووضع خريطة للطريق يصح أن يرجع إليها ... فوطنت النفس في رحلتي هذه على اهتبال الفرصة السانحة لي، والخروج منها بنتائج علمية باهرة)). وحتى يتمكن من إتمام مهمته على أحسن وجه فقد اصطحب معه مجموعة من الأدوات العلمية المتمثلة في بوصلة، وميزان حرارة، وشريط مساحة ، وآلات تصوير من قياسين، وبارومتر، وجداول، وكشوف جغرافية وفنية، كما استخدم عداد السيارة ليقوم بتسجيل المسافات، وحمل معه عددًا من الخرائط والكتب عن تلك المنطقة [٣].

---

(١) حمزة، فؤاد. **في بلاد عسير**، ص١١ -١٣.
(٢) مرجع سابق، ص١٧.
(٣) مرجع سابق، ص١١، ١٢

وقد جمع محمد حسين هيكل بين أداء الفريضة الدينية وأداء الواجب العلمي لاستكمال مباحثه في السيرة النبوية عندما كان يعد كتابه عن (حياة محمد)، فسلك سبيل العلماء التجريبيين الذين لا يطمئنون إلا إلى ما يكتشفونه بأنفسهم ويخبرونه بحواسهم، فالقراءة لا تغني في نظره عن التجربة والمعاينة، فلم يكن دافعه لزيارة الأراضي المقدسة أداء مناسك الحج والعمرة فقط، بل كان معنيًا باستكشاف حقيقة هذه البلاد، واختيار الله لها للوحي والرسالة: «لكني شعرت آخر الأمر بأنني سأظل ينقصني جوهر ما أبحث عنه إذا أنا لم أذهب إلى بلاد النبي العربي بنفسي، ولم أقف حيث وقف في أدق ما مر به أثناء حياته»[1].

ومن الرحلات الاستكشافية رحلات عبدالوهاب عزام في أنحاء الجزيرة العربية، حيث كان مهتمًا باستكشاف المواقع التاريخية القديمة الواردة في كتب التراث، ولم يقتصر اهتمامه على هذه الناحية، بل كان مهتمًا بالنواحي التاريخية والجغرافية والأدبية[2]، وكان في أثناء رحلته باحثًا منقبًا، ومحققًا، ومسترشدًا بالأدلاء والمرافقين وغيرهم، مهتمًا بالمواقع والآثار والكتابات والنقوش التاريخية ومواقع القرى والبلاد المختلفة، ويحدد المسافات بينها بدقة بالكيلو متر، كما يحدد مواقع الآبار في كل مكان يمر به خاصة ما تعلق منها بالتاريخ الإسلامي، ويصف مدى غزارة مائها وصلاحيته للشرب، كما يهتم بوصف النباتات الصحراوية وأسمائها، ويقارنها بما ورد في كتب اللغة ليتأكد من صحة أسمائها، ولا يغفل ذكر الحيوانات وأماكن تكاثرها، البرية منها والمستأنسة، ويولي اهتمامًا بالحياة الفطرية

(١) ومع أن هيكل كان يهدف من رحلته تلك إلى إتمام بحوثه في السيرة إلا أنه بعد قيامه بها عزم على إخراج كتاب مستقل يتناول تلك الرحلة: «لذلك رأيت أن أطالع القراء بكتاب مستقل يتناول ما رأيت» فكان أن وضع كتابه (في منزل الوحي) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٠.

(٢) نصار، حسين. مرجع سابق، ص٣٧ ، ٣٨.

بوعي مبكر حيث ينتقد أساليب الصيد الجائرة مثل ملاحقة الضباء بالسيارات واستخدام البنادق في صيدها.

خامسًا : أهداف ودوافع أخرى:

لا تقتصر أهداف الرحلات العربية على ما ذكرنا سابقًا، بل هناك رحالة كان لهم أهداف ودوافع تختلف عما ذكرناه آنفًا، فمنهم من قدم بدافع شخصي كطلب العلم مثلاً، أو منتدبًا لمهمة لا يمكن تصنيفها ضمن ما سبق.

من ذلك الرحالة محمد أمين التميمي الذي قام برحلته عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م طالبًا للعلم متفقهًا في الدين، ويقول عن أهدافه تلك: ((وكانت نفسي تحدثني دائمًا بالقيام برحلة إلى نجد كي أقف على حقيقة النجديين وعقائدهم ... فقد أخذت أشعر بقوة خفية تدفعني إلى تعلم أحكام الدين الذي أنتسب إليه وأتسمى بأحد أسماء المنتمين إليه)). وهو يعد رحلته تلك بمثابة هجرة فيقول: « فعزمت على الهجرة»[(١)].

وقد وضع عن رحلته تلك كتابًا بعنوان : (لماذا أحببت ابن سعود) أوضح فيه أنه بعد وصوله للبلاد التابعة للملك عبدالعزيز شهد بنفسه الوعي الديني لدى السكان وسلامة عقيدتهم عكس ما يثار عنهم، وتأثر بذلك وجد في طلب العلم، وخاصة في حائل على يد قاضيها عبدالله بن بليهد[(٢)]. وحين إقامته بالمدينة المنورة انتظم في حلقات الدرس في المسجد النبوي، فدرس علم التوحيد والقراءات. يقول عن طلبة العلم: « وهكذا كنت أينما حللت أغترف من بحر العلم ماءً عذبًا فراتًا يروي الظمآن، ويغسل الأدران »[(٣)] . وتبدلت أحواله،

---

(١) التميمي ، محمد . مرجع سابق، ص٣٥ ، ٣٦.

(٢) عبدالله بن سليمان بن سعود بن بليهد. ولد في قرية القرعاء إحدى قرى القصيم عام ١٢٨٤هـ في عام ١٣٣٣هـ عين قاضيًا لقرى القصيم وبواديها، ثم عينه الملك عبدالعزيز قاضيًا لحائل وما يتبعها عام ١٣٤١هـ، وفي عام ١٣٤٤هـ عين رئيسًا للقضاة في مكة المكرمة. توفي في الطائف عام ١٣٥٩هـ. البسام، عبدالله بن عبدالرحمن. علماء نجد خلال ستة قرون. ـ ط١ . ـ مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـ، ج٣، ص٩٠٤ – ٩٠٧ .

(٣) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٨١.

وأصبح أكثر وعيًا بأمور دينه: «وطالما ذرفت الدمع سخيًا كلما وقفت على مسألة دينية أو اطلعت على معنى آية قرآنية، إذ كنت أقارن بين هذه الحالة التي هداني الله إليها، وبين تلك التي أنقذت منها »[1].

وأسهب في وصف النواحي الدينية ومدى تمسك الناس بدينهم وحفاظهم على فروضه من صلاة، وصيام، وزكاة، وأثر ذلك في أخلاقهم وتعاملهم. وضرب أمثلة مما شهده بنفسه في مدينة حائل، فالمساجد في العشر الأواخر من رمضان كانت غاصة بالمصلين [2]. ولم يقتصر في وصفه على النواحي الدينية، بل وصف العادات والتقاليد وغيرها مما يتعلق بالنواحي الاجتماعية في الحاضرة والبادية.

ومن الرحالة من انتدب لمهمة لا يمكن تصنيفها ضمن ما سبق، فقد انتدب أحمد مبروك من قبل الجمعية الزراعية الملكية في مصر للقيام برحلة إلى نجد والعراق والشام للبحث عن خيول عربية أصيلة حتى يتم توريدها إلى مصر لتجديد دم الخيول الموجودة في الجمعية، والهدف الآخر من رحلته التعرف إلى أفضل طرق تربية الخيول الأصيلة للوصول بما لدى الجمعية من الخيول إلى أفضل مستوى[3].

وقد وصل أحمد مبروك إلى جدة عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ثم توجه إلى مكة وأقام فيها ثلاثة أيام اطلع على بعض الأفراس التي يملكها أعيان مكة، ثم توجه إلى الطائف، وهناك التقى الأمير فيصل، واطلع على ما يملكه من خيول عربية. وفي الرياض قابل الملك عبدالعزيز وأثنى على كرمه، كما دون حديثه عن الخيول العربية، وحديثه لا شك أنه ينم عن خبرة عميقة نتيجة معاركه السابقة على متون الخيول، إضافة إلى اهتمامه بتربية الخيول العربية

(١) المرجع السابق، ص٥٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٦٦ – ٦٧.
(٣) مبروك، أحمد. **رحلة إلى بلاد العرب**، ص ٦ – ٨.

الأصيلة لاستخدامها في السباق الذي كان يجري في الرياض بشكل دائم، وخاصة بعد الاستغناء عن تلك الخيول في المعارك لاستقرار البلاد وتوحيدها[1].

وانتقل أحمد مبروك بعد زيارته الرياض إلى الخرج لمشاهدة خيول الملك عبدالعزيز التي تربى هناك، وكذلك خيول الأمير سعود بن عبدالعزيز، وتوجه بعدها إلى الأحساء، ومنها إلى البحرين ثم إلى العراق .

وقد وصف البلاد التي مر بها، والثروة الحيوانية الموجودة فيها، وموارد المياه، ومظاهر الأمن في أنحاء البلاد، والتي ضرب لها مثالاً : قلة الخيول العربية في أنحاء البلاد خاصة عند البادية لامتناع الغزو والنهب والحروب[2] .

خصائص الرحلات العربية:

تميز الرحالة العرب في كتابة رحلاتهم بخصائص أضفت على مؤلفاتهم الأهمية التاريخية، ومن الطبيعي أن تتفرد كل رحلة بخصائص تميزها عن غيرها؛ لأن لكل رحالة شخصيته ودوافعه الخاصة، ولا شك أن ما يهمنا هنا الخصائص العامة التي نجدها لدى غالبية الرحالة العرب ويمكن تتبعها ورصدها بخلاف الخصائص الخاصة بكل رحلة إذ من الصعب رصدها، وفي رصدها خروج عن نطاق البحث، وفيما سيأتي أبرز هذه الخصائص التي ضمنت لكثير من مؤلفات الرحلات العربية الدقة وصحة المعلومات.

١ – الدقة واتباع الخطوات العلمية:

أ – التحديد الزماني:

اهتم معظم الرحالة بتحديد تواريخ الأحداث وأوقات السفر والوصول والتنقل، فذكروا تاريخ الأيام والأشهر والسنوات بدقة تامة، حيث أرخ بعضهم بالتاريخ الهجري والميلادي، من أمثلة ذلك عبدالوهاب خضير: « فوصلنا جدة في مساء

(١) المرجع السابق، ص ١٩، ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٩ .

الأربعاء ١٥ شعبان ١٥ يناير ....، وفي يوم الخميس ١٦ شعبان ١٦ يناير عدت إلى مكة))[١].

وكذلك محمد التميمي: ((علمت صباح اليوم التالي الواقع في ٢ شعبان ١٣٤٥هـ ٤ فبراير ١٩٢٧م أني في قرية قارة إحدى قرى الجوف))[٢]. ومن الرحالة الذين اهتموا بالتاريخ محمود ياسين ومحمد التوزاني، واكتفى متولي نجيب بالتاريخ الميلادي فقط. واتخذ الرحالة العرب الساعة وسيلة لتحديد الزمن بعد أن كان التحديد المعروف بالنسبة للرحالة السابقين بالصباح، أو الظهر، أو الليل. ومن أدق الرحالة تحديدًا للوقت بالساعة فؤاد حمزة وعبدالوهاب عزام: « فوصلنا من جدة والساعة الحادية عشرة وخمس وثلاثون دقيقة نهارًا))[٣]، واستخدم أحمد مبروك الساعة في تحديد الزمن: « ركبنا السيارة الساعة الخامسة صباحًا وتوجهنا إلى جهة الخرمة ... فوصلناها الساعة الحادية عشرة والنصف، وهي تبعد نحو ٢٥ ميلاً عن الطائف)) [٤].

ب – التحديد المكاني:

لم يكتف الرحالة لتحقيق الدقة بالتحديد الزماني، بل اهتموا بالتحديد المكاني والمتمثل في تحديد مواقع البلاد التي يمرون بها، والمسافات بينها بالكيلومتر، والمراحل التي قطعوها في رحلاتهم. ولضمان دقة المعلومات اعتمد فؤاد حمزة على عداد السيارة لقياس المسافات، وكان يعارض عدادي السيارتين ليتبين له الفرق بينهما، وحين اتضح له أن الفرق جزئي قرر الاعتماد على أحدهما[٥]. كما أورد التميمي جدولاً للمسافة بين المدينة ومكة المكرمة، وبلغ من دقته أنه قسم ذلك الجدول إلى جزأين: جزء خصصه

(١) خضير، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص ٣٩.
(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٤٩.
(٣) عزام، عبدالوهاب . **الرحلات الثانية**. ـ ط١. ـ القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ص٣١٧ .
(٤) مبروك، أحمد . مرجع سابق.
(٥) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١٣.

للمسافة بين المدينة والمحطات التي علىالطريق، والجزء الثاني ذكر فيه المسافة بين كل محطة والتي تليها وصولاً إلى مكة المكرمة [١]. وحدد أحمد حسين المسافات التي قطعها في طريقه من مكة المكرمة إلى الرياض: ((وتقع عشيرة على مسافة ٣٥ كيلومترًا من السيل، ومجموع المسافة بين مكة وعشيرة ١٢٠ كيلو مترًا. ثم انطلقنا لقطع أطول مرحلة من مراحل الطريق نحو المويه وقدرها ١٦٠ كيلو مترًا)) [٢].

ولا شك أن تحديد الارتفاع بالنسبة للمناطق الجبلية شغل حيزًا من اهتمام أولئك الرحالة، فأرسلان قدر ارتفاع الهدا ١٧٦٠ مترًا عن سطح البحر وكذلك الشفا: ((الناحية التي يقال لها (الشفا) بفتح أوله وهي جبال المسكون منها يعلو عن الطائف نحو ١٠٠٠ متر وربما أكثر))[٣] ولعل من الواضح أن أرسلان كان تحديده للارتفاع تقريبيا، أما فؤاد حمزة فقد استخدم جهاز (البارومتر) لقياس الارتفاع بدقة، من أمثلة ذلك ما ذكره عن أبها: « ونظرًا لارتفاع أبها عن الخميس لا بد لك من اجتياز عقبات كثيرة .... إذ ما تصل إلى الكيلومتر السابع منها حتى تصبح على ارتفاع ٨٢٠٠ قدم عن سطح البحر،وبعد كيلو متر واحد يصل الارتفاع إلى (٨٣٠٠) قدم، وحينما تبلغ الكيلو متر الرابع عشر تكون على ارتفاع (٨٣٢٥) قدمًا))[٤].

ج - وقد استعان عدد من الرحالة بالخرائط في حال توافرها للاسترشاد بها في رحلاتهم، فقد استعان هيكل بخرائط وضعها فيلبي للطريق بين مكة وجدة والمدينة، وكذلك للطريق بين مكة، والطائف، وهي خرائط مطبوعة: « ولما كانت هذه الخرائط مطبوعة فقد أهداها إليّ

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٨٣.
(٢) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب** .ـ القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٠م،ص١٨٠– ١٨١.
(٣) أرسلان، شكيب . **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف** . ـ الطائف: مكتبة المعارف، د.ت، ص٢٦١ – ٢٦٢.
(٤) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص٩٦ – ٩٧ .

لأستعين بها في رحلتي إلى الطائف وإلى المدينة». وقد كانت عونًا لهيكل في رحلته تلك، كما أنه استفاد منها في رسم الخرائط التي وردت في كتابه (في منزل الوحي)[1]. وفي رحلة الريحاني من الرياض إلى الكويت حمل معه خرائط للطريق لم يذكر مصدرها[2]، وعلى الأرجح أن تلك الخرائط كانت من وضع الرحالة الغربيين الذين قاموا برحلات للجزيرة العربية في فترات سابقة.

ولم يكتف الرحالة بالخرائط الموجودة، بل حاولوا رسم خرائط خاصة بهم، وخاصة لبعض المناطق التي يندر وجود خرائط تفصيلية لها. فقد اجتهد فؤاد حمزة في وضع خرائط لمنطقة عسير ومنطقة نجران من خلال رحلته ، حيث اصطحب معه أحد المهندسين المختصين في هذا المجال لأخذ القياسات الدقيقة لرسم خريطة للطريق : ((وجل قصدنا من هذا الدقة في تسجيل الصفات البارزة على الطريق وأطرافه علنا نتمكن من رسم خريطة مضبوطة يصح الاعتماد عليها))[3] . وكذلك الطنطاوي حيث وضع في كتابه (من نفحات الحرم) خريطة لسير رحلته عام ١٣٥٠/ ١٩٣٥م[4].

د – ولا يخفى أن عددًا من الرحالة قد استخدموا آلات التصوير تحقيقًا للدقة فيما يصفونه من مشاهد أو مظاهر حضارية: منهم الهواري: ((وشفعت ذلك بأخذ كثير من الصور الفوتوغرافية الجميلة زيادة في الوصف، وتقريبًا للتشخيص في الأذهان، على رغم ما هنالك - كما لا يخفى - من الصعوبات

---

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص ٢٩٦.
(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢ ، ص ٥٩٢.
(٣) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص ١٤.
(٤) وعنوان الخريطة: (الطريق الذي سلكته البعثة السورية بالسيارات عام ١٩٣٥م)، وقد ذكر المؤلف إسهامه في وضع تلك الخريطة:« خطط لرسم المخطط ياسين الحموي ، ورسم خط السير المؤلف)) الطنطاوي، علي. **من نفحات الحرم**. ـ ط١. ـ جدة :دار المنارة ،١٤١٧هـ، ص٩٩ .

والنفقات الباهظة »[1]. ومنذ بداية الرحلة حرص محمد محمدي على حمل آلة التصوير واستخدامها: « وذكرت بعد ذلك أنني صحفي أمثل مجلات مصورة، وأن رحلة الحج قد بدأت منذ غادر القطار القاهرة، ويجب أن أصطحب مصورتي وأتجول في العربات ولا سيما تلك التي ...حوت بين جدرانها الكسوة الشريفة »[2]. واستخدم أحمد مبروك آلة التصوير حتى يتحرى الدقة في وصف الخيول العربية الأصيلة التي شاهدها في المملكة[3].

ولا يقتصر الأمر على هؤلاء، فقد حفلت مؤلفات الرحالة العرب بكثير من الصور خاصة للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وقوافل الحجاج والمواقع التاريخية والمعالم العمرانية البارزة في مدن المملكة مثل: المساجد، والقصور، والمباني الحكومية، إضافة إلى المشروعات الاقتصادية في أنحاء البلاد، ولا يخفى أنهم نشروا كثيراً من الصور للأعلام من الشخصيات البارزة في المجتمع من سياسيين، وعلماء، وأدباء، وغيرهم.

هـ – وحرص الرحالة العرب أن يضمنوا للمادة العلمية التي اعتمدوا عليها في رحلاتهم الدقة، وأن يكشفوا عن ذلك في مؤلفاتهم، حيث أعد فؤاد حمزة مجموعة من الأدوات العلمية التي تستخدم في الرحلات، منها بوصلة، وميزان حرارة، وجداول، وكشوف فنية وجغرافية، وشريط مساحة، آلات تصوير من قياسين، إضافة إلى (بارومتر) لقياس الارتفاعات. وقد أوضح الجهود التي بذلها باستخدام تلك الأدوات لضمان دقة المعلومات: « كما كنا نأخذ أرصادًا متعددة من نقطة واحدة إلى

(١) الهواري، أحمد . **دليل الحج والسياحة** . ـ الرباط: د. ن، ١٣٥٤هـ، ص٩.

(٢) حمدي، محمد .ثلاثون يومًا في بلاد ابن سعود ـ ط١ ـ القاهرة: مطبعة عطايا، ١٩٤١م، ص٢٩.

(٣) انتدب كما أسلفنا في مهمة للبحث عن الخيول العربية الأصيلة فأورد في كتابه كثيراً من الصور لأفضل الخيول التي شاهدها في أنحاء المملكة وفي البحرين والعراق، مبروك، أحمد. مرجع سابق، ص٢١.

اتجاهات مختلفة عن اتجاه طريقنا ... وكنا نسجل درجة الحرارة ثلاث مرات في اليوم: صباحًا، وظهيرة، ومساءً. وأما البارومتر فكنا نسجله كلما تراءى لنا أننا في صعود وارتفاع، وكنا نسجل القراءات بالإنش وأقسامه، وبالقدم أيضًا ؛ لأننا نعلم أن استحصال الارتفاع بتقدير قراءات (البارومتر) على درجة الحرارة أدق من قراءة الارتفاع بالأقدام))[1].

٢ - المشاهدة العينية :

جعل الرحالة العرب المشاهدة العينيّة الأساس الأول لأخبارهم، وذلك أمر بدهي، ويعد من مقومات الرحلة الأساسية، وهو مما يزيد تلك الرحلات قيمةً وثراءً. وأكد عدد منهم في مقدمات رحلاتهم وفي تضاعيفها أنهم شاهدوا ما يروون من أخبار وأحداث، وأبدوا اعتدادهم بمشاهداتهم الشخصية، وحاولوا إطلاع القارئ عليها كأنما يراها، من ذلك ما ذكره السوادي: (فرأيت أن أبر بني قومي بها .. وليروا مثلي ومعي))[2]. ويؤكد أرسلان أن رحلته كانت خلاصة مشاهداته: « وأنا لست متعرضًا من ذلك إلا لما شاهدته بعيني، وارتسم في مخيلتي، وحاك في صدري، فإني قد سميت كتابي هذا بـ(الارتسامات اللطاف)، وحصرت الكلام فيما رأيته، وما تجاوزته إلا إلى الضروري مما رويته))[3].

وعنون عدد منهم رحلاتهم بما ينبئ عن مشاهداتهم، من أمثلة ذلك رحلة أحمد حسين (مشاهداتي في جزيرة العرب)، وعبدالوهاب خضير (مشاهداتي في بلاد الحجاز)، وعباس حمادة (مشاهداتي في الحجاز)، ومحيي الدين رضا (صور ومشاهدات من الحجاز) .

(١) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص ١٤.
(٢) السوادي، محمد . مرجع السابق، ص٨ .
(٣) أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص١٤٢ .

ولا شك أن القراءة والسماع ليست كالرؤية والمشاهدة وما تتركه من أثر في النفس: ((ويسرنا أن نقول: إن الرائي غير السامع، وشاهد العيان يختلف عن المكتفي بما يصل إلى الآذان، وقد شهدنا بأنفسنا مظاهر السعادة والنجاح والرخاء مرفرفة على هذه البلاد المقدسة))[1]. كما أكد العقاد ذلك: ((والحق أن الرؤية غير السماع، والحق أن ما يلمحه الناظر في نظرة خاطفة قد يعيي الكاتب بوصفه في الصحف والأسفار))[2].

وكان حرص عدد من الرحالة على مشاهدة المواضع ومظاهر الطريق دافعًا لهم إلى التأني وعدم التعجل في قطع الطريق، منهم أحمد حسين : ((لأننا لم نكن متعجلين وإنما كنا نقصد المشاهدة والإلمام بكل ما يحيط بنا، كل هذا جعلنا لا نمضي مسرعين، فاستغرقنا هذا الوقت في قطع هذه المسافة القصيرة))[3].

كما اهتم عدد من الرحالة برؤية معالم الطريق في وضح النهار، وأن يكون مبيتهم ليلاً، خاصة المهتمين بالمشاهد العمرانية والجغرافية من أمثال فؤاد حمزة، حيث كانت خطته عدم السير ليلاً إلا مضطرًا حتى يتمكن من مشاهدة معالم الطريق في ضوء النهار[4].

واشترط أحد الرحالة ليصدر حكمًا في أحد القضايا الاجتماعية أن يرى بنفسه ولا يعتمد على ما سمعه من الآخرين: ((وإني لا أميل إلى أن أتحدث في مثل هذا الموضوع الخطير بلسان غيري، ولا أصدق كل ما يقال حتى أرى بعيني، أو يقوم على صحة ما يشاع دليل قاطع، لذلك سأتحدث عما رأيت، راجيًا أن يكون ما سمعته لغوًا وهذرًا))[5].

---

(١) جمعة، محمد لطفي. **الأيام المبرورة في البقاع المقدسة** . ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م ـ ١٩٩٩م، ص٩٩ .

(٢) العقاد، عباس . **مع عاهل الجزيرة العربية** . ـ بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٤٧م، ص٣٨ .

(٣) حسين، أحمد ، **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٥٧ .

(٤) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص٤٤ .

(٥) عيسى، أحمد. **الحجاز عام ١٣٥٦هـ** . ـ ط١. ـ القاهرة : مطبعة الاعتماد، ١٣٥٧هـ، ص١٤٦ .

٣ – التحقيق والتمحيص :

اجتهد عدد من الرحالة في تحقيق عدد من الروايات والأخبار والمواضع الجغرافية والمواقع التاريخية والآثار، كما اجتهدوا في تحقيق تاريخ القبائل وأنسابها، وأماكن وجودها في الجزيرة العربية، وأصولها، ولغاتها .

ولم يكتفوا بالسماع والمشاهدة، بل رجعوا إلى عدد من المصادر التاريخية والجغرافية والمعاجم، والقواميس، وأمهات الكتب، ودواوين الشعر للتثبت، والتصويب، والمقارنة. وقد دفعهم إلى اتباع هذا المنهج الدقة العلمية، إضافة إلى ما أثير حول تلك الروايات والمواضع من شكوك، من هؤلاء هيكل الذي يقول عن جهده في هذا الشأن: ((فقد أقيمت آثار لحوادث وقعت وليس في التاريخ ما يدل على أنها وقعت حيث تقوم هذه الآثار، وتحقيق ذلك كله وبيان قيمته العلمية أمر جدير بكل من يريد الحقيقة، وقد حاولت من ذلك ما استطعت، لكن هذا التحقيق يحتاج إلى أضعاف الزمن الذي قضيته بالحجاز))[١] .

وفي موضع آخر من كتابه يقول: ((وأردت أن أمحص أقوالهم، فرجعت إلى بطون ما استطعت الرجوع إليه من الكتب، فلم أجد فيها ما يطمئن إليه السند العلمي الصحيح ... فأما ما سوى المساجد من آثار فبعضه أدنى إلى الصحة فيما يدل عليه، وإن لم يكن أوفر حظًا من الثبوت العلمي لمن أراد البحث والتمحيص الدقيق))[٢].

واجتهد عبدالوهاب عزام في تحقيق المواضع الجغرافية: ((وسرنا إلى هذا المنزل ١٤٣ كيلا من جدة، وأكبر الظن أن مدركة هذه هي التي

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٣ .
(٢) مرجع سابق، ص٢١٥ – ٢١٦ .

ذكرها ياقوت في المعجم باسم المدركة؛ فإن الأوصاف والحدود التي ذكرها تطابق مدركة التي أتحدث عنها))[1].

وكذا كان فؤاد حمزة باحثًا متحريًا محققًا، من ذلك ما بذله من جهد لتحديد موقع سوق عكاظ، وقد أجرى أبحاثه وتحرياته حتى توصل إلى نتيجة يطمئن إليها في تلك المسألة[2].

وشكيب أرسلان كان من الرحالة الحريصين على التحقيق، والتمحيص، والبحث، والدرس، فقد ذكر جبلاً بالطائف اسمه (برد)، وتوسع في الحديث عنه مستعينًا بكتب اللغة والمعاجم والشعر، يقول عنه: ((وقد ورد في كتب اللغة اسم (برد) و(بردى) و(برديا) لأماكن كثيرة من أنهار، وغدران وجبال، وغيرها، وقيل: إن (برد) وضبطها البكري – بكسر الراء – جبل في أرض غطفان، ولا أظن أنه هو هذا الجبل الذي بقرب الطائف، لأن هذا مفتوح الراء، ثم لأن غطفان ... كانوا ينزلون بوادي القرى شمال الحجاز وبجبلي أجا وسلمى فليست منازلهم بالطائف وجبالها))[3]. ولا يكتفي أرسلان بتحقيق المواضع جغرافيًا ولغويًا، بل إنه يعطي نبذة عن تاريخها وعمرانها سابقًا، ثم يصف وضعها الحالي، ويعطي مرئياته واقتراحاته حول إمكانية تطوير تلك المواضع في المملكة، وتحسين مستواها .

٤ – معارضة الروايات :

إن تعدد الروايات وتباين مصادر المعلومات يستلزم من الرحالة الدقة في التعامل معها؛ لأن من واجبه معارضة الروايات للوصول إلى أدق النتائج التي يثق في مصداقيتها .

(١) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٣٧٠ .
(٢) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص٢٠ – ٢١ .
(٣) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص١٧٢ – ١٧٤ .

ولعل أبرز من طبق هذا المنهج فؤاد حمزة في رحلته إلى بلاد عسير، فقد كانت رحلته علمية استكشافية لهدف سياسي، إذ كان عليه التباحث مع وفد اليمن في مسائل الحدود لعقد معاهدة بين الطرفين، ولهذا الهدف كان عليه البحث بدقة، وجمع المعلومات الصحيحة قدر الإمكان. وقد استفاد كثيرًا من مهمته تلك، فلم يكن أحد يمسك عنه أي معلومة، كما أنه التقى حسب قوله: ((بأشخاص ما كان الزمن ليسمح بالوصول إليهم» . ومع كثافة المعلومات التي حصل عليها، كان عليه القيام بغربلة تلك الآراء: ((وكنت أعارض المعلومات بعضها ببعض فيظهر لي صريحها من هجينها، وغثها من سمينها، ولذلك فإني واثق أن ما أعرضه في هذا الكتاب من المعلومات هو أدق، وأصح ما يمكن الحصول عليه))[1]. وفي موضع آخر من كتابه يقول: ((وعارضنا الأقوال والروايات، إلى أن قنعت بأني لم أترك أمرًا هامًا ما قيدته، ولا خبرًا من أخبار القوم ما دونته))[2].

وقبل قدوم الريحاني إلى نجد حاول أن يكون لنفسه صورة واضحة عن شخصية الملك عبدالعزيز، فسمع العديد من الآراء التي لم يخرج منها بصورة واضحة: ((كنت أعجب عندما أغربل هذه الآراء المتناقضة في سلطان نجد)). وبعد معارضة هذه الآراء قرر ألا يصدر حكمًا على الملك عبدالعزيز حتى يراه شخصيًا، ويتعامل معه[3].

٥ – التجربة والاختبار:

اعتمد عدد من الرحالة على التجربة والاختبار في عدد من الأخبار التي ترد في رحلاتهم، ولعل أبرز من اهتم بذلك عبدالوهاب عزام في أخذ قياس لغار ثور بنفسه: ((دخلت الغار، فذرعته، فإذا طوله خمسة أمتار إلا قليلاً،

(١) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١٣ .
(٢) المرجع السابق، ص١٧ .
(٣) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٠٨ .

وعرضه ثلاثة، وارتفاعه دون قامة الرجل، إذا ركع الإنسان فيه ورفع رأسه وهو راكع أصاب أعلاه »[1]. وسمع عن شجر الغضى، وقرأ عنه في الشعر الجاهلي حيث يضرب المثل بجمره وشدة حرارته، وقد سأل الدليل عنه وهو في الطريق، وحين وجده أخذ منه، وأوقد النار في شجر الغضى وغيره من الشجر ليعقد المقارنة بينها، وحتى يختبر بنفسه حرارته، فثبت له بالتجربة شدة حرارته، وصفاء لهيبه[2].

وقد شاهد عبدالوهاب عزام أيضًا المساحات الزراعية في مدينة الخرج، ولفت انتباهه القمح والشعير المزروع فيها من حيث عظم حجمه، فقام بفحصه وعد سنابله، ووصفه بقوله: « عظيم السنابل طويلها، عددت في سنبلة ست عشرة حبة طولا، وأربع أو خمس حبات في كل جانب عرضًا، ووجدت نبتة من الشعير فيها نحو مائتي فرع »[3].

وسمع أحمد حسين كثيرًا من الأحاديث عن مهارة بني مرة في قص الأثر وتعقب صاحبه، فأراد أن يختبر ذلك ويشاهده بنفسه، فاستغل وجود أحد آل مرة في مجلس الأمير سعود بن عبدالعزيز: « طلبت من الأمير أن يجري لنا تجربة لنقف على مدى مهارة واحد من القوم كان موجودًا، فجيئ ببعض الرمل فرش على الأرض، ثم طلبنا من بعض الموجودين أن يسيروا على الرمل ففعلوا ... ثم نودي على المري فراح يفحص آثار الأقدام ويدرسها ». واستطاع المري أن يعرف أصحاب الأثر بعد مرورهم مرة أخرى أمامه عن طريق المقارنة بين الأثرين، وتأكد لدى أحمد حسين مهارته، وأنه كان صائبًا في قوله وفي تقديره [4].

---

(١) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٦٠ .
(٢) المرجع السابق، ص٣٣٣ .
(٣) المرجع السابق، ص٢٢٤ .
(٤) حسين ، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص ٢٦٢.

كما شهد أحمد حسين تجربة أخرى خاصة بالصقور، وكيفية استعمالها في الصيد والقنص، فقد شاهد في مجلس أمير مرات رجلاً يحمل على يده صقرًا ضخم الحجم، ودار الحديث حول تدريبه وتعليمه، وأنه يتحرك ويطير على منظر الدم، وأجرى صاحبه تجربة لاختبار ذلك إذ جرح يده بسكين، وما أن خرجت قطرات من الدم حتى وثب الصقر إليها ثم عاد لمكانه، وعلى الرغم من فزع أحمد حسين ورفاقه من ذلك المشهد إلا أنه كان بمثابة تجربة عملية[1] شهدوها بأنفسهم.

٦ – الإنصاف والموضوعية:

لعل من أبرز خصائص الرحلات العربية الموضوعية في طرح ومناقشة عدد من القضايا المهمة في المملكة العربية السعودية ، والتي حاول البعض تشويش الآخرين بشأنها، إما جهلاً بحقيقة الوضع في المملكة، أو لأهداف سياسية خاصة بعد ضم الحجاز وتوتر العلاقات مع بعض الدول العربية المجاورة، ولا شك أن لهذه الدعاية السيئة أثرها في التنفير من الحكومة السعودية، وتشويه صورة أهل البلاد وعقيدتهم السلفية.

ولقد صرح عدد من الرحالة أنفسهم بتأثرهم بتلك الدعايات المغرضة، ولكن بعد قدومهم إلى المملكة، ومشاهدتهم للواقع بأنفسهم استطاعوا مناقشة تلك القضايا بإنصاف وموضوعية، من أمثلة ذلك ما سيأتي:

أ – يصف السوادي في مقدمة كتابه فكرته السابقة عن المملكة من الناحية السياسية وأنه بوصفه صحفيّاً كان يتلقى ما يسمعه من أنباء دون تثبت، ويهتم بصياغتها، وعرضها في قالب يجذب القراء: « ولا علينا أن تثبتها الأيام أو تنفيها ... ولا علينا إن سكت المهتمون بها أو نقضوا كل حرف

(١) المرجع السابق، ص ٢١٠ – ٢١١.

فيها، وقد تذكر أني كنت يومًا ناقدًا للسعوديين))[1] . وكان موقفه السابق ناتجًا عما سمعه، وحين قدم إلى المملكة وشاهد بنفسه تغيرت نظرته، وأصبح أكثر موضوعية في طرحه للقضايا السياسية: ((ورأيت، ودرست، وعرفت في حدود ما اتسع لي من الوقت ... وقفت على حقائق اهتز لها مني الكيان فرأيت أن أبصر بني قومي بها ... إنما غدت رحلة تبصير وواجب ... واجب في عنقي أؤديه لكل مصري وشرقي ... وأفتح عيونهم على ما يجري فيما نحسبه صحارى من تفكير، وتدبير، ومن انقلاب بعيد المدى))[2].

ب – لقد كان ما ذكره السوادي يتعلق بالنواحي السياسية، أما فيما يتعلق بالنواحي الدينية فأبرز من تناولها محمد التميمي ، حيث يؤكد وجود تلك الدعايات المضللة، وأنه تأثر هو شخصيًا بها: ((وأما جهلي بالعقائد فيكفيني أني ضللت بأن هدم القبور والقضاء على البدع والخرافات كفر وضلال، يستحق فاعلوها المعاداة والقتال)) . كما أنه يعطي تفاصيل أكثر عما سمعه مما يثار حول عقيدة أهل البلاد الدينية: ((قطع الله ألسنة السوء التي نقلت عن القوم ما ليس فيهم ... الدعاية التي صورتهم تصويرًا خاطئًا، ونسبت إليهم الكفر والضلال وإنكار شفاعة محمد ﷺ وزيارة قبره، وأنهم يقولون: إن عصا أحدهم أنفع له منه ﷺ))[3] . وبعد استعراضه للآراء التي سمعها خارج المملكة، والتي روج لها خصومها، نجده بعد قدومه إلى المملكة، وإقامته فيها فترة من الزمن يسجل في كتابه الوضع الذي شهده بإنصاف وموضوعية عن عقيدتهم الدينية، وتمسكهم بالشريعة الإسلامية، وأنهم لا يخالفون

(١) السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٧ – ٨ .
(٢) المرجع السابق، ص ٨ – ٩.
(٣) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص ٥٢ – ٥٤.

المسلمين في أصل من أصول الإسلام، ولا في ركن من أركانه، بل إنهم مؤمنون يسيرون على نهج السلف الصالح، فهم يقيمون الشهادة لفظًا ومعنى، ويصلون على النبي، ويعدون ذلك من أفضل القربات إلى الله، ويثبتون الشفاعة للنبي ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة [1].

ويؤكد هيكل وجود مثل هذه الدعايات السيئة عن الحكومة السعودية من ناحية دينهم وعقيدتهم: « بدأت الأنباء ترد بأن ابن السعود ورجاله يقيمون بالحجاز نوعًا من الحكم لا يطيقه أهل السنة ولا غيرهم من المسلمين، وأن حكم الوهابيين بالحجاز سينتهي بعدول الأكثرين عن الحج ... لكن الحج استمر، وبدأت أنباء جديدة تغالب الأنباء القديمة وتتغلب عليها، فالحجاز قد أصبح مضرب المثل في الأمن ... »[2]. وأثيرت كثير من الاعتراضات حول هدم الحكومة السعودية للقباب المقامة على القبور، وإزالة أي مظهر من مظاهر البدع والشركيات، بل إن من الرحالة أنفسهم من أنكر ذلك جهلاً أو تجاهلاً لحكمها الشرعي، وبعضهم أنكر إزالتها من حيث إنه يعدها معالم أثرية وأنها من الفنون الإسلامية، ومنهم من ناقشها بموضوعية مبينًا حكمها الشرعي يقول أرسلان: « ولما كنت هناك زار الطائف قاضي القضاة بمكة الشيخ عبدالله بن حسنن ... فرأى بجانب الضريح العباسي خلف الجدار شجرة سدر صغيرة فأمر بقطعها، خشية أن يتبرك العوام بها ... ولكني مع اعترافي بغلوهم في هذا الأمر لا أراهم حائدين فيه عن سنن الشرع القويم »[3].

ج _ وبعد ضم الملك عبدالعزيز للحجاز طالب عدد من الكتاب والصحفيين وغيرهم بالكثير من الإصلاحات في الحرمين الشريفين والمشاعر

(١) المرجع السابق، ص ٨ – ٩.
(٢) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص ١٤٧.
(٣) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص١٤٤.

المقدسة، وكذلك رصف الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة المنورة، وهؤلاء المطالبون كانوا يلقون باللوم على الحكومة السعودية في هذا الأمر دون أن ينظروا إلى الأمر نظرة موضوعية منصفة، ويعطي أحد الرحالة حكمًا أكثر موضوعية إذا يقارن بين إمكانات البلاد وما تتطلبه تلك المشروعات: « ولسنا في حاجة - أيها القارئ الكريم - أن أبين لك ما يحتاج إليه تعبيد تلك الطرق ورصفها من مال طائل، لا تتسع له خزانة الحكومة الحجازية » [1]. وأيضًا أبدى أرسلان رأيًا مقاربًا لهذا الرأي من أن تعبيد الطرق على الأصول الهندسية يحتاج أموالاً طائلة لا تطيقها حكومة الحجاز ونجد في ذلك الوقت [2].

ويتضح لنا مما سبق أن عددًا من الرحالة طرحوا كثيراً من القضايا الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية طرحًا موضوعيًا، وما من شك أنهم أسهموا بعملهم هذا في توضيح الحقائق، وإعطاء صورة واضحة عن الأوضاع في المملكة العربية السعودية.

٧ – التوثيق التاريخي:

اهتم عدد من الرحالة بتوثيق وتدعيم رواياتهم من خلال الاستشهاد بالمصادر المعاصرة لهم من كتب، وصحف عربية، أو أجنبية، أو رسائل، أو خطب. ويحيل عدد منهم إلى مصادره التي استقى منها معلوماته، أو يذكرها في مقدمة كتابه كما فعل محيى الدين رضا: « وإنني أعترف بأن جل اعتمادي في سرد سيرة الملك المعظم كان على كتب معالي الشيخ فؤاد حمزة بك ... ثم اقتبست بعد ذلك من جرائد (البلاد السعودية)، و(المدينة المنورة)، و(الزمان المصرية). ومحمد حمدي لم يتمكن من الإلمام بصفات الملك عبدالعزيز ؛ لأن لقاءه به كان قصيرًا فاستعان بكتب كان مؤلفوها وثيقي

(١) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص ١٤٢.
(٢) أرسلان ، شكيب. مرجع سابق، ص ١١٣.

الصلة بالملك عبدالعزيز وقريبين منه. وعلى الرغم من أن أرسلان أفاض في الحديث عن الطائف وقراها وتاريخها وآثارها ومساجدها إلا أنه أحال إلى كتاب (ما رأيت وما سمعت) لخير الدين الزركلي، وقال عنه: « فإنه قد وعاها بحذافيرها بأحسن أسلوب». والرهوني في تدوينه لرحلته يوثق رواياته عن طريق مصدر معاصر له هو كتاب فؤاد حمزة (البلاد العربية السعودية).

ولم يكتفِ الرحالة بالكتب المعاصرة لهم التي تناولت تاريخ المملكة، بل استعان عدد منهم برحلات سابقة لهم اتخذوها دليلاً في أثناء تنقلاتهم داخل المملكة. فأحمد حسين حمل معه كتاب شكيب أرسلان (الارتسامات اللطاف) في رحلته إلى الطائف، واستفاد في رحلته إلى الرياض من كتاب فؤاد شاكر (رحلة الربيع).

كما نلحظ أن عددًا من الرحالة كانوا حريصين على لقاء الباحثين والمهتمين بتاريخ المملكة العربية السعودية من عرب وأجانب للإفادة من أبحاثهم ومؤلفاتهم. فقد التقى هيكل عبدالله فيلبي وتباحث معه في عدد من المسائل التاريخية، كما أفاد من خرائطه التي رسمها لأنحاء الجزيرة، وقد رصد شكره له في كتابه: « ولقد شكرته يومئذ، وأشكر له اليوم فضله في هذه المعونة القيمة ... وما أمدني به من معلومات أفادت مباحثي في أماكن عدة »[1].

ولا يخفى أهمية الروايات الشفهية في التوثيق التاريخي، ومن الرحالة الذين اهتموا بالروايات الشفهية أرسلان في أثناء مقارنته الأوضاع الأمنية في عهد الملك عبدالعزيز بما سبق: « وقد سمعنا من القبائل التي شافهتها في الحجاز أنها إلى زمن استيلاء ابن سعود كان بعضها لا يقدر أن يدخل منطقة بعض، ولو كان في أقرب محل إليه »[2]، ولم يكتف بالرواية الشفهية من مصدر

(١) هيكل ، محمد . مرجع سابق، ص٢٩٦.
(٢) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٢٠٤.

واحد، بل كان يستعين بأكثر من شخص لتوثيق رواياته، ولا يثبت من الروايات إلا ما كان بحسب قوله من أناس ثقات، من ذلك ما ذكره عن كثرة النخيل في بيشة، ومع عدم رؤيته لها إلا أنه اعتمد على رواية عدد ممن شاهدوها من الثقات إضافة إلى ما يسمعه في مجلس الملك عبدالعزيز عن كثرة النخيل فيها [1].

٨ - النقد وابداء الملحوظات:

حفلت كتب الرحلات بكثير من الملحوظات والمقترحات للسير بالبلاد إلى الأفضل وخاصة البلاد المقدسة، ولا شك أن النقد الهادف الذي تبناه عدد من الرحالة أسهم إلى حد ما في تطوير أوضاع البلاد بحسب الإمكانات المتوافرة، وأكد عدد منهم أن نقده للبلاد كان بهدف إصلاح أوضاعها، من ذلك ما ذكره هيكل: ((لكني تبسطت في بعض فصول الكتاب في نقد ما رأيته موجبًا للنقد من أحوال بلاد العرب الاجتماعية ... لاقتناعي بأن النقد فاتحة الإصلاح)). ولم يكتف بإبداء النقد في كتابه، بل وضع عددًا من الاقتراحات: ((لبعض ما رأيت من الإصلاح، ودفعت بها إلى رجال الحكومة))[2] وكذلك أبدى شكيب أرسلان كثير من الآراء والملحوظات والمقترحات من خلال مشاهداته في بلاد الحجاز، وأطلع القراء عليها في مواضع متفرقة من كتابه، وأكد منهجه هذا في مقدمة كتابه [3].

وسوف نعرض فيما سيأتي أمثلة من ملحوظات الرحالة ومقترحاتهم:

أ – من ذلك ما اقترحه الريحاني على الملك عبدالعزيز في أثناء رحلته حين رأى كثرة الفقراء والمتسولين حول القصر: ((فحبذا العمل باقتراح اقترحته على عظمة السلطان، وهو أن يشغل السباهلة المعطلين بدلاً من أن يتصدق

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٧.

(٢) هيكل ، محمد . مرجع سابق، ص ١١ -١٢.

(٣) أرسلان، شكيب . مر جع سابق، ص٣

عليهم، ليشغلهم في الأشغال العامة أيام السلم، كإصلاح آبار المياه في البلاد، وأكثرها في حاجة إلى إصلاح وترميم ...))[1].

ب – وأبدى أحمد عيسى ملحوظاته حول ما أسماه (المجلس البلدي) في مكة والمدينة المنورة، وأن حالة الشوارع في تلك المدينتين تدل على تقصيره، فهي متربة، وغير نظيفة، ولا يوجد ـ على حسب قوله ـ أي شوارع مرصوفة.

ج – ولم يغفل الرحالة النواحي الاقتصادية، فعند زيارة أحمد حسين لشركة أرامكو أبدى عدة ملحوظات، منها ضرورة تدخل الحكومة السعودية لتحديد كميات النفط المستخرجة من باطن الأرض، وعدم ترك الحرية لشركة أرامكو لاستنزاف النفط بدون وضع نسب معينة لاستخراجه قياسًا إلى المخزون الباطني منه، كما أكد أنه سجل ملحوظتين رئيستين في وزارة المالية رسميًا، وأدلى بهما إلى وزير المالية عبدالله السليمان، وإلى عدد من رجال الدولة: ((أما الملاحظة الأولى، أو الاقتراح الأول: فهو وجوب اهتمام الحكومة والأمراء وأغنياء البلاد بالحصول على أكبر قدر من أسهم شركة أرامكو، وهي أسهم تباع في بورصة أمريكا)). وعلى الرغم من أن الفكرة لم تغب عن أذهان المسؤولين وأغنياء البلاد، حيث يمتلك عدد منهم بعض هذه الأسهم إلا أنه يؤكد عليهم ضرورة أن يجتهدوا في هذا المجال: ((لامتلاك الجزء الأكبر من ينبوع الثروة في بلادهم ليكون بعد ذلك ملكًا للشعب في مجموعه))[2]. واقتراحه الآخر يتعلق بالعمال العرب في شركة أرامكو، حيث تأكد لديه أن الشركة تحاول التحلل من التزاماتها تجاه العمال حيث لجأت إلى تكليف مقاولين عرب بالكثير من المهام التابعة للشركة حتى يكون هؤلاء العمال تابعين

---

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص ٥٨٠.

(٢) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص ٣٤٣.

لأولئك المقاولين فتخلي مسؤوليتها تجاههم من ناحية السكن والعناية الصحية والتعويض عن إصابات العمل[1].

وأبدى أرسلان كذلك اقتراحاته للنهوض بالنواحي الاقتصادية، من ذلك ضرورة الاهتمام بالنواحي الزراعية باستعمال الآلات الحديثة لاستنباط المياه،وبناء السدود، والإكثار من الآبار الارتوازية لتوفير مياه الري اللازمة للزراعة [2]، وكذلك لفت الانتباه إلى المعادن المتوافرة في شبه الجزيرة العربية، وأسهب في وصفها وتحديد أماكن وجودها معتمدًا على المصادر القديمة والمعاهدات، وعلى تقرير لأحد المستشرقين الألمان [3]. وقد استغرقت ملحوظاته واقتراحاته عن معادن شبه الجزيرة العربية مساحة كبيرة من كتابه، ويتضح منها حرصه الشديد على النهوض باقتصاد البلاد الإسلامية ، وبلغ من شدة حرصه أنه بعد تلك التفاصيل عن المعادن وضع عنوان (الدين النصيحة) يحث فيه حكام تلك البلاد على المبادرة بالاستفادة من تلك المعادن حيث قال: ((فالأولى بنا أن نغتنم هذه الفرصة، ونستغل ما أمكننا من هذه المعادن لنقوي بها جيوشنا، ونصلح إدارتنا، ونبث العمارة في بلادنا، وألا نأخذ هذه الأمور بالتسويف والمطاولة ... ولكنه بدون شك فيها كثير من المعادن التي يمكن كلاً من حكومة الحجاز ونجد السعودية، وحكومة اليمن الإمامية أن ترتفق به، وتستعين به على إصلاح بلادها، وتعزيز أجنادها))[4].

٩ - الاهتمام بالآثار التاريخية والكتابات القديمة :

حفلت كتب الرحلات العربية بوصف كثير من الآثار والمواقع التاريخية كما اهتموا بالنقوش القديمة، وحاولوا قراءتها أو تفسيرها، وإن لم

(١) المرجع السابق، ص٣٤٤.
(٢) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٢٥٤.
(٣) المرجع السابق، ص٢٣٢.
(٤) المرجع السابق، ص ٢٣٢ - ٢٣٣

تتيسر لهم وسائل البحث والتنقيب المناسبة، وحرص عدد منهم على وصفها بعد تدقيق شديد.

ولا شك أن اهتمام الرحالة كان منصبًا بالدرجة الأولى على المواقع والآثار الإسلامية وخاصة ما يتعلق منها بسيرة الرسول ﷺ وتاريخه. ويعد هيكل من أبرز المهتمين بهذه الناحية لإتمام بحوثه العلمية حول منزل الوحي وسيرة محمد ﷺ، فزار كثيراً من المواقع التاريخية، منها: جبل ثور، وغار حراء، ومقبرة المعلاة في مكة المكرمة [1].

وبعد مشاهدة عبدالوهاب عزام لغار ثور قام بوصفه وصفًا دقيقًا بعد قياسه لأبعاده وارتفاعه: « هذا الغار صخرة واحدة مجوفة مقلوبة على الأرض منفصلة عنها يشبه ظاهرها رأس جمل في موضع الفم من هذا الرأس كوة ارتفاعها شبران وسعتها نحو ٩٠ سنتيمترًا »[2]. ورجح أن تلك الكوة التي رآها هي التي دخل منها رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر حين هجرتهم إلى المدينة المنورة، كما أشار إلى انخفاض تلك الكوة فلا يراها حتى ينحني ويقترب برأسه من الأرض، وقد شهد عبدالوهاب عزام موضع غزوة بدر الإسلامية، وموضع قبور شهداء بدر، وشهد القليب التي دفن فيها قتلى المشركين[3].

ولعل من الواضح أن اهتمام الرحالة لم يقتصر على الآثار الإسلامية، فالطنطاوي وصف الآثار التي شاهدها في مدائن صالح وصفًا دقيقًا فبيوتهم قد نحتت في الصخر ، وقد زينت واجهات منازلهم بنقوش، وفوق الباب صورة نسر حوله كتابات لم يستطع تبينها، وبين اختلاف الأبواب من حيث الحجم فبعضها يزيد ارتفاعه على خمسة عشر مترًا وفيه نقش دقيق متقن، ومنها ما هو صغير سيئ النقش [4].

---

(١) هيكل، محمد . المرجع السابق، ص ٢٥٥، ص٢٣٧، ص ٢٠٩.
(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٦٠ .
(٣) المرجع السابق، ص٢٨٧.
(٤) الطنطاوي ، علي . مرجع سابق، ص١٣٩.

وحاول عدد من الرحالة قراءة النقوش، والكتابات القديمة، وحل رموزها. وبلغ حرص أرسلان على معرفة محتوى تلك الكتابات أن نسخ ما وجده منها في جبل السكارى في وسط الطائف وبعث به إلى برلين إلى أحد الأساتذة المتخصصين بمعرفة الخطوط القديمة فحل الكتابة وأعادها إلى أرسلان الذي اكتشف أن الكتابة التي كان يظنها من الخط المسند إنما هي من الخط الكوفي القديم، لأن الخط الكوفي له أشكال متعددة، ويعيب هذه الكتابات خلوها من التواريخ: «وأكثر ما عثرت به من هذه الكتابات في كل محل خلو من ذكر السنة التي كتبت فيها إلا ما كان منها متأخرًا من آثار القرن الرابع، والقرن الخامس للهجرة، وما بعد ذلك فهو مؤرخ بالأشهر، والسنين كما هي العادة، ورجح أن تكون الكتابات التي في جبل السكارى من القرن الأول للهجرة، وربما يرجع بعضها إلى زمن الجاهلية [1]، وقد وجد عدة كتابات ونقوش في مواضع أخرى من الطائف، وكذلك في طريق الطائف إلى وادي محرم[2].

وسمع هيكل عن وجود كتابات في هضاب الردف المحيطة بوادي السداد في الطائف فصعد هضبة هناك باحثًا عن تلك الكتابات، وحاول قراءتها، وحل رموز الخطوط التي نقشت على صفحة الحجر، وهي أدنى إلى الخط الكوفي، كما شهد رموزًا لم يستطع تفسيرها [3].

كما وجد عبدالوهاب عزام نقوشًا في جبل يقال له لؤلؤة في ينبع النخل، ورأى عنده حجرًا أملس كان يستخدم رحى لطحن الحجر واستخراج الذهب منه، يقول عنه: ((ورأيت على حجر هناك كتابة قليلة تشبه الخطوط السامية ولم أتبينها))[4]. وعندما مر بهذا المكان بعد فترة من الزمن ذكر رأيًا في هذه

(١) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص ١٩٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٢.
(٣) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٣٣٣.
(٤) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص ٢٨٩.

النقوش يقول: إنها من سمات البدو التي يسمون بها الإبل، ولكن يبدو أن عزاماً قد شعر بأهمية تلك النقوش فنقلها لدراستها فيما بعد، وتبين ماهية تلك الخطوط [1].

وهكذا نلحظ أن تلك الآثار التاريخية والكتابات والنقوش قد نالت اهتمامًا واضحًا من قبل الرحالة العرب، ومع محاولتهم قراءتها وتفسيرها إلا أنه لم تتيسر لهم وسائل البحث والتنقيب المناسبة، وعلى كل فإنهم قد لفتوا الانتباه إلى تلك الآثار والكتابات والنقوش لدراستها من قبل المختصين فيما بعد.

تراجم الرحالة، ونبذة عن رحلاتهم:

لقد كان لجهود الملك عبدالعزيز السياسية والإصلاحية أثرها في قدوم كثير من الرحالة من مختلف أنحاء العالم إلى المملكة العربية السعودية لأهداف دينية أو سياسية أو إعلامية أو علمية استكشافية أو غيرها، وتعددت جنسيات هؤلاء الرحالة.

ولا شك أن توطيد دعائم الأمن والاستقرار وتوحيد البلاد كان حافزًا للرحالة العرب حيث قدموا من مختلف البلاد، كما كان لكرم الملك عبدالعزيز وحفاوته بكثير من هؤلاء الرحالة أثره في تتابع واستمرار الرحلات العربية إلى المملكة العربية السعودية . وهؤلاء الرحالة العرب كان من بينهم العلماء ورجال السياسة والمفكرون والأدباء والصحافيون، فمن الضروري تقديم ترجمة لأولئك الرحالة تشمل مقتطفات عن حياتهم وتعليمهم ومكانتهم الاجتماعية أو العلمية ومؤلفاتهم مع التعريف برحلاتهم وإعطاء نبذة عن محتواها، وهنا تجدر الإشارة إلى أن عددًا من الرحالة لم نعثر لهم على ترجمة، فاكتفينا بإيراد نبذة عن رحلاتهم .

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٥.

وهذه الرحلات التي سنعرض لها هي ما أمكننا التوصل إليه، ولا بد أن هناك رحلات عربية أخرى يمكن أن تظهر للباحثين مستقبلاً .

إبراهيم المازني: (١٣٠٨ – ١٣٦٨هـ/ ١٨٩٠ - ١٩٤٩م):

إبراهيم بن محمد بن عبدالقادر المازني، نسبته إلى (كوم مازن) من المنوفية بمصر[1]. ولد في القاهرة . أديب مجدد، من كبار الكتاب . امتاز بأسلوب ساخر. التحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية ، ثم بالمدرسة الخديوية الثانوية . اتجه إلى مدرسة المعلمين، واشتغل بالتدريس . ظهر في أثنائها تمكنه من اللغة العربية، وتفوقه في الترجمة، وقد قال عنه عباس العقاد: ((لست أغلو إذا قلت: إني لا أعرف فيما عرفت من ترجمان للنظم والنثر أديبًا واحدًا يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة)). اشتغل بالصحافة، ونظم الشعر، ولم يصرفه اهتمامه بالآداب الغربية عن الأدب العربي[2]، وقد اختير عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضوًا في المجمع العلمي بدمشق، وله مؤلفات كثيرة منها : (حصاد الهشيم)، و (رحلة الحجاز)، و(صندوق الدنيا). توفي في القاهرة [3].

رحلته :

دعت الحكومة السعودية في عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م وفدًا من الصحافة المصرية لزيارة الحجاز لحضور الاحتفال المقام بمناسبة (عيد جلوس الملك عبدالعزيز) ، فقام المازني برحلته تلك ودونها في كتاب بعنوان : (رحلة الحجاز) ، وأشار فيها إلى الاحتفالات والمآدب الرسمية التي أقامها الأمير فيصل بمناسبة انقضاء عام على مبايعة الملك عبدالعزيز ملكًا على الحجاز.

(١) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. ـ ط٥ . ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج١، ص٦٧.

(٢) السحار، سعيد جودة. **مصور أعلام الفكر العربي** . ـ القاهرة: مكتبة مصر، د. ت، ج٢، ص٣٠.

(٣) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج١، ص ٦٧ – ٦٨. كحالة ، عمر رضا. **معجم المؤلفين** . ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي د. ت، ج١ ، ص٩٩.

ويقول في رحلته: إنه قام بهذه المهمة الصحفية، وإنه كان هو وزملاؤه يبعثون (البرقيات) من الحجاز إلى مكاتب صحفهم في مصر[1]. وقد وصف في كتابه انطباعاته ومشاهداته في الحجاز، وكان أبرز ما لفت انتباهه النواحي الأمنية والاجتماعية.

إبراهيم محمد حبيب :

محامٍ مصري. له نشاط ملحوظ في الكتابة الإصلاحية. عمل في مناصب كثيرة: وكيل نيابة، ثم قاضيًا في المحاكم الوطنية، ومدير تحقيق الشخصية، ثم مفتشًا بوزارة الداخلية، وهو عضو مجلس النواب[2].

رحلته :

قام إبراهيم حبيب برحلة إلى الديار المقدسة سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، وقد نشر ما كتبه آنذاك مسلسلاً في حلقات في جريدة السياسة الأسبوعية تحت عنوان (بين مصر والحجاز)، ثم جمعها في كتاب عنوانه : (في الأرض المقدسة) نشره سنة ١٩٥٠م، وقد تحدث عن السفر إلى جدة بالباخرة (زمزم) ، ووصف جدة: منازلها، وأسواقها، ومقاهيها، ومشاهداته في الطريق منها إلى مكة. ووصف مكة ومناسك الحج والعمرة. وقام بعدة زيارات في مكة مثل زيارته لمقر جريدة أم القرى والتكية المصرية، ومقر جلالة الملك عبدالعزيز حيث قابله، وزار دار الحكومة السعودية، ثم زار المدينة المنورة[3].

أحمد البلغيثي : (١٢٨٢هـ - ١٣٤٨ هـ/ ١٨٦٥م - ١٩٢٩م)

أحمد بن المأمون بن الطيب بن المدني بن عبدالكبير البلغيثي الفاسي (صفي الدين). رحالة تولى القضاء، وتوفي بفاس. من آثاره: (رحلة إلى الحجاز)[4].

---

(١) الحازمي، **رحلات العرب**، ص٤٧.
(٢) حبيب، إبراهيم محمد. **في الأرض المقدسة** ، ط١ (القاهرة: دار التوزيع والطباعة والنشر، ١٩٥٠م) ص٥.
(٣) حبيب، إبراهيم . مرجع سابق .
(٤) كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**، ج٢، ص٥٦.

رحلتــه:

كانت رحلته لأداء فريضة الحج سنة ١٣٤٥هـ، حيث خرج من مدينة فاس بالمغرب متجهًا إلى طنجة، واستقل الباخرة حتى وصل إلى الإسكندرية ثم إلى السويس فجدة، ومن جدة توجه إلى مكة وأدى مناسك العمرة والحج، ثم عاد إلى جدة، فالمدينة المنورة واصفاً خلالها مناسك الحج والمشاعر المقدسة، مشيدًا بالنواحي الأمنية بمنظومة شعرية. وعنوان رحلته (النحلة الموهوبة النجازية في الرحلة الميمونة الحجازية)، ونشرها عام ١٣٤٦هـ [(١)].

أحمد حسين : (١٣٣٠ – ١٤٠٢هـ / ١٩١١ – ١٩٨٢م)

سياسي. كاتب. مؤسس (حزب مصر الفتاة) عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م. صدر المجلد الأول من مؤلفاته الذي احتوى على تسعة كتب، وذكر في المقدمة أن له عشرة مجلدات مماثلة أو اثني عشر مجلدًا، كما ذكر أنه شرع في تفسير القرآن الكريم، وتوفي في السنة التالية من صدور مجموعته الأولى التي حملت عنوان (مؤلفاته)، وله مؤلفات أخرى منها (الأمة الإنسانية)، و(ووالد وما ولد)، و(مشاهداتي في جزيرة العرب) [(٢)].

رحلاتــه :

قام بعدة رحلات لزيارة المملكة في سنوات متفرقة لأداء فريضة الحج، وكان أبرز رحلاته تلك التي قام بها لأداء فريضة الحج عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ثم التمس من الملك عبدالعزيز أن يسمح له بزيارة الرياض والظهران، فاستجاب لطلبه، بل تكفل بنفقات رحلته [(٣)]. وقد وضع عن رحلته تلك كتابًا بعنوان : (مشاهداتي في جزيرة العرب) نشره عام ١٩٥٠م، كما أورد مقتطفات من رحلته تلك في كتاب (ووالد وما ولد) نشره سنة ١٩٧٤م.

---

(١) البلغيثي، أحمد . **النحلة الموهوبة النجازية في الرحلة الميمونة الحجازية** . ـ فاس: المطبعة الجديدة، ١٣٤٦هـ.

(٢) رمضان، محمد خير. **تكملة معجم المؤلفين** . ـ بيروت: دار ابن حزم، ص٣٥، رمضان، محمد خير. تتمة الأعلام، ط١ (بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٨هـ) ص٣١ - ٣٢.

(٣) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٤٧ .

وقد تناول في كتابه: (مشاهداتي في جزيرة العرب) كيفية أداء مناسك الحج، ووصف المشاعر المقدسة، وقد توجه إلى الطائف ومنها إلى الرياض والخرج، ثم الظهران والدمام والأحساء، وقد عقد مقارنة بين رحلته تلك، ورحلاته السابقة من حيث نواحي التطور، والإصلاح التي تمت في البلاد، وخاصة الحجاز التي سبق له زيارتها، فأثنى على تعبيد الطرق بين مدن الحجاز، وتيسير سبل الحج، وتطوير مرافقه. وخلال جولته في أنحاء البلاد شهد بنفسه مظاهر النهضة، فأسهب في وصف النواحي الاقتصادية وخاصة الزراعية، وكذلك عمليات استخراج النفط، حيث زار شركة أرامكو، وشهد مرافقها ومنشآتها، كما وصف جهود الحكومة السعودية لتحقيق الرخاء والنهوض بالبلاد .

أحمد عيسى : (١٢٩٣ – ١٣٦٥هـ / ١٨٧٦ – ١٩٤٦م)

طبيب مصري ومؤرخ أديب. ولد في رشيد (بمصر) ، وتعلم بها بالمدرسة الخديوية، فمدرسة الطب بالقاهرة، وتخصص في أمراض النساء، واشتغل بالطب الباطني، وعمل في بعض المستشفيات واستقال، ولم يقتصر في دراسته على الطب، فحضر دروس الجامعة المصرية (الأولى) كلها، وتعلم بعض اللغات السامية واليونانية واللاتينية، وكان من أعضاء جمعية الهلال الأحمر، والمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية، ومجلس الشيوخ ، والمجمع العلمي العربي بدمشق منذ إنشائه والأكاديمية الدولية لتاريخ العلوم بباريس (سنة ١٩٣٦م). وصنف وترجم كتبًا كثيرة، منها (معجم الأطباء)، و(معجم أسماء النبات)، و(الحجاز في عام ١٣٥٦هـ)[1] .

رحلتــه :

كانت رحلته عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة، وقد وصف جدة ومكة والحرم المكي والكعبة المشرفة ، ثم

(١) الزركلي، **خير الدين. الأعلام**،ج١، ص١٨٣، كحالة، عمر. **معجم المؤلفين**، ج١ ص٣٧، ٣٨ .

توجه إلى المدينة واصفًا الرحلة، ثم المدينة بعد الوصول إليها، والمسجد النبوي، وزار معالم المدينة المنورة، كما تحدث عن نظام الحكم وحالة الأمن والآثار المهمة والطرق والعادات والتقاليد والتعليم والنهضة في الحجاز عامة من اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وتعليمية، وقد نشرها ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م بعنوان : (الحجاز عام ١٣٥٦هـ)[١].

أحمد مبروك :

رئيس قسم تربية الحيوانات بالجمعية الزراعية الملكية بمصر.

رحلته :

قام برحلة إلى عدد من البلاد العربية عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م منتدبًا من قبل الجمعية الزراعية الملكية في مصر بهدف البحث عن خيول عربية أصيلة في كل من نجد والعراق والشام تمهيدًا لنقلها إلى مصر لتحسين الإنتاج في الجمعية الزراعية الملكية، وكان يهدف أيضًا إلى معرفة أفضل الطرق المتبعة في تربية الخيول العربية الأصيلة للوصول بما لدى الجمعية من الخيول إلى أفضل مستوى [٢].

وقد وصل أحمد مبروك إلى جدة، ومنها توجه إلى مكة ثم الطائف والرياض، وزار الخرج، ثم انتقل منها إلى الأحساء ثم البحرين ومنها إلى العراق، وفي أثناء جولته في أنحاء المملكة التقى الملك عبدالعزيز في الرياض، وابنه الأمير فيصل في الحجاز، ودوَّن حديث الملك عبدالعزيز عن الخيول، واطلع في أثناء جولته على الخيول العربية الأصيلة في المملكة، ووصف البلاد التي زارها، كما اهتم بموارد المياه لارتباطها بالثروة الحيوانية، ولفت نظره الأمن الذي عم أنحاء البلاد[٣] .

(١) عيسى، أحمد . مرجع سابق .
(٢) مبروك، أحمد. مرجع سابق، ص٦، ٧ .
(٣) المرجع السابق، ص١٩ - ٢٠ .

أحمد الرهوني : (١٢٨٨ – ١٣٧٣هـ / ١٨٧١ – ١٩٥٣م)

أحمد بن محمد الرهوني التطواني أبو العباس. مؤرخ أديب. كان شيخ الجماعة في مدينة تطوان، مولده ووفاته فيها، تعلم بها وبفاس. ولي مناصب آخرها رئاسة المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بتطوان [١].

وصفه الأمير الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن محمد حاكم المغرب بقوله: ((... وانتخبنا من بين أجلة علمائنا ونخبة فقهائنا العلامة النبيل والمحدث الجليل الفقيه السيد أحمد الرهوني وعيناه مرشدًا للحجاج وواعظًا، وجعلناه رئيسًا عليهم وناظرًا)) [٢].

وعلى غلاف كتابه المطبوع: أحمد الرهوني وزير العدلية سابقًا، وهو من علماء المغرب وفقهائه المشاركين، ويعد من رواد التاريخ وكتابه. من مؤلفاته (اختصار تواريخ الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى) لابن العباس الناصري المسمى (تقريب الأقصى بحمد من نعمه لا تحصى)، و (رحلة إلى الحجاز برسم أداء فريضة الحج)، و(اختصار نفح الطيب). توفي يوم الإثنين ثالث عشر ربيع الآخر عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م ودفن في تطوان [٣].

رحلتـه:

اختاره الحسن بن المهدي حاكم المغرب رئيسًا لوفد الحجاج المغاربة عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م فغادر من سبتة بطريق البحر إلى جدة، وقد دون رحلته تلك في كتاب بعنوان (الرحلة المكية) نشر سنة ١٩٤١م ، وقد وصف رحلته تلك منذ خروجه من المغرب الأقصى عن طريق البحر حتى وصوله إلى جدة، ثم كيفية أداء مناسك الحج، وقد أسهب في وصف الكعبة المشرفة والحرم المكي،كما وصف زيارته للمدينة المنورة والحرم النبوي الشريف. ولعل أبرز

(١) الزركلي. خير الدين. **الأعلام**، جـ١، ص٢٥٣.
(٢) الرهوني، أحمد. **الرحلة المكية** .ـ تطوان: مطبعة الأحرار، ١٩٤١، ص٤٢.
(٣) الجراري، عبدالله. **التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين** .ـ الرباط: النادي الجراري، د. ت، ص٥٦.

ما في رحلته تلك ما نشره من وثائق حيث حمل معه رسالة خطية من حاكم المغرب الخليفة الحسن بن المهدي إلى الملك عبدالعزيز، ومجموعة من الهدايا من التراث المغربي، وعشرين ألف فرنك توزع على الفقراء في مكة والمدينة، وقلد الملك عبدالعزيز (الوسام المهدوي من نوع السمو الذي هو أعلى وسام عندهم)، كما حمل خطابًا من الملك عبدالعزيز إلى حاكم المغرب الخليفة الحسن بن المهدي [1].

أحمد الهوّاري :(٠٠٠ – ١٣٧٢هـ / ٠٠٠ – ١٩٥٢م)

أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الهواري: فاضل مغربي. قام بعدة وظائف كتابية. من الأدباء الذين درسوا بالمدرستين القديمة والجديدة مما أهله للتأليف باللغتين العربية والفرنسية.

تقلد عدة وظائف منها: رئيس تحرير جريدة السعادة، وعضو بالمحكمة العليا وبجمعية أحباس الحرمين الشريفين، ثم خليفة باشا الرباط ثم الدار البيضاء.

من مؤلفاته محاضرة باسم: (الدين النصيحة)، وكتاب:(المستدركات السنية في تعلم اللغة الفرنسية)، و(دليل الحج والسياحة). توفي بالدار البيضاء في ١٩ ذي الحجة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م [2].

رحلتـه :

قام برحلته من المغرب عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م لأداء فريضة الحج، وكان يبعث بمقالاته عن تلك الرحلة إلى صحيفة (السعادة) لنشرها تباعًا، ثم

---

(١) الرهوني، أحمد. مرجع سابق، ص ١٢٨ – ١٢٩. وقد نشر في كتابه صورة لنص الخطاب الذي بعث به الخليفة الحسن بن المهدي بن إسماعيل ملك المغرب إلى الملك عبدالعزيز، كما نشر صورة من خطاب تكليفه من قبل الخليفة المغربي، ص٤١، ص٤٣.

(٢) الزركلي، خير الدين. **الأعـلام**، ج١، ص٢٥٢ – ٢٥٣، كحالة ، عمر رضا. **المستدرك على معجم المؤلفين**. ـ ط١ . ـ بيروت: مؤسسة الرسـالة، ١٤٠٦هـ، ص١٠٠، الجراري، عبدالله. مرجع سابق، ص٦٠ – ٦١.

جمع مقالاته تلك في كتاب سماه (دليل الحج والسياحة) نشر عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م وقد تحدث فيه عن كل ما يتعلق برحلته من حين خروجه من بلاده ومروره بمصر وصولاً إلى ينبع ، ثم وصف مناسك الحج والمسجد الحرام والكعبة المشرفة ومكة المكرمة والمطوفين ونظامهم والصحافة في الحجاز ورجال الحكومة الذين التقاهم ولقاءه بالملك عبدالعزيز في المأدبة التي تقام في كل عام لوفود الحج. وقد سجل خطاب الملك عبدالعزيز في تلك المناسبة، كما سجل القصائد التي ألقيت في تلك المناسبة .

كما وصف كيفية حج الملك عبدالعزيز واستقباله حين وصوله الحجاز، وكذلك وصف الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة ومساجدها ومقبرة البقيع، وقد نشر في كتابه كثيراً من الصور المعبرة تحريًا للدقة في الوصف[1].

أمين بن فارس الريحاني: (١٢٩٣ ـ ١٣٥٩ هـ /١٨٧٦م ـ ١٩٤٠م)

ولد في الفريكة من قرى جبل لبنان سنة ١٨٧٦م، وتعلم في مدرسة صغيرة مبادئ اللغة العربية والفرنسية، وفي الحادية عشرة من عمره هاجر مع عمه إلى نيويورك حيث درس الإنجليزية، ثم اشتغل بالتجارة خمس سنوات، ولكن هذا الوسط لم يرق له؛ لأن نزعة الريحاني إلى الدرس هي التي صرفته عن أوضاع المادة إلى عالم الفكر، وبعد أن أتم دراسته الثانوية دخل كلية نيويورك، ولكن لعوامل صحية أشار عليه الطبيب بترك الكلية والرجوع إلى الوطن، لأن مناخ نيويورك لم يعد يلائم صحته [2]. بدأ نشاطه السياسي في مناصرة الحلفاء، وكانت المكسيك مسرح نضاله فأخرجته حكومتها من البلاد، فسافر إلى نيويورك، وفي عام ١٩٢٢م قام بسياحته الكبرى في شبه الجزيرة العربية مستطلعًا أحوالها، متصلاً بحكامها، من مؤلفاته (ملوك العرب)، و(تاريخ نجد الحديث). توفي عام ١٣٥٩ / ١٩٤٠م [3].

---

(١) الهواري، أحمد محمد. مرجع سابق، ص١٥٠ - ١٥٥.

(٢) الكيالي، سامي. **أعلام النهضة الحديثة**. ـ ط١. ـ بيروت: دار الحمراء ، ١٩٩م، ص٢١٧ـ ٢٢٥.

(٣) غريب ، جورج. **أدب الرحلة تاريخه وأعلامه**. ـ ط١. ـ بيروت:دار الثقافة، ١٩٦٦م، ص ٨٧ – ٩٧.

رحلتـه:

هي رحلة يغلب عليها الطابع السياسي، وقد طوف فيها بلدانا عربية كثيرة في الجزيرة العربية، بادئًا بالحجاز في ٨ رجب ١٣٤٠هـ الموافق ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٢٢م.والمؤلف لا يخفي هدفه من وراء هذه السياحة، إذ يؤكد في مقدمته أنه إنما قام بوضع كتابه (ملوك العرب) من أجل خدمة القضية العربية، ولكي يعرف الحكام العرب بعضهم بعضًا، وقد استطاع على الرغم من العقبات والمشاق أن يخترق الحدود لأول مرة بين تلك الإمارات العربية الصغيرة المتنافسة والدول العربية الناشئة، وأن يحمل فكرته إلى الأمراء والملوك العرب. وهو وإن فشل في مساعيه السياسية فقد حقق نجاحًا كبيرًا في كتابة الرحلة، وتسجيل تلك الحقبة المهمة في تاريخ الجزيرة العربية المعاصر.

والرحلة السياسية - كما كتبها الريحاني - نمط فريد، إذ مزج فيها بين الماضي والحاضر، بين التاريخ والسياسة، وطبعها بطابعه الشخصي وفلسفته وأفكاره وأسلوبه الأدبي، ولعل أهم جانب فيها رسمه الذكي للشخصيات السياسية، ومحاولة استبطان نوازعها وأفكارها. وهو يكتب عن الشخصيات في مناسبات عدة، ويحرص على نقل الموقف كما هو[١].

(١) الحازمي، منصور. **رحلات العرب**، ص٤١ - ٤٣ أثير كثير من الشبهات حول رحلة أمين الريحاني في البلاد العربية، منها أنه عميل للولايات المتحدة الأمريكية، كما اتهم بأنه عميل لبريطانيا أو فرنسا، وقد أوضح أمين ألبرت الريحاني هذه الشبهات وفندها، فمن ناحية بريطانيا فقد حاولت عرقلة رحلته إلى شبه الجزيرة العربية، وكان العداء مستحكمًا بينه وبين فرنسا نتيجة الانتداب الفرنسي في بلاد الشام، ونتج عن عدائه لها نفيه من البلاد فترة من الزمن. أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فقد دارت بين الريحاني وبين وزارة الخارجية الأمريكية مراسلات حول عزمه القيام برحلته العربية وكتابة تقرير حولها، وكان يود منها تسهيل رحلته إلى شبه الجزيرة العربية، ولم تكترث كثيرًا برحلته وتقريره حيث كان مضمون التقرير يؤيد المصالح العربية. أما حث الريحاني للملك عبدالعزيز على التعامل مع شركات النفط الأمريكية وأن يتجنب شركات النفط البريطانية فيعود إلى الإمكانات المادية للشركات الأمريكية وعدم خضوعها لحكومة بلادها خلاف الشركات البريطانية التي تعد شركات حكومية، مقابلة شخصية، الريحاني، أمين ألبرت. الرياض، يوم الإثنين ١٤٢١/٧/٢٦هـ ٢٠٠٠/١٠/٢٤م.

شكيب أرسلان : (١٢٨٦ – ١٣٦٦هـ / ١٨٦٩ – ١٩٤٦م)

شكيب بن حمود بن حسن بن يوسف أرسلان، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة. ولد في الشويفات بلبنان، وتعلم في مدرسة (دار الحكمة) ببيروت[1]، حيث ظهرت عليه منذ حداثته مخايل النبوغ، والميل الشديد إلى تحصيل العلوم والمعارف، فدرس اللغة العربية وآدابها، وأتقن اللغة التركية والإنجليزية والألمانية، وبرع في نظم الشعر ، وأقام مدة في مصر، وانتخب نائبًا عن حوران في مجلس (المبعوثان) العثماني، وسكن دمشق خلال الحرب العالمية الأولى، ثم برلين بعدها، وانتقل إلى جنيف (بسويسرا) فأقام بها نحو ٢٥ عامًا، وعاد إلى بيروت، اهتم بالسياسة الإسلامية قبل انهيار الدولة العثمانية، وكان من أشد المتحمسين لها، واضطلع بعد ذلك بالقضايا العربية[2].

ولاستفاضة شهرته وتقديرًا لخدماته العظيمة انتخبه المؤتمر الإسلامي الكبير المنعقد في مكة أمينًا لسره، كما أن هناك جمعيات علمية وأدبية كثيرة اختارته لعضويتها ومنحته درجاتها العلمية، منها الجمعية الآسيوية الفرنسية، وهو من الأعضاء المراسلين للمجمع العلمي العربي بدمشق. من مؤلفاته (الدرة اليتيمة) لابن المقفع، و(حاضر العالم الإسلامي)، و(شوقي أو صداقة أربعين سنة)، و(الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف)، و(لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم)، توفي في بيروت يوم الإثنين ٩ (كانون الأول) ديسمبر ١٩٤٦م على إثر نوبة قلبية [3].

رحلتـه :

قام برحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، وكان ينشر رحلته تلك في مقالات في جريدة (الشورى) يقول عنها: « ذاكرًا

(١) الزركلي، **خير الدين. الأعلام**، ج٣، ص٢٥١ .
(٢) السحار، سعيد. مرجع سابق، ج٢، ص١٠ .
(٣) بطي، رفائيل. **أعلام النهضة الحديثة**، ص١١٧ – ١١٩ .

فيها مكة وعرفة ومنى والمزدلفة وتلك البقاع المعظمة المشرفة ... كتبت أيضًا عن الطائف وجبالها ومرابعها، ومنازهها ... بحيث جمعت في هذه الرسائل بين مباحث جغرافية، وتاريخية، ومواقف سياسية واجتماعية ومسائل عمرانية واقتصادية ودقائق لغوية وأدبية))[1]. ثم قطع تلك المقالات عن صحيفة (الشورى) وقد نشر فيها الثلث مما كتبه عن رحلته، وتبقى نحو الثلثين فجمع ذلك كله في كتاب واحد أسماه (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف) [2].

عائشة عبدالرحمن : (١٣٣١هـ - ١٤١٩هـ / ١٩١٣م - ١٩٩٨م)

عائشة محمد عبدالرحمن المشهورة ببنت الشاطئ، أستاذة جامعية مصرية في الدراسات الإسلامية والأدبية واللغوية. ولدت في محافظة دمياط، وتربت تربية إسلامية، حصلت على ليسانس الآداب في اللغة والأدب من جامعة القاهرة، وواصلت دراستها العليا حتى حصلت على الدكتوراة في الآداب من الجامعة نفسها، وشغلت مناصب كثيرة، من مؤلفاتها (التفسير البياني للقرآن)، ومجموعة تراجم عن البيت النبوي. حصلت على عدة جوائز منها جائزة الملك فيصل للأدب العربي في عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م [3].

رحلاتها :

قامت بعدة رحلات إلى المملكة العربية السعودية، الأولى كانت عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، وكانت رحلتها الأولى تلك وليدة رغبة متأصلة لزيارة الأراضي المقدسة، حيث اتفق عدد من أساتذة جامعة القاهرة وطلابها على القيام برحلة إلى الحجاز لأداء مناسك العمرة وزيارة المدينة المنورة في إجازة

(١) أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٣ - ٤ .
(٢) المرجع السابق، ص٤ — ٥.
(٣) الموسوعة العربية العالمية، ج١٦ (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)، ص٨ .

منتصف العام، ولكن المبلغ الذي حدد للرحلة حال دون كثير منهم وتلك الزيارة، وقد علم الأمير فيصل بن عبدالعزيز بمشروعهم فشملهم برعايته في أثناء زيارته لمصر ذلك العام، وما أن وصلوا إلى جدة حتى علموا أنهم ضيوف الملك عبدالعزيز طوال إقامتهم،كما مكنهم من زيارة عدد من مناطق المملكة [1]، وعن ذلك تقول عائشة عبدالرحمن: ((فما دار بخلدنا ونحن نتهيأ للسفر إلى جزيرة العرب أننا قادرون على أن نبلغ أقصى مشرقها في رحلة ضئيلة الزاد لولا ضيافة جلالة عاهل الجزيرة هيأت لنا أن نذهب حيث شئنا على متن الطائرة))[2]. وبالفعل انتقلوا من الحجاز إلى نجد فالأحساء على شاطئ الخليج العربي وصولاً إلى البحرين، وقد دونت رحلتها تلك بعنوان (أرض المعجزات، رحلة في جزيرة العرب) نشرتها سنة ١٣٧٠هـ. وقد كتبت رحلتها تلك بأسلوب أدبي بحت، واهتمت فيها بوصف اللقاءات الأدبية التي تمت في المملكة بينهم وبين أدباء البلاد، كما أشارت إلى مظاهر النهضة في البلاد وخاصة المنطقة الشرقية حيث أتيح لها مشاهدة الظهران وآبار النفط، ومظاهر النهضة العمرانية هناك.

ورحلتها الثانية جاءت بعد عشرين عامًا من رحلتها الأولى، حيث قصدت الحجاز عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م لأداء فريضة الحج، وكانت في ضيافة الملك فيصل. وقد أضافت في الطبعة الثانية من كتابها (أرض المعجزات) الذي نشرته سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م انطباعاتها في رحلتها الثانية، تقول عن تلك الطبعة: ((أسترجع فيها ذكريات رحلتي الأولى من قبل عشرين عامًا، وأضيف إليها عطاء رحلة لي جديدة)). وقد عقدت في تلك الطبعة مقارنة بين رحلتيها من ناحية أوضاع البلاد والتطور الذي حدث في جميع جوانب الحياة[3].

---

(١) عبدالرحمن، عائشة. **أرض** المعجزات (رحلة في جزيرة العرب).ـ ط٢ .ـ القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٠هـ، ص١٣ .

(٢) المرجع السابق، ص٩١ .

(٣) المرجع السابق، ص٧، ص٩٩ – ١٠٠ .

عباس متولي حمادة :

رحلته :

قام برحلته إلى الأراضي المقدسة عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م نشرها بعنوان: (مشاهداتي في الحجاز) في عام ١٣٥٥هـ ،حيث وصف معالم الطريق من مصر إلى الحجاز، ومعالم مكة والمدينة وآثارها ومساجدها والمسجد النبوي والحرم المكي وكيفية أداء المناسك عبر جميع المشاعر المقدسة، كما وصف مظاهر الابتهال والخشوع التي تعم جميع المسلمين في الأراضي الطاهرة، كما تناول كثيراً من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ومظاهر الأمن [1]، نشرها بعنوان: (مشاهداتي في الحجاز) في عام ١٣٥٥هـ .

عباس محمود العقاد : (١٣٠٦ – ١٣٨٣هـ / ١٨٨٩ – ١٩٦٤م)

عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد : أصله من دمياط، وكان أحد أسلافه يعمل في (عقادة) الحرير فعرف بالعقاد. ولد في أسوان، وتعلم في مدرستها الابتدائية، وشغف بالمطالعة، ونال الشهادة الابتدائية بتفوق . وسعى للرزق فكان موظفاً بالسكة الحديدية، وبوزارة الأوقاف بالقاهرة، ثم معلمًا في بعض المدارس الأهلية. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر. تعلم الإنكليزية في صباه وأجادها، ثم ألم بالألمانية والفرنسية. كان إمامًا في الأدب، من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع، أخرج ٨٣ كتابًا خلال نصف قرن في مجال الأدب منها كتاب (عن الله)، و(عبقرية محمد)، و(عبقرية خالد)، و(عبقرية الصديق)، و(مع عاهل الجزيرة). وكان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة (دمشق والقاهرة وبغداد)، وكان أجش الصوت في قامته طول، نعت من أجله بالعملاق. توفي بالقاهرة ودفن بأسوان [2].

(١) حمادة، عباس . **مشاهداتي في الحجاز** .ـ القاهرة: ١٣٥٥هـ.

(٢) الزركلي، خير الدين.الأعلام، ج٣، ص٢٦٦ ، ٢٦٧ ، السحار، سعيد. مرجع سابق، ج١، ص٤٠ .

رحلته :

كان ضمن بعثة الشرف المصرية التي سافرت إلى جدة عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م لتكون في شرف مصاحبة الملك عبدالعزيز لمصر من ميناء جدة حتى ميناء السويس، وقد ذهب العقاد ضمن بعثة الشرف هذه ممثلاً عن مجلس الشيوخ المصري، حيث كان عضوًا فيه، وبعد وصوله إلى جدة قصد مكة لأداء مناسك العمرة ثم السلام على الملك عبدالعزيز، وقد دون العقاد رحلته تلك في مقالات نشرها في كثير من الصحف، ثم جمعت في كتاب (مع عاهل الجزيرة العربية)،وتتضمن رحلته انطباعاته عن صفات الملك عبدالعزيز، وعاداته، وما رآه وسمعه من صراحته ودوام سهره على شؤون شعبه،وما لمسه من أخلاق الأمراء أبنائه وثقافتهم خلال أحاديثه معهم في أثناء مرافقته لهم في تلك الرحلة، وما دار بينه وبين الملك عبدالعزيز من أحاديث في التاريخ والأدب خلال الإقامة أو خلال العودة بصحبته على متن السفينة في زيارته لمصر في ذلك العام[1].

عبدالعزيز الثعالبي : (١٢٩١ – ١٣٦٣هـ / ١٨٧٤ – ١٩٤٤م)

عبدالعزيز بن إبراهيم الثعالبي. ولد بتونس وتعلم فيها إلى أن حصل على ثقافة واسعة، وهو رجل سياسي ومفكر إسلامي [2]. أصدر جريدة (سبيل الرشاد)، ودخل في حزب (تونس الفتاة)، وجاهر بطلب الحرية لبلاده، فسجنه الفرنسيون، ثم أطلق سراحه، وسافر إلى باريس، وزار الهند والأستانة، وعاد إلى تونس قبيل عام ١٣٣٢هـ /١٩١٤م، وسافر إلى باريس بعد الحرب العالمية الأولى، وطبع كتابه (تونس الشهيدة) بالفرنسية، واتهم بالتآمر على أمن الدولة الفرنسية، فاعتقل ونقل سجينًا إلى تونس، وأخلي سبيله بعد تسعة أشهر، فرأس حزب (الدستور)، وأنشأ مجلة (الفجر).

---

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص١٦.
(٢) الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج٢، ص١٢ - ١٣ .

غادر الثعالبي تونس لأسباب سياسية سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م متنقلاً بين مصر وسورية والعراق والحجاز والهند، مشاركًا في حركاتها الوطنية ولا سيما مقاومة الاستعمار الفرنسي، وعاد إلى تونس سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م فناوأه بعض رجال حزبه، فابتعد عن الشؤون العامة. من كتبه (تاريخ شمال إفريقية)، و(مذكرات في خمسة أجزاء، عن رحلته إلى مصر والشام والحجاز والهند وغيرها)، توفي في تونس سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٤م [١].

رحلتـه:

قام بعدة رحلات في أنحاء العالم الإسلامي، لعل أبرزها (الرحلة اليمنية) التي نشرت سنة ١٩٩٧م التي وصف فيها مشاهداته وملحوظاته في بلاد اليمن، كما رصد في رحلته تلك جهوده ومساعيه لدى المسؤولين اليمنيين والعدنيين لإقناعهم بعقد مؤتمر عام للنظر في سبل توحيد اليمن وتخليصه من الهيمنة الأجنبية، وكذلك جهوده التي تتعلق بالمهمة التي قام بها عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م لتحقيق الصلح بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى حميد الدين [٢]، وإنهاء الخلافات على الحدود بين البلدين [٣].

عبدالغني شهبندر:

طبيب لبناني متخصص بالأمراض الصدرية، مدير لإدارات الصحة والمحاجر، ومنشئ مجلة الحكمة في بيروت [٤].

---

(١) الشيخ، أبو عمران. **معجم مشاهير المغاربة**، (الجزائر: جامعة الجزائر)، ص١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) يحيى بن محمد حميد الدين. ملك اليمن، من أئمة الزيدية. ولد بصنعاء عام ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م. ولي الإمامة بعد وفاة والده عام ١٣٢٢هـ، كان شديد الحذر من الأجانب. آثر العزلة والانكماش في حدود بلاده. قتل عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م. الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٩، ص٢١٥، ٢١٦.

(٣) الثعالبي، عبدالعزيز . مرجع سابق، ص٥ -٧، **صحيفة أم القرى**، العدد ٩٤، في ١٣٤٥/٣/٢٤هـ، ص١.

(٤) شهبندر، عبدالغني. **رحلة الحجاز** .ـ بيروت: **مجلة الحكمة**، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، ص أ .

رحلتـه:

قام برحلته لأداء فريضة الحج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م بصفته طبيبًا صحيًا، ونشرها بعنوان : (رحلة الحجاز) سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م. وقد وصف فيها بلاد الحجاز والمناسك والأدعية التي تقال فيها، ومسافات الطرق، ونبذًا في المسائل الصحية وشذرات تاريخية، كذلك قدم قائمة بأسعار النزل ومصروفات الحج من رسوم وأجرة سيارة، وأجرة إقامة بالعملات المختلفة، وأنواع المواصلات وأسعارها [(١)].

عبدالوهاب خضير:

رحلتـه:

قدم إلى المملكة بدعوة من الحكومة السعودية لحضور الاحتفالات المقامة بمناسبة عيد جلوس الملك عبدالعزيز، وعدد الإنجازات التي تحققت في عهده والتغييرات والإصلاحات التي قام بها جلالته: من محاربة للبدع والضلال، وبسط الأمن في ربوع المملكة، وخص بعنايته الحرمين الشريفين، مما جعل الناس يفدون إلى الأماكن المقدسة في طمأنينة، بعد أن كانوا يفرون منها قبل عهد جلالته من الفوضى، وإباحة الأموال والدماء، فأخذ عدد الحجاج يتزايد سنويًا أضعافًا مضاعفة، وكذلك يصف ما شاهده في المملكة في مختلف المجالات [(٢)] .

عبدالوهاب عزام : (١٣١٢ – ١٣٧٨هـ / ١٨٩٤ – ١٩٥٩م)

عبدالوهاب بن محمد بن حسن بن سالم عزام. ولد في الشوبك (من قرى الجيزة، بمصر) ودخل الأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة،

(١) المرجع السابق ، ص ١.
(٢) خضير، عبدالوهاب. مرجع سابق ، ص ٣ .

ودرس بها واتجه إلى الجامعة المصرية القديمة، فأحرز شهادتها في الآداب والفلسفة (سنة ١٩٢٣م)، واختير مستشارًا للشؤون الدينية في السفارة المصرية بلندن، فالتحق بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن ونال منها درجة الدكتوراة في الأدب من جامعتها، ودرس الفارسية في كلية الآداب بالجامعة المصرية ثم عميدًا لتلك الكلية [(١)]، ثم وزيرًا مفوضًا، فسفيرًا لمصر في المملكة العربية السعودية [(٢)]، وأول مدير لجامعة الملك سعود بالرياض. وفي خلال أربعين سنة قدم للفكر العربي الإسلامي نموذجًا حيًا من الإنسان المثقف الذي يجمع بين الخلق والعلم. من أثاره (أخلاق القرآن)، (أُمم حائرة)[(٣)]،و(مجالس السلطان الغوري)، و(الرحلات)، و(النفحات)، و(المعتمد بن عباد)، توفي بالرياض، ونقل بالطائرة إلى القاهرة، ودفن في حلوان [(٤)].

رحلاتــه:

زار المملكة العربية السعودية أكثر من مرة. وضع عن رحلته الأولى كتابًا بعنوان : (رحلات عبدالوهاب عزام الأولى) نشره عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م، أما رحلته الثانية فقد وضع عنها كتابًا بعنوان (رحلات عبدالوهاب عزام : الرحلة الثانية) نشره عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م؛ ففي الأولى قدم إلى الحجاز ضمن أعضاء بعثة جامعة فؤاد لأداء فريضة الحج سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، وفي الثانية قدم وزيراً مفوضاً للحكومة المصرية في جدة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م. وقد تمكن في المرة الأخيرة من التجول في منطقتي الحجاز ونجد، وتدوين ملحوظاته عنهما. يقول: إنه قطع الطريق من جدة إلى المدينة المنورة تسع مرات بالسيارة غير مرتين بالطائرة، بينما لم تمكنه زيارته القصيرة الأولى إلا من

(١) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٤، ص١٨٦.
(٢) صحيفة البلاد العدد ٦٩٤ في ١٢/ ٤/ ١٣٦٧هـ، ص٢ .
(٣) الجندي، أنور. أعلام وأصحاب أقلام (القاهرة: دار نهضة مصر) ص٢٦٩ - ٢٧١.
(٤) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٤، ص١٨٦.

وصف مناسك الحج وصفًا سريعًا مقتضبًا، وتسجيل انطباعاته عن بعض الآثار الإسلامية التي وقف عليها [1].

علي الطنطاوي : (١٣٢٧هـ - ١٤٢٠هـ / ١٩٠٩م - ١٩٩٩م)

علي بن مصطفى الطنطاوي . ولد في دمشق عام ١٩٠٩م. تلقى علومه في ثانوية دمشق ودار العلوم العليا بمصر والجامعة السورية، وعلى طائفة من المشايخ، وهو يحمل شهادة الليسانس في الحقوق.

زاول مهنة الصحافة في مصر ودمشق، كما اشتغل بالتدريس الابتدائي والثانوي والكليات الشرعية في دمشق وبيروت، وعين قاضيًا في عدد من المدن السورية، وأسهم في الحركة الإسلامية ، واشتغل بالصحافة فحرر في عدد من المجلات، وهو خطيب مرتجل ومحاضر، وله مواقف إبان الجهاد الوطني، وشغل وظيفة قاض شرعي. لم ينتم إلى حزب أو جمعية. من مؤلفاته : (رسائل الإصلاح)، و(بشار بن برد)، و(أبو بكر الصديق)، و(في بلاد العرب)، و(من التاريخ الإسلامي) [2].

رحلاتـه:

قام برحلات متعددة في فترات متفرقة إلى الأراضي المقدسة، وإذا كنا نجهل عدد وغرض رحلاته الحجازية، إلا أن أقدمها وأهمها سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م التي قدم فيها لأول مرة لأداء فريضة الحج مع الوفد السوري مفتتحًا بها طريق الحج البري للسيارات [3]، وقد دون رحلاته ونشر بعضها في مقالات في مجلة الرسالة وصحيفة البلاد السعودية، وبعضها لم ينشر، وقد جمع

(١) الحازمي ، منصور. **رحلات العرب**، ص٤٦، ٤٧.

(٢) مكتب الدراسات السورية والعربية. من هو في سورية . ـ دمشق: مطبعة العلوم والآداب، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) الحازمي، منصور . رحلات العرب، ص٤٧.

رحلاته تلك في كتابه (من نفحات الحرم)، ولم يتتبع التسلسل الزمني في مادة كتابه، وإنما بدأ بالأهم فالمهم في نظره [1].

فؤاد حمزة: (١٣١٧ - ١٣٧١هـ / ١٩٨٨ - ١٩٥١م)

فؤاد بن أمين حمزة، أبو سامر. ولد وتعلم في (عبية) بلبنان. زاول التعليم في المدارس الحكومية في دمشق ثم القدس. شارك في سياسة المملكة العربية السعودية ربع قرن، فقد عين مترجماً خاصًا للملك عبدالعزيز في الرياض عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م وتقدم عنده، فجعله وكيلاً للشؤون الخارجية، فأقام بمكة، ثم انتقل إلى باريس وزيرًا مفوضًا ومنها إلى أنقرة، واستقر بعد ذلك في خدمة الملك مستشارًا يتنقل معه بين الرياض ومكة المكرمة، وقام برحلات في بعض المهمات إلى أوربا وأمريكا فتعرف إلى كثير من رجال السياسة، ومنح لقب سفير ثم وزير دولة، وأصيب بمرض في القلب لبضع سنين، قضى أيامه الأخيرة في لبنان، وتوفي في بيروت، ودفن في (عبية) مسقط رأسه.

كان كاتبًا باحثًا دؤوبًا على العمل، وله عدة مؤلفات منها: (قلب جزيرة العرب)، و(البلاد العربية السعودية)، و(في بلاد عسير) [2].

رحلتـه:

قام فؤاد حمزة برحلته إلى بلاد عسير عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م بهدف المشاركة في المؤتمر الذي سيعقد في أبها لحل مشكلات الحدود بين المملكة العربية السعودية واليمن، ويمكن عد رحلته إلى بلاد عسير رحلة استكشافية وعلمية ؛ لأهداف ودوافع سياسية. يقول عن أهدافه تلك: ((إذ كان عليَّ أن أبحث مع وفد اليمن في مقاطعات الحدود، وهذا لا يمكن إلا بجمع المعلومات

(١) رداوي، محمود. **الرحلات العربية والإسلامية وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر**:دراسة ونصوص. ـ ط١ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٦هـ ص٢٩٢ .

(٢) الزركلي، خير الدين . **الأعلام** ، ج٥، ص٢٦٧.

الصحيحة المفصلة الدقيقة عنها وعن سكانها وما فيها)). ولكن فشل المهمة السياسية التي انتدب لها جعله يقصر رحلته على الهدف العلمي الاستكشافي، حيث صحب معه كثيراً من الأدوات العلمية التي يستخدمها الرحالة المستكشفون لضمان دقة المعلومات والوصول إلى أفضل النتائج.

وقد دون مشاهداته للأماكن والمسافات والأبعاد والآبار والموارد والقبائل والقرى والأودية والحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وما جمعه من المعلومات التاريخية والجغرافية، وحاول جاهدًا معارضة الروايات، وتحقيقها، ونقدها وتمحيصها [(١)].

متولي نجيب : (١٣١٣هـ ـ ١٣٨٣هـ / ١٨٩٥م ـ ١٩٦٣م)

مدير مكتب السكرتير العام لمجلس الوزراء المصري [(٢)].

رحلتـه :

قام برحلته لأداء فريضة الحج عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، ونشرها بعنوان: (نفحات الحج والزيارة) عام ١٩٥١م، وفيها يصف المؤلف رحلته إلى الأراضي المقدسة وصفاً تفصيليًا من مصر عبر ميناء السويس ثم جدة، ثم وضع جدولاً بأحكام الحج بالترتيب، ثم إرشادات للحجاج. ويصف الرحلة من جدة إلى مكة، ويصف مناسك الحج ومختلف الأماكن والمشاعر المقدسة والكعبة المشرفة وبعض الأماكن الأثرية بمكة المكرمة، ثم يصف زيارته للمدينة المنورة وما شاهده بها من آثار، وزيارته للمسجد النبوي والمساجد المشهورة، والمزارات في المدينة، ويذكر تاريخ الحرم النبوي [(٣)].

محمد التميمي: (١٣٢٨هـ ـ ١٣٩٦هـ / ١٩١٠م ـ ١٩٧٦م)

محمد بن أمين التميمي نسبة إلى تميم الداري اللخمي الصحابي. ولد ببلدة (يافا) سنة ١٣٢٨هـ ونشأ بها، ودرس بالمكتب السلطاني في القدس في

(١) حمزة، فؤاد. **في بلاد عسير**، ص١١ – ١٧ .
(٢) نجيب، متولي. **نفحات الحج والزيارة** .ـ القاهرة : المؤلف، ١٩٥١م.
(٣) المرجع السابق .

عهد العثمانيين ثم درس بالمدرسة الرشيدية في عهد الانتداب، ووظف في إدارة البرق والبريد بفلسطين، ورحل إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، ووظف بوزارة الخارجية ثم نزح إلى مصر، وتعاقدت معه الحكومة المصرية مترجماً للوثائق التاريخية التركية، وفي عام ١٩٤٦م عمل شجرة تضم أسرتي آل سعود وآل الشيخ. ثم جاء إلى المملكة العربية السعودية، ووظف بوزارة المعارف وعين مديرًا عامًا لإدارة المكتبات، ثم اختير مستشارًا لشؤون التأليف، واستمر في هذه الوظيفة، وفي سنة ١٣٨٨هـ عمل شجرة لآل سعود طبعت ووزعت. وقد كلف من قبل وزارة المعارف للعمل بدارة الملك عبدالعزيز من أجل البحث في مجال الوثائق التاريخية عن الجزيرة العربية وتصويرها ثم تعريبها لإحاطته باللغتين التركية والإنجليزية، فسافر من أجل ذلك عدة مرات خارج المملكة، وأدى هذه المهمة على أكمل وجه، وأيضًا شرح المعلقة الإسلامية في تاريخ الكعبة والمسجد الحرام، وقد توفي بمدينة الرياض سنة ١٣٩٦هـ [1].

رحلتـه:

قام برحلته إلى المملكة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م بهدف طلب العلم والاطلاع على أحوال نجد الدينية. يقول عن أهدافه: « وكانت نفسي تحدثني دائمًا بالقيام برحلة إلى نجد كي أقف على حقيقة النجديين وعقائدهم، ... فقد أخذت أشعر بقوة خفية تدفعني إلى تعلم أحكام الدين الذي أنتسب إليه وأتسمى بأحد أسماء المنتمين إليه)). وقد طابت له الإقامة في المملكة؛ فأقام فيها خمس سنوات، وقد لمس أثر الأمن بعد دخوله حدود المملكة، وكتب عن هذا الأمن كما سجل لقاءاته مع الملك عبدالعزيز، وعبر عن إعجابه الشديد وحبه للملك عبدالعزيز من خلال ما لمسه من صفاته وجميل أخلاقه،

(١) آل الشيخ، عبدالرحمن عبداللطيف. **الدارة**، العدد ٤، السنة السادسة، شعبان ١٤٠١هـ/ يونيو ١٩٨١م، ص٨٦.

وقد تنقل في رحلته تلك على ظهور الجمال مع القوافل، وتوقف في عدد من المدن في شمال نجد حتى وصل إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة، وقد لفت انتباهه في رحلته تلك تمسك الناس بدينهم، ومدى تأثير ذلك في أخلاقهم وتعاملهم، كما وصف بعض العادات والتقاليد والحياة الاجتماعية في البلاد التي توقف فيها، ودون رحلته في كتاب بعنوان (لماذا أحببت ابن سعود) نشره عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م [١].

محمد بهجة البيطار: (١٣١١ – ١٣٩٦هـ / ١٨٩٤ – ١٩٧٦م)

محمد بهجة بن محمد البيطار. علاَّمة وشاعر. ولد في دمشق وتعلم على يد جده لأمه الشيخ عبدالرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي [٢]. أسرته من الأسر المشتهرة بالعلم في دمشق (بنو البيطار)، نال الشهادة الابتدائية ثم الثانوية، ودرس اللغة الفرنسية، ثم استكمل تعليمه في العلوم العربية والدينية، ثم انتخب عضوًا في المجمع العلمي بدمشق ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، وعضوًا في المجمع العلمي العراقي في بغداد، وعمل في مجال التعليم منذ عام ١٩٢١م [٣]، دعي إلى المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م فلبى الدعوة، وأدى فريضة الحج، فاستبقاه الملك عبدالعزيز لإدارة المعهد العلمي السعودي خمس سنين، كما عين عضوًا في مجلس إدارة المعارف، وعضوًا في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة. كان واسع الاطلاع، سديد البحث، أصولي النزعة، سلفي المعتقد، حاضر البديهة، من مؤلفاته (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية)، و(السنة والشيعة) و(الرحلة الحجازية النجدية) و(نقد عين الميزان). توفي في رجب ١٣٩٦هـ [٤].

---

(١) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٣٥ - ٨٧.

(٢) العلاونة، أحمد. **ذيل الأعلام**. ـ ط١ . ـ جدة: دار المنار، ١٤١٨هـ، ص١٦٧، ١٦٨.

(٣) البيطار، محمد بهجة. مرجع سابق، ص٥٣ .

(٤) العلاونة، أحمد . مرجع سابق، ص١٦٨. **صحيفة أم القرى**، العدد ١٤١، في ١٣٤٦/٢/٢٨هـ، ص٣. أم القرى، العدد ١٨٥، في ١٣٤٧/١/١٨هـ، ص٢ .

رحلتـه :

قام برحلة عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م لمقابلة الملك عبدالعزيز، فغادر الشام حتى وصل قرية الحائط ولم يستطع مواصلة السفر إلى داخلية نجد لخطورة الطريق، فأوكل لزميله شلاش النجدي مهمة إيصال الرسالة التي يحملها من محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار[1] إلى الملك عبدالعزيز، أما هو فقد واصل سفره إلى المدينة المنورة. وقد سجل رحلته في كتاب أسماه (الرحلة النجدية الحجازية)، ونشره سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م [2].

محمد ثابت : (... - ١٣٧٧هـ / ... – ١٩٥٨م)

محمد ثابت الملقب بالرحالة المصري: جغرافي متأدب، من أهل القاهرة. كان يعمل بالتدريس في بعض المدارس الثانوية، ويقوم في عطلة الصيف من كل سنة برحلة يدوّن مشاهداته فيها، عين مراقبًا للنشاط الاجتماعي في وزارة التربية، وعميدًا لمعهد المعلمين الابتدائي بالزيتون، ثم اختير لتدريس المواد الاجتماعية في كلية النصر بالمعادي (من ضواحي القاهرة)، وأصيب وهو يحاضر تلاميذه فيها بنزيف في المخ توفي على أثره . من كتبه (الموجز في الجغرافية الإقليمية)، و(جولة في ربوع إفريقية)، و(جولة في ربوع آسيا)، و(رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها)، و(العالم الديمقراطي كما رأيته)، و(العالم العربي كما رأيته)[3].

رحلاتــه :

قام بعدة رحلات في أنحاء العالم عامة وفي العالم العربي والإسلامي خاصة، وقام برحلة إلى الحجاز لحج بيت الله الحرام وزيارة مسجد الرسول

(١) محمد رشيد رضا. ولد عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م في قرية القلمون في لبنان، وحصل على الشهادة العالمية من المدرسة الوطنية الإسلامية. انتقل إلى مصر وهناك أسس مجلة (المنار) عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م، وأخذ يدعو من خلالها إلى الوحدة الإسلامية. خوري، يوسف. **أعلام النهضة الحديثة**، الحلقة الثانية، ص١٢٣ – ١٢٧ .

(٢) البيطار، محمد بهجة. مرجع سابق، ص٢٩ .

(٣) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، جـ٦، ص٦٧ – ٦٨ .

ﷺ، دونها في كتابه (جولة في ربوع العالم الإسلامي). وقد وصف فيها مناسك الحج والمشاعر المقدسة، وزار الملك عبدالعزيز وأهداه عدة كتب، وشرح له رغبته في القيام برحلة لأنحاء المملكة العربية السعودية في وقت لاحق فوعده بالمساعدة [1]، كما تناول النواحي الاقتصادية من ناحية توفر السلع الغذائية ومدى جودتها وأسعارها، وكذلك أثمان المواصلات، ووسائل النقل المتاحة بين مدن الحجاز وفي المشاعر المقدسة مع شرح لبعض النواحي الاجتماعية كأخلاق السكان، وبعض العادات والتقاليد .

محمد التوزاني : (١٨٨٣م – ١٩٤٣م)

محمد بن الحاج ميمون التوزاني من علماء القرويين. ولد في بلدة ميضار في المغرب سنة ١٨٨٣م، وقد قاد حركة ثقافية وروحية في النصف الأول من القرن الحالي، كما مارس تثقيفاً جماهيريًا واسعًا في مختلف شرائح المجتمع، اشتهر بالورع والزهد في متارف الحياة، وابتعد عن مراكز النفوذ المادي.توفي في عام ١٩٤٣م.ترك تآليف مختلفة منها: (فتوى في تحريم التبغ) و(فوائد وحكم) و(الرحلة) [2] .

رحلتـه :

قام برحلته في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م لأداء فريضة الحج، وهي تاريخ لأحداث عاشها بنفسه خلال تجواله وتنقله من مكان إلى آخر . وقد تحدث عن المدن التي مر بها والأماكن التي زارها. فيصف الحرم المكي والحرم النبوي ومعالم جبل عرفة وجدة، كما تحدث عن آل البيت وأبناء الرسول ﷺ وأعمامه وزوجاته، ويدون رحلته على شكل يوميات، ويهتم فيها بحياتهم اليومية مع رفاقه في تلك الرحلة، كما يولي أهمية خاصة للنواحي الاقتصادية

(١) ثابت، **محمد. جولة في ربوع العالم الإسلامي** .ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص٤٧، ٤٨ .
(٢) التوزاني، محمد. مرجع سابق، ص٣ .

من خلال حديث عن نفقات الرحلة وأسعار ركوب السفينة والسيارات حتى أسعار نقل الأمتعة والمواد الغذائية وكراء المحلات التي أقاموا فيها، ويقارن بين قيمة العملات السعودية وغيرها من العملات، ويهتم بالنواحي العمرانية وخاصة المساجد، وكذلك النواحي الجغرافية، وظلت رحلته مخطوطة حتى عام ١٩٩٦م حيث نشرت في كتاب بعنوان (الرحلة) [١].

محمد هيكل : (١٣٠٥ – ١٣٧٦هـ/ ١٨٨٨ – ١٩٥٦م)

محمد حسين هيكل. كاتب صحفي. مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة بمصر. ولد في قرية هيكل بمركز السنبلاوين بمصر، وهو من أسرة غنية. التحق بالمدارس الابتدائية فالثانوية، وحينما حصل على شهادة البكالوريا التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها، ثم سافر إلى باريس حيث أتم دراسته، وحصل على شهادة الدكتوراة في القانون.. وعندما عاد إلى مصر انضم إلى حزب الأحرار الدستوريين وتولى جريدة السياسة اليومية والأسبوعية، ثم أصبح رئيسًا لحزب الأحرار الدستوريين، ثم رئيسًا لمجلس الشيوخ، ثم ولي وزارة المعارف عدة مرات، من مؤلفاته: (حياة محمد)، و(في منزل الوحي)، و(ثورة الأدب) و(الصديق أبو بكر)، و(ولدي)، و(هكذا خلقت) و(الإمبراطورية الإسلامية). وقد توفي بالقاهرة عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م[٢].

رحلته :

قام برحلة إلى الأراضي المقدسة عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ولم يكن دافع هيكل لزيارة الأماكن المقدسة أداء مناسك الحج والعمرة فقط، بل كان معنيًا بالكشف ـ كما يقول ـ عن حقيقة هذه البلاد مقر الوحي، والرسالة، فزيارته تلك كانت لغرض علمي استكمالاً لمباحثه في السيرة النبوية عندما

(١) المرجع السابق، ص٤ – ٨ .
(٢) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٦، ص١٠٧، السحار، سعيد. مرجع سابق، ج١، ص٣٨ .

كان يعد كتابه (حياة محمد)، وكان يريد أن يستكشف تلك البلاد بنفسه، فالقراءة لا تغني عن التجربة والمعاينة. يقول: « شعرت آخر الأمر بأنني سأظل ينقصني جوهر ما أبحث عنه إذا أنا لم أذهب إلى بلاد النبي العربي بنفسي ولم أقف حيث وقف في أدق ما مر به أثناء حياته)). وكان ينوي إتمام بحوثه في السيرة وإنجاز كتابه (حياة محمد)، ولكن بعد رحلته قرر أن يضع كتابًا مستقلاً عن رحلته تلك بعنوان (في منزل الوحي) نشر سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م يحوي انطباعاته ومشاهداته عن أوضاع البلاد، إضافة إلى ما قام به من بحوث في السيرة، واستطلاع للمواقع التاريخية المهمة التي لها علاقة بسيرة الرسول ﷺ [1].

محمد حمدي :

رحلته :

توجه إلى الحجاز عام ١٣٥٨/ ١٩٤٠م لأداء فريضة الحج، ودون رحلته تلك في كتاب بعنوان: (ثلاثون يومًا في بلاد ابن سعود) نشره سنة ١٩٤١م، وقد أسهب في وصف رحلته منذ مغادرة السفينة السويس حتى وصولها جدة ثم منها إلى مكة المكرمة، وسرد مناسك الحج وواجباته وسننه ومشاهداته في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، وقد رافق البعثة المصرية في حج ذلك العام، وحضر المآدب الرسمية التي أقيمت لها، وحضر الحفل الذي يقام في منى كل عام لاستقبال وفود الحجاج، ووصف ذلك الاستقبال، كما وصف الملك عبدالعزيز[2] وأعطى نبذة عن تاريخه وجهاده وحياته الخاصة، مستعينًا بالمصادر المعاصرة له والتي ألفها رجال كانوا قريبين من الملك عبدالعزيز .

ثم انتقل إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول ﷺ ، وأثنى على كرم الحكومة السعودية التي استضافتهم في مكة والمدينة المنورة، وقد سجل

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٠ .
(٢) حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٥٥ - ١٥٨.

لقاءاته في مكة بعدد من الأعلام ورجال الدولة مثل الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب الملك في الحجاز، والوزير عبدالله السليمان [1].

محمد رفعت (المحامي) :

من رجال الصحافة في مصر. تخرج في كلية الحقوق، وعمل بعد تخرجه بالمحاماة، ولذلك يضيف إلى اسمه لقب (المحامي)، والتحق بكلية الشرطة وتخرج فيها، وعمل في الشرطة مدة سبع سنوات، ثم تخلى عن عمله الحكومي، وتفرغ للعمل الصحفي مدة خمسين عامًا، وعمل في التأليف والترجمة وإعداد الكتب التثقيفية الموجهة إلى جميع فئات المجتمع، فبلغت آثاره نحو خمسين كتابًا، وتولى رئاسة تحرير مجلة (طبيبك)، وهي مجلة رائدة في التوعية الصحية، وأشرف على إعداد مجموعة من الإصدارات الموجهة إلى المرأة، ويتجه في سائر مؤلفاته إلى تبسيط المعلومات وعرضها في أسلوب سهل واضح [2].

رحلتـه :

قام برحلته بناءً على دعوة من شركة مصر للطيران مع عدد من الصحفيين للاشتراك في افتتاح الخط الجوي الجديد بين القاهرة وجدة عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م فاستضافه الملك عبدالعزيز، وتكفل بنفقات رحلته، وأتاح له زيارة عدد من مناطق المملكة [3]. وقد حظي بمقابلة الملك عبدالعزيز أكثر من مرة، وحضر مجالسه، واستمع إلى أحاديثه، كما التقى عددًا من الأمراء

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٥ – ١٩٨.

(٢) رفعت، محمد. **أسد الجزيرة قال لي**. ـ ط٢ . ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ، ص٩ -١٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢١.

أبناء الملك عبدالعزيز، وعددًا من رجال المملكة، والمسؤولين فيها. وزار عددًا من مدن المملكة: الرياض، ومكة، وجدة، والمدينة. واطلع على كثير من مشروعات التنمية والنهضة في أنحاء المملكة، وقد كتب عما سمع وشاهد في سلسلة مقالات نشرها في مجلة (المصور) التي يعمل فيها، ثم جمع تلك المقالات، ونشرها في كتاب بعنوان : (أسد الجزيرة قال لي) نشره سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م تناول فيه معالم النهضة التي تعيشها المملكة في تلك الفترة من النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية [١].

محمد سعود العوري :

من فلسطين. قاضي مدينة بيت المقدس ومدرس علمي التفسير والحديث في المسجد الأقصى .

رحلتـه :

قدم من القدس إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، وقد وصف فيها الطريق عن طريق القطار إلى المدينة المنورة، وتعرض في رحلته لواجبات الحج، ثم وصف مكة المكرمة، وذكر أنه زار عددًا كبيرًا من أمراء البيت السعودي وموظفي الحكومة ووجهاء الحجاز، وحضر احتفالات قدوم جلالة الملك عبدالعزيز إلى الحجاز، ثم تحدث عن السفر من مكة إلى جدة، ومن جدة عن طريق البحر إلى العقبة، ومنها إلى القدس[٢]. نشر رحلته تلك في كتاب بعنوان : (الرحلة السعودية الحجازية النجدية) سنة ١٣٤٩هـ .

محمد السلاح :

مندوب ومحرر جريدة البريد السوري .

---

(١) المرجع السابق، ص٧ ، ٨ .
(٢) العوري، محمد سعود. **الرحلة السعودية الحجازية النجدية** .ـ القاهرة:المطبعة السلفية، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

رحلاتـه :

زار المملكة عدة مرات في عهد الملك عبدالعزيز منها رحلة في أثناء موسم الحج في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م وسنوات أخرى، وسجل مرئياته في عدد من المؤلفات حول الجهود المبذولة في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، وأهم ملامح التغيير في الخدمات المقدمة للحجاج، وعن الأوضاع الأمنية والخدمات العامة للحجاج من تيسير سبل المواصلات، والإقامة، والإعاشة، والخدمات الإدارية الأخرى للحجاج، وكيف كان يحرص جلالته على متابعة ذلك كله بنفسه، يحضر موسم الحج في مكة المكرمة بين الحجاج، ويرعى مصالحهم، ويحل مشكلاتهم ويعمل على راحتهم. دون رحلاته في كتاب بعنوان : (وثبة الديار الحجازية في عهد عاهل الجزيرة العربية)، وكتاب (عبدالعزيز والحج)[1].

محمد السوادي :

كاتب صحفي مصري. وهو كاتب رصين العبارة قوي الأسلوب. اتسم بالاستقلالية في الرأي فلم يتبع أي حزب من الأحزاب الموجودة في ذلك الوقت. أصدر (مجلة الخير) ثم صدرت فيما بعد باسم (مجلة السوادي). من مؤلفاته (البرلمان في الميزان)، و(مملكة في الميزان)[2].

رحلته :

كانت رحلته إلى المملكة، وقد وصف فيها أحوال شعبها الاقتصادية والاجتماعية، وسياسة المملكة الخارجية، كما سجل مشاهداته، ولقاءاته مع رجال الدولة وانطباعاته عن نظام الحكم وأمرائها ورجالها، ودونها في كتاب بعنوان : (مملكة في الميزان) نشره سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م [3].

---

(١) السلاح، محمد . **وثبة الديار الحجازية في عهد عاهل الجزيرة العربية** . ـ حلب: مطبعة المعارف، ١٣٦٩هـ، . **عبدالعزيز والحج** . ـ حلب: د. ن، ١٩٤٩م .

(٢) أم القرى، العدد ١١٣٠، في ١٣٦٥/١١/٣٠هـ، ص٣ .

(٣) السوادي، محمد . مرجع سابق .

محمد شفيق أفندي مصطفى :

رحالة وصحفي مصري :

رحلتـه :

بدأ رحلته سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م من القاهرة ففلسطين، ومنها إلى عمان ثم إلى قريات الملح ثم إلى الجوف ومنها إلى حائل ومنها إلى بريدة ثم إلى الرياض، وبعد إقامته في الرياض واصل رحلته إلى الحجاز، وكان يصف كل ما يصادفه في الطريق أو في المدن التي يقيم فيها، فقد وصف الرياض، وتحدث عن النواحي التعليمية والصحية والاقتصادية والمعيشية؛ كما تحدث عن احتفالات الرياض باستقبال مليكها القادم من الحجاز، كما حضر زواج الأميرة سارة بنت عبدالعزيز، وتحدث عن برنامج الملك عبدالعزيز اليومي، ثم تحدث عن رحلته إلى مكة، ووصف المدينة، وتحدث عن مجلس الشورى، وعن الحج. نشر رحلته في كتاب بعنوان : (في قلب نجد والحجاز) سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م [١].

محمد بن عبدالسلام السائح : (١٣٠٨هـ – ١٣٦٧ هـ/ ١٨٩١م – ١٩٤٨م)

هو محمد بن عبدالسلام بن عبدالرحمن السائح من سلالة أندلسية حلت بالرباط. ولد في مدينة الرباط ١٢ ربيع الأول ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م ، فدرس علوم عصره من فلسفة، وجغرافية، وعلوم بحتة، وفقه، وأصول، وحديث وعلومه. ومن أوائل الأعمال التي شغلها التدريس بالمدرسة اليوسفية بالرباط وبالمعهد العلمي، وعين قاضياً في أكثر من مدينة، ثم تولى قضاء الجماعة بمحكمة الرصف بفاس، فزاول التدريس سنين عديدة في كلية القرويين ، وتخرج في مدرسته المئات من الطلاب، واختير لرئاسة وفد الحجيج المغربي عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، وله واحد وأربعون مصنفاً ما بين كتاب ورسالة ومحاضرة، وقد توفي عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م ، ودفن في مسقط رأسه مدينة الرباط [٢].

---

(١) مصطفى، محمد شفيق، مرجع سابق .

(٢) السائح، محمد. مرجع سابق، ص١٦ - ١٩ .

رحلتـه :

قام برحلته عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م رئيسًا لوفد الحجاج المغاربة من قبل ملك المغرب محمد بن يوسف بن الحسن الذي سلم للسائح رسالة خطية إلى الملك عبدالعزيز مع هدايا عبارة عن مجموعة كتب، ووضع عن رحلته كتاب (لمحة بصر عن البلاد المقدسة) نشر سنة ١٤١٦هـ. وقد انطلق من الرباط مرورًا بدول الشمال الأفريقية، حتى وصوله إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة، حيث أدى مناسك الحج والعمرة، والتقى الملك عبدالعزيز يوم السادس من ذي الحجة فاستقبله خير استقبال، فأبلغه سلام ملك المغرب، وقدم له الرسالة التي أورد نصها في كتابه، كما حضر من الغد حفل غسل الكعبة المشرفة، حيث غسلها الملك عبدالعزيز بنفسه، وحضروا حفل العشاء المقام تلك الليلة، والتقى الملك عبدالعزيز مرة أخرى في قصره بمنى لتهنئته بالعيد، وقد شهد حفل استعراض الجيش السعودي، وأثنى على الأمن وجهود الملك عبدالعزيز في هذا المجال، ولا يغفل الرحالة السائح كغيره من الرحالة المغاربة تبادل الإجازات مع العلماء في الحجاز، ويدون أسماء أولئك العلماء، وإجازاتهم، كما يدون أسعار صرف العملات، ويتوجه إلى المدينة المنورة ومنها يعود إلى جدة لاستقلال السفينة إلى المغرب[1].

محمد كامل حتة : (١٣٣١ – ١٤٠٥هـ/ ١٩١٢ – ١٩٨٥م)

صحفي، وكاتب إسلامي. تربوي . ولد بمدينة إسنا في صعيد مصر تولى عدة مناصب أولها : مديراً لإدارة النشر والإعلام بوزارة التعليم العالي، وخلالها درّس في محافظة قنا ثم انتقل للتدريس بمحافظة أسوان، ثم القاهرة، وكان من الرواد الأوائل الذين أسهموا في إنشاء نقابة المعلمين، وكتب في عدد من المجلات والصحف، كما عمل في عدة صحف أبرزها: صوت الأمة، وصرخة العرب، وأعير للعمل بمؤسسة الطباعة والنشر بالسعودية

(١) المرجع السابق، ص٣٢ – ٣٧ .

بمجلة الرياض، ومعظم مؤلفاته إسلامية، منها: (محمد رسول الله)، و(في ظلال الحرمين)، و(في أرض المعجزات)، و(صور من الحجاز)، و(سياسة الحرب في الإسلام)[1].

رحلاتـه :

قام بعدة رحلات إلى المملكة أولاها عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، وكانت لأداء فريضة الحج، ولم يتح له -كما قال- إلا حظ يسير من الاتصال بجوانب الحياة المختلفة والتعرف إلى المعالم والأعلام، وثانيتها عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م وكان معارًا من الحكومة المصرية للعمل بمؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة، وقضى في المملكة خمسة أشهر، وتنقل في مختلف أنحاء البلاد، ووقف على معالمها القديمة والحديثة، وتعرف إلى شخصياتها البارزة، ورحلته الثالثة عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م حيث كان موفدًا من وزارة التربية والتعليم للإشراف على الرحلة التي نظمتها إدارة الشؤون العامة، وكانت مدتها سبعة أسابيع. وقد نشر رحلته الأولى في كتاب بعنوان : (صور من الحجاز) سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، ثم نشر رحلاته الثلاث في كتاب بعنوان : (في أرض المعجزات) عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م[2].

محمد لطفي جمعة : (١٣٠٣ – ١٣٧٢هـ/ ١٨٨٦ – ١٩٥٣م)

محمد لطفي بن جمعة بن أبي الخير الإسكندري. حقوقي، أديب، كاتب، صحافي، خطيب، مترجم، مؤرخ. ولد ونشأ بالإسكندرية. أتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وألم بلغات أخرى، وأحرز إجازة الحقوق في فرنسا، وسكن القاهرة، فعمل في الصحافة، وافتتح مكتبًا للمحاماة، وانتخب عضوًا بالمجمع العلمي العربي بدمشق[3]. كتب في الصحافة منذ مطلع

(١) رمضان، محمد خير. **تتمة الأعلام**، ج٢ ص١٢٩ - ١٣٠.
(٢) حتة، محمد كامل. **في أرض المعجزات**. ـ القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٣٧٧هـ، ص١٢، ١٣.
(٣) كحالة. **معجم المؤلفين**، ج١١، ص١٦٦، الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٧، ص١٥، ١٦.

شبابه في عدة صحف مثل صحيفة المؤيد، والبلاغ، والرابطة العربية. عاصر تطور الفكر الإنساني خلال أكثر من أربعين عامًا، لم يتخلف فيها عن القراءة والمراجعة والبحث، من مؤلفاته (تاريخ فلاسفة الإسلام)، و(ثورة الإسلام)، و(محاضرات في التاريخ والاقتصاد) [1]، و(ليالي الروح الحائر)، و(تحرير مصر)، و(مسامرات الشعب)، و(الأيام المبرورة في البقاع المقدسة). وقد توفي في القاهرة [2].

رحلته :

قام برحلته إلى الأراضي الحجازية لتأدية فريضة الحج عام ١٣٥٩/١٩٤٠م، ودونها بعنوان : (الأيام المبرورة في البقاع المقدسة) وقد نشرت سنة ١٩٩٨ - ١٩٩٩م. وصف في رحلته مناسك الحج وشعائره منذ الوصول إلى مكة، ثم زيارة المدينة، وسجل انطباعاته وخواطره عند كل بقعة من تلك البقاع، وسجل لقاءاته بالملك عبدالعزيز، ونائبه الأمير فيصل، وتحدث عن الحياة الفكرية والثقافية والأدبية في المملكة في عهد الملك عبدالعزيز [3].

محمود ياسين : (١٣٠٤ – ١٣٦٧هـ / ١٨٨٧ – ١٩٤٨م)

محمود بن أحمد ياسين. فقيه، محدث، مشارك في بعض العلوم. ولد بدمشق ١٣٠٤هـ[4]، وهبه أبوه إلى مسجد التوبة بدمشق، وكان هذا المسجد موئلا للعلم والعلماء والحفاظ والقراء، فحفظ القرآن وجَوّده، ثم أخذ عن مشايخ أجلاء، وعلماء أتقياء، درّس في مساجد دمشق ومدارسها الثانوية ومعهد جمعية العلماء والثانوية الشرعية، وأنشأ مدرسة التهذيب الإسلامي، ووظف في المحاكم الشرعية، وأسهم في تأسيس جمعية النهضة الأدبية،

(١) الجندي، أنور. مرجع سابق، ص٣٣٥ – ٣٤١ .
(٢) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٧، ص١٦، كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**، ج١١، ص١٦٦.
(٣) جمعة، محمد لطفي، مرجع سابق، ص أ – ب – ج.
(٤) كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**، ج١١، ص١٥١ .

وجمعية العلماء، ورابطة العلماء، والهداية الإسلامية، وتولى رئاستها عشرين عامًا .

من آثاره : كتب في الحديث والعربية، ورسالتان في الفقه ورحلتان عن الحجاز، ومختارات من عيون السنة، والآدب، والشعر، واللغة، وغير ذلك .

توفي في الرابع من ذي الحجة ١٣٦٧هـ، ودفن في دمشق [١].

رحلاتـه :

قام برحلتين الأولى في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م لأداء مناسك الحج والعمرة، وقد دون رحلته تلك بعنوان : (رحلة الحج والعمرة) نشرت سنة ١٤٠٧هـ، واهتم فيها بشرح مناسك الحج والعمرة، وبيان أحكامهما وأركانهما وشروطهما، وتعرض فيها لجغرافية البلدان التي مر بها في رحلته، وسجل أحاديث ومناقشات علمية مع كبار المفكرين والعلماء الذين صادفهم، ولقاءه مع الملك عبدالعزيز، وتناول فيها موضوعات عامة: اجتماعية، ونقدية، وأدبية [٢].

ورحلته الثانية كانت في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م لزيارة مسجد الرسول ﷺ بطريق البر، وقد دون رحلته بعنوان: (الرحلة إلى المدينة المنورة)، نشرت سنة ١٤٠٨هـ، وكان يريد أن يلفت نظر كل مسلم إلى أهمية الخط الحديدي الحجازي وضرورة إعادة تسييره لما في ذلك من فوائد اجتماعية، وسياسية..، وتناولت الرحلة جوانب دينية، وتاريخية، وأدبية، وجغرافية، واقتصادية، واجتماعية [٣].

محيى الدين رضا : (... ـ ١٣٩٥هـ / ... ـ ١٩٧٥م)

محيى الدين بن صالح مخلص رضا. مؤرخ، رحالة من الصحفيين. أصله من القلمون بلبنان، ومولده بالقاهرة، وهو ابن أخ الإمام السيد محمد رشيد رضا، وكان يعمل في قسم الأخبار بجريدة المقطم بالقاهرة، وتوفي

(١) ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**.ـ ط١.ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص١٥، ١٨.

(٢) ياسين، محمود. **رحلة الحج والعمرة**.ـ ط١ .ـ بيروت: دار الهجرة، ١٤٠٧هـ، ص٥ .

(٣) ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة المنورة**، ص٧ – ٨ .

بالقاهرة عن نحو ٨٥ عامًا. من آثاره: (رحلتي إلى الحجاز)، و(لمحة من سيرة الملك عبدالعزيز)، و(بلاغة العرب في القرن العشرين)، و(في الحجاز)، و(طويل العمر الملك عبدالعزيز آل سعود)، و(صور ومشاهدات من الحجاز)[1].

رحلاته :

قام بعدة رحلات إلى الحجاز أولها رحلته ضمن وفد الصحافة المصرية عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، ثم تعددت رحلاته لأداء فريضة الحج والاطلاع على مظاهر النهضة في البلاد، فقد أدى فريضة الحج خلال الأعوام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، وعام ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م، و١٣٦٧هـ/ ١٩٤٩م، و١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م وغيرها من الأعوام.

وقد وضع عن رحلاته تلك عدة مؤلفات منها: (رحلتي إلى الحجاز) نشره سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م و(في الحجاز) نشره سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م، و(صور ومشاهدات من الحجاز) نشره سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م واعتنى في مؤلفاته تلك بوصف رحلته منذ مغادرته حتى وصوله، وجهود المملكة في العناية بالمشاعر المقدسة، والمطوفين ونظامهم، ومشاهداته في الحج، ومناسك الحج واستقبالات الملك عبدالعزيز للحجاج وإكرامه للصحافيين ورجال الإعلام، وفي كتابه (صور ومشاهدات من الحجاز) والذي وضعه عن رحلته عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م نجده يعرض أهم الإصلاحات والنهضة التي شملت جميع المجالات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ولم يقتصر إنتاجه على تلك المؤلفات، بل وضع عن رحلاته كتبًا أخرى مثل: (طويل العمر الملك عبدالعزيز آل سعود) نشره سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، تناول فيها حياة الملك عبدالعزيز وسيرته وصفاته وجهاده وسياسته وجهوده في نشر الأمن والاستقرار والنهوض بالبلاد وخدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام، كما نوه بعلاقة المملكة العربية السعودية بمصر،

(١) الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ج٧ ص١٩، كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**، ص٦١٨.

كما تحدث عن أبناء الملك عبدالعزيز وخاصة الذين تقلدوا مناصب مهمة، وغيرهم من رجال الدولة [1].

مصطفى محمد :

رحلتـه :

هي رحلة حج قام بها إلى الديار المقدسة سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م، وقد دونها في كتاب بعنوان : (في المملكة الروحية للعالم الإسلامي: رحلة إلى الأرض المقدسة) ، حيث وصف ما شاهده منذ مغادرته الإسماعيلية حتى عودته إلى بلاده مصر. وقد وصف الأماكن المقدسة في مكة والمدينة وتحدث عن الطواف والمطوفين، وعن ماء زمزم والمسعى، وتحدث عن التكية المصرية، ووصف الحياة الاجتماعية في جدة والمياه فيها كما أثنى على النواحي الأمنية في عهد الملك عبدالعزيز[2].

---

(١) رضا، محيي الدين. **صور ومشاهدات من الحجاز** .ـ القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

ـ **رحلتي إلى الحجاز** (القاهرة: مطبعة المنار، د.ت) .

ـ **في الحجاز** (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٨هـ) .

ـ **طويل العمر الملك عبدالعزيز آل سعود** .ـ القاهرة: المؤلف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

(٢) محمد، مصطفى. **في المملكة الروحية للعالم الإسلامي** .ـ القاهرة: مطبعة المدينة المنورة، د.ت .

الفصل الثاني

شخصية الملك عبدالعزيز وسياسته

من خلال الرحلات العربية

- أولاً : شخصية الملك عبدالعزيز
- ثانياً : سياسته الداخلية :
- ثالثاً : سياسته الخارجية :

أولاً ـ شخصية الملك عبدالعزيز :

أتيح لعدد من الرحالة فرصة لقاء الملك عبدالعزيز فكان وصفهم له عن مشاهدة شخصية، وكان من الواضح من خلال ما دونه عدد منهم تلهف هؤلاء للقائه، ويفصح هذا غالبًا عن نظرة العرب والمسلمين عامة للملك عبدالعزيز حيث كانت نظرة ملؤها التقدير والإكبار لشخصية الملك عبدالعزيز الذي تحققت على يديه وحدة البلاد، وبذل جهده في توفير الأمن والاستقرار .

وكان لقاء عدد من الرحالة بالملك عبدالعزيز في مواسم الحج من خلال المآدب السنوية التي كان يقيمها تكريمًا لرؤساء وفود الحج وكبار الحجاج وأعيانهم، ومع أن هذا اللقاء كان عاماً إلا أن من حضره من الرحالة عبروا عن إعجابهم بالملك عبدالعزيز واستطاعوا تبين عدد من صفاته، منها تواضعه وبشاشته وكرمه مع ضيوفه، كما استطاعوا من خلال تلك المآدب السنوية التي كان يقيمها تكريمًا لأولئك الأعيان ورؤساء الوفود، كما استطاعوا من خلال خطبه التي يلقيها في تلك المناسبة أن يطلعوا على أسلوبه في الحديث وفصاحته وبيانه، وتعرفوا على فكره وثقافته التي اتسمت بالصبغة الإسلامية ودلت على مدى تمسكه بدينه وعقيدته، فقد كان يحث المسلمين على التمسك بدينهم وتطبيق الشريعة الإسلامية والتناصح فيما بينهم إذ كان يؤمن بأن صلاح أحوال المسلمين في التمسك بدينهم، ويلقي عليهم كثيراً من الحكم والمواعظ ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كما سيتضح لنا . وأولى الملك عبدالعزيز اهتمامًا بالغًا بهذه اللقاءات على اعتبار أنها مؤتمرات إسلامية، حيث يجتمع الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية، وينتهز هذه الفرصة ليعرض في هذه اللقاءات أهم القضايا التي تهم المسلمين، كما قد يتعمد إثارة بعض القضايا المتعلقة بسياسة بلاده الداخلية أو الخارجية لكشف ملابسات الأحداث، من أمثلة ذلك ما حدث في موسم حج عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، حيث استعرض الملك عبدالعزيز العلاقات السعودية

اليمنية، وكانت قد بلغت ذلك العام قمة التوتر، فبيّن جهوده التي بذلها من أجل الصلح بين البلدين والأسباب التي أدت إلى المواجهة العسكرية، كما سيتضح لنا. وقد دون أحمد الهواري نص ذلك الخطاب وأثبته في رحلته ذلك العام[1]. ولا شك أن الملك عبدالعزيز بإلقائه الضوء على قضايا بلاده كان يدرك ما لهؤلاء من دور إعلامي، فوفود الحج تحوي كثيراً من رجال السياسة والمفكرين والكتاب والإعلاميين وغيرهم، واطلاعهم على تلك القضايا وتطورات الأحداث يزيل اللبس ويظهر الحقيقة ويدعم موقف المملكة أمام العالمين العربي والإسلامي.

وقد عرضنا للمآدب الملكية في موسم الحج؛ لأن عددًا من الرحالة التقوا به من خلال هذه المآدب الرسمية ومنهم أحمد الهواري، وأحمد الرهوني، وعباس حمادة، ومحمد لطفي جمعة، وإبراهيم حبيب، ومحمد حمدي، ومحيى الدين رضا الذي تكررت رحلاته للمملكة العربية السعودية، وتكررت لقاءاته بالملك عبدالعزيز فرصد كثيراً من صفاته.

والتقى عدد من الرحالة بالملك عبدالعزيز خارج المآدب الرسمية لوفود الحج، وكان يجتمع ببعضهم على انفراد أو ضمن مجموعة من الحضور أو مرافقي الرحالة، وتنوع الحوار بين هؤلاء والملك عبدالعزيز، وتمثل في الأحاديث العامة التي تدور حول موضوعات شتى وتعرض فيها الملك عبدالعزيز عادة إلى احتياجات البلاد وآمالها وتطلعاتها وما تم إنجازه في سبيل النهوض والرقي بالبلاد.

ومن الرحالة من حظي بلقاء واحد، ومنهم من تكررت لقاءاته معه، ومن الذين تعددت لقاءاتهم بالملك عبدالعزيز محمد هيكل وكانت رحلته عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، حيث لقيه ضمن وفود الحج ثم لقيه على انفراد واستمر الحوار بينهما لمدة ساعة، وقد رصد محمد هيكل جوانب من هذا الحوار

---

(١) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٥٠ – ١٥١.

وخاصة ما يتعلق بالعلاقات السعودية المصرية [1] ، كما تعددت لقاءات أحمد حسين بالملك عبدالعزيز ، حيث لقيه في موسم الحج عدة مرات، وأثنى على صفاته وما لمسه منه من لطف وبشاشة وحفاوة وإكرام، كما لاحظ اهتمامه البالغ بالمشروعات الاقتصادية التي تحقق للبلاد نهضتها ورقيها [2] .

وأثناء رحلات عبدالوهاب عزام في أنحاء المملكة العربية السعودية، أتيح له فرصة لقاء الملك عبدالعزيز عدة مرات، وقد قدم العقاد في رحلته إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م ضمن وفد رسمي لمرافقة الملك عبدالعزيز في زيارته لمصر، وعلى ظهر السفينة اطلع العقاد على مظاهر حياة الملك عبدالعزيز اليومية فتعرف على كثير من عاداته وجوانب شخصيته وصفاته .

وقد تعددت لقاءات أمين الريحاني مع الملك عبدالعزيز حيث أقام في الرياض مدة من الزمن ووصف إقامته تلك بقوله: (في الستة أسابيع التي أقمتها في الرياض كان السلطان [*] يزورني في منزلي كل ليلة فنتباحث في مواضيع شتى، نجدية وعربية وعامة، وهو دائمًا في حديثه فصيح صريح...)[3] .

كما أتاح انخراط محمد التميمي في خدمة الملك عبدالعزيز لفترة من الزمن تشرفه بلقائه عدة مرات ومعرفته عن قرب، فكان وصفه له عن معرفة وصلة وثيقة: (وهكذا كلما مرت الأيام وتعددت المقابلات وازداد الاتصال كان حب عبدالعزيز يتمكن من قلبي، وكلما اطلعت على سيرته ووقفت على حقيقته كان يأخذ علي كل تفكيري ولبي) [4] .

---

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٥٧ – ١٦٤ .
(٢) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٠٠، ص٣٤٥ .
(*) السلطان هو الملك عبدالعزيز، إذ كان يسمى سلطان نجد والحجاز وملحقاتها، قبل إعلان المملكة.
(٣) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٨٥ .
(٤) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٦ .

وكان لهذه اللقاءات أثرها البارز،حيث حفلت الرحلات العربية بالكثير من المعلومات عن الملك عبدالعزيز والتي تركزت في الغالب على شخصيته والعوامل التي أهلته لحكم البلاد والتي من أبرزها صفاته الخَلقية والخُلقية وسياسته الداخلية والخارجية .

صفاته الجسدية :

اتصف الملك عبدالعزيز بكثير من الصفات الجسمانية ، فهو طويل القامة، ضخم الجثة ، عريض المنكبين، متناسق الأعضاء، مفتول الساعد، قوي البنية، شديد العصب، صحيح الجسم[1] ، مهيب الطلعة، حاد النظرة، أسود الشعر، ذو وجه مستدير لوحته الشمس، وله لحية خفيفة مستديرة، وشارب يقضبه على السنة، وعيناه عسليتان، ووجهه معبر يجمع القوة والحزم والصلابة إلى الدعة والهدوء ورقة الحاشية[2]، طيب العشرة رحب الصدر هادئ المزاج، يجذب جلساءه بعذب حديثه، وأغلب من التقوا به وصفوه بالبشاشة، وأن بشاشته تجذب زواره وتشعرهم بالراحة والألفة[3] .

ويصف الريحاني قوة بدنه وشدة تحمله حين لقيه في الصحراء ورافقه على ظهور الإبل : ((والسلطان عبدالعزيز أبكر المبكرين دائمًا وأعجلهم تأهبًا للرحيل.. هو نظام عسكري يتمشى عليه، ولا بدع فالرجل قوي البنية، شديد العصب، يكفيه من النوم ساعتان، ثم ربع ساعة للرحيل...)) [4].

ودهش العقاد لقوة بنيته، وصحة جسمه، حتى بعد تقدمه في السن: ((وأول ما يدهشك من منظره قوة النفس والعقل والحس على السواء. وهو الآن

---

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٣٣. هيكل، محمد. مرجع سابق ص١٥٠. حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٥٧ ؛ وليمز، كنث . **ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز**؛ تعريب كامل صموئيل مسيحة. ـ بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ص١٠.

Shah, The Sayed Idries, Destination Mecca, First Published, London, 1957. Rider. P 111

(٢) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٧، حمدي، محمد. مرجع سابق ص١٥٧ – ١٥٨.

(٣) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٢١ – ٢٢، الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٢..

(٤) الريحاني أمين . **ملوك العرب** ، ج٢ ، ص ٥٢٦.

يناهز السابعة والستين، ويحتفظ بجميع أسنانه كما يحتفظ بقوة عضلية لا تتوافر لكثيرين في سن العشرين أو الثلاثين))[1] ، ومما يؤكد قوة بدنه ما ذكره أحد كبار حاشيته، أنه أثناء رحلته إلى مصر، ورغم تقدم سنه، لم يشعر في تلك الرحلة بأية مشقة [2] .

والإصابات في جسده كثيرة نتيجة معاركه، وهذه الإصابات والجروح لا يتحملها إلا أشداء الرجال، وآثار تلك الإصابات بادية واضحة للعيان منها؛ شلل في أحد أصابعه نتيجة إصابته برصاصة [3] .

وربما يكون لنظامه الغذائي دوره في قوة بدنه وصحته، فهو منذ صباه لا يميل إلى الإكثار من ألوان الأطعمة، ولا يحب الطعام الدسم ولا الحلوى، وغالب طعامه اليومي التمر واللبن، والأرز، واللحم، وقليلاً ما يتعدى هذه الأصناف إلى غيرها، كما كان يحرص على شرب لبن النياق حليبًا كان أو مخيضًا[4].

كما أنه يسير في حياته اليومية على نظام دقيق، فمواعيده الغذائية منتظمة، فهو يبكر بالإفطار، ويكون غداؤه في الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وعشاؤه في الساعة السادسة مساءً، وكذا مواعيده في نومه ويقظته فقد كانت منتظمة في جميع المواسم والأوقات [5].

صفاته الخُلقية :

تدينه وورعه :

ليس مستغربًا ما اتصف به الملك عبدالعزيز من تمسكه بالدين الإسلامي في شخصه أولاً، ثم في تطبيقه الشريعة الإسلامية في أنحاء البلاد

(١) العقاد ، عباس . مرجع سابق ، ص ٥١ ٥٢٦.
(٢) رضا ، محيي الدين. **طويل العمر**، ص ٥٤ .
(٣) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٧ .
(٤) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢١٩. العقاد ، عباس. مرجع سابق، ص٥١. رضا ، محيى الدين. **طويل العمر**، ص٥٥ .
(٥) العقاد ، عباس. مرجع سابق، ص٥٢ .

كافة بحزم ودون محاباة، فالدولة السعودية قامت منذ تأسيسها على يد الإمام محمد بن سعود على أساس قوي ومتين من الدين والعقيدة، وقد سار الملك عبدالعزيز على نهج أسلافه في حرصه على دينه وعقيدته[1]، يقول عن ذلك: « لقد عمل آبائي منذ عشرات السنين ليقروا التوحيد الصحيح، وحكم الكتاب الكريم في هذه الربوع التي انبعث منها نور التوحيد، فرأيت هذه الدعوة خير ما أقوم به، وما أقيم على أساسه جهادي » [2].

إن تربية الملك عبدالعزيز، والتعليم الشرعي الذي تلقاه في طفولته كان لهما الأثر الواضح في حياته وسلوكه، لقد امتلأت نفسه بالتدين والأسوة الحسنة، وضم إلى ذلك إرادة قوية واعتمادًا على النفس بعد اعتماده على ربه، إضافة إلى تنزه نفسه عن اتباع الهوى، وتعلقها بالله عز وجل، كما أخلص النية والعمل [3].

واتضح تدينه في نواحٍ كثيرة في حياته، فهو يواظب على أداء الصلوات الخمس مع الجماعة في سفره وإقامته، ولا يترك مكانه في المسجد عقب الصلاة إلا بعد أن يردد الأذكار، ويدعو الله – تعالى - بما شاء، ويقرأ الأوراد التي صحت نسبتها إلى النبي ﷺ ، وعن جلوسه بعد الصلاة يقول التميمي: « وبقيت جالسًا مكاني خلفه بينما انصرف جميع المصلين، فسمعته يردّد دعاء اللهم أجرنا من النار) [4].

---

(١) قامت الدولة السعودية الأولى بناءً على المبايعة التاريخية في الدرعية بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث تبايعا على الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والجهل والبدع والخرافات والجهاد في سبيل الله حتى يعود الناس إلى الدين الصحيح، ابن بشر، عثمان بن عبدالله. **عنوان المجد في تاريخ نجد**. ـ ط١ . ـ الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩١هـ، ج١، ص٢٤ ، ٢٥ .

(٢) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٥٧ .

(٣) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٢٧ .

(٤) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٩٥

وفي أثناء تناول المؤرخين والرحالة لنظام حياته اليومي، أكدوا استيقاظه قبل صلاة الفجر، وقراءته للقرآن الكريم يوميًا حتى يؤدي صلاة الفجر، ثم يقرأ في كتاب الله حتى طلوع الشمس، وهذه القراءة لكتاب الله تتكرر يوميًا في ذلك الوقت، ولا تقتصر قراءته للقرآن الكريم على ذلك الوقت بالذات، بل يقرأ كتاب الله متى اتيحت له الفرصة، ويستغل فراغه في ذلك، فحين كان على ظهر المدمرة الأمريكية كان يقضي كثيراً من وقته في تلاوة القرآن الكريم [1]، ويكثر من الدعاء ويكرر قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [2] ، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [3] .

ومن الأمثلة على حرص الملك عبدالعزيز على أداء الصلاة في وقتها أنه حين وصوله إلى مقر إقامته في القاهرة. في أثناء زيارته لمصر، وعلى الرغم من مشقة الرحلة لم ينم حتى لا تفوته صلاة الفجر، وكان وصوله في الهزيع الأخير من الليل، وظل مستيقظًا يقرأ القرآن تارة، ويصلي تارة أخرى حتى أذن المؤذن، وصلى الفجر ثم عاد لقراءة ما تيسر من القرآن الكريم [4] .

وكان دائمًا يؤكد أن جهاده وكفاحه كان لإعلاء كلمة التوحيد، والقضاء على البدع والشركيات، ونشر الأمن، وتحكيم الشريعة. وحين خروجه من الرياض إلى مكة قال لمودعيه: ((إني مسافر إلى مكة، لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم عنها ... إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع))[5].

(١) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٥٤ — ٥٥ .
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠ .
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥ .
(٤) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٥٦ .
(٥) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٣٣٥ .

ومع نجاحه في جهاده وكفاحه إلا أنه دائم الشكر لله، لا ينسب شيئًا لنفسه، فحين أثنى هيكل على ما شاهده في الحرمين من أمن وإصلاحات ومشروعات رد الملك عبدالعزيز بقوله: ((نحن لا فضل لنا في شيء من هذا وإنما الفضل كله لله))[1].

وبعد ضمه للحجاز كان يحج كل عام تقريبًا، ويشرف بنفسه على شؤون الحج والحجاج، ويستقبل وفود الحج من أنحاء العالم الإسلامي، ويسمع آراءهم ومقترحاتهم لتحسين أوضاع الحرمين والمشاعر المقدسة، ويلقي عليهم خطبًا ومواعظ تحمل النصح للمسلمين بضرورة التمسك بالدين الإسلامي، وأهمية الوحدة بين المسلمين، كما يقوم في اليوم السابع من ذي الحجة بغسل الكعبة بنفسه بماء زمزم ممزوجًا بماء وعطر الورد [2].

وكان يكثر في أحاديثه وخطبه من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مواضعها، كما تدور أحاديثه حول الذكريات التاريخية والمواعظ الدينية[3]، ويؤكد دائمًا على أهمية التمسك بالدين الإسلامي، والحفاظ عليه: ((حنا أهل نجد نبغي المحافظة قبل كل شيء على أمرين: ديننا، وشرفنا))[4]. ولا شك أنه كان يشعر بالمسؤولية تجاه رعيته وتجاه المسلمين عامة، فهو دائم النصح للمسلمين ويدعوهم إلى الوحدة والتآلف ونبذ الفرقة والعودة إلى الدين الصحيح، وأن ما أصاب المسلمين من انحلال وفرقة إنما هو لعدم اتباعهم القواعد الصحيحة في الدين الإسلامي، سواء القواعد الخُلقية أو العقيدة الصحيحة أو عدم الاهتداء بهدي القرآن الكريم[5]، بل

(١) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٥٧ .

(٢) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٦. هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٥٤، فيلبي، عبدالله. **حاج في الجزيرة العربية**، ترجمة عبدالقادر عبدالله.ـ ط١ .ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٢ - ٢٤ .

(٣) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٣ . جمعة، محمد . مرجع سابق، ص٩٧ — ٩٨.

(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، جـ٢، ص٥٢٤ .

(٥) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٣ .

وأنه يؤكد في خطبه على واجب النصح (والواجب يقضي علينا أن نشكر نعم الله، ونقوم بالنصح لله ورسوله ولعامة المسلمين)، وبناءً على ذلك لا يخلو مجلس من مجالسه من النصح للمسلمين عامة[1]، وكثيرًا ما يردد قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3] ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[4].

ومع نصحه للمسلمين وحثه لهم على العودة إلى الدين الصحيح، وكان دائم الدعاء لهم في أدبار صلواته وفي ختام خطبه وفي جميع أوقاته . يقول محمد السلاح: ((وسمعت من جلالته كلمة لا أنساها ما حييت: اللهم وفق المسلمين وارفع كلمتهم وأيد دينهم إنك على كل شيء قدير)) [5] . كما يختم خُطبه بالدعاء للمسلمين: ((وأسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين والعرب ويوفقهم لما فيه الخير، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، آمين)) [6] .

كما سرد الرحالة أمثلة لورعه وخوفه من الله،من ذلك ما ذكره محمد حمدي: ((وفيما كنت منهمكًا في التقاط بعض الصور خلسة إذا بي أسمع همهمة غير عادية، والتفت فإذا جلالة الملك قد أمر بإيقاف الخطابة مؤقتًا .. لقد أبى جلالة الملك أن يشبهه الشاعر (بأحمد) ﷺ وهكذا أبى ذلك الملك العظيم إلا أن يحفظ للرسول الكريم مقامه، ولو كان في ذلك ما يفسد نظامًا وضع لاستقبال أو تشريفات أو غير ذلك))[7] .

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٣٧ . جمعة، محمد . مرجع سابق، ص١٠٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١ .

(٣) سورة محمد، الآية: ٧ .

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٩ .

(٥) السلاح، محمد . **وثبة الديار الحجازية** ، ص٦٧ .

(٦) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٣٧ – ١٣٨. جمعة، محمد لطفي. مرجع سابق، ص٩٧.

(٧) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٥٦ – ١٥٧ ، كما يرفض أن ينحني له أي إنسان لتحيته ويأمره بأن لا ينحني لبشر .

Shah, (S), O P, Cit, p. 111

ومن أمثلة تدينه وورعه احترامه للعلماء وإكباره لهم حيث كان لهم المقام الأول عنده يقدمهم في مجالسه على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه، فيجلس العلماء في أقرب مجلس إليه، وكان عالم نجد في زمانه ابن بليهد، يجلس قرب الملك مباشرة عن يساره أو يمينه[1]، ويتواضع للعلماء، ويصغي إلى آرائهم، ويبالغ في إكرامهم، ويستشيرهم في كل كبيرة وصغيرة، وقد خصص يومًا من أيام الأسبوع للقاء العلماء هو يوم الخميس[2]، ويتخذ أسلوب اللين والمداراة في إقناع المشايخ والعلماء بالأخذ بالمخترعات الحديثة التي فيها نفع للبلاد وليس فيها مخالفة للشرع [3].

كما يتقبل النصح من العلماء، ويقف عند رأيهم من ذلك أنه في عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م احتفل بيوم جلوس الملك عبدالعزيز، ونظم الاحتفال بمدينة جدة وحضره ممثلو الدول ، وعدد كبير من وجهاء وأعيان البلاد العربية والإسلامية، ولكن العلماء اعترضوا على ذلك لمخالفته للسنة، فنزل الملك عبدالعزيز على رأيهم ولم تحتفل به البلاد بعد ذلك؛ لأنه لا يهتم بما يتعلق بشخصه من احتفالات خاصة إذا كانت مخالفة للشرع [4].

ومن ذلك أيضًا حين قدم الملك عبدالعزيز إلى الحج عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م رفعت الأعلام على النوافذ والأبواب، ونصبت أقواس النصر في كل حي من الأحياء، وحين علم باعتراض عدد من العلماء والحجاج على ذلك، منعت الزينات فيما بعد، ولم تقم في السنوات التالية، وهكذا كان الملك عبدالعزيز ينزل عند نصح الناصحين من علماء وغيرهم [5].

---

(١) رضا، محيي الدين . **رحلتي إلى الحجاز**، ص١٨

(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٠٢ .

(٣) حسين أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب** ، ص ٩٨.

(٤) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٩٧. رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٣١ . وليمز، كنث. مرجع سابق، ص١٠.

(٥) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٦ ،٩٧ .

كما لم يسمح الملك عبدالعزيز بإقامة الأعياد والاحتفال بها عدا عيدي الفطر والأضحى، كما لا تقام الأعياد التي لها صبغة سياسية؛ كعيد الجلوس وعيد الاستقلال، ولا الأعياد التي أعطيت في بعض الدول الإسلامية صبغة دينية؛ كعيد المولد النبوي، أو عيد رأس السنة الهجرية [١].

ومع احترامه للعلماء كان حريصًا هو بنفسه على طلب العلم، وخاصة العلم الشرعي، فقد خصص أوقاتًا محددة في اليوم والليلة لتلقي العلم، فبعد صلاة العصر يستمع إلى تفسير القرآن الكريم من أحد العلماء، وبعد صلاة العشاء يستمع مرة أخرى إلى فصول من تفسير القرآن والحديث والسيرة والتاريخ والأدب [٢]. ولم يقصر طلب العلم على نفسه ، بل كان حريصًا على نشر العلم وتوعية المسلمين عامة بأمور دينهم ونشر العقيدة الصحيحة، من مظاهر ذلك طباعته لكثير من الكتب القيمة في التفسير، والحديث، والفقه والشريعة، والتاريخ، والفتاوى، والرسائل على نفقته الخاصة؛ وكان يهدي إلى الرحالة وغيرهم عددًا وفيرًا من هذه المطبوعات [٣] ، وقد استعان بها أحمد حسين في أبحاثه: « وإذا كنت - بعون من الله - أشتغل الآن بتفسير القرآن فبفضل من هذه الكتب الإسلامية الثمينة التي وهبني إياها، فكانت هي النواة التي بنيت عليها مكتبتي))[٤] .

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٧ ، ٩٨ .

(٢) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٥٦. رضا، محيى الدين . **رحلتي إلى الحجاز**، ص١٨ .

(٣) جمعة، محمد لطفي . مرجع سابق، ص٢٤٦ – ٢٤٧، وقد ذكر أسماء الكتب التي أهديت إليه منها: تفسير ابن كثير والبغوي، والمغني والشرح الكبير لابن قدامة، والصواعق المرسلة وروضة المحبين لابن قيم الجوزية، وطبقات الحنابلة والدرر السنية، ومجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية والآداب الشرعية لمحمد الحنبلي، وكتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل، وخطب الإمام محمد بن عبدالوهاب .

(٤) حسين، أحمد . **ووالد وما ولد**.ـ بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٤م ، ص٧٢ .

ومن مظاهر تدينه: التفكر والتدبر في مخلوقات الله، وما سخر لعباده[1] ، ففي رحلته البحرية على ظهر المدمرة الأمريكية كان كثيرًا ما يردد قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] . وحين رؤيته لبعض الآثار المصرية، كان رجال الآثار يشرحون له تاريخها وأجزاءها، والهدف من بنائها في عهد الفراعنة، فكان يقابل ذلك ببعض الآيات من القرآن الكريم [3] منها قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[4].

وعلى الرغم من كثرة الأعباء الملقاة على عاتقه، إلا أن ذلك لم يمنعه من البر بوالده، يزوره يوميًا في حياته، ويحرص على زيارة قبره بعد مماته، يصل رحمه وخاصة إخوته وأخواته، ويغدق عليهم بكرمه، وهو دائم الزيارة لأخته الكبرى، وكان يتلطف إليها، ويشعرها بمكانتها عنده ؛ لأنها أكبر منه، يسمع مشورتها، ويتحدث إليها في الهاتف للاطمئنان عليها [5]، كما يؤدي حق أهله وأولاده، حيث يحرص على الاجتماع بهم يوميًا في أوقات خاصة. ومع كثرة أبنائه إلا أنه كان مطلعًا على شؤونهم، محبًا لهم، عطوفًا عليهم، يداعب الصغار ويلاعبهم ولا يطيق فراقهم ، بل يحبهم حبًا جمًا، ويؤاخي الكبار منهم، ويدربهم بإسناد مهام الأمور إليهم[6]. ويصف العقاد ما شاهده من سلوك الملك عبدالعزيز مع أبنائه: ((وعلى قدر توقيره وحنانه

(١) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٥٤.
(٢) سورة الجاثية، الآيتان: ١٢ – ١٣.
(٣) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٥٦.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٥) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٦٤.
(٦) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٩٦.

لذكرى والده ـ رحمه الله ـ رأينا آيات العطف والمحبة على ملامح وجهه كلما نظر إلى أصحاب السمو أبنائه النجباء، وهو يسميهم (ربعه)، ويحب أن يراهم أمامه على مائدة الطعام. فهو ابن بار كريم، وأب عطوف كريم، ولبناته أيضًا نصيب من عطفه فكان يزور بناته في بيوتهن، ويحمل لهن الهدايا ليدخل السرور على نفوسهن))[1] .

كما كان يحسن إلى زوجاته، فقد شهد أحد الرحالة مظهرًا من مظاهر ذلك في أثناء موسم الحج، فقد ذكر أنه يأتي مع الملك عبدالعزيز بعض من نسائه لحج بيت الله الحرام كل عام يحج فيه، وقد جعل لهن سيارات خاصة فاخرة شاهدها في جميع مناسك الحج[2].

عدله وإنصافه :

إن أعظم مثال على عدل الملك عبدالعزيز وإنصافه تطبيقه للشريعة الإسلامية في حكم البلاد، وإقامته لحدود الله، والحزم في ذلك، مما أدى إلى القضاء على الفوضى والاضطراب ونشر الأمن والاستقرار في أنحاء البلاد، وهو الأمن الذي كان مضربًا للمثل وأثنى عليه القاصي والداني.

((وما عدل ابن سعود غير الشرع)). هذا ما شهده الريحاني، وأضاف: « أما أحكام الشرع فمعروفة، إلا أنها تنفذ في نجد بلا تردد ولا محاباة ولا مرافعات.. حكم ابن سعود لا يعرف في سبيل العدل كبيرًا أو غنيًا، كل الأعمال الأثيمة عند الحاكم سواء، وكل الرؤوس سواء عند السياف)) [3].

١ – وعدل الملك عبدالعزيز شمل أنحاء البلاد، وشواهد عدله التي رواها الرحالة كثيرة، وأبرزها أنه كان يدعو رعيته ، بل يحثهم أن يبلغوه بكل شكاية أو مظلمة تقع عليهم، صغيرة كانت أم كبيرة، حتى لو كانت

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٦، ص٦٤ .

(٢) الهواري، أحمد . مرجع سابق، ص١٧٨.

(٣) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٦ ، ٥٥٧ .

الشكاية ضده أو ضد أحد أبنائه. ذكر العقاد أنه أصدر بيانًا إلى رعيته: «وعلى كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلمًا وقع عليه أن يتقدم إلينا بالشكوى... وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا .... وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه مهما كانت قيمتها، أو حاول التأثير عليه ليخفف لهجتها، إننا سنوقع عليه العقاب الشديد» [1]. ويحذر الملك عبدالعزيز موظفيه دائمًا من مغبة الظلم، أو أخذ شيء من الرعية بغير حق . وقد شهد محمود ياسين مثلاً على ذلك فدونه في رحلته: « ولدى حكومة العلا أمر من جلالة الملك بأنه لا يجوز أخذ غير الزكاة، ومن ظلم فيها من الموظفين فحسابه على الله تعالى، وإن ظهر أمره كان عقابه أليمًا مهينا)) [2].

٢ – إن عدل الملك عبدالعزيز نابع من ورعه وخوفه من الله تعالى؛ يؤكد ذلك قوله: ((لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم، ولا أريد أن يحمّلني الله وزر ظلم أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد)) [3] .

ومنذ دخوله الرياض وحتى وفاته لم يغير عادته، فهو يجلس لرعيته جزء من يومه ولا يرد عن بابه أحد، وباستطاعة أي فرد من رعيته أن يدخل عليه ما دام جالسًا، وقد فتح بابه لكل مظلوم، وأصغى لكل شاك مهضوم، حتى إن برقية يرسلها إليه أقل الناس شأنًا تكفي لإثارة اهتمامه، فيصدر أوامره إلى الجهات المختصة للنظر في الشكوى، وإعادة الحق إلى نصابه [4].

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٦٥ ، ٦٦ .

(٢) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة المنورة**، ص٨٦ .

(٣) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٦٥ ،٦٦ .

(٤) حسين، أحمد . **ووالد وما ولد**، ص٧٢، التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٥، انظر أمثلة لعدله: **صحيفة أم القرى**، العدد ٩٧، في ١٥/٤/ ١٣٤٥هـ، ص١ .

وهو يخرج في موكب كانوا يطلقون عليه هناك (موكب الرحمة)، ويقف الموكب لكل صاحب حاجة. وفي إحدى المرات صاح أحد البدو بعد أن اقترب من الموكب قائلاً: يا عبدالعزيز، مظلوم. فأمر الملك سائقه بالوقوف، فهو يكره أن يكون بين رعيته مظلوم ... فأدنى الرجل وقضى حاجته ثم مضى في طريقه [1].

٣ – وكان حريصًا على تطبيق العدل والإنصاف حتى من نفسه، أحضر أمامه رجل ليجيب عن ذنب اقترفه، فقال بعد أن سمع قصته: ((الحق عليّ لأني لم أحذرك، فلا أقاصك هذه المرة)) [2]، بل إنه ينصف حتى خصومه، فيذكر محاسنهم ومساوئهم، ذكر خصمه ابن الرشيد أنه كان شجاعًا ومقدامًا ولكن: ((ما عنده رأي، ويعيبه البخل)) [3].

وفي معسكرات الملك عبدالعزيز في البادية كان يحمل ناظورًا كبيرًا يشرف به على شؤون معسكره، فهو دائم المراقبة لحركات رجاله وخدامه وما يدور في معسكره، ويفسر الملك عبدالعزيز ذلك بقوله: ((العبد والأمير عيننا على الاثنين حتى ننصف دائمًا الاثنين ونعدل بينهما)) [4]. وكان ذلك في معسكره في العقير. وشهد الريحاني مثالاً حيًا على عدل الملك عبدالعزيز في ذلك المعسكر فقد كانوا بحاجة إلى الكثير من الحطب الذي يأتي به البدو ويبيعونه لرؤساء الخدم بأثمان مرتفعة، وحين جاء أحد هؤلاء الحطابين بأربعة جمال محملة بالحطب طلب لها أضعاف ثمنها، فساومه قيم السلطان إلا أنه رفض البيع بسعر أقل، وغادر المكان بأحماله، وسمع الريحاني قيم السلطان يقول بغضب: «لولا الشيوخ –والله – لأدبته)). فوجود الملك عبدالعزيز في ذلك

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٦٥ .

(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢ ص٥٣٤ .

(٣) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٦ .

(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٣٦ .

المعسكر واتصافه بالعدل والإنصاف منع قيم السلطان من أن يتعرض لذلك الحطاب، أو أن يجبره على البيع. وقارن الريحاني بين ذلك الحطاب في معسكر الملك عبدالعزيز والحرية المتاحة له، وبين لو كان في معسكر تركي أو أوربي حيث يجبر على البيع بأبخس ثمن، وأثنى الريحاني على ذلك بقوله: ((حق البدو يعطى لهم، وحقهم أن يبيعوا ما يملكون بما يشاؤون ويستطيعون، أما حق ابن سعود فيؤخذ منهم بالعدل)) [1].

٤ – وكان ينصف رعيته حتى من أبنائه، وضرب العقاد لذلك مثالاً: أن أحد الأمراء من أبناء الملك عبدالعزيز بنى قصرًا فجار البناء على جزء من أرض مجاورة، وسمع الملك عبدالعزيز شكوى الرجل صاحب الأرض، فاستدعى ابنه وسأله فبين أن الحادثة جاءت دون قصد، وأن المقاول وعمال البناء هم الذين جاروا على ذلك الجزء، فخير الملك الرجل بين هدم عمارة الأمير حتى يسترد أرضه، أو يعوض تعويضًا مناسبًا من مال الأمير، فقبل الرجل التعويض والثمن، وتنازل عن ذلك الجزء [2].

٥ – وامتد عدله ليشمل الحيوان، فالمنظار الذي يستخدمه لمراقبة معسكره كما أسلفنا استفاد منه حتى في إنصاف الإبل، فقد كان الريحاني جالسًا مع الملك عبدالعزيز وهو يراقب بمنظاره قافلة أناخت عند خيمة المؤونة، فسأل الملك عبدالعزيز قيمها سؤالاً بخصوص أحد الجمال فقال القيم: هو حرون يا طويل العمر. فأشار عليه بتركه مع الإبل وألا يرجع به معه، ثم استأنف حديثه مع الريحاني: « العدل عندنا يبدأ بالبل (الإبل) ومن لا ينصف بعيره - يا حضرة الأستاذ - لا ينصف الناس)) [3].

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٥٥٧ – ٥٥٨ .

(٢) العقاد ، عباس. مرجع سابق، ص٦٤ – ٦٥ .

(٣) الريحاني، أمين . ملوك العرب، ج٢ ص٥٣٦ .

٦ – ومن شواهد عدله أنه لا يسمع الوشايات ولا يلقي لها بالاً، وخاصة عن موظفيه ومن عملوا في خدمته[١]، ويستشهد التميمي بواقعة حدثت له شخصيًا، حيث عمل فترة من الزمن في خدمة الملك عبدالعزيز، وعلم التميمي أن هناك وشايات ضده فصارح الملك عبدالعزيز وتساءل هل في نفسه شيء عليه نتيجة تلك الوشايات، فكان رد الملك: « لا، أبدًا، وأنا أُعلّمك يا تميمي أني لا آخذ إنسانًا بذنب إلا بعد أن أنبهه أولاً وثانيًا، ولا آخذه إلا في الثالثة، ولكن ما وجدت عليك شيئًا يستحق حتى التنبيه »[٢].

وقد أسلفنا ما يؤكد هذا في مسلكه، حين أحضر إليه رجل ليجيب عن ذنب اقترفه فلم يقاصه الملك عبدالعزيز لأنه لم ينبهه أو يحذره من ذلك التصرف[٣].

وهو في موقفه هذا يضرب مثالاً يحتذى في العدل والإنصاف، فهو ينبه المذنب أكثر من مرة قبل عقابه وتكرار التنبيه ليرتدع المذنب قبل أن يقع عليه العقاب، وحتى تبرأ ذمته منه، ثم يستأنف حديثه مع التميمي: « ولكني ما وجدت عليك شيئًا يستحق حتى التنبيه، وأنا أعرف أنه كثيرًا ما يحدث مثل هذه الأمور بين رجال الدولة »[٤]. وهذه المقولة تنم عن وعي وإدراك الملك عبدالعزيز لما يدور بين موظفيه من وشايات، كما أكد أنه لا يتسرع في الحكم على أحد من موظفيه بناء على هذه الوشايات، وهذا ما أشاع الطمأنينة في نفس التميمي والثقة في عدله وإنصافه.

وخلاصة ما سبق أنه في عدله وإنصافه كان مقتديًا بهدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، مما دفع أحد الرحالة إلى القول: « وهو أعدل إنسان عرفه التاريخ في هذا العصر، لأنه يسير على هدي النبي ﷺ، وعلى هدي الخلفاء

(١) رضا، محيى الدين. **طويل العمر**، ص٢٦.
(٢) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص١٠١.
(٣) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٣٤.
(٤) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص١٠١.

الراشدين. وإنني أسجل هذا بعد خبرة نفسية وسـؤال الموظفين وغير الموظفين وذوي الحاجات [1] . كما أنه أسس حكمـه على تطبيق الشريعة الإسلامية، وهي أول مظهر من مظاهر العدل، والأمن من نتائج ذلك العدل .

يؤكد الريحاني ذلك بقوله: ((إذا كان العدل أساس الملك فالأمن أول مظهر من مظاهر العدل))، « وما وجدت خارج نجد بلادا تتمثل فيها هذه الحكمة: ((العدل أساس الملك)) ذاك التمثل الصحيح الشامل، .... عدل ابن سعود ! كلمة تسمعها في البحر، وفي البر، وفي طريقك إلى نجد قبل أن تصل إليها، كلمة يرددها الركبان في كل مكان يحكمه سلطان نجد، من الأحساء إلى تهامة ومن الربع الخالي إلى الجوف)) [2] .

حلمه وعفوه عند المقدرة :

كان حلمه ملفتًا للانتباه، قلَّ في الحكام من يتصف به، فقد اشتهر بعفوه وصفحه عن أعدائه وحلمه في تعامله معهم وعفوه عند مقدرته عليهم، فلا يقتل عدوًا من أعدائه إذا طلب الصفح، وأعلن رجوعه إلى الحق، مهما بلغت اعتداءاته، حتى لو عاود ذلك العدو الثورة فأظفره الله عليه مرة أخرى وطلب العفو عفا عنه، وصله وأكرمه [3].

وعلى الرغم مما تعرض له من ثورات وخيانات عبر عنها بأبيات من الشعر ذكر الريحاني أنه رآها مكتوبة فوق الأبواب في رواق المجلس العام على الحائط منها :

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فوا عجبًا إن سالمتك الأباعد

ومع معاناته من تلك الخيانات وتكرارها، إلا أنه اجتاز ذلك بحلمه وعفوه، وأصبح عدد ممن كانوا بالأمس حربًا عليه من خاصة رجاله [4].

(١) رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٢٥ .

(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢ ص٥٥٦ .

(٣) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٨ .

(٤) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٣ – ٥٧٤ .

ولقد قرن الريحاني بين حلمه وكرمه: « جاءه ذات يوم شيخ قبيلة حاربته بضع سنين، ثم دانت له، فأقام الشيخ أيامًا في الرياض، وقال للسلطان عند الوداع: قالوا لي: إنك سحَّار يا عبدالعزيز صدقوا والله، فقد سحرتني. إن أخبار حلمه لأدعى إلى الدهشة والإعجاب من أخبار كرمه ». وأضاف: « وليس من يجيؤون ممن كانوا بالأمس أعداءه الشاهد الفرد على حلمه واقتداره». ويقصد الريحاني أن حلمه وكرمه شمل جميع خصومه سواء كانوا وافدين أو مقيمين؛ فبعض خصومه أقام عنده وأصبح من خاصته، فأسر بيت الرشيد أوضح مثال على حلمه المقرون بالكرم، فقد أغدق عليهم: « فالبيوت، والخيل، والإبل، والثياب، والمؤونة، والجواري، والعبيد؛ كلها عند الشيوخ، من السلطان »[1] .

ولا شك أن حلم الملك عبدالعزيز وعفوه عن خصومه ينطوي على الكثير من الحكمة، فهو في عفوه عن خصمه يكسب ولاءه وأتباعه من خلفه، فعفوه عن رؤساء القبائل من الإخوان كسبهم به كما اتقى به شر قبائلهم. إن عفوه عن خصمه بعد المعركة يجعل خصومه الآخرين أقل استبسالاً في معاركهم حين تلوح لهم بوادر الهزيمة؛ لأنهم يتوقعون الحلم والصفح منه .

وفي الحجاز كان حلمه وعفوه من الأمور المحببة إلى النفوس، فإن عددًا من شبان الحجاز سلكوا مسلكًا معاديًا له، وطافوا عددًا من البلدان داعين لتسوء سمعته بكل طاقتهم، وما أمدوا به من مال ومساعدة من خصومه، ولكنهم لما فقدوا العضد والمعونة، لجأوا إلى الملك عبدالعزيز فتقبلهم بصدر رحب، وعفا عنهم، بل إنه أنزلهم أرفع الدرجات في الوظائف في

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٥٧٧، ٥٧٨ .

مملكته، وهو بتصرفه هذا كسب ودهم، وجعلهم أداة نافعة لخدمة بلاده ولسان ثناء عليه[1].

بل إن من أولئك الخصوم من عادوا بدعوة منه، ومن أمثلة هؤلاء شاعره إبراهيم الغزاوي، فقد هجر الحجاز وذهب إلى الهند وأقام بها واحتمل لفراق أهله وذويه أشد الألم، ثم لم يعد إلا بدعوة من الملك عبدالعزيز وإلحاح من أهله، فرجع ليرى أن الأحوال في الحجاز صارت إلى خير مما كانت عليه فيما سلف. ومنهم طاهر الدباغ الذي تولى إدارة المعارف للملك عبدالعزيز، وكان قد سافر مع الغزاوي إلى الهند وظل مقيمًا بها إلى ما بعد عودة الغزاوي منها [2].

وهو في حلمه أبعد الناس عن الانتقام، وتجلى حلمه واضحًا مع موظفيه خاصة ومن لهم سابق خدمة عنده، وأقصى عقوبة تنال الموظف عزله، وقد يعاد المعزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفًا يرضى[3]. وضرب التميمي مثلاً على ذلك يتعلق به شخصيًا، فقد عمل في خدمة الملك عبدالعزيز موظفًا في وزارة الخارجية، وقد بلغه مرض والده فاستأذن في السفر إلى بلاده، فأذن له ولكنه حين أكمل استعداده، منع من السفر لأمر طارئ .

فتوجه التميمي إلى الملك عبدالعزيز ليناقشه في الأمر، ودفعه إلى ذلك ما يعرفه من صفاته: « ولكن ما لمسته في هذا الرجل العظيم من حلم كبير وتواضع جم وإصغاء حتى لأجلاف الناس، جرأتني كل هذه الصفات التي عرفتها عنه على توجيه نظر جلالته إلى أنه أصدر أمرًا ساميًا بشأن سفري،

(١) رضا، محيى الدين. **طويل العمر**، ص١٩ .

(٢) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٦٤ .

(٣) وهبه، حافظ . **جزيرة العرب في القرن العشرين**. ـ ط١. ـ القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ، ص٢٨٣ — ٢٨٤.

وأني لا أزال أعد ذلك الأمر قائمًا ». ومع جراءة التميمي تلك أخذ يرقب رد الفعل على الملك عبدالعزيز الذي فكر للحظات، ثم انفردت أسارير وجهه وأذن له بالسفر، وتحقق ظن التميمي في مدى حلمه وسعة صدره، يقول: «وانصرفت مؤمنًا بحلمه الواسع، معتقدًا بأنه يحمل قلبًا كبيرًا يأسر به قلوب الأوفياء، وعقلاً جبارًا يقلب به الأعداء أصدقاء »[1] .

لقد كان لتلك الصفة في الملك عبدالعزيز دورها البارز وأثرها الواضح في السياسة الخارجية، وخاصة في علاقاته السياسية مع الدول العربية، فقد كان لحلمه وحكمته السياسية في تغليب مصلحة البلاد الأثر الكبير في تدعيم علاقة بلاده مع تلك الدول مع احتفاظ بلاده بكيانها واستقلالها .

عطاؤه وكرمه :

من أبرز صفات الملك عبدالعزيز التي أشاد بها الرحالة وأفاضوا في الكتابة عنها صفة الكرم، ولا شك أن كثيراً من الرحالة لمسوا تلك الصفة وشاهدوها بأنفسهم في ضيافته لهم، وحسن استقبالهم بغاية الإكرام من حين دخولهم إلى بلاده حتى مغادرتهم، وأمثلة كرمه كثيرة مع الرحالة ومع رعيته، ومع الوافدين إليه من داخل البلاد وخارجها .

فالمال في نظره وسيلة وليس غاية لذاته، فهو وسيلة لبناء المجد، وحسن الذكر وتحقيق الغايات، وحتى قبل اكتشاف النفط كان عطاء الملك عبدالعزيز وكرمه مضربًا للمثل، فلم يكن يجمع المال ولا يدخره، حتى في أسوأ الظروف الاقتصادية التي مرت بها البلاد، حيث يصف الريحاني ظروف البلاد الاجتماعية والاقتصادية: « بلاد ثلاثة أرباع أراضيها بادية قفراء ليس فيها من موارد الثروة غير الأنعام، ورعية ثلثاها من البدو وأكثرهم حتى اليوم

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص١٠٩ – ١١٠ .

لا يحسنون صناعة ما ، وإقليمٌ قيظه يحرق ويبيد ، وشتاؤه لا يصدق ولا يحسن الوفاء ، فتجيء السنون المجدبة : فتعقم المفالي ، ويعم البلاء)[1].

واقتران كرم الملك عبدالعزيز وعطاؤه بتلك الظروف السيئة هو ما دعا الرحالة إلى الدهشة والتعجب، ومنهم الريحاني: ((وأعجب جدًا لا لكرم هذا الرجل ، بل لإيمانه وثقته بالله مصدر الخير غير المتناهي، وولي النعم التي لا تزول ... وإلا فكيف يؤمل بدوام حال تمكنه من العطاء في بلاد لا ثروة لها ثابتة دائمة))[2] .

وشاهد الريحاني بنفسه معرض العطاء اليومي في أثناء إقامته في الرياض، وكان دائمًا يسمع الملك عبدالعزيز يردد: « ادفع يا شلهوب، وزع يا شلهوب» وحين سأل الريحاني شلهوباً عن كيفية إدارته لتلك الأموال قال: ((الذي يجيء نقيده، والذي يروح نقيده))[3].

وكان لا يستمع لرجاله ومستشاريه حين ينصحونه بالادخار، ويضرب أمثلة لبعض الحكام الذين لم تنفعهم أموالهم[4]. وهو يعد البخل نقيصة وآفة من آفات الحكام، وكرمه كان ينم عن حكمة وحنكة سياسية سنأتي على ذكرها .

(١) الريحاني، **أمين. ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٥ .

(٢) المرجع السابق،ج٢، ص٥٧٥ .

(٣) هو محمد بن صالح بن شلهوب : المسؤول عن التموين عند الملك عبدالعزيز، مهماته متعددة تشمل الكبيرة والصغيرة، فهو يتولى أمر التوزيع العام الشامل، يوزع الحطب، ويوزع السمن، ويوزع السلاح، ويوزع المال. المرجع السابق، ج٢، ص٥٧٨.

(٤) يذكر محمد رفعت نقلاً عن حافظ وهبه: ((وكان الملك يسخر منا كثيرًا حينما ننصحه بالادخار، ونقول: إن المستقبل علمه عند الله، وإن الرخاء ليس بدائم، فيقول: إن المال لا ينفع، هل أفادت عبدالحميد خزائنه، وما ادخره من المال؟ وهل أفادت خزائن الرشيد الرشيد؟)) رفعت، محمد . مرجع سابق ، ص١٢٧ – ١٢٨ .

أولاً ـ عطاؤه وكرمه مع رعيته :

إن كرم الملك عبدالعزيز وعطاءه لرعيته لا يقتصر على المحتاجين من الفقراء، والمساكين، والأيتام، والأرامل، بل إنه يشمل وفود القبائل .أفرادها حتى رؤساءها .

وعلى الرغم من أن المئات من البادية يأتون إلى الرياض بشكل دائم لاستعطاء الملك إلا أنه لا يردهم ولا يتذمر من طلبهم، بل يحرص أن يكون كريمًا في عطائه معهم، خاصة مع كبارهم ورؤسائهم. ولا يرون في استعطاء الملك عبدالعزيز وطلب (الشرهة) منه نقيصة أو عيبًا، بل لا يجدون في ذلك غضاضة. والشرهة هي تلك الأعطية التي يعدها البدوي حقًا واجبًا كل عام لا ينقص منها شيء ؛ بل يزيد ومن الرحالة من ذكر أنهم يقيمون في ضيافة الملك عبدالعزيز ثلاثة أيام، ثم يصرف لكل بدوي كسوة من القماش، ومبلغاً من النقود يتراوح بين الخمسين والخمسمائة ريال سعودي[1]. ومن دلائل كرمه أن موكبه في أثناء سيره في الصحراء يتقدمه منادٍ ينادي (يا سُعيِّد يَسعْاَ يِّد) وهو نداء يبشر بقدوم الملك عبدالعزيز ... لمن يريد منه شيئًا أو يحمل له شكاية، أو يبغي الركوب في موكبه أن يتنبه لوجود الموكب فيقصد مسرعًا إلى مكان الصوت[2].

ويؤكد هذا الأمر ما ذكره العقاد: « أن الملك عبدالعزيز يخرج في موكب كانوا يطلقون عليه هناك (موكب الرحمة)، ويستوقف هذا الموكب أدنى فرد من الرعية، فيقف ويقضي الملك حاجته، فقد استوقفه أحد فقراء

(١) مبروك، أحمد . مرجع سابق، ص٤٠ .

(٢) وهذه عادة من عادات عدد من الحكام في الجزيرة العربية، وسُعيد تصغير التصغير، الشائع كثيرًا في نجد، وسعيد نداء ابن سعود يدل على تواضع في أمراء هذا البيت جميل .... ولأكثر أمراء العرب منادون وكلمة نداء خاصة بهم ينادى بها كذلك يوم يخرج الأمير إلى الحرب أو إلى الغزو. في الحجاز مثلاً كان نداء الملك حسين : يا فرحان، وفي جبل شمر كان نداء ابن الرشيد: يا مرزوق. الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢١ .

البدو، فتوقف وبعد أن سمع مطالبه أمر له بالدواء والكساء وأعطاه عشرين جنيهًا .. ثم مضى الموكب في طريقه))[1].

وعلى أن الكرم صفة أصيلة في الملك عبدالعزيز، إلا أنه في بعض جوانبه ينطوي على حكمة وحنكة سياسية، فقد كان يبذل المال ليتألف به أعداءه ويتصنع به الرجال اتقاءً لشرهم، وكسبًا لولائهم، وتثبيتًا لأركان الدولة، ونشرًا للأمن في ربوعها .

وكان يصرح بإعجابه بمحمد بن رشيد[2] وسياسته في العطاء، ويقتدي به في هذه الناحية، ويروي عنه أنه وفد عليه أحد مشايخ البادية الكبار فأعطاه عطاءً قليلاً، ثم وفد عليه في الوقت نفسه شيخ من مشايخ البدو الصغار، وكانت قبيلته تقطع الطريق في شمال نجد فأكرمه وأعطاه منحة كبيرة، وحين سُئل محمد بن رشيد عن تصرفه هذا قال: ((أما الأول فإنه – وإن كان قويًا وكبيرًا – يحس بما عليه من المسؤولية، وأنه يحافظ على مركزه بالولاء لنا فهو في حاجة إلينا ... وأما الآخر فمثل العصفور ينتقل من شجرة إلى أخرى يتعبك صيده، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه، وما نكف به شره لا يساوي شيئًا، إذا قورن بما نبذله لتأديبه وعقوبته))[3].

لقد طبق الملك عبدالعزيز سياسة العطاء تلك، وزاد عليها بأن كان كريمًا مع الجميع، وقد شهد الريحاني معرض العطاء في الرياض، ورأى الجريدة التي يقدمها رئيس التشريفات للملك عبدالعزيز الذي يدون بنفسه بجوار كل اسم ما يجب أن يعطى صاحبه يوم ارتحاله، واطلع الريحاني على

---

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق ، ص٦٤ .

(٢) محمد بن عبدالله بن رشيد أكبر أمراء آل رشيد أيام حكمهم في حائل.تولى الإمارة عام ١٢٨٨هـ وامتدحكمه إلى أطراف العراق ومشارف الشام ونواحي المدينة واليمامة وما يلي اليمن وغلب على نجد. توفي في حائل عام ١٣١٥هـ. الزركلي، خير الدين.الأعلام؛ ج٦ ،ص٢٤٤

(٣) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٢٨ .

تلك الجريدة فوجد فيها أكثر من مائة اسم، ونقل ثلاثة أسماء منها كأمثلة على عطاء الملك عبدالعزيز[1].

وقد أكد أحمد مبروك كثرة الوافدين إلى الرياض، واستشهد على ذلك بالخيام المضروبة على مقربة منها والتي شاهدها في طريقه، وذكر أنها معدة لنزول البدو القادمين لزيارة الملك، وأخذ عطاياه ومنحه، وحين وصوله الرياض قدر عدد الوافدين على القصر يوميًا بنحو ثلاثة آلاف شخص[2].

وقد تعجب الريحاني أيضًا حين وصوله الرياض من كثرة الأفراد حول القصر من بدو، وحضر، وإخوان. وعلم فيما بعد أنهم ينتظرون وقت الغداء، فلم يقتصر كرم الملك عبدالعزيز على العطاء فقط، بل امتد إلى إطعام الطعام وهو أمر له أهمية في ذلك الوقت لحاجة الكثيرين إليه وكثرة الوافدين، وأضاف الريحاني أن هناك جيشًا من السباهلة والفقراء قدر عدده بين الألف والألفين وهم يأكلون في القصر مرتين كل يوم الظهر والمساء[3].

وبعد توحيد البلاد واتساع مواردها لم يذكر الرحالة الذين زاروا الرياض فيما بعد رؤيتهم لهذا المنظر من وجود فقراء حول القصر، وعلى كل فقد وُصف الملك عبدالعزيز بأنه مضياف، وأن عدد ضيوفه يربو على ٣٠٠ نفس يوميًا، وأنهم جميعًا يجدون جميع أسباب الراحة، وكان يشرف بنفسه على توزيع إحسانه، وقلما يعتمد على حاشيته، ولا يرد سائلاً، ويكرم كل زائر أو وافد إليه[4].

(١) أثبت الريحاني في كتابه ثلاثة أسماء من تلك الجريدة منها بخط رئيس التشريفات: حمود بن صويط معه فرسان وذلول . بخط السلطان : ألفا روبية وبشت وبر معلمَّ (أي عباءة مقصبة)، وزبون (قنباز) جوخ وسيف مذهب. الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٦ .

(٢) مبروك، أحمد . مرجع سابق، ص٣٧ ص٤٠ .

(٣) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢ ص٥٧٨ .

(٤) رضا، محيى الدين . **طويل العمر**، ص٢١ – ٢٢. ولدى حافظ وهبة : « وقد يبلغ ضيوف الملك عبدالعزيز نحو عشرة آلاف، فتمتلئ بهم بيوت الرياض وبطحاؤها، وربما كان عدد الضيوف الدائمين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم »، وهبة، حافظ . **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص١٠٦.

ويشمل عطاء الملك عبدالعزيز حتى من كانوا بالأمس خصومه، فأسرة آل رشيد حكام منطقة حائل سابقاً، أصبحوا من خاصة الملك عبدالعزيز يتصدرون مجالسه مبالغة في إكرامهم وتقديرهم، مع إجراء الأموال عليهم. وكان موقف الملك عبدالعزيز معهم مضرباً للمثل، مما دفع الريحاني إلى ذكرهم في معرض حديثه عن كرم الملك عبدالعزيز مع سكان الرياض: « وفيها أيضًا مئة أسرة أو ما يزيد، منها أسر بيت الرشيد ؛ فالبيوت، والخيل، والإبل، والثياب، والمؤونة، والجواري، والعبيد، كلها من الشيوخ، من السلطان))[1].

ولم يقتصر عطاء الملك عبدالعزيز على سكان الرياض، فقد كان كرمه يرافقه أينما حل، فالملك عبدالعزيز يحج كل عام تقريبًا بعد ضم الحجاز، وفي طريقه إلى مكة كان يتوقف في عدد من القرى بوصفها محطات على الطريق، ويتواصل رفده وعطاؤه لرعيته في تلك المناطق. ويصف أحد الرحالة ذلك المشهد إذ بعد إحرام الملك عبدالعزيز للحج وفي طريقه إلى مكة: ((كان الألوف من سكان تلك المناطق تحتشد على جانبي الطريق ... وكانت الريالات السعودية تنهال كالمطر على الفقراء من سيارة جلالة الملك المعظم)) [2].

وفي مكة المكرمة يوزع الصدقات على فقراء البلد الحرام، بل إنه من شدة حرصه على وصول عطائه لكل محتاج قدر الإمكان رأى محمد حمدي في أثناء رحلته للحج عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م أن الحكومة السعودية قد أعدت كشوفاً بأسماء من يستحقون العطاء من فقراء مكة، لتكرم الملك

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢ ص٥٧٨ .

(٢) السلاح، محمد . **وثبة الديار الحجازية**، ص٦٢ .

عبدالعزيز بتوزيع أعطيات كثيرة عليهم. وقد استفادت البعثة المنتدبة من مصر لتوزيع (الصرة) ذلك العام من هذه الكشوف فأصبحت مهمتهم سهلة [1].

كرمه مع الرحالة :

تمثل كرمه مع الرحالة في اهتمامه بكثير منهم من حين دخولهم إلى الأراضي السعودية وتوصية أمرائه بهم بإكرامهم وضيافتهم، وتقديم المساعدة لهم، إضافة إلى تسهيل تنقلاتهم، ومتابعة أحوالهم وتزويدهم بكل ما يحتاجونه في أثناء الرحلة، وبعضهم تكفلت الحكومة السعودية بنفقات رحلتهم داخل المملكة وإقامتهم .

واحتفاء الملك عبدالعزيز بالرحالة، وحسن استقبالهم، وتوفير سبل الراحة لهم حسب الإمكانات المتوافرة، مع تسهيل تنقلاتهم، وتسهيل اطلاعهم على جوانب حضارية متعددة ومناطق مختلفة من أنحاء المملكة لهو دليل واضح على وعي الملك عبدالعزيز وإدراكه للدور الذي يمكن أن يؤديه هؤلاء داخل البلاد وخارجها .

وقد بدا واضحًا أن الملك عبدالعزيز كان يدرك أهمية هؤلاء الرحالة لبلاده من عرب وغربيين فقد كانوا وسيلة اتصال بينه وبين العالم، ووسيلة تعريف للعالم بطبيعة الحياة في المملكة، وبوادر النهضة في أنحائها .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل في أثناء وفودهم على الملك العزيز ولقائهم به كان يكرمهم ويستقبلهم استقبالاً حافلاً، ويودعهم بالهدايا الفاخرة الثمينة. إن مظاهر كرمه مع الرحالة مما لهجت به ألسنتهم، فكتبوا عنه وأفاضوا في ذلك.

وسوف نضرب كثيراً من الأمثلة التي لقيها الرحالة :

١ – فالريحاني حين وصل إلى البحرين استقبله القصيبي وكيل الملك عبدالعزيز فيها فأكرمه، يقول عن ذلك: « ليست البحرين من بلاد نجد، على

(١) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٩٢ .

أن ضيافة ابن سعود ومكارمه تبادر الزائر إليها لترحب به وتحييه باسم سيد العرب في بلاد العرب)). ثم أشار إلى الرسالة اللطيفة التي تلقاها من الملك عبدالعزيز قبل قدومه إليه، ومنها قوله: « أهلاً وسهلاً على الرحب والسعة . باللّٰه لقد سررت جدًا بذلك فطالما كنت مشتاقًا للقياكم، وقد حققت الأيام شوقي والحمد للّٰه))[1].

وبعد رحيل الريحاني وفي طريقه إلى الكويت وصف ما جنده الملك عبدالعزيز له من أسباب الراحة، فقد صحبه اثنا عشر راكبًا منهم الحارس، والرفيق، والخادم، والطاهي، والقهوجي، وصاحب الإبل، وقطيع من الأغنام للذبح، وكثير من الخيام والأدوات والمؤونة التي شملت حتى أدق الأمور وجميع أنواع الأطعمة التي يمكن توفيرها[2].

٢ – ويعدد محمد لطفي جمعة ما لقيه من مظاهر الإكرام: ((ليس من حقنا أن نغفل ما لقيناه من الحكومة السعودية خاصة، ومن أهل البلاد عامة، من الإكرام والجمائل التي تكررت في كل صباح ومساء، فقد دعونا إلى قصورهم، وأقاموا لنا الولائم .. وأطلعونا على نظم الحكم والإدارة، وكلفوا رجالاً فضلاء بصحبتنا ... وسهلوا لنا الانتقال في الأماكن القصية والقريبة))[3].

وتنقل عبدالوهاب عزام بين الحجاز ونجد، ولقي كل حفاوة وتكريم، فرصد شكره للملك عبدالعزيز في كتابه: ((فشكرنا الملك على حفاوته ورعايته، وأعربت عن فرحي بالدولة العربية السعودية، وأملي فيها فقال في كلامه : أنتم - يا آل عزام - بيت منا، زيادة على ما لإخواننا المصريين في نفوسنا من مكانة))[4].

---

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢ ص٥١٠ .

(٢) المرجع السابق، ج٢ ص٥٩٢ – ٥٩٣ .

(٣) جمعة، محمد. مرجع سابق، ص١٢٦ .

(٤) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢٤٣ .

٣ – وقد تكفل الملك عبدالعزيز باستضافة عدد من الرحالة والقيام بنفقة رحلاتهم، من ذلك استضافة عائشة عبدالرحمن ضمن رحلة تضم اساتذةً وطلابًا من جامعة القاهرة عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، وكان برنامج الرحلة قاصرًا على أداء العمرة وزيارة المدينة المنورة، ولكن البرنامج قد تغير بعد وصولهم المملكة؛ وعن ذلك تقول عائشة عبدالرحمن: ((فما دار بخلدنا ونحن نتهيأ للسفر إلى جزيرة العرب أننا قادرون على أن نبلغ أقصى مشرقها في رحلة ضئيلة الزاد لولا ضيافة جلالة عاهل الجزيرة، هيأت لنا أن نذهب حيث شئنا على متن الطائرة)). وهكذا لم يكتف بضيافتهم، بل زاد عليها بأن سهل لهم زيارة أنحاء بلاده من الحجاز إلى نجد فالأحساء فالخليج العربي [١].

وقد قضى أحمد مبروك أسبوعًا في الرياض في ضيافة الملك عبدالعزيز، وحين أزمع على الرحيل إلى الأحساء هو ومرافقوه، أعدت الترتيبات اللازمة لرحلته، ووفرت لهم جميع سبل الراحة في سفرهم، ولم يكتفوا في ضيافتهم بذلك، بل كانوا حريصين على راحتهم في بقية الرحلة حيث حملوا خطابات توصية من الملك عبدالعزيز إلى الأمير سعود بن جلوي أمير الأحساء، وخطاب توصية إلى القصيبي وكيل الملك عبدالعزيز في البحرين يتولى الأمور الاقتصادية فيها، فرصد أحمد مبروك ما لقيه من كرم وحسن استقبال، وشكر للملك وحكومته ذلك [٢].

كما أثنى على التزام الملك عبدالعزيز في ضيافته له بتقاليد العرب وعاداتهم من ناحية أنهم لا يفاتحون الضيف بشأن مهمته أو هدفه من الزيارة إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام: ((وصار يدعوني في كل يوم لمجلسه ثلاثة أيام متوالية بدون أن يفاتحني في شأن مهمتي حسب تقاليد كرام العرب)) [٣].

---

(١) عبدالرحمن، عائشة. مرجع سابق، ص٩١ .

(٢) مبروك، أحمد . مرجع سابق ، ص٢٢ .

(٣) المرجع السابق، ص١٩ .

وقد كان كرم الملك عبدالعزيز دافعًا للرحالة للتوسع في رحلتهم كما في رحلة عائشة عبدالرحمن كما أسلفنا، وكذلك أحمد حسين الذي انتهز فرصة لقائه بالملك عبدالعزيز، فالتمس منه أن يسمح له بزيارة الرياض والمنطقة الشرقية، فأصدر أمرًا بإتاحة الفرصة لهذا الرحالة، بل زاد على ذلك بأن ترك له الخيار في وسيلة المواصلات التي يرغبها، مع التكفل بتكاليف رحلته كاملة[١]. ولعل مما شجع هذا الرحالة أن يقدم على طلبه هذا ما ذكره في كتابه، من أن الملك عبدالعزيز بعد لقائه الأول به طلب منه أن يعد نفسه ابنًا له، وفي أي أمر يحتاج فيه إلى المعونة، فلا يلجأ بعد الله إلا إليه، ويقول أحمد حسين عن كرم الملك عبدالعزيز ووفائه بوعده: « فما قصدته في أمر وخيب رجائي، لقد عدت إلى الحجاز ثانية وثالثة ورابعة ... وأنا أقص ذلك لأظهركَمْ كان بي حفيًا، ولم أكن سوى واحد من مئات عرفهم عن طريق موسم الحج في طول العالم الإسلامي وعرضه، ووقف خلفهم يشملهم بتشجيعه وعونه »[٢] .

ومن الرحالة الذين تكرم الملك عبدالعزيز باستضافتهم محمد رفعت المحامي، وقد قدم مع زملائه الصحفيين حين دعته شركة مصر للطيران للاشتراك في افتتاح خطها الجديد بين القاهرة وجدة، وكانت مدة الرحلة أربعًا وعشرين ساعة فقط، ولكن بعد وصوله المملكة تفضل الملك عبدالعزيز فأمر بأن يكون ضيفاً على حكومته طوال مدة إقامته، وأن يتاح له زيارة جميع أنحاء المملكة. وحين ألف محمد رفعت كتابًا عن رحلته تلك جعل إهداءه إلى الملك عبدالعزيز: « وأتشرف برفع هذا الكتاب آية الشكر والعرفان بالفضل لما أولاني جلالته من شرف وكرم ضيافة »[٣].

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٤٧ .

(٢) حسين، أحمد . **ووالد وما ولد**، ص٧٦ .

(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٧ – ٢١ .

٤ – لم يقتصر كرم الملك عبدالعزيز على استضافة الرحالة والتكفل بنفقات رحلاتهم، بل تابع سير تلك الرحلات في بلاده، وحاول قدر جهده تسهيل تنقلاتهم حسب الإمكانات المتاحة، فرحلة محمود ياسين مع الوفد السوري لافتتاح الطريق البري للسيارات من دمشق إلى المدينة المنورة كان في طريق برية غير معبدة وعرة المسالك، ولقي هذا الوفد الكثير من الصعوبات، منها عدم توافر الماء الصالح للشرب في كثير من أجزاء الطريق، إضافة إلى وعورة الطريق، ووجود الرمال في أجزاء كثيرة منه حيث تغوص فيها عجلات السيارات فتستهلك الكثير من الوقت والجهد لإخراجها، إضافة إلى عدم وجود محطات للتزود بالبنزين، وعدم توفره على الطريق، وكان الملك عبدالعزيز حريصًا على تسهيل مهمة ذلك الوفد وتنقلاته. وتتابعت منه البرقيات لأمرائه على طريق ذلك الوفد للاهتمام بهم وإكرامهم وضيافتهم، إضافة إلى إعفائهم من الرسوم، وإمدادهم بالوقود اللازم لسياراتهم. يصف محمود ياسين ذلك الاهتمام بقوله: ((أدركتنا عناية الله فاجتمعنا .... بسيارة الحكومة السعودية تحمل مئتي تنكة من البنزين سلمت شركة سياراتنا منها ستًا وتسعين تنكة، ولجأنا جميعًا للدعاء إلى الله – تعالى - في أن يطيل عمر جلالة الملك ابن سعود، ويجزي أمراءه خير الجزاء))[1].

وقد أرسل الوفد يطلب من الملك عبدالعزيز عشر سيارات خفيفة تحمل الوفد إلى المدينة المنورة، لأن السيارات التي قدموا فيها كانت كبيرة وثقيلة. ووردت برقية إلى الوفد أنه أمر سيارات في المدينة بالمجيء إلى العلا لإنقاذ الركب ومساعدتهم[2].

---

(١) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٠٣ ..

(٢) المرجع السابق، ص٨٧ .

ومع ما أقام الملك عبدالعزيز من المآدب الرسمية حفاوة بأولئك الرحالة إلا أنه زاد على ذلك بأن ودعهم بأثمن الهدايا والخلع: ((وفي نفوسنا أعظم الذكرى كما نحمل في حقائبنا هدية خالدة قدمتها إلينا الحكومة دليلاً على منتهى الحفاوة بنا تلك هي الملابس الحريرية والصوفية العربية الفخمة المنسوجة بأسلاك الفضة على نمط ملابس رجال البلاط الملكي)) [1].

وأثنى أحمد حسين على كرم الملك عبدالعزيز في تقديم هذه الهدايا وسخائه، وأنه على الرغم من تواضعه في ملبسه إلا أن سجية الكرم المتأصلة فيه تجعله يوزع على ضيوفه العقال المقصب والمذهب، والأكسية الغالية الثمن [2].

بساطته وتواضعه :

لقد كان تواضع الملك عبدالعزيز وبساطته من الخصال الواضحة الجلية في كثير من جوانب حياته؛ في ملبسه، ومسكنه، وحديثه، وفي أسلوب تعامله مع ضيوفه ورعاياه .

١ – تتجلى بساطته في تواضع مظهره الذي أدهش الرحالة. وكان الريحاني من أوائل الرحالة الذين وصفوا مظهره، ومدى ما يتحلى به من بساطة: ((ألفيته رجلا لا يمتاز ظاهرًا بغير طوله، وكان يلبس ثوبًا أبيض، وعباءة بنية، وعقالاً مقصبًا فوق كوفية من القطن حمراء ... أين أبهة الملك وفخفخة السلطان؟ إنك لا تجدها في نجد وسلطانها))[3].

ويؤكد أحمد حسين ذلك حين دخل على الملك عبدالعزيز لأول مرة فوجده جالسًا على أريكة مربع الساقين، يرتدي لباسًا متواضعًا كأي فرد من رعيته، ويغطي رأسه بالغترة الحمراء، ويرتدي العباءة الصوف البنية فوق

---

(١) خضير، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٤٠ .

(٢) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٥١ .

Shah, (S), Op, cit, p. 110

(٣) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٢ .

جلباب أبيض، بل تعجب من نعليه المصنوعتين من الجلد، وهي نعل يرتديها أبسط فرد من رعيته [1].

ولم ير أحد من الرحالة في مظهره ما يميزه عمن حوله من رجاله، عدا ما حباه الله به من صفات جسدية وشخصية متميزة. فالهواري أشاد ببساطته التامة، والتي هي شأنه في جميع أموره، حتى إنه لم ير ما يفضله أو يميزه على رجاله[2].

وكان التميمي يتخيل الملك متربعًا فوق عرشه في قاعة لا يدخل عليه فيها إلا المختصون والمقربون، فوجده شخصًا بسيطًا لا يختلف عمن حوله: ((ولم يكن هذا الرجل الطويل القامة، المليء الجسم، الباسم الوجه، ذو الهيبة والوقار، لم يكن يختلف عمن حوله من الرجال))، فلم يمتاز لباسه بشيء عمن حوله عدا عقاله الذهبي، أما عباءته وثوبه يلبسهما أي فرد عادي من رعيته، بل إن الرجل العادي ليلبس أحسن نوعًا وأغلى ثمنًا مما يلبسه هو، وكذا حذاءه فلم يكن إلا نعلين نجديتين يحتذيهما أفقر الرجال: ((وكان هذا المتواضع في سجيته الديمقراطي في خلقته هو عبدالعزيز بن سعود سيد الجزيرة العربية الذي عشقته أذني قبل عيني .. وكان سببًا في تغيير مجرى حياتي))[3].

٢ – يستقبل ضيوفه هاشًا باشًا مرحبًا، ويقوم لكل وافد عليه، ويصافح ضيوفه واحدًا بعد واحد، ويتكرر قيامه لهم، ويقابلهم مقابلة كريمة، ويتلطف في حديثه معهم وهو دائم الابتسام لضيوفه [4]. يقول الريحاني: ((وإن أول ما يملكك منه ابتسامة هي مغنطيس القلوب)). ويظهر المودة والحفاوة

(١) حسين، أحمد . **ووالد وما ولد**، ص٧٣ .
(٢) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٧ .
(٣) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٩٣ – ٩٤ .
(٤) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٢، ص١١٦، رضا. محيي الدين . **طويل العمر**، ص٢١، رفعت، محمد. مرجع سابق، ص٢٨ ، جمعة، محمد . مرجع سابق، ص٩٧.

بضيفه. ففي لقائه مع الريحاني دهش الريحاني لذلك التواضع، وتلك الحفاوة: ((لست أدري كيف حييته وأنا في دهشة وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة، ولكني أذكر أنه حياني باسمًا بالسلام عليكم، وظل قابضًا على يدي حتى دخلت الخيمة)). بل إن الملك عبدالعزيز جاء بنفسه إلى خيمة الريحاني بينما يفترض أن الضيف هو الذي يقدم عليه[1]. وتكررت المواقف التي لمس فيها الريحاني مدى تواضع الملك عبدالعزيز لضيوفه وبساطته معهم، فقد كان لقاؤه بالريحاني في الصحراء، وبعد تناولهم طعام الإفطار ناداهم الملك عبدالعزيز بتواضع: ((أنجيئكم أو تجيئوننا))؟ فبادروا إليه وكان جالسًا على الرمل، ودعا الريحاني إلى الجلوس معه وقال: « تفضل ـ يا أستاذ ـ هذه أحسن سجادة عندنا)). وأثنى الريحاني على تواضع الملك عبدالعزيز في جلسته تلك ((وكان السلطان فينا أجملنا اتضاعًا، وأفصحنا في لغة الحكمة والورع[2] ...)) ويصفه في موقف آخر: « وسرت والسلطان عبدالعزيز وقد نزعنا نعالنا، نتمشى ويدي في يده حفاة على الرمل ... تحت النجوم القريبة البريق)) [3].

وفي المآدب الرسمية التي كان يقيمها لوفود الحجاج في موسم الحج، كان يقابل ضيوفه بكل حفاوة. يصف الهواري خلقه وتعامله مع ضيوفه: ((وقد رأيت لجلالته أيضًا على مائدة الطعام البساطة التامة بحيث إنه يحادث الناس بدون كلفة، ويعاملهم معاملة الأخ المسلم لأخيه مع المجاملة، والهش في الوجوه)) [4] . ويؤكد عبدالغني شهبندر ما ذكره الهواري فقد حضر واحدة من تلك المآدب، وترأس الملك عبدالعزيز إحدى الموائد وترأس ابنه سعود مائدة أخرى، وكانا يتحدثان إلى ضيوفهما بكل لطف وبشاشة .

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٢ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٩.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ص٥٣٨.
(٤) الهواري، مرجع سابق، ص١٤٧. شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص٧٢ .

٣ – لا يحب الألقاب ولا المبالغة في الإطراء والمدح، وكانت رعيته تناديه باسمه مجردًا من الألقاب. ويصف هيكل سلام النجديين على الملك عبدالعزيز ومدى بساطته، فهم يهزون يد ملكهم، ويسمونه باسمه مجردًا، ويحيونه بتحية الإسلام، ويقول أحدهم له: كيف حالك يا عبدالعزيز، وإذا أرادوا المبالغة في احترامه وتحيته قالوا له: (طويل العمر) مما أثار إعجاب هيكل فقال: ((كل ذلك في بساطة بدوية تطأطئ أمامها الديمقراطية إكبارًا وإجلالاً))[١]. وقد أكد العقاد ما ذكره هيكل من بساطة التعامل بين الملك ورعيته حيث سمعهم يتحدثون عنه باسمه مجردًا دون هالات الحكم المعهودة[٢].

ولعل من يشاهد هذه البساطة في التعامل يعتقد أن طبيعة أهل نجد البسيطة فرضت هذا الأسلوب من التعامل، ولكن الواقع أن الملك عبدالعزيز هو الذي رغب في هذا الأسلوب، حيث كان يكره الألقاب والمبالغة فيها، ويؤكد ذلك في قوله: ((وهذه الألقاب التي يستعملها الناس من ألقاب الملوكية وأمثالها من المخترعات ليست محببة إلينا، وإنما المحبب إلينا، أن نكون عباد الله))[٣].

ولم يكن يطلق عليه اسم الملك سوى المصريين والحجاج من غير أهل البلاد، أما رعاياه ففي حضوره كانوا ينادونه بعبدالعزيز، أو طويل العمر، وفي غيابه كانوا يسمونه (الشيوخ) بصيغة الجمع، ويقصدونه شخصيًا[٤].

وحين أطلق عليه محمد رفعت اسم (أسد الجزيرة) في كتابه راقه الاسم لدلالته على القوة والشجاعة، وكان بعض الكتاب قد سماه، (صقر الجزيرة). وفي مقارنة بين الاسمين قال الملك عبدالعزيز : ((لو خيرت بين

---

(١) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١١٣ ، ١١٤ .
(٢) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٦٤ .
(٣) جمعة، محمد. مرجع سابق، ص٩٨ .
(٤) حسين، أحمد . **ووالد وما ولد**، ص٧٢ .

الاسمين لاخترت الأسد، ولو لم أخيّر لرفضت الاسمين، وقنعت باسم (عبدالعزيز). وهكذا يضرب الملك عبدالعزيز في مقولته هذه مثلاً عظيمًا على التواضع[1].

٤ – بساطته في حديثه مع جلسائه، فهو طيب العشرة، حليم الطباع، يكره العظمة والكبرياء، يصغي إلى مخاطبه مهما كان شأنه، لا فرق عنده بين الكبير والصغير، يجذب جلساءه بعذب حديثه، ولا يحب احتكار الحديث لنفسه، فإذا أراد أحد جلسائه أن يبسط رأيه ويستشهد بواقعة، أو أن يقص قصة مناسبة للمقام أتاح له المجال، وأصغى إليه بعناية تامة ثم يستأنف حديثه[2].

يتلطف مع محدثيه بألطف الألفاظ وأقربها إلى النفس. من أمثلة ذلك: أنه في حوار دار بينه وبين التميمي عبر له محدثه عن مدى حبه له وعظم مكانته في نفسه، بعد أن عمل في خدمته فترة من الزمن، فأجابه الملك عبدالعزيز: ((وأنا لا أعدّك - يا تميمي - خادمًا من خدامي، بل أعدك ولدًا من أولادي))[3]. ولا يقتصر تلطفه مع محدثه في أثناء حواره معه، بل يمتد حتى آخر لحظة، وهو يودع ضيوفه، ففي أثناء وداعه لعبدالوهاب عزام قال: « أنتم ـ يا آل عزام ـ بيت منا، زيادة على ما لإخواننا المصريين في نفوسنا من مكانة))[4] . ومن ذلك وداعه لمحمد حسين هيكل حيث صافحه بحرارة قائلاً له: « اعتمد عليَّ يا أخي، وأعلم أنني دائمًا أخوك)) [5].

٥ – كما رصد الرحالة صورة أخرى من صور تواضع الملك عبدالعزيز تمثلت في لقاءاته في أثناء موسم الحج، فقد كان يحج أغلب الأعوام، وفي ثاني أيام

---

(١) محمد، رفعت. مرجع سابق، ص١١٣ .
(٢) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٢١ – ٢٢ ، العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٤١.
(٣) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص١٠١ .
(٤) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٤٣.
(٥) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٦٤ .

النحر يفتح أبواب قصره في منى لاستقبال الوافدين عليه للسلام والتهنئة بالعيد، وكان الناس ينتظرون في خيام خارج القصر ثم يدخلون تباعًا للسلام عليه دون تسجيل لأسمائهم، ودون نظر لأجناسهم، وتتجلى في هذه اللقاءات بساطة المسلمين الأوائل وتواضعهم، فالداخلون للسلام على الملك عبدالعزيز من شتى الأقطار الإسلامية، من عامة الناس وخاصتهم لم يخصص لهم مواعيد معينة، ولا فرض عليهم زي معين، بل كل يرتدي زيًا مختلفًا عن الآخر، وبعد دخولهم وسلامهم عليه يكرم ذوي المكانة من سياسيين، وعلماء، ورؤساء لوفود الحج بأن يجلسهم في المقاعد المجاورة له[1].

صراحته ووضوحه :

جُبل الملك عبدالعزيز على الصراحة والوضوح في أحاديثه، ويبدو أن تلك الصفة طبيعية فيه لا يتكلفها، وصراحته تدل على قوته وشجاعته. كما يعزو الريحاني تلك الصفة فيه إلى ثقته بالله - عز وجل - حيث يقول: ((يفصح في أول جلسة عن فكره، ولا يخشى أحدًا من الناس، بل يفشي سره وما أشرف السر، سر رجل يعرف نفسه، ويثق بعد الله بنفسه))[2].

ولقد كان لهذه الصفة أثرها في رجاله وموظفيه، فكانت الصراحة والثقة المتبادلة أساس العلاقة بين الطرفين، وقد عمل التميمي في خدمة الملك عبدالعزيز فترة من الزمن، وقد كان يدرك تلك الصفة فيه فدفعه هذا إلى أن يكون صريحاً في حديثه معه: ((لقد عهدت في جلالتكم الصراحة التامة، وقد تلقيتها عنكم، فاسمحوا لي أن أكلمكم بها)). وقد تأكد لدى التميمي بعد حديثه معه أنه يصغي إلى محدثيه، ويتقبل صراحتهم بحلم وصدر

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١١٣ – ١١٤. رضا، محيى الدين. **في الحجاز**، ص١٢١، الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١١ ،
Shah, (S), Op cit, p. 110.

(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٤ .

رحب[1]، بل إنه غالبًا ما يلفت انتباه محدثيه إلى أنه يفضل الصراحة في الحديث، وهو في هذا يشعر محدثه بالاطمئنان والراحة ليفصح عما في نفسه، فقد دعا الريحاني أن يتكلم بصراحة: « لك الحرية - يا حضرة الأستاذ - أن تتكلم معي بكل حرية، ولا أقبل منكم غير ذلك وأنا أكلمك بكل حرية، ولا تتوقع مني غير ذلك »[2]. وهذا التصرف يدل على ذكاء وحكمة، فإن صراحة محدثه تجعله يدرك دخيلة نفسه، فإن كان فيه شر اتقاه، وإن كان فيه خير أفاد منه .

وأوضح العقاد أن جلساءه يشعرون ولو لم يجالسوه إلا فترة قصيرة كأن معرفتهم به منذ سنوات، ويفسر العقاد ذلك بقوله: « لأن هذا الرجل العظيم مطبوع على الصراحة ووضوح المزاج، لم تشتمل نفسه القوية على جانب من جوانب الغموض التي يحدث فيها اختلاف الحالات وتناقض العادات »[3].

وقد أكد الريحاني ما ذكره العقاد، حيث تعجب من صراحة الملك عبدالعزيز منذ الجلسة الأولى: « من غريب الأمور أننا في الجلسة الأولى تناقشنا في الموضوع ... فلم أكن لأقدم على مساجلته في تلك الساعة، لو لم يتقدمني بصراحة علمت بعدئذ أنها من سجاياه الكبيرة، وأنه قلما يقف فيها عند حد من التحفظ »[4].

ومن صراحته أنه لا يدعي ما ليس فيه، فقد صرح أكثر من مرة بأنه لم يدخل المدارس والجامعات، ولا تعلم هندسة الكلام والتلاعب بالألفاظ، ولم يتبحر في العلوم؛ لأن الحروب شغلته عن التوسع فيها، وكان دائمًا ما

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص١٠١.
(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٣.
(٣) العقاد، عباس . مرجع سابق ، ص٥١.
(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢ ، ص٥٢٣.

يلفت الانتباه إلى الذي استوفى نصيبه من العلوم وهو أخوه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، فإذا عرضت مسألة في الفقه أو اللغة العربية فإنه غالبًا ما يحيل المسألة إلى أخيه ليدلي برأيه فيها [1].

وحين يصف معاركه مع خصومه يتضح خلوه من الادعاء والتصلف والتظاهر الكاذب، من ذلك وصفه إحدى مواقعه مع خصمه ابن رشيد: « لا أخذناهم في تلك الوقعة ولا كسرونا، ترى الصحيح نحكي اللي لنا واللي علينا » [2]. لا يبخس خصومه حقهم، فهو يذكر محاسنهم ومساوئهم، فقد أثنى على خصمه ابن رشيد بأنه كان شجاعًا مقدامًا، إلا أنه ينقصه الرأي السديد ويعيبه البخل[3].

ويدعو بصراحة إلى الانتفاع بالمخترعات والعلوم الحديثة والإفادة من الأوربيين في هذه النواحي[4].

وفي أثناء رحلة الريحاني في جزيرة العرب والتقائه حكام العرب، سجل موقفين قارن فيهما بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين من حيث الصراحة ووضوح الفكر، فحين عرض الريحاني عليه خلاصة ما دونه من حديث له عن الوحدة العربية، صحح الملك عبدالعزيز الفقرة الثانية ومحتواها: « وإذا بايع العرب غيره فهو يقبل ذلك ولا يتحول عن فكرته، بل يستمر في خدمة القضية العربية بما يستطيع ». وقال للريحاني: « أسأت فهمنا فيها، نحن لا نقول كلمة ينقلها عنا الأستاذ الريحاني، ولا نثبت عليها، ولكن هذا لا يكون ... نحن نعرف أنفسنا ولا نقبل الرئاسة في غيرنا ».

---

(١) رضا ، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٢٦، العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٤٤ .
(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٣٨ .
(٣) العقاد ، عباس . مرجع سابق، ص٥٦.
(٤) المرجع السابق، ص٥٢.

بينما الشريف حسين والذي أكد للريحاني عدم رغبته في الزعامة وأنه يساعد في تحقيق الوحدة العربية تابعًا أو متبوعًا يناقض نفسه حين رفض التوقيع على المعاهدتين مع الإمام يحيى والإدريسي؛ لأنهما لم يعترفا له بالزعامة العامة ولم يلقباه بملك العرب، يقول الريحاني: ((فإذا قابل القارئ بين القولين ... ليعجب وإن كان شريفيًا بصراحة ابن سعود)) [1].

فصاحته :

اتسم أسلوب الملك عبدالعزيز في أثناء حديثه بعدم التكلف، وهو عادة يتكلم ارتجالاً حتى في الخطب التي يلقيها في موسم الحج وغيره من المناسبات، وينطلق في حديثه دون تلجلج أو توقف، ولا يتقيد بقواعد اللغة العربية، بل يتكلم بلهجة أهل نجد، ومع استخدامه لهذه اللهجة إلا أن كلامه كان واضحًا مفهومًا[2]،ويكثر من إلقاء الخطب والمواعظ والنصائح الدينية بصوت جهوري ولسان فصيح أدهش سامعيه. يصفه محمود ياسين: ((أنه فصيح بطبعه، بليغ بفطرته، لا يتكلف إذا خطب، ولا يتجشم صعوبة إذا تكلم))[3]. كما يؤكد ذلك الوصف الرهوني: ((فصيح اللسان، مفوه يتكلم ويخطب على البداهة كأنه طالع ليالي عديدة يستحضر الآيات والأحاديث كأنها مكتوبة أمامه))[4].

كما أورد غيرهم أمثلة لخطبه وأحاديثه مستشهدًا بها على أن أسلوبه فحل متين البنيان وحسن السبك [5].

---

(١) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٨٦ ، ٥٨٧ .
(٢) الهواري، أحمد . مرجع سابق ، ص١٤٨..
(٣) ياسين ، محمود . **رحلة الحج والعمرة**، ص١٣١ .
(٤) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٠ .
(٥) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٧٢ – ٧٧. رفعت، محمد. مرجع سابق،ص١٣٦.

ومن فصاحته اهتمامه بالإيضاح والإقناع، وأيضًا تعليقه على الدروس التي تلقى بين يديه في تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والفقه والتوحيد، وما يصحب هذا التعليق من نصائح لجلسائه مع الاستشهاد بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية، كما يتطرق إلى القصص التاريخية والأبيات الشعرية التي تدل على فصاحته وبيانه [1].

ذكاؤه وحدة حافظته :

إن توحيد المملكة العربية السعودية، وإدارة أرجائها الواسعة مع نشر الأمن والاستقرار في ربوعها بعد القضاء على الفوضى والاضطراب يعد من أعظم الشواهد على ذكائه ويقظته وتفوق قدراته العقلية . ولا شك أن ذكاءه كان واضحًا ملحوظًا من قبل من التقوه، فحديثه وخطبه التي كان يلقيها على جلسائه في عدد من المناسبات على بساطتها وارتجالها، إلا أنها تنم عما اكتسبه صاحبها من معارف وتجارب كثيرة في الحياة، إضافة إلى ما حباه الله من ذكاء متوقد، وذاكرة قوية[2]. شهد بذلك عدد ممن حضروا مجالسه منهم أحمد مبروك: ((وقد حضرت هذا المجلس العام، وأدهشني ما رأيته من إلمام جلالته بكل الشؤون العامة تساعده ذاكرة قوية، وحافظة واعية، حتى إذا ما عرضت مناسبة لحادثة أتبعها بذكر أصلها الذي ترتبت عليه، وإن مضى على ذلك سنوات)) [3] . وهذا شأنه في إدارة البلاد، فهو يشرف بنفسه على الكبير والصغير والجليل والحقير من شؤون مملكته ورعيته، فهو يقرأ كل ما يرفع إليه من برقيات وكتب وتقارير فلا يترك شاردة ولا واردة من أحوال بلاده ورعاياه إلا ويكون قد ألمَّ بها ووقف على أسرارها ،ولا يبت أحد

---

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٧٣، التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٤

(٢) العقاد، عباس . مرجع سابق ، ص٤١،

Shah, (S) Op, cit, p. 112.

(٣) مبروك، أحمد . مرجع سابق، ص٤٠ .

بشيء من غير الرجوع إليه[1]. واستشف الريحاني من حواره مع الملك عبدالعزيز أن ذكاءه كان ذكاءً فطريًا، فهو يعي أهداف الريحاني وغاياته من رحلته، بل يعي ما يشاع من شكوك حول أهداف رحلته. كما أدهش الريحاني وأثار إعجابه حدة حافظته، وضرب لذلك مثالاً: ((كثيرًا ما يقف السلطان عبدالعزيز في حديث مهم، لينظر في أمر ظاهره طفيف، ثم يدخل عليه أحد الخدم أو الكتاب فيقطع عليه الحديث ثانية فينظر في الأمر الآخر، ثم يعود – وهذا ما كان يدهشني – إلى الكلمة الأخيرة من حديثه الأول دون أن يسأل كما هي العادة في مثل هذه الحال عند أكثر الناس : ماذا كنت أقول ؟ لاما سمعته مرة، وكانت أحاديثنا معرضة دائمًا للتقطيع، يسأل هذا السؤال، فهو شديد الحافظة ومتيقظ دائمًا)) [2].

وأكد أحد رجال حاشيته للعقاد أن له ذاكرة عجيبة، ذات مقدرة كبرى في استيعاب الحوادث وتسجيلها [3].

وكان أحمد حسين يغيب عن الملك عبدالعزيز العامين والثلاثة، ثم يزور المملكة ويؤكد أنه ما تكاد عيناه تقع عليه وسط الحشود التي تتزاحم للسلام عليه حتى يشرق وجهه ويبتسم ابتسامة تدل على أنه لا يزال يذكره، وازداد عجب أحمد حسين حين غاب عنه ثماني سنوات، وتساءل في نفسه هل لا يزال يذكر صورته، أم أن انقضاء تلك السنوات قد غير من شكله، وأضعف الزمن ذاكرة الملك عبدالعزيز، وحين أقبل للسلام عليه وسط الحشود، ولم يبق بينهما إلا مسافة قصيرة نظر أحمد حسين إلى الملك عبدالعزيز ينتظر رد فعله: ((وأشرق وجهه كما اعتاد أن يشرق كلما رآني، الله أكبر إنه ما زال يذكرني، وما زال يعرفني، وما زالت ذاكرته قوية حادة

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٥. رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٢٥ .
(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٣٦ – ٥٣٧ .
(٣) العقاد، عباس . مرجع سابق، ص٦٦ ،٦٧ .

كأحد ما يكون للإنسان من ذاكرة)) [1]. ويؤكد تلك الصفة موقف مشابه حدث لعباس حمادة حين قدم لتهنئة الملك عبدالعزيز بالعيد: « وما وقع بصره عليّ حتى ابتسم ... وقال: (أهلاً بالشاب الأزهري) ثم أشار علي بالجلوس... فجلست وأنا مندهش لقوة فراسته، وحدة ذكائه، وتوقد ذهنه ؛ لأنه كيف يعرفني مع كثرة الوفود، ولم أكن تشرفت برؤيته إلا حينما ألقيت بين يديه الكلمة السابقة في المأدبة الملوكية ليلاً)) [2].

ثقافته وسعة اطلاعه :

إن ثقافة الملك عبدالعزيز وسعة اطلاعه كانت ملفتة للانتباه، قياسًا إلى التعليم الذي تلقاه، فقد صرح للرحالة وغيرهم بأنه لم يدخل المدارس ولا الجامعات، فقد تعلم بنظام الكتاتيب، إذ عهد به أبوه الإمام عبدالرحمن إلى القاضي عبدالله الخرجي، فتعلم على يديه مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سورًا من القرآن، وقرأه كاملاً على يد الشيخ محمد بن مُصيبيح، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ في كراسة صغيرة أعدها خصيصًا له، إلا أنه لم يكن في طبعه الصبر على الدرس فلم يلبث أن انصرف عن الدراسة إلى محاكاة الرجال [3].

وعند مقارنة حصيلته الثقافية بمصادر التعليم الأولية التي أتيحت له يتضح أن هناك مصادر تعليمية أخرى دعمت تلك الحصيلة لعل أبرزها الاحتكاك والاكتساب والتدريب المستمر، فقد استفاد من مجالس والده وما كان يسمعه فيها، وشهد ما مر ببلاده من نكبات [4]، كما أن تنقله المستمر في شبابه المبكر بين قبائل البادية، كان له دور واضح ومباشر في وعيه

(١) حسين، أحمد . ووالد وما ولد، ص٧٦. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٩٩ ، ١٠٠ .
(٢) حمادة، عباس. **مشاهداتي في الحجاز** (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م) ص٩٢ .
(٣) رضا، محيى الدين. **طويل العمر**، ص٢١. الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٥٧ .
(٤) المرجع السابق، ص٢١ .

وإدراكه المبكر، فثقافته في غالبها هي نتاج ما اكتسبه من تجارب كثيرة، إضافة إلى ما حباه الله من الذكاء وحدة الحافظة ، وكان دائمًا يقول: ((إني لم أتعلم في مدرسة، بل علمتني التجارب، وعلمني اختلاطي بالرجال، وسماعي الكثير من أخبار عظماء التاريخ))[1]. وشهد العقاد أنه كان يتحدث في موضوعات كثيرة حديثًا ينم عما اكتسبه صاحبه في الحياة من تجارب كثيرة، وما حباه الله به من ذاكرة قوية[2].

ومن مصادر ثقافته الحرص على مجالس العلم،وتخصيص أوقات منتظمة خلال اليوم لتلقي العلم، فمن عادته بعد أن يصلي العصر أن يستمع إلى آيات من القرآن الكريم وتفسيرها ،وفصول من الحديث من أحد العلماء، ثم يستمع مرة أخرى بعد صلاة العشاء إلى فصول في تفسير القرآن الكريم والحديث، إضافة إلى استماعه إلى كتب الأدب والتاريخ. وبمرور الزمن أصبح لدى الملك عبدالعزيز حصيلة ثقافية دينية وأدبية وتاريخية كان لها تأثيرها في حديثه وخطبه،وكان يشارك في هذه المجالس العلمية ولا يكتفي بالسماع ، بل يناقش ويدلي برأيه،وهذه الدروس اليومية كانت نوعًا من التعليم المستمر،لا يكتفي بها في إقامته،بل كان حريصًا عليها حتى في أثناء سفره[3].

يقول الطنطاوي: ((وتلك سنة حسنة استنها الإمام عبدالعزيز حفظه الله ... فجعل ليله كله للعلم، يأتي مجلسه العلماء فيقرؤون فيه كتابًا، فإذا أتموه شرعوا في غيره، وتكون مناقشات علمية يشترك فيها بنفسه))[4].

---

(١) وهبة، حافظ . **خمسون عامًا في جزيرة العرب.**ــ ط١ .ــ القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ، ص٤١ .

(٢) العقاد، عباس . مرجع سابق، ص٤١ .

(٣) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢٤٢ ، ٢٤٣. رفعت، محمد. مرجع سابق، ص٢٤، ٢٥، العقاد، عباس. المرجع السابق، ص٥٢، هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٥٦، رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٣٥.

(٤) الطنطاوي، علي. مرجع سابق، ص٩١ ..

ومما أسهم في توسيع مداركه حرصه على معرفة الشؤون السياسية في العالم، فإن له موظفين مهمتهم التقاط أنباء العالم عن طريق المذياع من أبرز محطات الإذاعة في العالم سواء العربية، أو الغربية، ثم يستمع إلى هؤلاء بعد درس العشاء وتقرأ عليه في مجلس يضم مستشاريه وأبناءه، ويعقب عليها أحيانًا تعقيبًا موجزًا يدل على بعد نظره وسعة اطلاعه وتتبعه للأحوال السياسية في أنحاء العالم[1].

دقته وتنظيمه لوقته :

كان وقته موزعًا بين عبادته وأهله وإدارة بلاده بنظام دقيق، فلكل ساعة من ساعات حياته عمل، وأعماله لها أوقات محددة خلال اليوم والليلة [2].

ومواعيده في النوم والاستيقاظ منتظمة انتظامًا دقيقًا، وكذا مواعيد طعامه. وكان محور تنظيمه لوقته أداؤه الصلوات الخمس في أوقاتها، فهو يستيقظ قبل الفجر بساعة ليتهجد، ويقرأ القرآن الكريم، ثم يؤدي صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة في مسجد القصر، وبعد الصلاة يقرأ في كتاب الله حتى طلوع الشمس، وقد تعرض عليه الأمور التي تحتاج لسرعة البت فيها، ينام بعد ذلك لمدة ساعة ثم يتناول إفطاره مع أبنائه، وينظر في شؤون الأسرة، وفي التاسعة صباحًا يجلس في قاعة القصر ليجتمع بوزرائه ومستشاريه للنظر في شؤون الدولة، ثم يدخل كاتب البرقيات فيتلو ما عنده منها، ويملي الملك ردوده عليها، كما يستمع إلى آخر الأنباء العالمية من الإذاعة والصحف ثم يستقبل زائريه[3].

---

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٢. عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢٤٢ – ٢٤٣. وكان عدد الموظفين الفنيين ستة مهمتهم التقاط أنباء العالم التي تذاع بالمذياع من مختلف محطات الإذاعة في العالم. رفعت، محمد. مرجع سابق، ص٢٤ – ٢٥ .
Shah, (S), Op, cit, p. 110

(٢) رضا ، محيى الدين . **طويل العمر**، ص٨٠ .

(٣) رفعت ، محمد . مرجع سابق ، ص٢٣ ـ ٢٥ . العقاد ، عباس . مرجع سابق ، ص ٥٢.

وعند أذان الظهر يتوجه إلى مسجد القصر ليؤديها جماعة ثم يتناول الغداء مع أبنائه وحاشيته وضيوفه، ويستريح ليعاود نشاطه بعد أدائه صلاة العصر، حيث يستمع إلى دروس في التفسير والحديث من أحد العلماء، ثم تعرض عليه شؤون الدولة مرة أخرى، ويستقبل زواره، وقد يخرج في نزهة إلى أحد بساتينه في الصيف أو يشاهد سباق الخيل، ثم يصلي المغرب، ويعود إلى القصر، فيتناول العشاء، ويلتقي بنساء الأسرة يستمع إليهن، ويقضي مطالبهن[1].

وبعد صلاة العشاء يستمع مرة أخرى إلى دروس في التفسير والحديث والتاريخ والأدب، ثم تعرض عليه الشؤون المستعجلة، ويدخل عليه الفنيون المكلفون بالتقاط أنباء العالم من المذياع، ويتلونها عليه في مجلس يضم أبناءة ومستشاريه فيعلق على ما يحتمل التعليق منها وبعد أن ينفض ذلك المجلس يأوي إلى فراشه في الساعة العاشرة مساء[2].

ولا يكاد نظامه هذا يختلف في يوم عن يوم إلا اختلافاً طفيفاً، وهذا ما أكده موظفوه ومستشاروه في أحاديث شفهية مع الرحالة، وضرب أحد موظفيه مثالاً على تنظيمه الدقيق لوقته: ((إنني إذا فارقت الملك أستطيع وأنا في إنجلترا أو أمريكا أو لبنان، إذا شاهدت ساعتي أن أعرف أين هو، وكيف يصرف شؤون مملكته))[3].

---

(١) مبروك، أحمد. مرجع سابق، ص٤٠. رفعت، محمد. مرجع سابق، ص٢٤ .

(٢) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٢. رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٣٥ .

(٣) رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٣٦، وقد سجل محيى الدين رضا حديثًا شفهيًا مع حافظ وهبة في لقاء معه حول نظام الملك عبدالعزيز في حياته اليومية، كما رصد محمد رفعت نظامه اليومي عن طريق سؤال وجهه إلى أحد الضباط وهو مندوب القصر الملكي لاستقباله في المطار، وكذلك أحمد مبروك الذي دون نظامه اليومي ودقته في تنظيمه لوقته عن طريق سؤال وجهه إلى رشدي ملحس. انظر: رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٣٤ـ ٣٥. رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٢٣ـ ٢٥، مبروك. أحمد . مرجع سابق، ص٤٠، ٤١.

عاداتـــه :

١ – لباسه :

يرتدي ثوبًا من القطن أبيض، فوقه عباءة من الصوف ثقيلة في الشتاء وخفيفة في الصيف غالبًا ما يكون لونها بنيًا، ويلبس على رأسه كوفية من القطن حمراء، يعلوها عقال مقصب[1]. وينتعل في قدميه نعلين نجديتين غاية في البساطة مصنوعتين من الجلد، ويحمل عصا طويلة يستعين بها على الإفصاح عن آرائه . ولا يحمل شيئًا في جيبه لا ساعة ولا قلمًا ولا ذهبًا ولا فضة[2].

٢ – طيبه :

يتطيب، ويحب الطيب والروائح الحسنة، ويشمئز من الروائح الكريهة، ويأمر بالبخور لضيوفه في ختام مجالسه، كما يطيبهم من طيبه الخاص وهو غالبًا من دهن الورد المصنوع في الطائف[3].

٣ – طعامه :

على الرغم من توافر أنواع الطعام المختلفة على مائدة الملك عبدالعزيز وإتقان إعدادها إلا أنه لم يكن يكثر من الطعام، حيث يسير في مأكله على عادات غذائية معينة سواء في إقامته أو في سفره . ومنذ صباه لا يميل إلى الإكثار من ألوان الطعام، ولا يحب الدسم ولا الحلوى، ويقتصر على أنواع معينة من الطعام، تمثلت في التمر، واللبن، واللحم، والأرز، وكان قليلاً ما يتجاوز هذه الأصناف إلى غيرها [4].

وقد يتناول الحساء المحتوي على الخضر وعلى الأخص (البامية)، ويكتفي منها بمرقها وقلما يصيب من حباتها، ينقل عنه عبدالوهاب عزام:

---

(١) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٧. هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٤٨ .

(٢) حسين، أحمد. **ووالد وما ولد**، ص٧٣. الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢ ص٥٣٣ ص٥٣٦ .

(٣) مبروك، أحمد. مرجع سابق. ص٤١، عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢١٩

(٤) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥١. الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢ ص٥٢٩

((وكان - حفظه الله - على كثرة ما على المائدة من أصناف وألوان يأكل من طعام واحد . وقال: إن طعامه في الغداء والعشاء هذا الخبز وهذا الحساء واللبن)) [1].

ويستمر الملك عبدالعزيز على نظامه الغذائي في أثناء سفره، ففي رحلته إلى مصر على ظهر المدمرة الأمريكية، وعلى الرغم من أن المدمرة قد أعدت إعدادًا كافيًا لراحة ضيوفها، وحاجتهم من الطعام المختلف الألوان، إلا أنه كان يفضل كثيرًا تناول اللبن، والتمر، واللحم والأرز، ويكاد يكون هذا هو الطعام اليومي الذي يتناوله على الدوام [2].

وكانت مواعيده الغذائية منتظمة، فهو يبكر بالإفطار ويكون غداؤه في الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وعشاؤه في الساعة السادسة مساء .
وعلى الرغم من تقشفه في طعامه واقتصاره على أصناف معينة، إلا أنه كان يبالغ في إكرام ضيوفه، وتقديم الأصناف المختلفة التي حازت إعجابهم من حيث جودتها، وحسن إعدادها. يصف الهواري إحدى موائده: ((ومدت عليها أنواع الأطعمة الفاخرة، والفواكه، والحلويات، والمبردات مما يتعجب من إتقانه ووجوده هناك)) [3].

٤ – **شرابه :**

١ – يفضل في شربه للماء مياهًا معينة، منها ماء عين البديعة في الرياض، وماء بئر (الجُعرانة) قرب مكة.

وأكد غير واحد من الرحالة حرصه على شرب الماء من هذين المصدرين، يقول العقاد: إن الملك عبدالعزيز أخبرهم أنه منذ عشر سنوات لم

---

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥١. عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢١٩ .
(٢) رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٥٥ .
(٣) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٧ .

يشرب ماءً من غير عين الجعرانة في الحجاز[1]، وعين (البديعة) في نجد، وقد شربوا من ذلك الماء، فإذا هو سائغ المذاق. كما رجح العقاد: أنه يحتوي على بعض الخصائص المعدنية التي تساعد على هضم الطعام[2]. كما شاهده أحد الرحاله وهو يشرب من ماء خاص، ويتحدث عن ذلك الماء، وكيفية استحضاره من عين بعيدة عن مكة، وقد يشرب قليلاً من الماء على الطعام، يحمله خادمه في كوب طويل يقف به وراءه في أثناء جلوسه على المائدة، ويناول الكوب من يختصهم من ضيوفه بالحفاوة والإكرام، وغالبًا ما يقدم لأقرب الجالسين إليه آنيته الخاصة ليشرب منها مبالغة في إكرامه[3].

٢ – لا شك أن القهوة كانت مشروبه المفضل كغيره من سكان المملكة العربية السعودية، وهو لا يستغني عن القهوة في يومه وليلته. وليس للقهوة أوقات محددة لديه فهو يشربها في أوقات مختلفة، كما يقدمها لسائر ضيوفه، ويطلبها كذلك لتهدئة غضبه. ذكر الريحاني أنه حين يحتدم غيظاً يطلب القهوة[4] . وقد ذكر لعبدالوهاب عزام أنه يكثر من القهوة، ولا يميل إلى الشاي، كما أكد أنه ينام بعد شربها مع أنها تمنع النوم[5].

٣ - يلي القهوة مكانة عنده لبن النياق حليبًا كان أم مخيضًا، وقد يستغني عن شرب الماء مع الطعام، ويستعيض عنه بشرب اللبن المخيض بعد الغداء أو بعد العشاء، ويشرب منه جرعات، ويأمر به لمن حوله من الضيوف [6] .

---

(١) وصف عبدالوهاب عزام بئر الجعرانة بقوله: ((ذهبت إلى الجعرانة ... وهي على بعد ثمانية عشر كيلاً من مكة، فرأيت بئرًا واسعة غزيرة الماء ... وماء البئر عذب كل العذوبة، والملك عبدالعزيز يؤثر الشرب منها حين يكون في مكة أو قريبًا منها . وربما يحمل إليه ماؤها في الرياض)) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢٦٨ .

(٢) ذكر الملك عبدالعزيز أنه منذ عشر سنوات لم يشرب من غير ماء الجعرانة، وماء البديعة في نجد، أي منذ عام ١٩٣٦م، لأن زيارة العقاد كانت في عام ١٩٤٦م. العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥١، ٥٢.

(٣) حبيب، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٤٣ .

(٤) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٤٣ .

(٥) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢١٩ .

(٦) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٥٢، مبروك، أحمد. مرجع سابق، ص٤١ .

٥ – في أثناء سفره :

من عادات العرب في السفر خاصة أهل نجد أنهم يتنادون ويسرون باكرًا، والملك عبدالعزيز أبكرهم دائمًا، وأعجلهم تأهبًا للرحيل، فهو يصلي الفجر أول وقت الصلاة ولا يتوقف للراحة إلا عند الضحى.

وفي سفره ينام على الفراش والسجادة في الليل، ويضعهما كأي عربي تحته على الكور في السفر، ويصحب معه ساعةً في خرج يضعها تحت الوسادة عندما يقيم في مكان، ويحفظها في صندوقها الذي جاءت به من المعمل، كما يحمل ناظورًا كبيرًا لا يستغني عنه يشرف به على معسكره [(١)].

وفي أثناء المسير يتصدر الملك عبدالعزيز رأس الموكب في صف يتراوح بين الخمس والخمس عشرة من الركائب يتبعه صفوف مقاربة لهذا العدد، وتكون بنادقهم معلقة برحالهم والسيوف في أغمادها، ومن عادة الملك عبدالعزيز في أثناء سفره أن يتقدم موكبه منادٍ ينادي بقوله: يا سُعَيِّد يَسْعَايِّد ! حتى إذا سمعه أحد من البادية أو الحاضرة علم بمرور الملك عبدالعزيز فإن كان له حاجة أو شكاية سارع إلى مكان الصوت حتى يفوز بطلبه كما أسلفنا [(٢)].

ويختار الملك عبدالعزيز بنفسه المكان المناسب للإناخة، ويتوقف الموكب وقت الضحى للراحة وتناول الطعام ويسمى المكان الذي ينيخون فيه (المضحى)، ثم يواصلون السير بعده مدة ساعتين ويتوقفون (للمراح)، وعندها تنصب الخيام وتكون خيمة الملك عبدالعزيز بارزة على مرتفع من الأرض وحولها الخيام وبيوت الشعر [(٣)].

---

(١) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٦ ص٥٣٦ .
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٦ – ٥٢٧، ص٥٢١.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٩ .

ثانيًا ـ سياسته الداخلية :

اتسمت سياسة الملك عبدالعزيز الداخلية بالحنكة والحكمة حيث أفاد من تجارب سابقيه إضافة إلى إدراكه لأوضاع البلاد ومتطلباتها وإمكاناتها. وتناول الرحالة مسائل متفرقة في سياسته الداخلية لعل أبرزها تأنيه وتدرجه في الإصلاح واضطلاعه بمشروع توطين البادية .

التأني والتدرج في الإصلاح :

سلك الملك عبدالعزيز في إصلاح أحوال البلاد وتطويرها مسلكًا حكيمًا ، حيث كان يدرك إمكانات بلاده المادية ، إضافة إلى مراعاته لعقلية المجتمع، ومدى تقبل أفراده للخطوات الإصلاحية التي ينتهجها، وتلك الخطوات لا شك أنها كانت صادرة عن تصميم وتخطيط مع كثير من التفكير والأناة والتدبير ، وهو في طريقه الإصلاحي يفضل التؤدة والتأني، لأن الترقي البطيء المعقول بداخل المملكة يواكب الظروف والإمكانات، وهو ما صرح به الملك عبدالعزيز: ((لذلك أكتفي بما تطيقه موارد البلاد ، وما يطيقه أهلها من تدرج بطيء، وقديمًا قالوا : في الأناة السلامة)) [(١)].

ولعل من الواضح في هذا التصريح أن استعداد الشعب لما يريد من الإصلاح أمر مهم في نظره، وهو في هذا يحتاج إلى استخدام وسائل الإقناع كثيرًا في مخاطبة شعبه على تفاوت فئاته؛ لأنه يريد الانتفاع بالعلوم الحديثة فيما يوافق الدين والبيئة والعادات والتقاليد. وهو لا يرغب في إجبار شعبه على الرضوخ لخطط الإصلاح التي ينتهجها ، بل يريد منهم تقبلها ، وهم متفهمون، ولها مؤيدون، وقد آتاه الله قدرة على إقناع المعارضين على اختلاف حظوظهم من المعرفة والذكاء [(٢)].

---

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٦٦ .

(٢) العقاد ، عباس. مرجع سابق، ص٧٣ ، ٧٤ .

ومع أنه يوجه من الجهود إلى الإصلاح غاية ما يستطيع، إلا أن الكثير من العقبات كانت تعترض طريقه، فبالإضافة إلى ما ذكرناه آنفًا فإن الإصلاح والنهوض بالبلاد يحتاج إلى الاستقرار الذي كان معرضًا لهزات الثورات والحروب في فترة ليست بالقصيرة من عمر الدولة [1].

وقد أشاد الرحالة بكفاح الملك عبدالعزيز للإصلاح والنهوض بالبلاد على الرغم مما اعترضه من صعوبات وعقبات، وضربوا الأمثلة على ذلك :

١ – من الواضح أن الملك عبدالعزيز في مشروعاته لتطوير البلاد والنهوض بها يبدأ بالضرورات المهمة لحياة الناس، كتوفير المياه والغذاء، ثم توفير الأمن والاستقرار، ثم نشر التعليم وهكذا .

فحين أثنى محمد رفعت في حضرة الملك عبدالعزيز على ما شاهده من مشروعات جديدة في مكة وجدة كان تعليق الملك عبدالعزيز تعليقًا دل على وعيه الإصلاحي: « إننا نسير في الإصلاح بخطوات واسعة ولكن بالتدريج)). ثم أوضح في حديثه: أنه في مشروعات النهوض بالبلاد يبدأ بالأهم فالمهم، وضرب لذلك مثالاً توفير الماء النقي الصالح للشرب لسكان جدة، فكانت أولى خطوة في هذا المشروع مد المياه من عين فاطمة بين جدة ومكة، ثم تدرج خطوة أخرى عند عدم كفاية الماء، وخاصة في موسم الحج إلى تنفيذ مشروع آخر لتغذية جدة بمليون جالون من الماء، ثم أوضح ما يلي ذلك من مشروعات تدرج فيها إلى ما يلي المياه من أهمية كتوفير الغذاء عن طريق الاهتمام بالزراعة ودعم المزارعين [2].

٢ – رأى الرحالة إضافة إلى التدرج تأني الملك عبدالعزيز، وضربوا لذلك مثالاً: مشروع توطين البادية فقد سار فيه بروية وتأن، وهذا التأني تمثل في وقوفه عند كل خطوة لتدعيم النتائج الإيجابية، وتقويم النتائج السلبية، والنجاح

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٦٦ .
(٢) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص٢٩ ، ٣٠ .

المبدئي لهذا المشروع شجع الملك عبدالعزيز على اتخاذ الخطوات التالية، فالتعليم من أهم الخطوات الإصلاحية ولكن لا بد من تمهيد الطريق له بتحقيق الاستقرار المتمثل في توطين البادية ؛ لأنها تشكل نسبة كبيرة من سكان المملكة، وبالفعل بعد إنشاء الهجر واستقرارهم، ثم بعث العلماء والمرشدين لنشر العلم بينهم، وهذه الخطوة مهدت الطريق لتقبل حركة العلم والتعليم ومن ثم تهيأت البلاد لتقبل التعليم النظامي فيما بعد [1].

٣ – ومن الأمثلة على تأنيه وكيف يأخذ رعاياه بالرفق، ويتدرج بهم لقبول مظاهر المدنية الحديثة، فقد أنشئت المطارات في أطراف المملكة العربية السعودية، ولكن الرياض لم يكن يوجد بها مطار، وحين رأى الملك عبدالعزيز أنه لا يستغني عن إنشاء مطار في الرياض تم إنشاؤه على بعد ساعتين من الرياض بالسيارة، ولم تكن الطائرات تظهر في سماء الرياض ولكن أصبح الناس يسمعون بوجود مطار تهبط فيه الطائرات، وتذهب إليه السيارات وتجيء منه حتى إذا ألفوا ذلك الأمر اقترب بالمطار مسافة أخرى فأصبح على بعد ساعة، وأخيرًا أنشئ مطار لا يبعد عن الرياض سوى بضع دقائق على أحدث طراز، ولم يثر ذلك الأمر أي لغط أو احتجاج [2].

٤ – ولعل مما أسهم في نجاح تلك المشروعات مع التدرج والتأني تصميم الملك عبدالعزيز ومثابرته على الرغم مما يعترضه من صعوبات وعقبات في سبيل ما يرى نفعه وضرورته للبلاد، فقد مكث يجاهد ويجالد في سبيل الهاتف (والتلغراف اللاسلكي) جهادًا طويلاً مع الإخوان حينا، ومع العلماء حينًا آخر نحو عشر سنوات، واتخذ وسائل الإقناع كافة، وحين لم تنفع تلك الوسائل صمم على المضي في طريقه خاصة أنه لا يتعارض مع الدين الإسلامي[3]. وقال

---

(١) المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٦٠ ، ١٦١، أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٢٦ ، ٢٧ .

(٢) وقد انفرد أحمد حسين بذكر هذه الرواية عن مطار الرياض، حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦٣ .

(٣) عبدالرحمن، عائشة. مرجع سابق، ص٤٥ – ٤٧. حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦٣ .

لمعارضيه: ((مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد، لظهور فائدتهما لي ولبلادي، وليس هناك دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ يمنع من إحداث اللاسلكي والسيارات)). ولا شك أن حزمه في كثير من المواقف كان له أثره في النهوض بالبلاد وإصلاح أحوالها[1].

مشروع توطين البادية :

لقد أثار اضطلاع الملك عبدالعزيز بمشروع توطين البادية انتباه الكثيرين، فغالبية من تصدوا للكتابة عن الملك عبدالعزيز من معاصريه من سياسيين، ومؤرخين، ورحالة من الشرق والغرب أبدوا إعجابهم بهذا المشروع من حيث إنه من أعظم المشروعات الإصلاحية، ولم يكن لدى الملك عبدالعزيز دراسات اجتماعية واقتصادية يهتدي بها في مشروعه، ولكنه اتجه إلى المشروع نتيجة حكمته وحنكته السياسية، وتجاربه الشخصية مع البادية بعد استشارته لوالده والعلماء وذوي الخبرة من أسرته[2].

فمن خلال احتكاكه بالقبائل في صباه وشبابه أدرك واقع البادية، وأخلاقها، وطبائعها، وعاداتها وتقاليدها؛ فالبدو دائمو الارتحال طلبًا للماء والمرعى لأنعامهم، وفي حال القحط وشح المرعى تهلك الماشية، ويصبحون عالة على غيرهم، يسطون، وينهبون من القبائل الأخرى ومن القوافل وعابري السبيل والحجاج وغيرهم[3].

وأدرك أنهم إن ظلوا على حالهم تلك في تنقلهم وترحالهم فإنهم لا يخضعون لسلطان الحكومة، ومن الصعب تتبع المعتدين منهم ومعاقبتهم، فلا

---

(١) لا شك أن سرعة نقل الأخبار لها أهميتها في تلك البلاد الشاسعة، ولمعرفة الصعوبات التي تعترض الملك عبدالعزيز في طريقه الإصلاحي. انظر: وهبة، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٢٨٥ – ٢٨٨ .

(٢) الريحاني، أمين. **تاريخ نجد الحديث**، ص٢٦٠ .

(٣) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٤٤٩، ج٢. أبو علية، عبدالفتاح. **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز** .ـ الرياض: دار المريخ، ١٤١٨هـ، ص١٢٥ .

بد من الاستقرار حتى يمكن القضاء على الفوضى والاضطراب وتأمين البلاد والاستقرار لابد أن يمهد الطريق إليه ببذل الجهد والطاقة .

وفي عام ١٣٣٠ /١٩١٢م بدأ تنفيذ مشروعه، فدعا القبائل الرحل لترك حياة البادية والإقامة في هجر[١] زراعية، فكان على كل قبيلة أن تقصد أقرب بئر أو نبع ماء فتستقر عنده، لأن الماء قوام الحياة، وبوجود الماء يمكن زراعة الأرض. وأخذ الملك عبدالعزيز يمد كل قبيلة بما يساعدها على بناء مسجد، وبناء بيوت ثابتة من اللبن تسكنها فتتعود بالتدريج على حياة الاستقرار، كما زود كل هجرة بمرشد من العلماء أو طلبة العلم كان يطلق عليه (المطوع)[٢] لتعليم أهل الهجر العقيدة الصحيحة وأحكام الشريعة الإسلامية وحدود الحلال والحرام والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم [٣].

وحقق المرشدون نجاحًا كبيرًا، حيث انتشر العلم بين البادية وأصبح غالبهم من المتدينين، وحلت الأخلاق الإسلامية الفاضلة فيهم، فكانت هجرتهم دينية بحتة، وشرعوا في دراسة الدين وغصت بهم المساجد، فأصدر العلماء فتوى بضرورة العمل والكسب من الزراعة والتجارة وغيرها، وأخذ المرشدون في تلك الهجر يحثون الناس على ترك الكسل والاتكال، وضرورة العمل من أجل الكسب الحلال، ويذكرونهم بقول النبي ﷺ: ((المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف))[٤].

---

(١) وأصل معنى المهاجرة النزوح من البادية إلى الحاضرة، ثم عم استعماله في كلٍ تحول من مكان سكني إلى غيره، والهجر جمع هجرة وقد يكون هذا الاسم مشتقًا من هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة. ليدل على أن الذين يتركون البادية وحياتها غير المستقرة ليقيموا في الهجر إنما يقتدون بالرسول ﷺ، وأنهم في استقرارهم الجديد إنما يطيعون اللّٰه ويبذلون أنفسهم للتوحيد والدعوة للدين الصحيح. أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٢٦ .

(٢) مطوّع أي المطوع في خدمة اللّٰه وأصله متطوع. الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٠ .

(٣) وهبة، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٢٨٨ ، ٢٨٩ ، فيلبي، عبداللّٰه . **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، تعريب عمر الديراوي . ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، د. ت، ص٤١٤.

(٤) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٢٦٤. السجستاني، سليمان ابن الأشعث . **سنن أبي داوود** . ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي د. ت، ج٣، ص٣٦ .

وقد سمى أهل الهجر أنفسهم (الإخوان) دلالة على رفع الفروق بينهم، وأنهم صاروا إخوانًا في الله، بعد أن كانوا بالأمس أعداء ألِدَّاء [1].

لقد كان من أسباب نجاح الملك عبدالعزيز في مشروعه توفيره آلات الفلاحة والزراعة وتسهيل اقتنائها، كما لم يكتف بالآبار الموجودة بل استكثر من الآبار الارتوازية لاستيعاب البدو المجاورين لها.

كما بذل جميع الأسباب الممكنة للتغلب على الصعوبات التي اعترضت الزراعة في تلك الهجر، حتى إنه أسعفهم بالضروري من الأقوات عند إصابة الغلة في أرضهم ببعض الآفات[2] .

آراء الرحالة حول مشروع توطين البادية :

١ - التأييد والإعجاب للحركة الإصلاحية في نجد المتمثلة في توطين البادية بإنشاء الهجر؛ لأنها الطريقة المثلى لاستقرارهم وتأمين السبل. وقد عده الرحالة إنجازًا حضاريًا عم نفعه البلاد[3].

٢ - القضاء على الفوضى والاضطراب، وتأمين سبل الحج، وتوحيد البلاد، ونشر الأمن في أنحائها، وظهور حس المواطنة بين جماعاتها ليحل محل الشعور القبلي المتوارث، كما استطاع أن يجعل من البادية أمة منظمة، وأن يقيم الحكم فيهم على أساس الشريعة الإسلامية[4].

٣ - كانت هذه الهجر بمثابة معسكرات في الصحراء، جنودها على أتم الاستعداد لتلبية نداء الحرب، فحين صدور الأمر من الرياض يجتمع على إحدى الآبار أو في أحد الشعاب في اليوم المحدد الآلاف منهم، وقد جاء كلٌ على ذلوله مسلحًا ببندقيته، وحاملاً بعض التمر والماء، فهم في أثناء الحرب لا يكلفون الملك عبدالعزيز شيئًا كما قال الملك عبدالعزيز

---

(١) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٢٦٥ .
(٢) الزركلي ، خير الدين . **شبة الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز** ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ .
(٣) المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٦٠ – ١٦١.أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٢٦ ، ٢٧ .
(٤) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٦١ .

للريحاني: ((هم يعطوننا ولا يأخذون منا، ونحن في أيام السلم نعطيهم، ولا نأخذ منهم))[1].

٤ - عن طريق العلماء والمرشدين عرفت البادية حدود الحلال والحرام، ومنها حرمة المسلم في نفسه وماله، وانتشر بينهم التدين والورع، وكان ذلك واضحًا جليًا للرحالة فيمن شاهدوا من الإخوان عامة، أو فيمن صحبوهم في رحلاتهم من أدلاء، أو خدم [2]؛ ففي رحلة التميمي بين المدينة والعلا كان الدليل ينصح التميمي بذكر الله، وأنه أفضل من رفع الصوت بالغناء، وفي مقارنة بين ماضي ذلك الدليل وحاضره ذكر أنه قتل بين خمسة وثلاثين وستة وثلاثين رجلاً قبل تدينه [3].

٥ - نجح الملك عبدالعزيز في إذكاء روح العلم والعمل لدى البادية، فنشطت حركة العلم والتعليم في تلك الهجر، فأخرجتهم من جهالتهم، ولم يكتف الإخوان بالتعلم في الهجر، بل قصد عدد منهم المدن الرئيسة لطلب العلم، كما رأى الريحاني حرصهم على تعليم غيرهم في أثناء رحلته[4].

٦ - أحكم رابطة القبيلة برؤسائها، وأصبح رؤساؤها مسؤولين فيما يتعلق بأفراد القبيلة مسؤولية تامة، وأبرز جوانب تلك المسؤولية التجنيد وتسليم المجرمين، بحيث أصبحت كل قبيلة مسؤولة عن الجرائم التي تقع في

---

(١) الريحاني، **أمين . ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٥ .

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٥٦٥، ص٥٧٠ .

(٣) وقد حاول التميمي اختبار ذلك الرجل ومدى تمسكه بدينه فقال: هأنذا أحمل نقودًا كثيرة، أفلا تقتلني وتأخذها؟ فاستنكر أن يفعل هذا وحتى مجرد أن يفكر في ذلك وفسر ذلك بقوله : ((لأننا ما كنا نعرف الله ولا رسوله ولا الحلال ولا الحرام، لكن الآن عرفنا الله ورسوله وأمور ديننا ودنيانا بفضل الله ثم بفضل عبدالعزيز طول الله عمره، ونرجو الله أن يتوب علينا))، التميمي، محمد. مرجع سابق، ص١٠٥.

(٤) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٣٠ – ٦٣١ .

نطاقها، وعليها تسليم الجاني إن كان من أفرادها لينفذ فيه حكم الشرع [1].

ثالثًا ـ سياسته الخارجية :

اختلفت مؤلفات الرحالة في درجة الاهتمام بالسياسة الخارجية، ويعود هذا إلى تفاوت اهتمام الرحالة وأهدافهم ودوافعهم، ولعل أبرز الموضوعات التي تناولها الرحالة في سياسة الملك عبدالعزيز الخارجية موقفه من الحربين العالميتين، وعلاقات بلاده مع بعض الدول العربية .

موقفه في الحرب العالمية الأولى :

عندما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م كان الملك عبدالعزيز سلطانًا على نجد والأحساء، وكان يتخوف من وصول الصراع إلى مملكتة، فسعى لدى حكام الجزيرة لتكوين رأي مشترك في سياستهم الداخليــة، يأمنون به الاصطدام مع بعضهم، وحين لم تفلح دعوته احتفظ بحياده علىالرغم من محاولة استمالته لأحد الأطراف [2].

وكان موقف الملك عبدالعزيز من الحرب العالمية الأولى موقفاً أشاد به المؤرخون والرحالة، فإنه اتبع سياسة غاية في بعد النظر والحكمة، مما يدل على واسع الحيلة، وقوة الإرادة، وعظم التقدير للظروف والأحوال [3].

فقد نظر الملك عبدالعزيز فوجد أن الانحياز إلى الدولة العثمانية ومعاونتها في الحرب ضد إنجلترا وحلفائها معناه الانحياز مع دولة ضعيفة لم تعد قادرة على المواجهة، لذا قرر اتخاذ موقف الحياد لاسيما أن الدولة العثمانية دولة إسلامية، ولا يرغب في الوقوف مع خصومها على الرغم من أن تلك الدولة هي التي قوضت كيان الدولة السعودية الأولى .

(١) المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص٧٣. هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٥٢ ، ١٥٣.
(٢) وهبة، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٢٠٩ .
(٣) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص١١١، حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٧، ١٨.

أما بالنسبة لبريطانيا وحلفائها، فقد أُرسل المعتمد البريطاني في الخليج إلى الرياض عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ليتباحث مع الملك عبدالعزيز بشأن عقد اتفاق بين بريطانيا وبلاده، ينحاز بموجبه إلى الحلفاء ويعادي الدولة العثمانية ويقف ضدها في تلك الحرب، ولكن المفاوضات التي استغرقت بضعة أسابيع لم تسفر عن نتيجة، وبعد عدة شهور عاود البريطانيون المحاولة، فأرسلوا السير برسي كوكس الذي تمكن من عقد أول معاهدة بين الدولة السعودية وبريطانيا، وبموجب هذه المعاهدة تلتزم بريطانيا بمساعدته في حال وقوع أي اعتداء على بلاده، كما تعهد الملك عبدالعزيز بتحاشي الدخول في معاهدة أو اتفاق مع أي حكومة أو دولة أجنبية [(١)].

وعلى كل فعلى الرغم من عقده لهذه الاتفاقية إلا أن الملك عبدالعزيز لم يتدخل في الحرب فعليًا حيث لم تلزمه تلك المعاهدة بذلك، وبذا ضمن لبلاده عدم الانحياز لهذا الجانب أو ذاك، بل جنب بلاده مغبة الاشتراك في حرب لا طائل منها، ولم يزج بنفسه ولا ببلاده فيها، ومع عدم اشتراكه في الحرب إلا أنه لم ينقض عهدًا، ولا أخلف وعدًا وعد به، فقد تحاشى القيام بأي عمل عسكري ضد الشريف حسين حليف بريطانيا، وركز جهده في تلك الفترة على خصمه ابن رشيد المنحاز للدولة العثمانية [(٢)].

ومع ذلك لم يتعرض لقوات الدولة العثمانية في عسير واليمن، وترك رسلها وأموالها تغدو وتروح عن طريق بلاده، وهو مع ذلك محتفظ بعلاقته مع بريطانيا، وبموقفه هذا حفظ لبلاده كيانها واستقرارها [(٣)].

---

(١) أطلق على هذه المعاهدة معاهدة دارين في ١٨ صفرعام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م، وظلت هذه المعاهدة قائمة حتى استطاع الملك عبدالعزيز أن يتخلص من قيود تلك المعاهدة بعد ١٢ عامًا؛ ففي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م اضطرت بريطانيا أن تقبل بإلغاء الاتفاقية السابقة لتحل محلها (معاهدة جدة) التي اعترفت به ملكاً مستقلاً على الحجاز ونجد وملحقاتها.حمزة،فؤاد.**البلادالعربية السعودية**،ص ١١٥ص ١٣٠

(٢) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٧ ،١٨ .

(٣) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص١١١ ، ١١٢ .

موقفه في الحرب العالمية الثانية :

وقف الملك عبدالعزيز من الحرب العالمية الثانية في ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م موقفه من الحرب العالمية الأولى، على تباين ما كان عليه وضع بلاده السياسي والجغرافي في الأولى والثانية .

وبادر بعد قيام الحرب العالمية الثانية إلى الإعلان بأن بلاده المملكة العربية السعودية تلتزم موقف الحياد في هذه الحرب، وعلى الرغم من كثرة عوامل الإغراء والتحذير من الفريقين المتحاربين إلا أنه لزم الحياد، ووقف ينظر إلى الميدان نظرة المترقب المتأني،وانصرف إلى شؤون بلاده الداخلية ومتابعة حركة الإصلاح والتطوير[١].

وكان الحياد خيارًا صعبًا في ذلك الوقت، وقد عانت البلاد نقصًا شديدًا في الموارد والتموين، لانخفاض عدد الحجاج بسبب الحرب، ومع تلقيه بعض المساعدات البريطانية البسيطة والمتمثلة في المواد الغذائية إلا أن بلاده مرت بظروف اقتصادية صعبة خلال الحرب، واستطاع الملك عبدالعزيز تجاوز تلك الأزمة بحكمة . وقد أشاد محيى الدين رضا بموقفه في تلك الحرب: ((فقد بلغ من إيثاره للشعب أن منع نفسه وحاشيته الخاصة من أداء فريضة الحج في إبان الحرب، وحسب ما ينفقه عادة في هذه الرحلة وهو مبلغ كبير، وأمر بأن ينفق على المحتاجين))[٢].

واهتم بتوفير الغذاء لشعبه بأن يرتب صرف خبز يوميًا للمحتاجين، فأمر بإحضار شحنات من الدقيق تخصص للعجن والخبز والتفريق في كل يوم على المحتاجين، ونفذ أمره الكريم مدة أربعة أعوام، ولما سمع الشكايات عن كيفية التنفيذ، أشرف بنفسه على الأمر[٣].

---

(١) الزركلي، خيرالدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٣، ص٩٦١ – ٩٦٥ .
(٢) رضا، محيى الدين . **طويل العمر**، ص٢٩ .
(٣) المرجع السابق، ص٢٩ ، ٣٠.

وبذلت ألمانيا جهدًا لإقناع الملك عبدالعزيز بأن يقف إلى جانب دول المحور، وعرضت عليه عروضًا مغرية محاولة استغلال الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها بلاده، وكانت الظواهر تدل على احتمالية اجتياحهم للعالم، ولكنه استطاع بلباقة أن يأمن جانبهم دون أن يندفع معهم، وكانت جدة هي البلد الوحيد في العالم العربي الذي ظل به ممثل دبلوماسي لكل من ألمانيا وإنجلترا[1]، وقد شرح الملك عبدالعزيز لأحمد حسين باستفاضة كيف استطاع أن يقف على الحياد في الحرب العالمية الثانية، ففي عام ١٩٤٠م كان لقاؤه بالسفير الألماني وحدثه الملك عبدالعزيز عن الصعوبات التي تحيط ببلاده، فالإنجليز يحيطون به في كل مكان وبإمكانهم منع الحجاج، وهو مصدر رزق بلاده، وكذا منع الواردات عنه من الخارج، وبلاده في أمس الحاجة إلى تلك الواردات .

فقال السفير الألماني: ((نحن نقدر هذه الصعوبات، ولذلك فكل الذي نطلبه هو ألا تكونوا أعداء لنا، فقال ابن سعود : أما هذا فأنا أعد به)) [2].

كما جاءه السفير البريطاني فقال الملك عبدالعزيز : « إن خير ما أنصح به هو أن تتركوا بلادي على ما هي عليه من هدوء وسكينة فإن العالم العربي من حولي يموج بأشد الانفعالات والتوترات، وأخشى ما أخشاه إذا أنا تحركت أي حركة أن ينفجر برميل البارود من حولي، وأغرق أنا وأنتم في صعوبات ومشكلات لا يعلم سوى الله أين تنتهي بنا)).

وقد أيد السفير البريطاني رأي الملك عبدالعزيز، ولكنه طلب منه ألا تقف بلاده موقفًا معاديًا لبريطانيا فوعده الملك عبدالعزيز بذلك [3].

وهكذا استطاع الملك عبدالعزيز أن يجنب بلاده ويلات الحرب، وأن يحتفظ باستقلاله الكامل وحياده، ومع ذلك كان موقفه محل رضا وترحيب الطرفين .

(١) حسين، أحمد. **ووالد وما ولد**، ص٨٠ .
(٢) المرجع السابق، ص٨٠ .
(٣) المرجع السابق، ص٨٠ .

وظلت علاقته السياسية قائمة مع الطرفين، وحين قاربت الحرب من نهايتها، وفشلت دول المحور فشلاً ذريعًا . كان الملك عبدالعزيز يرقب الأحداث، وعندما شعر أن الكلمة للسياسة لا للحرب، وأن الأوضاع الدولية تتطلب منه تغيير موقفه، عندها بادرت المملكة العربية السعودية إلى إنهاء حيادها السابق وأعلنت الحرب على ألمانيا في ١٥ ربيع الأول ١٣٦٤هـ الموافق الأول من شهر مارس ١٩٤٥م [١].

العلاقات السعودية المصرية :

بعد دخول الملك عبدالعزيز إلى الحجاز ومبايعته ملكًا عليها تأخرت مصر في الاعتراف به، ويرجع ذلك إلى أن الملك فؤاد قد أرسل وفدًا برئاسة شيخ الجامع الأزهر محمد بن مصطفى المراغي للتوسط بين الملك عبدالعزيز والشريف علي بن الحسين، ونظرًا لأن الملك عبدالعزيز قد رفض عدداً من الوساطات، فلم يكن ليقبل تلك الوساطة، وقد تم الأمر للملك عبدالعزيز في الحجاز، ولا حاجة لهذه الوساطة، فاعتذر عن قبولها، فاتخذ الملك فؤاد موقفاً غير ودي من الملك عبدالعزيز ودولته الناشئة[٢].

وقد جاءه وجوه أهل الحجاز وأعيانهم وبايعوه ملكًا على الحجاز، فنـزل على إرادتهم وقبل بيعتهم وكان ذلك في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦/١/٨م، وأصبح لقبه «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »[٣].

---

(١) بعد أن اتضح للمملكة أهداف ونتائج مؤتمر يالطا الذي عقد في شهر فبراير عام ١٩٤٥م والذي أعلن فيه أن الدول التي يحق لها طلب الانضمام إلى عضوية المنظمة الدولية المقترحة للسلام (هيئة الأمم المتحدة) هي تلك التي اشتركت في الحرب على النازية واليابان، أو تلك التي تبادر بإعلان الحرب دون إبطاء. العقبي، أحمد حسين. أسرار لقاء الملك عبدالعزيز والرئيس روزفلت . ـ جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، د. ت، ص٤٦.

(٢) الذكير، مقبل. **مخطوط لم يحدد له عنوان** ، بخط المؤلف (كلية الآداب:جامعة بغداد) ورقة: ١٤٠ .

(٣) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٥٩ ، ١٦٠. الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٦٦٢ – ٦٦٣ .

وقد دعا الملك عبدالعزيز إلى عقد مؤتمر إسلامي بمكة المكرمة ليتعرف العالم الإسلامي على حقيقة الحكم السعودي المستند إلى الشريعة الإسلامية، وقد تردد ملك مصر في تلبية دعوته لحضور المؤتمر الإسلامي المزمع عقده في مكة المكرمة في ذي القعدة ١٣٤٤هـ / يونيو١٩٢٦م[١].

وقد زادت الأمور تأزمًا بعد حادثة المحمل، ففي موسم حج عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م وصلت برقية من الحكومة المصرية تستفسر فيها عن بعض الأمور ذات العلاقة بالحج، وقد بين الملك عبدالعزيز أنه لا مانع لديه من قدوم المحمل إلى مكة المكرمة، إلا أنه حذر من استخدام الموسيقى، وشرب الدخان جهارًا، لمخالفة ذلك للشريعة الإسلامية[٢].

ولكن بعد وصول المحمل إلى مكة المكرمة، سار المحمل تصحبه الموسيقى والعساكر، مما أثار ضجة واستنكار بعض الأخون من أهالي نجد، ورشقوا المحمل بالحجارة، فرد عليهم قائد المحمل بأن أصدر أمره بإطلاق النار على أولئك المعارضين[٣].

لقد أكد الملك عبدالعزيز لهيكل حسن النوايا وأنه سبق له تنبيه رجال المحمل: ((ولما جاء المحمل في تلك السنة ... لم يحفل رجاله بعقائد أهل نجد الدينية .... مع أننا رجوناهم أن يحتاطوا لكي لا يقع احتكاك بسبب هـذه العقائد، وعملنا جهدنا لضبط عواطف رجالنا))[٤].

---

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص٦٦٣ .

(٢) اختلف المؤرخون حول بداية ظهور المحمل، فذهب بعضهم إلى أن المحمل يبتدئ تاريخه من عام ٦٤٥هـ، وقالوا إنه الهودج الذي ركبت فيه شجرة الدر ملكة مصر عندما قامت بأداء فريضة الحج في تلك السنة، بينما يرى البعض أن المحمل قديم جدًا يرجع إلى ما قبل الإسلام، إذ كان يطلق على الجمل الذي يحمل الهدايا إلى بيت الله الحرام. البتنوني، محمد لبيب. **الرحلة الحجازية**. ـ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص١٤٠ .

(٣) حسين، أحمد. **ووالد وما ولد**، ص٧٠ .

(٤) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٦١ .

ولما وقع حادث المحمل سارع الملك عبدالعزيز، وكان في منى وعالج الموقف بحكمة، ووقف بنفسه وأبنائه بين الفريقين حتى هدأت الأمور[1]. ووجه أمره إلى ابنه فيصل مع مجموعة من الجند السعودي بالإحاطة بأفراد المحمل وجنوده وحراستهم لحين إتمام المناسك، وبعد انقضاء الحج أرسل معهم مجموعة من الجند لحراستهم حتى وصولهم إلى جدة ومنها سافروا إلى مصر بأمان تام[2].

وقد بين الملك عبدالعزيز لهيكل جهوده في معالجة الموقف: « وقمت بنفسي أول ما بلغني الخبر، وقام معي أبنائي فعملنا جهدنا حتى حصرنا الشر في أضيق حدوده)). كما أكد حرصه على العلاقات مع مصر بالرغم من تلك الحادثة: ((ولم أرد أن أكبر من شأن الحادث فلم أذع أنه قتل فيه خمسة وستون رجلاً وخمس وثلاثون امرأة من عشائر نجد، وإنما فعلت ذلك إبقاءً على ما رجوت بقاءه من علاقات المودة بيني وبين مصر))[3].

وعرض الملك عبدالعزيز أمر المحمل على الشرع فأفتى العلماء أن وصول المحمل على هذا النحو بدعة وضلالة لا تتفق مع الدين الإسلامي، ومع انتشار الأمن والاستقرار في أنحاء البلاد وتأمين طرق الحج فلا داعي للقوات العسكرية التي تصحب المحمل[4].

---

(١) **صحيفة أم القرى**، العدد ١٨٥ في ١٣٤٧/١/١٨هـ، ص٢، حسين، أحمد. **ووالد وما ولد**، ص٧٠.

(٢) ابن هذلول، سعود. **تاريخ ملوك آل سعود**، ط٢ . ـ الرياض: المؤلف، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص١٨٤ ، ١٨٥ .

(٣) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٦١ .

(٤) كان هذا خلال المؤتمر الذي عقد في الرياض في ٢٥ رجب ١٣٤٥هـ/ يناير ١٩٢٧م وحضره زعماء الإخوان، وانتهى الاجتماع بإصدار فتوى في عدد من القضايا التي أنكرها الإخوان ومنها قضية المحمل: «وأما دخول الحاج المصري بالسلاح والقوة في بلد الله الحرام، فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة، ومن إظهارهم الشرك وجميع المنكرات، وأما المحمل: فأفتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام ومن تمكين أحد من التمسح به أو تقبيله، وما يفعله أهله من الملاهي والمنكرات يمنعون منها، وأما منعه عن مكة بالكلية فإن أمكن بلا مفسدة تعين، وإلا فاحتمال إحدى المفسدتين لدفع أعلاهما سائغ شرعًا». وهبة، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٢٩٥ — ٢٩٦.

وأرسلت الحكومة السعودية إلى الحكومة المصرية بالعدول عن إرسال المحمل مستقبلاً بناء على الفتوى الشرعية، وأن يكتفى بإرسال الكسوة وريع أوقاف الحرمين الشريفين في مصر[1]. لكن الملك فؤاد عد هذا تحديًا له، فأمر بوقف إرسال كسوة الكعبة المشرفة التي يصحبها المحمل إلى مكة المكرمة كل عام في موسم الحج، كما أمر بوقف صرف واردات أوقاف الحرمين الشريفين السنوية[2]. ومع عزمه على ذلك إلا أنه لم يبلغ الحكومة السعودية بهذا الأمر، بل على النقيض من ذلك كما ذكر الملك عبدالعزيز: ((فقد أبدت حكومة مصر أنها سترسل كسوة الكعبة أيًا كان الرأي في المحمل وإرساله، وبقينا ننتظر مجيء هذه الكسوة إلى أواخر ذي القعدة، إذ جاء النبأ بأن حكومة مصر لن ترسلها))[3].

فما كان من الملك عبدالعزيز إلا أن أمر بصنع كسوة الكعبة محليًا فعملوا في ذلك ليلاً ونهارًا حتى تم إنجازها، وكسيت الكعبة في اليوم العاشر من ذي الحجة كالمعتاد سنويًا[4].

ورفض الملك فؤاد الاعتراف بالوكالة السياسية التي كان الملك عبدالعزيز قد أقامها في القاهرة منذ أمد بعيد لتمثيله، كما رفض تحويلها

---

(١) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٦٦٦.

(٢) حمزة ، فؤاد . **البلاد العربية السعودية**، ص١٣٠ .

(٣) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٦١ .

(٤) الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٦٦٨ – ٦٦٩، وبالنسبة للفترة الواقعة بين عامي ١٣٤٥هـ ، ١٣٥٥هـ فقد أقيم مصنع في مكة المكرمة لصنع كسوة الكعبة عام ١٣٤٦هـ وظلت تصنع فيه حتى عودة العلاقات السعودية المصرية وقد نشرت أم القرى مقالاً عام =١٣٤٦هـ عن إنشاء ذلك المصنع جاء فيه : ((أن جلالة الملك المعظم - أيده الله - أسس معملاً في مكة المكرمة لحياكة كسوة الكعبة المعظمة، وأن العمل بدأ في هذا المعمل في أوائل شهر رجب المنصرم، فجد العمال إلى أن تم نسج الكسوة في منتصف شهر ذي القعدة، وكان أن سبق فأصدر جلالة الملك أمره السامي بنسج الحزام والباب وتطريزهما في الهند على حساب جلالته الخاص فوصلت هذه إلى مكة المكرمة في أواخر ذي القعدة أيضاً)). **صحيفة أم القرى**، العدد ١٨١، في ١٢/١٩/ ١٣٤٦هـ، ص١.

إلى قنصلية عامة تتمتع بما كانت تتمتع به القنصلية المصرية في جدة من امتيازات متعارف عليها دوليًا، وقد كانت حكومة المملكة العربية السعودية تعامل قنصل مصر خير معاملة، وتقدمه على سائر ممثلي الدول مع أنه غير معترف به رسميًا[(١)].

ولم تعد العلاقات الأخوية بين البلدين إلا بعد وفاة الملك فؤاد عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦هـ حيث عقدت معاهدة صداقة بين البلدين في ذلك العام، واكتفت مصر بعد هذه المعاهدة بإرسال الكسوة في صناديق يرافقها وفد مصر إلى مكة المكرمة [(٢)].

العلاقات السعودية اليمنية :

كانت إمارة الأدارسة تحت الحماية السعودية نتيجة معاهدة بين الأدارسة والملك عبدالعزيز عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، وكان طلبهم للحماية خوفًا من أطماع إمام اليمن في بلادهم [(٣)]، وقد أرسل الملك عبدالعزيز نسخة من هذه المعاهدة بعد توقيعها إلى الإمام يحيى، وأرفق معها كتابًا يرجوه أن يصدر الأمر إلى قواده بالكف عن مواصلة الحرب ضد أراضيه احترامًا لهذه المعاهدة والتي أصبحت بموجبها إمارة الأدارسة تابعة للدولة السعودية، ومع أن إمام

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٣١ .

(٢) رضا ، محيى الدين. **طويل العمر**، ص٥٨ .

(٣) نشرت صحيفة أم القرى تحت عنوان : (اتفاقية مكة المكرمة) مواد المعاهدة التي عقدت بتاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين الإمام السيد الحسن بن علي الأدريسي، وتشير المادة السابعة من الاتفاقية إلى ما سيأتي: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة . **صحيفة أم القرى**، العدد ١٠٨ ، في ١٣٤٥/٧/٣هـ، ص١ .

اليمن أمر قائده عبدالله بن الوزير بإيقاف الحرب إلا أنه لم يكن مرتاحًا لهذه المعاهدة [1].

ثم أرسل الملك عبدالعزيز وفدًا للاتفاق على تعيين الحدود، ومع ترحيب الإمام يحيى بالأمر إلا أن المفاوضات استمرت لمدة ثلاث سنوات بدون نتيجة تذكر بسبب تشدد الإمام يحيى في مطالبه[2].

ولعل أبرز من تناول العلاقات السعودية اليمنية من الرحالة الثعالبي، فقد قام بمساعٍ سياسية مبكرة منذ عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، حيث زار الحجاز، والتقى الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة، ثم توجه إلى اليمن، واجتمع بالإمام يحيى في صنعاء محاولاً إصلاح ذات البين، وحل مشكلة الحدود بين البلدين .

ومن خلال مراسلات الثعالبي مع مفكري العالم الإسلامي والتي أثبتها في كتابه تتضح جهوده ومحاولاته لتقريب وجهات النظر .

ففي رسالة بعثها لكامل القصاب[3]، شرح هدفه من رحلته: ((وقد كان أكبر همّ لي هنا استطلاع نوايا الإمام - أبقاه الله - في المسائل التي تذاكرنا فيها وأخصها مسألة توطيد العلائق بين المملكتين العربيتين الإسلاميتين، والسعي في إزالة ما غشيها من المكاره))[4].

---

(١) سعيد. أمين، **تاريخ الدولة السعودية** .ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ص٣٢٦، الذكير، مقبل. **مخطوطه لم يحدد لها عنواناً**، ورقة ٣٣ – ٣٤ .

(٢) الذكير، مقبل . المخطوط السابق، ورقة ٣٣ .

(٣) محمد كامل بن أحمد القصاب. ولد بدمشق في عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٣م. أنشأ المدرسة العثمانية في سوريا ونشر مبادئ الإصلاح الديني. وصل إلى المملكة العربية السعودية بناءً على طلب الملك عبدالعزيز لاستشارته بشأن التعليم، وولاه إدارة المعارف بالحجاز، فأقام قليلاً ثم طلب إعفاءه. توفي عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مرجع سابق، ص٦٢٥ ، ٦٢٦.

(٤) الثعالبي، عبدالعزيز. مرجع سابق، ص١٧٠ .

ولكن مساعي الثعالبي كانت في فترة حرجة من عمر العلاقات بين البلدين نتيجة معاهدة الحماية بين الملك عبدالعزيز وإمارة الأدارسة، لذا لم تسفر مساعيه عن نتائج تذكر، بل أكد في رسالته للقصاب إصرار الإمام يحيى على مواقفه السابقة: ((فوجدت الحالة لم تتغير عما كنت أعهده من قبل)).

وفي رسالة أخرى إليه أشار إلى مرونة الملك عبدالعزيز، وحين تكررت اجتماعاته ومحاولاته مع الإمام يحيى دون جدوى اضطر أن يصارح الإمام يحيى بأن الملك عبدالعزيز أقرب إلى الهوادة واللين في شأن الوفاق والحرص على سلامة بلاد العرب خلاف ما وجد من الإمام يحيى، وكان هدف الثعالبي من هذه المصارحة أن تلين قناة الإمام يحيى[1].

وقد وضع الثعالبي مذكرة بعثها مع رسالة إلى الملك عبدالعزيز تتضمن نتائج المباحثات بينه وبين الإمام يحيى، واتضح من هذه المذكرة إصرار الإمام يحيى على أطماعه السابقة[2].

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م قدم وفد من اليمن كان موضع تكريم واحترام من الحكومة السعودية، وتكرر لقاؤهم بالملك عبدالعزيز، إلا أن الوفد لم يكن له صلاحيات كاملة للبت في المسائل المعلقة بين البلدين، وحمل الوفد وجهة نظر الملك عبدالعزيز في تلك المسائل إلى الإمام يحيى[3].

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م أبطل مفعول الحماية المعلنة على مقاطعة الأدارسة، ووضع عوضًا عنها نظاماً إدارياً جديداً جعلها أحد أقسام المملكة العربية السعودية مع الاحتفاظ ببعض الصلاحيات لأميرها، وقد بذل الملك عبدالعزيز

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٢ .

(٢) المرجع السابق، ص١٧٧ – ١٧٨ .

(٣) **صحيفة أم القرى**، العدد ١٨٥ بتاريخ ١٣٤٧/١/١٨هـ، ص٢ .

جهده لإصلاح أحوال المنطقة بتطبيق الشريعة وتطوير البلاد. وبالفعل استقرت أحوال المنطقة، وتحسن اقتصادها عما كان عليه، وقد أكد الملك عبدالعزيز في خطبته في موسم حج عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م ما تحمل من مصاعب للوفاء بالعهد مع الإدريسي، وأنه كان ينفق على منطقة عسير زيادة على وارداتها ما يربو على مئتين وخمسين ألف ريال سنويًا، ومع ذلك قابل الأدارسة الحسنة بالسيئة [١]، ووردت برقيات إلى الملك عبدالعزيز من أمراء وأهالي المنطقة تفيد بالنوايا العدوانية للحسن الإدريسي، فأرسل الملك عبدالعزيز لجنة للتحقيق تصحبها قوة عسكرية للتدخل في حال فشل المحاولات السلمية، وفي تلك الأثناء تبين خيانة الإدريسي وغدره، وأنه اعتقل أمير المنطقة من قبل الحكومة السعودية وانفرد بالحكم في البلاد، فهاجمت القوات السعودية المنطقة وطاردت الإدريسي حتى فر إلى اليمن والتجأ إلى الإمام يحيى[٢].

وقد اشتدت الأزمة بين البلدين في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م نتيجة احتلال الإمام يحيى لنجران وبعض بلاد تهامة وإيوائه الأدارسة ومماطلته في تسليمهم، فتقرر عقد مؤتمر في أبها حضره مندوبون عن كل منهما للاتفاق على الحدود، فاجتمعوا في شهري شوال وذي القعدة من عام ١٣٥٢م/ ١٩٣٤م، ولكن لم تسفر المفاوضات عن نتيجة تذكر[٣]، وتكررت المحاولات السلمية من الحكومة السعودية . يقول عن تلك المحاولات: « لم أترك وسيلة للصلح والسلام إلا فعلتها، ولكني ما رأيت غير المكر والغدر ... لنا أكثر من عشرة أشهر ونحن نقابل يحيى ونجادله، وانتشر خبر ذلك في سائر الأنحاء ...

---

(١) الهواري، أحمد . مرجع سابق، ص١٥٣ .

(٢) الذكير، مقبل . مخطوط سابق، ورقة ١٥ – ١٦ .

(٣) وكان فؤاد حمزة على رأس الوفد السعودي المتجه إلى أبها، حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١١ .

وآخر ما كان من الجهود التي بذلت في سبيل السلام هو صبري على أعمال يحيى الأخيرة إلى اليوم))[١].

وأنذر الملك عبدالعزيز الإمام يحيى بضرورة سحب قواته، وقد أثبت الهواري في كتابه ما سمعه من الملك عبدالعزيز في موسم حج ذلك العام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م : ((ولقد كتبت إليه أخيرًا أني أمرت جندي بالتقدم، فإن أراد العافية فليس له إلا إبعاد الإدريسي عن الحدود إلى المكان الذي اتفقنا عليه، وإعادة بلادي التي دخلها، والمساواة في نجران فإن قبل فالحمد لله وإن لم يقبل فلا حول ولا قوة إلا بالله))[٢].

ومضت مدة الإنذار ولم يكن له أثر، فتقدمت القوات السعودية في ذي الحجة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م مقسمة إلى جزأين : جزء بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز إلى الشمال ووجهته الجبال، والجزء الثاني بقيادة الأمير فيصل باتجاه الجنوب على الشاطئ وسيطر على عدد من المدن إلى أن وصل ميناء الحديدة [٣].

بعد هذه الأحداث أرسل الإمام يحيى برقية للملك عبدالعزيز يطالبه بوقف الزحف ويبدي موافقته على عقد اتفاق بين الطرفين، واستجاب الملك عبدالعزيز لوساطة المسلمين وتراجعت قواته عن اليمن وانتدب الإمام يحيى عبدالله بن الوزير من قبله للمفاوضة لعقد معاهدة بين الطرفين، وجرت المفاوضات في مدينة الطائف فعقدت معاهدة الطائف والتي تم فيها الاتفاق

---

(١) الهواري، أحمد . مرجع سابق، ص١٥٤ .

(٢) المرجع السابق، ص١٥٥ .

(٣) الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة**، ج٢، ص٦٠٣، فيلبي، عبدالله . **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، ص٥٠٢ – ٥٠٣ .

على الحدود بين البلدين، وتم التوقيع في شهر صفر من عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م[1].

ولم يكن الملك عبدالعزيز يقصد من العمليات العسكرية احتلال اليمن، ولم يكن يرغب في أكثر من الاتفاق على الحدود بين الدولتين العربيتين الإسلاميتين، حفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية للروابط بينها. ويؤكد موقف الملك عبدالعزيز ما ذكره الثعالبي بعد لقائه بالطرفين من أن الملك عبدالعزيز كان أكثر مرونة وأشد حرصاً على سلامة البلاد العربية كما أسلفنا .

وحين اجتمع الصحافيون في مكة مع الملك عبدالعزيز عقب حادث الاعتداء عليه من قبل أفراد من اليمن كما سيأتي تفصيل ذلك، أثنى الصحافيون على موقفه في حرب اليمن وانسحابه من اليمن على الرغم من انتصاره فرد قائلاً: ((إذا درستم تاريخنا تبين لكم أنني لم أعتد على أحد حتى أن قومتي الأولى كانت لأجل السماح لنا بسكنى بلادنا التي أبعدنا عنها ولم نحارب أحداً إلا مكرهين، ونحن نعد احتلال البلاد وتولي شؤونها أمراً شاقاً جداً)). وعقب على حديثه بقوله: ((ولما رأيت الخير في الصلح اتفقت مع ابن الوزير على المعاهدة مع شدة معارضة شعبي وقومي في الأمر، ولم أحفل بكل ذلك حباً للخير))[2].

وقد أثار موقفه من اليمن إعجاب العالم العربي والإسلامي، فإنه على الرغم من انتصاراته إلا أنه تنازل عنها ليثبت للرأي العام عدم وجود أطماع له في اليمن. يقول هيكل في أثناء لقائه مع الملك عبدالعزيز : « وسعدت كذلك بما كان من ترحيبكم بوساطة المسلمين بينكم، وبين إمام اليمن، ويسعدني أن يتصل هذا العمل في توثيق أواصر المودة بين هذه البلاد العربية

(١) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة**، ج٢، ص٦٠٥.

(٢) رضا، محيي الدين. **رحلتي إلى الحجاز**، ص٥٢.

والإسلامية المتجاورة، وقال الملك تعليقاً على ذلك: ((وليس أحب إلي من أن تتحد هذه البلاد في أغراضها مع بقاء كل منها محتفظاً بكيان سياسي له وحده الخيار في تغييره))[١].

وعلى كل فمنذ أن وضع الملك عبدالعزيز اتفاقية الصلح والحدود مع الإمام يحيى حميد الدين، صمم على إقامة أطيب العلاقات وأوثقها مع اليمن، كما اتضح في مناسبات كثيرة حرصه على سلامة اليمن واستقراره وتقدمه، وكان دائم النصح للإمام يحيى بما ينفع بلاده[٢].

ولعل الأمثلة على ما ذكرناه كثيرة من مشاهدات الرحالة أنفسهم في موسم الحج وغيره، فكان يعامل وفد اليمن معاملة خاصة ويكرمه إكرامًا فائقًا، وكان جلوسهم دائمًا في الصدارة أقرب الحاضرين إلى الملك وخاصة أبناء الإمام يحيى ووزراءه[٣] .

وعلى الرغم من حادث الاعتداء عليه في أثناء طوافه ـ وكان المعتدون من اليمن ـ إلا أنه لم يسمح بأن يؤثر هذا الحادث في علاقاته مع اليمن، وقد ذكر محيى الدين رضا تفاصيل الحادث عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م وقد كان حاضرًا لموسم الحج ذلك العام: ((في صباح يوم الجمعة ١٥ مارس يوم عيد الأضحى شاهدت الملك في منى أشعث أغبر لا يزال في ملابس الإحرام ... وتوجه إلى الحرم للطواف حول الكعبة ... وبينما هو في الشوط الرابع هجم عليه يمانيان بخنجريهما، وكادا يظفران بإثمهما لولا اعتراض جنديين لهما، وكذلك سمو الأمير سعود ... وفي أثناء ذلك ظهر يماني ثالث بخنجره فصوب

(١) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٦٣ .

(٢) فيلبي، عبدالله . **الذكرى العربية الذهبية**، وهبه، ص٢٦٩ ، **حافظ. جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٢٨٠.

(٣) يوسف، إبراهيم. **في البلاد المقدسة**، ص١٤٠ - ١٤١. السائح، محمد . مرجع سابق، ص١٥٣

الجنود الرصاص إليه أيضًا، فمات الأولان في الحال، وأما الثالث فمكث قليلاً ثم مات))[1].

وقد أظهر الملك عبدالعزيز موقفًا دل على حسن نواياه وحرصه على استمرار العلاقات مع اليمن، فقد أصدر أوامره بعدم الاعتداء على الحجاج اليمنيين أو التعرض لهم مع إصابة ابنه سعود بجرح في كتفه .

وعلى الرغم من أن الملك عبدالعزيز كان يستقبل وفود الحج الرسمية والحجاج ثاني أيام العيد، إلا أنه في ذلك العام سارع في استقبال وفود الحج والحجاج بعد الحادث مباشرة في أول أيام العيد مخالفًا عادته السنوية، ليطمئن الحجاج على سلامته وصحته وخاصة النجديين؛ لأن انشغالهم على صحته قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه [2].

ووفد عليه الحجاج من رعاياه ومن مختلف البلاد الإسلامية يحمدون الله على سلامته ويندون بالحادث ويستنكرونه، وألقيت القصائد التي يثني فيها أصحابها على تصرف الملك عبدالعزيز في أثناء حرب اليمن، وحكمته في التعامل مع ذلك الحادث .

وفي أثناء استقباله للوفود في ذلك اليوم وبعد الحادث مباشرة في قصره بمنى، كان رئيس وفد اليمن لحج ذلك العام عبدالله بن الوزير جالسًا عن يساره، وعن حرصه الشديد على سلامة وفد اليمن ورؤسائه. يقول محيي الدين رضا: ((وتفضل - حفظه الله - فجعل أبناء الإمام يحيى ووزيرهم ابن الوزير في كنفه شخصيًا حماية لهم، ومبالغة في الحفاظ عليهم، مما جعل

---

(١) رضا، محيي الدين. **رحلتي إلى الحجاز**، ص٤٥ .

(٢) الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٦٢٠ – ٦٢٣ .

بعض النجديين يلومه على ذلك في مجلسه العام، وكنت حاضرًا في ذلك المجلس، فوبخه الملك، وزجره زجرًا قويًا)) [1].

وفي لقاء للملك عبدالعزيز مع الصحافيين في مكة بعد الحادث نفى أن يكون للإمام يحيى دخل في الحادث، وكانت الشكوك تحوم حول ولي عهد اليمن وبالرغم من وعي الملك عبدالعزيز بهذه الشكوك إلا أن رده على مندوبي الصحافة العرب كان ردًا حكيمًا تعمد فيه عدم إثارة حفيظة إمام اليمن أو ولي عهده: ((إن الأقوال كثيرة وقد سمعنا كثيرًا من اليمانيين أنفسهم في هذا الباب، ولكننا لا نود الأخذ بالأقوال، وإنما نبحث عن الحقائق بدقة وهدوء، ونحن نصل إلى كثير من الحقائق، ولكنا لا ننشر منها إلى القليل ولا ننشر القليل هذا إلا بعد ما يترجح الأمر)) [2].

وأثبتت الأحداث في اليمن فيما بعد صدق الملك عبدالعزيز ووفاءه بعهوده ومواثيقه، وضرب أفضل مثل في التسامح، وكسب صداقة خصمه كما ضرب مثلاً آخر في حبه للتفاهم مع أمراء العرب وسعيه لاتحاد العرب والمسلمين .

واتضح ذلك في موقفه من ثورة ابن الوزير، فقد أبرق ابن الوزير إلى الملك عبدالعزيز يبلغه بوفاة الإمام يحيى، وأنه قد بويع بعده بالإمامة والملك في ربيع الآخر عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م وقد شك الملك عبدالعزيز في ذلك الخبر فأجاب على تلك البرقية بالتسويف وأخذ يتحرى الحقيقة، فعلم بمقتل الإمام يحيى ودخول ابن الوزير إلى صنعاء وعدم مقدرته على صد القبائل عنها فأخذت تسلب وتنهب، فاستنجد ابن الوزير بالملك عبدالعزيز فلم ينجده، بل

(١) رضا، محيي الدين . **طويل العمر الملك عبدالعزيز**، ص٦٢٠ – ٦٢٣ .

(٢) رضا، محيي الدين . **رحلتي إلى الحجاز**، ص٥ .

وقف إلى جانب الشرعية في اليمن، والمتمثلة في ولي العهد سيف الإسلام أحمد أكبر أبناء الإمام يحيى ، حيث قدم له العون والنصح حتى استطاع استعادة الحكم والقبض على رؤوس الفتنة [1].

---

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦٧ ، فيلبي، عبدالله . **الذكرى العربية الذهبية**، ص٢٧٢. وقد وقف الملك عبدالعزيز هذا الموقف المشرف مع سيف الإسلام أحمد ابن الإمام يحيى حميد الدين حتى استطاع استعادة الحكم، على الرغم من أنه قد حامت حوله الشكوك في حادث المطاف في محاولة اغتيال الملك عبدالعزيز كما أسلفنا، كما أنه كان قائد الجيش اليمني في الحرب بين السعودية واليمن عام ١٣٥٣هـ. الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيــرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٤، ص١٣١٢.

الفصل الثالث

التنظيمات الإدارية من خلال الرحلات العربية

- نظام الحكم والإدارة
- الوزارات والأجهزة الحكومية
- نظام الشورى
- النظام القضائي
- تنظيمات الحج والعناية بالحرمين الشريفين

نظام الحكم والإدارة:

نظام الحكم:

بعد أن انتهى الملك عبدالعزيز من بناء الكيان السياسي لدولته، سعى جاهدًا لتوحيد أنظمتها الإدارية في جميع المناطق، فالنظم الإدارية كانت موجودة في بعض المناطق التي تكونت منها المملكة العربية السعودية مع اختلاف تلك النظم بسبب الظروف التاريخية والسياسية السابقة لتكوين المملكة[1]. ففي المرحلة السابقة كان تركيز الملك عبدالعزيز وجهوده منصرفة إلى استكمال التكوين السياسي مع المحافظة على الأمن دون التعرض للإدارة المحلية في معظم الأقاليم التي تكونت منها الدولة. أما المرحلة التالية فقد بدأت بعد ضم الحجاز؛ لأن الإدارة في الحجاز كانت ذات تنظيمات مركزية متقدمة نوعًا ما[2].

ونظام الحكم في البلاد نظام ملكي، ويتمثل ذلك النظام بتوحيد السلطة في يد مؤسس الدولة الملك عبدالعزيز[3].

ويتولى الملك عبدالعزيز الحكم بنفسه، ويطّلع على كل صغيرة وكبيرة، فلا يُعمل شيء مطلقًا من غير رأيه، وليس لأحد من أبنائه ومستشاريه وموظفيه إلا مجرد إبداء الرأي والمشورة، وهو يزودهم بالتعليمات اللازمة، ولا يبت أحد بشيء من غير الرجوع إليه، وأخذ موافقته حتى يكون مطلعًا على أمور البلاد عامة[4]، ومع هذا لم يستأثر بشؤون الحكم، أو ينفرد بحرية التصرف في شؤون البلاد، بل أشرك معه كثيراً من المستشارين؛

(١) السلوم، لطيفة . **التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة**. ـ ط١ . ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ، ص٥٧ .

(٢) العتيبي، إبراهيم . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**. ـ ط١ . ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ، ص٦٥.

(٣) حتة، محمد كامل. **في أرض المعجزات**، ص ٣٧.

(٤) حمادة، عباس. مرجع سابق، ص ٥١. التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٩٥، رضا، محيى الدين. **طويل العمر**، ص٢٥.

من العلماء وشيوخ القبائل، والمفكرين، ورجال السياسة، يستشيرهم في سياسة الدولة وشؤونها الداخلية والخارجية[١] وكان يسمع آراء مستشاريه جميعها، ثم يبحث ويدقق، فإذا أصدر أمره كان فصل الخطاب[٢]. وبعد استقرار البلاد أخذ نظام الحكم يتطور تدريجيًا، ونتيجة ازدياد أعباء الحكم ومسؤولياته أشرك الملك عبدالعزيز معه في الحكم بعض أبنائه، فأناب الأمير فيصل في حكم الحجاز، وجعل الأمير سعود نائبًا عنه على نجد[٣].

والنظام الإداري في المملكة العربية السعودية منذ بداياته كان يستند إلى الدين الإسلامي، فالشريعة الإسلامية هي دستور تلك البلاد [٤]، فالنواحي الإدارية عند قيام المملكة كانت متأثرة إلى حد كبير بالتنظيم الإداري في العصور الإسلامية المختلفة، وأيضًا بنظام الحكم والإدارة في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية. فرأس الدولة هو صاحب السلطة الفعلية، وهو مقيد بتعاليم الشريعة الإسلامية، وسلطاته تشمل الشؤون السياسية والعسكرية والمالية والإدارية [٥]. وتتركز السلطة في يد الحاكم مع منح أمراء الأقاليم بعض الصلاحيات التي تمكنهم من تطبيق الأحكام الشرعية وإدارة تلك الأقاليم[٦]. والملك عبدالعزيز يعتمد في حكمه على الشريعة الإسلامية المتمثلة في الكتاب، والسنة، وأقوال السلف الصالح، واجتهاداتهم. وتطبيق الملك عبدالعزيز للشريعة نابع من إيمانه بأهمية تطبيقها وصلاحيتها لكل زمان

(١) حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٣٧ .
(٢) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٧٢. عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص٦٦ .
(٣) حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٣٧ ، ٣٨. عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص٦٦ .
(٤) حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٥٠ – ٥١ .
(٥) وقد نصت التعليمات الأساسية للمملكة العربية السعودية التي صدرت في ٢١ صفر عام ١٣٤٥هـ، على أن تكون جميع إدارات المملكة الحجازية في يد صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ... وجلالته مقيد بأحكام الشرع الشريف، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.
(٦) العتيبي، إبراهيم. **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٥٦ ، ٥٧ .

ومكان. ولعل ما يدلنا على إيمانه الراسخ بذلك ما ذكره محمد رفعت: ((سألت أسد الجزيرة يومًا، لماذا يطبق الشريعة الإسلامية في مملكته؟ فأجابني: لأنها شريعة الله ساد بها الإسلام، وانتشرت الدعوة إلى الصين أقصى بلاد العالم، ولأننا بتطبيقنا لها في بلادنا استتب الأمن، وساد العدل، وعم الرخاء))[1].

ولم يشهد إقليم نجد تطورًا في التنظيمات الإدارية بالمفهوم الحديث، فوجود الملك عبدالعزيز في الرياض ساعد على سرعة اتخاذ القرار، ولم تظهر حاجة للتنظيم الإداري في البداية، يصف محمد شفيق مصطفى نظام الحكم والإدارة في أثناء زيارته للمملكة عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م: ((وإذا ألقينا النظر على شكل حكومته لا نجد فيها هيئة أو وزارة ولا مجلس وكلاء ولا مستشارين[2] ولا رجال تشريع بالمعنى الذي نفهمه نحن، ... ويتحتم أن تعرض سائر مكاتبات الدولة في كافة شؤونها عليه، وكذلك يطلع بذاته على ما يتحرر من المكاتبات، ويبصمه بخاتمه الذي لا يفارق أصبعه))[3]. ولكن بعد ضم الحجاز أدى وجود التنظيمات الإدارية والحضارية في ذلك الإقليم إلى اتخاذها أساسًا للإدارة المركزية التي تكونت بشكل تدريجي ، وبدأت عملية التنظيم الإداري للمملكة من الحجاز تلبية لاحتياجات المنطقة لمواجهة موسم الحج، واتصالها المباشر والواسع بالعالم الخارجي[4] . وحين وصف محمد مصطفى النظام الإداري في نجد - كما أسلفنا - فرق بينه وبين النظام الإداري في الحجاز بقوله: ((هذا فيما يتعلق بحكومة نجد فقط، أما في الحجاز ففيها حكومة منظمة، وإدارات متعددة .. على أن المرجع الأعلى

(١) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٥ .

(٢) أحاط الملك عبدالعزيز نفسه بالمستشارين منذ فترة مبكرة، وكان يؤمن بأهمية الشورى وإن كان لم يضع مجلساً للشورى بتنظيم إداري إلا بعد دخوله الحجاز، انظر الفقرة الخاصة بنظام الشورى من هذا الفصل.

(٣) مصطفى، محمد شفيق. مرجع سابق، ص٣٧.

(٤) السلوم، لطيفة . مرجع سابق، ص٩٩ ، ١٠١، ص٩٧.

لكافة شؤون الحجاز أيضًا يجب أن تعرض على جلالة الملك عبدالعزيز شخصيًا))[1].

ويتأكد لنا أيضًا إفادة الملك عبدالعزيز من التنظيمات الإدارية الموجودة في الحجاز سابقًا من الحوار الذي دار بينه وبين محمد شفيق مصطفى: « وسألنا جلالته: وماذا أبدلتم من نظام الحكم في الحجاز ؟ فأجاب جلالته : إن النظام الأساسي لحكومته لم يتغير، فأبقينا كبار الموظفين الذين عهدنا فيهم الصدق والإخلاص لنا)[2].

ولاية العهد :

تعد ولاية العهد من النواحي المهمة والتي لها اتصال بنظام الحكم في المملكة، فهو نظام ملكي وراثي. والملك عبدالعزيز بعد تلك الجهود المضنية التي بذلها في سبيل توحيد البلاد أراد أن يضع أساسًا ثابتًا للحكم من بعده حفاظًا على تلك الوحدة، وحتى يضمن استقرار دعائم الحكم بعد وفاته[3]، ولسهولة انتقال الحكم من السلف إلى الخلف، ومنعًا للنزاع والفرقة. فقد أشار عدد من رجال الحكومة ومستشارو الملك عبدالعزيز عليه بأخذ البيعة بولاية العهد للأمير سعود أكبر أبنائه، وكان نائبًا لوالده في الرياض، وقد أقر مجلس الشورى تلك الفكرة، ورفعها إلى الملك عبدالعزيز فاعتمدها، وتمت البيعة للأمير سعود في ١٣٥٢/١/١٦هـ الموافق ١٩٣٣/٥/١١م . وقد نشر محمد رفعت نص تلك البيعة : ((لما كان حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توافرها فيمن يخلف ولي الأمر ... فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه وليًا لعهد المملكة العربية السعودية ...))[4]. والأمير سعود كان

(١) مصطفى، محمد شفيق . مرجع سابق، ص٣٧ .
(٢) المرجع السابق، ص٥٣ .
(٣) حتة ، محمد كامل. **صور من الحجاز** . ـ القاهرة: مطابع فؤاد، د. ت ، ص١٧٩.
(٤) المرجع السابق، ص١٧٩. عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص٦٦.

أول ولي عهد للمملكة العربية السعودية، وقد ذكر محمد رفعت: أن نظام ولاية العهد لم يكن معروفاً في الدولة السعودية من قبل: « فلم يكن نظام ولاية العهد معروفاً في نجد والحجاز من قبل. كان أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء وشيوخ القبائل يجتمعون يوم وفاة الإمام فيختارون إماماً تتوافر فيه الشروط المنصوص عليها في كتب الشريعة »[1]. والواقع خلاف ما ذكره محمد رفعت، فنظام ولاية العهد كان معمولاً به منذ الدولة السعودية الأولى؛ حيث تم تولية العهد لسعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م وكان ذلك بمشورة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[2]، ثم إن نص البيعة الذي نشره محمد رفعت قد جاء فيه: « فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً للعهد ». وهذا يدل على وجود نظام ولاية العهد في الدولة السعودية، فقد كان الحكم في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية وراثياً؛ ينتقل عادة إلى أكبر أبناء الحاكم بعد وفاته، وعادة ما تؤخذ له البيعة في حياة والده، ولما بويع الأمير سعود بولاية العهد، بعث إليه والده بخطاب فيه بعض الوصايا والتوجيهات: أولها أن يبذل حياته لإعلاء كلمة التوحيد ونصرة دين الله، وقد نشر محمد رفعت نص الخطاب، ورد الأمير سعود على ذلك الخطاب[3].

أمراء الأقاليم:

كان الملك عبدالعزيز يتولى تعيين الأمراء في الأقاليم، ويصدر إليهم تعليماته وتوجيهاته مباشرة وفق ظروف كل إقليم. ويعد حاكم الإقليم ممثلاً شخصياً لزعيم الدولة، وله ممارسة الصلاحيات المحددة من ولي الأمر ما عدا الأمور الخارجية والعسكرية [4]، فهي عادة من اختصاص الملك ولا بد من أخذ

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص ٣٦. انظر أيضاً نص البيعة لدى فؤاد حمزة. **البلاد العربية السعودية**، ص٥٠ - ٥١ .

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله. مرجع سابق، ج١ ص١٠١، ابن غنام، حسين . **تاريخ نجد**. ـ ط٣ . ـ الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية، ١٤٠٣هـ، ج١، ص١٦٩، ١٧٠.

(٣) رفعت ، محمد . مرجع سابق، ص٣٧ ، ٣٨.

(٤) وثيقة رقم ٢٢٧ بتاريخ ١٣٣٨هـ (الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز) .

موافقته عليها، وبهذا التنظيم تحققت وحدة الأقاليم في السياسة الخارجية والأمور العسكرية[1]. أما المسائل الشرعية فالأمير فيها خاضع لسلطة القاضي، وليس عليه إلا تنفيذ ما يصدره من الأحكام طبقاً للشريعة الإسلامية. وبلغ من سلطة القاضي في المسائل الشرعية ما ذكره التميمي: ((وإشارة صغيرة من القاضي يَنسب فيها إلى الأمير إهمالاً أو ترددًا في تنفيذ الأحكام الشرعية، تكفي لعزله))[2] وهذا دليل على حزم الملك عبدالعزيز وشدته في تطبيق الشريعة الإسلامية.

ويطلق على حكام المقاطعات وحكام البلاد التابعة لها اسم الأمير، حتى أصغر بلدة يطلق على من يتولى شؤونها اسم أمير[3]. يقول الطنطاوي عن ذلك: ((والقريات اليوم إمارة، وهي مقر الأمير. ومما رأينا في الحكومة السعودية أنهم يسمون كل من يلي مدينة مهما صغرت أميرًا، لا فرق في ذلك بين أمير القريات هذه وبين أمير المدينة المنورة))[4] . وتعجب هيكل من ذلك: ((وعجبت لاسم الأمير يطلق على رجل في قرية بل ضيعة شأنها ما رأيت، لكن عجبي زال حين علمت أن كلمة الأمير تطلق في بلاد العرب على كل والٍ لمدينة أو قرية أو ضيعة)) [5].

وغالبًا ما يكون للأمير وكيل ينوب عنه في حال غيابه [6]. ويعد إقليم نجد مركزًا للسلطة العليا، ويتولاه الأمير سعود بن عبدالعزيز، ويرتبط مباشرة بالملك، ومركزه في الرياض، وإليه يرجع جميع أمراء هذا الإقليم [7]، ويتولى رئاسة الحكومة في مكة الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وقد منحه الملك

(١) السلوم، لطيفة . مرجع سابق، ص٩٩.
(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص٦١ – ٦٢.
(٤) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص ٩٠. السوادي، محمد . مرجع سابق، ص١٢٦.
(٥) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص ٦٠٦.
(٦) المرجع السابق، ص٦٠٦.
(٧) حتة، محمد كامل . **صور من الحجاز**، ص١٧٥.

عبدالعزيز عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م لقب (النائب العام لجلالة الملك) إضافة إلى مهامه الأخرى، وهي توليه وزارة الخارجية ورئاسة مجلس الوكلاء ورئاسة مجلس الشورى[١]، وكان الأمير محمد بن عبدالعزيز أميرًا على المدينة المنورة، نظرًا لأهميتها ومكانتها[٢].

وقد ورد لدى الرحالة ذكر كثير من أمراء الملك عبدالعزيز في جميع أنحاء المملكة، ونلحظ من كتابات الرحالة ثناءهم التام على أولئك الأمراء، وحسن اختيار الملك عبدالعزيز من حيث كفاءتهم وكرمهم وقيامهم بأعمالهم على خير وجه .

الأجهزة الحكومية والوزارات :

لم يشهد إقليم نجد تطورًا في التنظيمات الإدارية بمفهومها الحديث لوجود الملك عبدالعزيز في ذلك الإقليم، حيث ساعد وجوده على سرعة اتخاذ القرار كما أسلفنا، وحافظت نجد على أوضاعها الإدارية القديمة والمتوارثة، وسارت في الإدارة على النحو الذي يوافق تلك البيئة واحتياجات سكانها[٣]، ولم تختلف الأقاليم الأخرى في الأحساء وعسير في نظمها الإدارية عن النظام الإداري في نجد، أما إقليم الحجاز فله أوضاع وظروف تختلف عن بقية أقاليم المملكة لوجود الأماكن المقدسة، وما تتطلبه إدارة الحج والزيارة من تنظيم، وقد أدى وجود التنظيمات السياسية و الحضارية في إقليم الحجاز في أثناء مرحلة التأسيس إلى اتخاذها أساسًا للإدارة المركزية التي تكونت بشكل تدريجي[٤].

وبعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م بدأ في تغيير النظم الإدارية الأساسية التي كانت موجودة، وأبقى كبار الموظفين

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٤٠، نجيب، متولي . مرجع سابق، ص٢٠٠.
(٢) حتة، محمد . **صور من الحجاز**، ص١٧٩.
(٣) حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص١٢٦.
(٤) السلوم، لطيفة . مرجع سابق، ص١٠١.

في مناصبهم خاصة من بايعوه ، وظهر فيهم الصدق والإخلاص[1]. يقول الملك عبدالعزيز عن ذلك: ((وكل ما أحدثناه هو إبدال القوانين التي شرعها لهم الشريف باتباع حكم الشرع))[2]. بمعنى أنه أبدل القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية. وأكد منذ دخوله الحجاز الحكم بالشريعة الإسلامية وتطبيقها تطبيقًا تامًا في جميع نواحي الحياة.

والتنظيم الإداري الموجود في نجد كان يتمثل فيما أسماه فؤاد حمزة البلاط الملكي، ويتكون من العديد من الشعُّب تصل إلى ١٦ شعبة لكل منها عمل خاص تقوم به: أولها الشعبة السياسية[3]. وقد ذكر متولي نجيب تلك الشعب، وأنها بلغت ست عشرة شعبة أهمها وأولها الشعبة السياسية، كما عدد بعض هذه الشعب[4]. وذكر محمد رفعت تلك الشعب: التي بدأها بالمستشارين، ثم الشعبة السياسية. ونجد لدى محمد رفعت بعض الاختلاف عن فؤاد حمزة من حيث أسماء بعض الشعب، وقد يرجع هذا الاختلاف إلى أن تلك الشعب لم تتخذ شكلاً تنظيميًا واضحًا تلك الفترة، ومسميات الشعب لدى محمد رفعت كالتالي: المستشارون، الشعبة السياسية، الشعبة السرية، وشعبة الأمور الداخلية، شعبة الوفود والضيافة، الديوان الملكي، الخاصة الملكية، الحرس الملكي، طبابة القصر العالي[5].

وبعد دخول الملك عبدالعزيز للحجاز عقد اجتماعًا في ١٣٤٣/٥/٢٢هـ/ ١٢/١٩/ ١٩٢٤م كان من نتائجه: تكوين المجلس الأهلي، والذي منح جميع

(١) مصطفى، محمد شفيق. مرجع سابق، ص٥٣.
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٣.
(٣) حمزة، فؤاد . **البلاد العربية السعودية**، ص٣٩–٤١.
(٤) نجيب، متولي. مرجع سابق، ص ٢٠١.
(٥) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٦٠ – ٦٢.

الصلاحيات عدا الأمور العسكرية والخارجية فهي من اختصاص الملك[1] وفي جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ/ يناير ١٩٢٦م عُين الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائبًا للملك في الحجاز، يساعده مجلس استشاري، يتكون من ثلاثة أعضاء، عينهم الملك عبدالعزيز، كما تشكلت هيئة تأسيسية مكونة من ثمانية أعضاء، تم انتخابهم من قبل ممثلين عن جميع مدن الحجاز، وقد أضاف الملك عليهم خمسة أعضاء، وعين لهم رئيسًا، مهمة هذه الهيئة وضع التشكيلات الأساسية للحكومة[2].

وقبل صدور التعليمات الأساسية صدر الأمر الملكي في ١٣٤٥/١/٢٠هـ بالعمل بموجب التعليمات المؤقتة، وتتضمن تعليمات تسير عليها البلاد في نظم الحكم والإدارة، والهدف من هذه التعليمات المؤقتة استمرار العمل الإداري ريثما تصدر التعليمات الأساسية [3]،وفعلاً جرى العمل بهذه التنظيمات المؤقتة حتى صدرت التعليمات الأساسية في ٢١صفر ١٣٤٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٩٢٦م، وهي عبارة عن تسعة أقسام: تتضمن تسعًا وسبعين مادة . وقد لفتت هذه التعليمات أنظار الرحالة، حيث نشروا عددًا من فقراتها، منها : أن الدولة العربية الحجازية دولة ملكية، شورية، إسلامية، مستقلة في داخليتها

---

(١) حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص ٩٨ - ١٠٠. وقد نشرت وقائع الاجتماع وما دار فيه في صحيفة أم القرى، وفيه دعا الملك عبدالعزيز لانتخاب أعضاء المجلس الأهلي حيث قال: ((وأريد منكم أن تعينوا وقتًا يجتمع فيه نخبة العلماء ونخبة الأعيان ونخبة التجار جميعًا، وينتخب كل صنف من هؤلاء عددًا معينًا كما ترتضون وتقررون وذلك بموجب أوراق تمضونها من المجتمعين بأنهم ارتضوا أولئك النفر لإدارة مصالحهم العامة والنظر في شؤونهم ثم هؤلاء الأشخاص يستلمون زمام الأمور)). أم القرى، العدد ٣ في ١٣٤٣/٥/٢٩هـ، ص٢.

(٢) السلوم، لطيفة . مرجع سابق، ص١٠٢.

(٣) وقد جاء فيها، هذه التعليمات تكون مؤقتًا دستورًا للعمل ريثما نقرر التنظيمات والمقررات الأخيرة، انظر : نص التعليمات المؤقتة، وخطاب نائب جلالة الملك الموجه إلى أمير المدينة المنورة، خطاب رقم ٦٨/٨٠٨ في ١٣٤٥/١/٢٦هـ، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض .

وخارجيتها. كما نشروا المادة السادسة من القسم الثاني: ((الأحكام تكون دومًا منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه الصحابة، والسلف الصالح))[1]. وانفرد محمد رفعت بنشر مواد أخرى من التعليمات الأساسية: منها المادة الخامسة من القسم الثاني: ((أن تكون جميع إدارة المملكة الحجازية في يد صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، وجلالته مقيد بأحكام الشرع)). كما نشر الفقرة الخاصة بالمجالس الاستشارية [2]. وعلى كلٍ فمن الواضح أن أكثر ما لفت انتباههم من تلك التعليمات المواد الخاصة بتطبيق الشريعة الإسلامية والشورى، ولعل اهتمامهم بهذه المواد عائد إلى نظرتهم إلى تلك البلاد، وأنها كانت على أساس ثابت من الدين الإسلامي، فنشروا من تلك المواد ما يتوافق مع نظرتهم تلك.

وقد نصت التعليمات الأساسية على إنشاء مجلس للشورى، يتكون من النائب العام ومستشاريه، مضافًا إليهم ستة أعضاء، يعينون من قبل الملك. وحددت مهمة المجلس بالنظر في الأمور التي تعرضها النيابة العامة، ولكن قراراته غير نافذة إلا بعد عرضها على الملك وتصديقها من قبله[3]. ولعل مجلس الشورى من التنظيمات الإدارية التي لفتت انتباه الرحالة، من حيث اختيار أعضائه من ذوي الرأي والكفاءة العلمية والسياسية، ومهامه المتمثلة في إعداد التشريعات والنظم الإدارية، ومراقبة تنفيذ الوزارات والإدارات لسياسة الدولة. وقد ذكر محمد حتة: أن مجلس الشورى تتبعه لجان فنية لدراسة مختلف الشؤون وهي: لجنة الأنظمة، ولجنة الشؤون الإدارية، ولجنة الشؤون المالية، ولجنة التأديب، ولجنة تمييز الصكوك التجارية، ولجنة الاقتراحات [4].

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص ٥٨، حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٥١.
(٢) رفعت محمد . مرجع سابق، ص٥٨، التعليمات الأساسية، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.
(٣) التعليمات الأساسية ، القسم الرابع، المواد من ٢٨ – ٣١. مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.
(٤) حتة، محمد . **صور من الحجاز**، ص١٧٨.

ولقد رأى الرحالة التطوير الدائم في مجال التنظيمات الإدارية والذي يهدف لمتابعة التطور الدائم الذي يشمل جميع نواحي الحياة [1]، ففي ١٩ شعبان ١٣٥٠هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٩٣١م صدر نظام مجلس الوكلاء [2]. ومجلس الوكلاء يمثل الهيئة التنفيذية وأسندت رئاسته للنائب العام [3]. ويُعد مجلس الوكلاء نواة مجلس الوزراء الذي تم إنشاؤه عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م بناء على مرسوم ملكي[4] رقم ١/٢/٥ في ١٣٧٣/١/٢هـ/ ١٩٥٣/١٠/١٠م، وتولى رئاسة مجلس الوزراء الأمير فيصل بن عبدالعزيز[5]. وتتلخص صلاحيات مجلس الوزراء في رسم سياسة المملكة الداخلية والخارجية والمالية والاقتصادية والتعليمية وإصدار الأنظمة المدنية والعسكرية وإقرار الاتفاقيات الدولية. كما نص المرسوم الملكي على وضع نظام للوزارات يحدد صلاحياتها وواجباتها[6]، وقد تم إنشاء الإدارات التي تشرف على مرافق الدولة؛ وتطورت هذه الإدارات، فتحول بعضها إلى وزارات [7] . ولا شك أنه ورد ذكر الوزارات لدى عدد من الرحالة، منها وزارة الخارجية حيث ذكر محمد حتة : أن اهتمام المملكة العربية السعودية بالشؤون الخارجية، يعود إلى عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م عندما أنشئت مديرية الشؤون الخارجية التي تعاقب على إدارتها عدد من الأشخاص كان آخرهم فؤاد حمزة. وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م تم تحويل

---

(١) حتة، محمد . **في أرض المعجزات**، ص ٣٧، رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٥٩.

(٢) نظام مجلس الوكلاء عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٣) حتة، محمد . **في أرض المعجزات**، ص٣٨، رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٥٩.

(٤) ذكر الزركلي أنه في العام الأخير من حياة الملك عبدالعزيز رأى أن يكون لوزرائه مجلس يعقدونه للتداول في المهام العامة للدولة، فافتتح أول مجلس للوزراء في عهده بالرياض يوم الأحد ٣ ذو الحجة ١٣٧٢هـ . ١٩٥٣/٧/٢٠م، الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة**، ج٣، ص١٠٠٠.

(٥) حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٥١. نجيب ، متولي. مرجع سابق، ص٢٠٠. حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٣٨.

(٦) العتيبي، إبراهيم. **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص١١٧.

(٧) حتة، محمد . **في أرض المعجزات**، ص٣٨.

مديرية الشؤون الخارجية إلى وزارة الخارجية، وعين الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزيرًا لها، ومن ذلك التاريخ بدأ التمثيل السياسي بين المملكة العربية السعودية ومختلف البلاد العربية والإسلامية والأجنبية[١]، وتكونت وزارة المالية عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م، وقد نشأت هذه الوزارة بالتدريج، إذ ظهرت في البداية مديرية المالية عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٦م، واستمرت مديرية المالية في أعمالها حتى تم تحويلها إلى وكالة المالية العامة عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وبناء على أمر ملكي تحولت تلك الوكالة إلى وزارة المالية عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م[٢] وعين عبدالله السليمان الحمدان وزيرًا للمالية ورئيسًا للخزينة الخاصة ومحمد السليمان الحمدان وكيلا لوزارة المالية ووكيلا لرئيس الخزينة الخاصة [٣]، ثم صدرت الموافقة على نظام وزارة المالية في العام نفسه، وبموجب هذا النظام أصبحت وزارة المالية مسؤولة عن تنظيم وحفظ أموال الدولة [٤].

وتُعد وزارة الداخلية من أوائل الوزارات، وكان يتولاها النائب العام الأمير فيصل ابن عبدالعزيز حتى صدر نظام مجلس الوكلاء عام ١٣٥٠هـ، حيث وضع نظامًا خاصًا بها، فوزارة الداخلية هي مرجع لعدة إدارات منها الصحة، والمعارف، والبريد، والبرق، والشرطة العامة، والمحاكم الشرعية، والبلديات [٥]. ثم صدر أمر ملكي عام ١٣٥٣هـ بدمج وزارة الداخلية في النيابة العامة، ووضع لذلك ترتيب خاص [٦].

---

(١) رفعت ، محمد . مرجع سابق، ص ٥٩. ذكر الزركلي أن أعمال الداخلية وأعمال الصحة ظلت مرتبطة بالنيابة العامة منذ ابتداء عهد الدولة بالتنظيم إلى أن صدر مرسوم ملكي بتاريخ ١٣٧٠/٩/٢هـ ١٩٥١م بجعلهما وزارتين مستقلتين وتعيين الأمير عبدالله بن فيصل بن عبدالعزيز وزيرًا لهما، الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة** ، ج٣، ص٩٩٩.

(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص ٥٩، حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥١.

(٣) أمر ملكي رقم ٣٨١ بتاريخ ١٣٥١/٤/١١هـ بشأن تحويل وكالة المالية إلى وزارة، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض .

(٤) أمر ملكي رقم ٣٨٢ في ١٣٥١/٤/١١هـ، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض .

(٥) حمادة ، عباس. مرجع سابق، ص٥١، حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**،ص١٨٠ – ١٨٢.

(٦) حمزة ، فؤاد . مرجع سابق، ص ١٨٢.

كما أنشئت وزارة الدفاع عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، وعين الأمير منصور بن عبدالعزيز أول وزير لها [١].

وقد أثنى محمد رفعت على ذلك النظام الإداري، من حيث النشاط، وسرعة الإنجاز، وبرر ذلك باستخدام وسائل الاتصالات الحديثة اللاسلكية، ففي كل دائرة حكومية جهاز لاسلكي يربطها بالدوائر الأخرى، كما يربطها بالهيئة الحاكمة [٢].

وهكذا كانت التنظيمات الإدارية دائمة التطور بهدف تركيز المسؤولية وتحديد الصلاحيات، مما لفت لها أنظار الرحالة الذين دونوا جوانب كثيرة منها .

نظام الشورى :

لا شك أن نظام الشورى من الأنظمة الإسلامية المهمة، وقد حث الإسلام على العمل بها، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٤]، وقد طبق الملك عبدالعزيز مبدأ الشورى منذ قيام المملكة العربية السعودية، وكان تطبيقه له عن إيمان وقناعة بأهمية الشورى، فالتعليمات الأساسية للمملكة العربية السعودية، والصادرة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م نصت على: أن الدولة ملكية شورية إسلامية[٥]، كما نصت التعليمات الأساسية على إنشاء مجلس للشورى، وبينت مهامه واختصاصاته[٦].

(١) الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة**، ج٣، ص٩٩٠.
(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٥٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٥) صدرت التعليمات الأساسية بعد الموافقة الملكية في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/٣٠ أغسطس ١٩٢٦م وهي عبارة عن تسعة أقسام تتضمن تسعًا وسبعين مادة، انظر: القسم الأول للمادة الثانية، مركز الوثائق معهد الإدارة العامة بالرياض .
(٦) انظر: القسم الرابع: المادة الثامنة والعشرين وما يليها، وفيها تفاصيل حول تنظيمات مجلس الشورى واختصاصاته وانتخاب أعضائه، التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

ولقد اهتم الرحالة بموضوع الشورى في المملكة، من حيث إيمان الملك عبدالعزيز بمبدأ الشورى، وكيفية تطبيقه له. يقول العقاد عن ذلك: ((والواقع أن الشورى في تدبير أمر الدولة نظام معمول به في الحكومة السعودية منذ قيامها، وأنها تقررت في الحجاز منذ نيف وعشرين سنة)). فبعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤ عقد اجتماعًا عامًا للعلماء والأعيان والتجار وألقى فيهم خطابًا، وقد أورد العقاد مقتطفات من ذلك الخطاب. وجاء فيه: ((إنني أريد من الهيئة التي ستجتمع لانتخاب الأشخاص المطلوبين أن يتحروا المصلحة العامة، ويقدموها على كل شيء، فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة، ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة، ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى))[1]. ولا شك أن تلك الخطبة حوت عددًا من الشروط الواجب توافرها في العضو الذي ينتخب لمجلس الشورى منها: أن يكون جديرًا بهذا المنصب من ناحية الكفاءة والتأهيل، وأن يكون من المشهود لهم بالغيرة على مصالح البلاد والنزاهة في الأحكام. وأضاف العقاد: أن من شروط انتخاب العضو في مجلس الشورى ألا يقل عمره عن خمسة وعشرين عامًا، وأن يكون من ذوي المعرفة والخبرة، حسن السيرة والسلوك[2].

ولعل من المفيد أن نذكر: أن مجلس الشورى تأسس بعد دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م حيث اجتمع بأعيان مكة وعلمائها، وألقى فيهم خطابًا -كما أسلفنا - شرح فيه السياسة التي سينتهجها في حكم الحجاز، وقد وضع في هذا الخطاب الأساس الأول لمجلس

(١) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص ٦٩ - ٧٠. انظر: نص الخطاب لدى الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة**، ج٢، ص ٥٧٠، ٥٧١، وكذلك صحيفة أم القرى، العدد ٣، في ١٣٤٣/٥/٢٩هـ، ص١.

(٢) العقاد، عباس. مرجع سابق، ص٧٠، ويؤيد ذلك ما ذكره فؤاد حمزة، حيث أورد الشروط السابق ذكرها لدى العقاد وأضاف عليها ألا يكون العضو محكومًا عليه بأحكام تخل بالشرف، ولا مفلسًا، حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص١٠٣.

الشورى، وقد أنشأ المجلس الأهلي الأول عام ١٣٤٣هـ، ثم أعيد تشكيله في عام ١٣٤٤هـ. وفي مطلع عام ١٣٤٥هـ تعدل نظام المجلس الأهلي، فدمج بالمجلس الاستشاري برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب الحجاز، وبعد تشكيل المجلس المذكور حررت التعليمات الأساسية والتي ورد فيها تنظيمات لمجلس الشورى. وفي عام ١٣٤٦هـ صدر مرسوم ملكي بتعديل القسم الخاص بمجلس الشورى من التعليمات الأساسية، وهذا التعديل شمل تنظيمات المجلس من ناحية اختصاصاته وأعماله واختيار أعضائه وجلساته[1]. وكان الملك عبدالعزيز حريصًا على أن يقوم مجلس الشورى بدوره في خدمة البلاد والعباد وهذا ما نلمسه في خطابه السابق: ((تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة، ولكن كثيرًا من تلك المجالس وهمية ... أما أنا فلا أريد من هذا المجلس الذي أدعوكم لانتخابه أشكالاً وأوهامًا، وإنما أريد مجلسًا حقيقيًا، يجتمع فيه رجال حقيقيون، يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة))[2].

وأثنى السوادي على الشورى في المملكة من حيث كيفية تطبيقها، فالملك عبدالعزيز إذا طرح أي قضية على مستشاريه أصغى لهم جميعًا حتى أصغر مستشاريه، ويعطيهم حرية إبداء الآراء إلى أقصى مدى، ثم ينظر ما يجمع عليه الأغلبية، عندها يبت في الأمر، ويحسم الخلاف، ويصدر القرار[3]. ويؤيد هذا ما ذكره الملك عبدالعزيز في خطابه بعد دخوله مكة المكرمة: ((فإذا اجتمع أولئك المنتخبون، وأشكل عليَّ أمرٌ من الأمور رجعت إليهم في

(١) جمعة، محمد. مرجع سابق، ص٩٦. تفاصيل التطور الذي طرأ على مجلس الشورى لدى فؤاد حمزة. **البلاد العربية السعودية**، ص٩٨ – ١١١، كما وردت لدى الزركلي غير أنه أضاف إنجازات المجلس خلال ربع قرن، الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٥٦٩ – ٥٨٠ .

(٢) العقاد، عباس . مرجع سابق، ص٧٠ .

(٣) السوادي، محمد . مرجع سابق، ص١٦٥ .

حله، وعملت بمشورتهم، وتكون ذمتي بريئة من المسؤولية))[1]. ولم يكن يكتفي بالشورى في الأمور التي تشكل عليه، بل قد يرفع إليه أمر من الأمور، فيجيل فيه فكره، ثم ينتهي إلى حل له في نفسه يرضاه لكنه يحتفظ برأيه، ويطرح الأمر للشورى والنقاش، فإن توصل مستشاروه إلى الحل الذي في ذهنه أخذ بقولهم وأمضاه، وإلا ناقشهم، وأفضلهم عنده من يعترض ويناقش، ثم يعمل بما يستقر عليه الرأي[2].

ولمجلس الشورى أن يخالف الحكومة في قراراتها، فتعاد إليه القرارات في هذه الحالة مشفوعة بالملحوظات التي تراها الحكومة كافية لإقناعه، فإذا أصر المجلس على رأيه، وأصرت الحكومة على رأيها فالمرجع إلى الملك، يفصل بما يراه. ومن حق المجلس أن يكلف رئيسه بمراجعة الملك في شأن القرارات التي ترفع إليه، ويمضي عليها شهران دون أن يبت فيها[3] . ولا يخفى التنوع في مستشاري الملك عبدالعزيز من ناحية فئاتهم وأعمارهم وحتى جنسياتهم وهو أمر أدهش الرحالة، واستدلوا منه على حنكة الملك عبدالعزيز الإدارية. يقول العقاد: ((يحيط بجلالة الملك عبدالعزيز نخبة من المستشارين الذين يختارهم جلالته من الشيوخ المحنكين والشبان المطلعين، وبعضهم من نجد والحجاز وسائر أنحاء الجزيرة العربية، وبعضهم الآخر من سوريا أو فلسطين أو طرابلس أو مصر أو البلاد الإسلامية))[4]. وهذا التنوع من المستشارين ينطوي على حكمة، إذ ضمن للملك عبدالعزيز سعة الاطلاع على الآراء المختلفة، كما أفاد من مستشاريه الذين ينتمون لبلاد عربية وإسلامية مختلفة في إطلاعه على شؤون تلك البلاد، مما أفاد عند عقد معاهدات أو

(١) العقاد، عباس . مرجع سابق، ص٧٠، صحيفة أم القرى، العدد ٣، في ١٣٤٣/٥/٢٩هـ، ص٢ .
(٢) الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٥٦٩ .
(٣) العقاد، عباس . مرجع سابق، ص٧٠ ، ٧١ .
(٤) المرجع السابق، ص٧١ .

اتفاقات مع تلك البلاد. يقول عنهم العقاد: «فهم بمثابة جامعة صغيرة، يمثلون عند جلالته بمختلف المقاصد والأراء»[1]. ويصف السوادي هذا التنوع بقوله: «أو بمعنى أصح استطاع الملك السعودي أن يقيم في الرياض (كونجرس) كاملاً يمثل: (الجامعة الإسلامية »[2].

ولا يعني أن يكون هؤلاء كلهم من موظفي مجلس الشورى، فالملك عبدالعزيز يعمل بالشورى في جميع أموره وفي مجالسه الخاصة والعامة، ويستشير من يثق به، بل إنه يستطلع آراء شعبه وخاصة في المشكلات التي تتعدد فيها الآراء وتتشعب [3].

النظام القضائي :

منذ قيام المملكة العربية السعودية أولى الملك عبدالعزيز الكثير من الاهتمام للتنظيم القضائي لكونه دعامة قوية يقوم عليها بناء الدولة، فإشاعة العدل أساس الاستقرار، وفيه حفظ لكيان الدولة ووحدتها، وتطبيق الشريعة الإسلامية هو أساس ذلك العدل. يقول الريحاني: «وما عدل ابن سعود غير الشرع »[4].

وقد مر النظام القضائي في المملكة في تطوره بكثير من المراحل، وهذا التطور شمل إنشاء المحاكم باختلاف أنواعها، وإصدار الأنظمة التي ترتب هذه المحاكم من حيث أنواعها ودرجاتها وتحديد اختصاصها وسلطتها وسير العمل بها .

وقد بقي النظام القضائي في نجد في بداية عهد الملك عبدالعزيز على وضعه السابق، حيث اتسم باليسر في الإجراءات القضائية، وسرعة البت في

(١) المرجع السابق، ص٧١ .
(٢) السوادي، محمد . **مملكة في الميزان**، ص١٦٦ .
(٣) العقاد، عباس . مرجع سابق، ص٧١ .
(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٦.

القضايا، وعدم وجود محاكم متخصصة ولا مذكرات ولا محامين ولا مرافعات. يصف التميمي بساطتها: « أنا طالبك للشرع هي عريضة الدّعوى والمحضر، وهي إعلان الحضور عندهم. وكل من وجهت إليه وجب عليه الانقياد للمثول أمام القاضي، ومن لا ينقاد سامعًا طائعًا يعد خارجًا على الشريعة، وله من الأمير الحساب العسير. ويحضر الخصمان إلى مجلس الشرع في هذه المحكمة بموجب أنا طالبك للشرع، ويدلي كل منهما بحجته، فيفصل القاضي بينهما بما تقضي به الشريعة، ولا محاضر جلسات، ولا حيثيات حكم، ولا إعلان أحكام »[1].

وبساطة ذلك النظام نابعة من كونه نظامًا إسلاميًا، يستمد مقوماته من مصادر الشريعة الإسلامية وسيرة السلف الصالح، ويطبق بحزم دون محاباة. يؤكد الريحاني ذلك بقوله: ((أما أحكام الشرع فمعروفة إلا أنها تنفذ في نجد بلا تردد ولا محاباة ولا مرافعات لولبيات طويلات. حكم ابن سعود لا يعرف في سبيل العدل كبيرًا أو غنيًا، كل الأعمال الأثيمة عند الحاكم سواء، وكل الرؤوس سواء عند السياف))[2].

ومما زاد في هيبة القضاة واحترام أحكامهم مع بداية حكم الملك عبدالعزيز أن السلطة التنفيذية المتمثلة في الأمراء أصبحت تتولى تنفيذ الأحكام الصادرة من القضاة بصورة سريعة وفعالة[3] ، وكان الأمير ملزمًا بتنفيذ حكم القاضي. يقول التميمي عن ذلك: ((والأمير خاضع لسلطة القاضي في المسائل الشرعية، وليس عليه إلا تنفيذ ما يُصدره من الأحكام طبقًا للشريعة[4].

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٧٠ .
(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٦ - ٥٥٧ .
(٣) العتيبي، إبراهيم . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص١٥٩ ..
(٤) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٢ .

وهذا الحزم في تنفيذ الأحكام الشرعية أشعر الناس بقوة الحكم، ومع ذلك فإن من حق أحد الخصوم طلب إحالة القضية إلى قاض آخر في حال عدم قناعته بالحكم الصادر. وأكد ذلك محمود ياسين حين وصف المحكمة الشرعية في العلا، وأن من صلاحيتها البت في عامة القضايا، فإذا أراد أحد الخصوم استئناف قضية استأنفها إلى رئيس القضاة بمكة المكرمة من غير أن تكلفه وضع شيء من الرسوم[1].

وللقضاة هيبتهم ومنزلتهم الرفيعة واحترامهم؛ حيث ضمن الملك عبدالعزيز للقضاة مكانتهم، فكان يحترمهم هو شخصيًا ويضعهم في المكانة اللائقة في مجالسه، ويكرمهم إكرامًا يليق بهم، وكذا سار أمراؤه على نهجه في تقدير القضاة. ومن أمثلة ذلك: حين دخوله الحجاز أعلن في بلاغ رسمي عن احترام القضاء، وعدم التدخل في شؤونه: « وقد عادت الدعاوى في المحكمة الشرعية تسير ضمن الأحكام الشرعية ... وتعلن الحكومة بأنه لا يجوز لأحد من الناس كائنًا من كان أن ينظر في شأن أي قضية من القضايا التي قدمت للمحكمة الشرعية للنظر فيها ...))[2]. وهذا التصريح من الملك عبدالعزيز أعطى للقضاة هيبتهم حتى لدى أمراء البلاد، يدل على ذلك ما ذكره التميمي: من أن الأمير خاضع لسلطة القاضي في المسائل الشرعية، وعليه تنفيذ ما يصدره من الأحكام طبقًا للشريعة الإسلامية كما أسلفنا، وهو يؤكد مكانة القاضي في قوله: ((وإشارة صغيرة من القاضي ينسب فيها إلى الأمير إهمالاً أو ترددًا في تنفيذ الأحكام الشرعية، تكفي لعزله))[3]. ولا يعني هذا تراخي الأمراء في تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، فقد أثنى

(١) ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**، ص٨٧ .
(٢) **صحيفة أم القرى**، العدد ٣، في ١٣٤٣/٥/٢٩هـ، ص٣ .
(٣) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٢ .

التميمي نفسه على أولئك الأمراء ومنهم أمير الجوف في حزمه وشدته في تطبيق الشريعة الإسلامية، كما أثنى الريحاني على أمراء الملك عبدالعزيز وتطبيقهم الشريعة: ((ليس السلطان وحده في هذا الأمر الخطير، فإن أمراءه كلهم يأخذون، ويتمثلون به وبين هؤلاء الأمراء رجل مشهور يحكم الحسا، هو أكبرهم همة، وأشدهم تعصبًا للعدل)) [1].

ويتضح لنا مما سبق التعاون التام بين القضاة والأمراء في تنفيذ أحكام الشريعة، وإقامة حدود الله، ولا شك أن الثقة التي منحها الملك عبدالعزيز لأولئك القضاة نابعة من حسن اختياره لهم، فهو الذي يتولى تعيينهم أو نائبه، فهو يتحرى في أولئك القضاة أن يكونوا من العلماء ممن نالوا حظًا وافرًا من العلوم الشرعية، وأن يكونوا من المشهود لهم بالاستقامة والورع والنزاهة، ولا شك أن في الاطلاع على سير أولئك القضاة وتراجمهم ما يؤكد تلك الحقيقة [2]. كما أكد الرحالة كفاءة أولئك القضاة، فقد أثنى التميمي على الشيخ عبدالله بن بليهد قاضي حائل ورئيس قضاة الحجاز يقول عنه: ((لاقيت منه كل إعزاز وإكرام، واستفدت كثيرًا من غزير علمه وواسع اطلاعه)) [3]. كما عزم التميمي على طلب العلم على يد الشيخ محمد بن علي بن تركي نائب رئيس القضاة في الحجاز [4]، لما لمسه من سعة علمه واطلاعه[5]، وقد ورد ذكر الشيخ التركي لدى العوري، وقال عنه: «العامل،

---

(١) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٦٠ .

(٢) لتتبع سير وتراجم أولئك القضاة، انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام. **علماء نجد خلال ستة قرون**، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ . **مشاهير علماء نجد** .

(٣) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٦ .

(٤) محمد بن تركي. ولد في عنيزة عام ١٣٠١هـ، قام بعدة رحلات لطلب العلم، كان له حلقات تدريس في الحرمين الشريفين، في عام ١٣٤٥هـ ولي قضاء المدينة ثم في عام ١٣٤٦هـ عين مساعدًا لرئيس القضاة في مكة المكرمة وبطلبه أعفي منها وعين مدرسًا للعلوم الشرعية في المدينة المنورة. توفي في المدينة المنورة عام ١٣٨٠هـ. البسام، عبدالله . مرجع سابق، ج٣، ص٩٠٤ — ٩٠٧ .

(٥) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٨١ — ٩٠ .

المحدث، الشهير، والمفسر الكبير، مولانا الشيخ محمد بن علي بن تركي))[1].

ومهام القاضي متعددة: فإلى جانب القضاء مارس القضاة عددًا من المهام منها: إمامة الناس في الصلاة والخطبة في الجمع والأعياد والإرشاد والتوجيه والتدريس في حلقات العلم[2] وعقد الأنكحة وأعمال التمليك ومأمورية بيت المال وغير ذلك [3].

وينظر القاضي في عموم القضايا التي تقع في منطقته وعموم القرى التابعة لها ومناطق البادية القريبة منها، فقد كان القضاء في البادية يتم بناء على العادات والتقاليد والعرف، وفي عهد الملك عبدالعزيز طبق عليهم حكم الشرع كالحاضرة تمامًا [4]، ويصدر القاضي الأحكام شفهيًا، وقلَّ أن تسجل تلك الأحكام أو تصدر صكوكًا تحوي خلاصتها، ما عدا قضايا العقار التي لا بد من توثيقها [5]. ويذكر التميمي: أن القاضي لا يستخدم الكاتب إلا حين يصدر حكمًا بالقصاص [6].

والأنظمة القضائية في نجد كانت سهلة ميسرة، يقوم بها قضاة منفردون في كل بلد، فبجانب كل أمير قاض شرعي. أما الحجاز فقد كان

---

(١) العوري، محمد . **الرحلة السعودية الحجازية** .ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٩هـ، ص٢٣ .

(٢) من أمثلة ذلك الشيخ محمد بن علي بن تركي نائب رئيس قضاة الحجاز، حيث كانت له دروس في المسجد النبوي في الحديث والفقه، كما كان له حلقات للدرس في المسجد الحرام، التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٨١ - ٩٠. بينما ذكر العوري أن مدرسة الشيخ ابن تركي التي يلقي فيها دروسه ملاصقة للمسجد الحرام في مكة المكرمة، العوري، محمد . مرجع سابق، ص٢٣ .

(٣) من أمثلة المهام المالية التي يتولاها القضاة ما ذكره التميمي في أثناء وجوده في بلدة الجوف عام ١٣٤٥هـ، ١٩٢٦م أن الأمير عبدالرحمن البواردي أمير شقراء بعد عودته من مهمة جمع الزكاة من بعض القبائل في وادي السرحان قدم كشوف الزكاة لقاضي الجوف الشيخ علي الأحمد لمراجعتها، التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٣ .

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، مرجع سابق، ص٢٧، حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص١٩٧ .

(٥) السلوم، لطيفة. مرجع سابق، ص١٢٣ .

(٦) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٧١ .

القضاء فيها متأثرًا بالقضاء العثماني. وبعد دخول الملك عبدالعزيز إلى الحجاز بدأ في تطوير النظام القضائي القائم، وتم إصدار فتوى للعلماء عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م تدعو إلى إلغاء القوانين الوضعية التي كانت سائدة من قبل، ولا يحكم إلا بالشريعة الإسلامية [1].

وكانت المحاكم في الحجاز تعمل بالمذاهب الأربعة في إصدار الأحكام القضائية، فلم يتسرع في فرض المذهب الحنبلي، وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وجه خطابًا إلى علماء الحجاز أكد فيه على تطبيق الشريعة الإسلامية، وعدم تقييدهم بمذهب معين[2] في إصدار الأحكام القضائية، ثم تدرج معهم حتى تم توحيد القضاء في جميع أنحاء المملكة على المذهب الحنبلي، وقد استفاد الملك عبدالعزيز من إيجابيات المحاكم في الحجاز، وحاول تفادي سلبياتها .

وقد أنشئت المحاكم في مختلف أنحاء المملكة خاصة في المدن الرئيسة، وكانت هذه المحاكم بسيطة في مظهرها، حيث كان يتم استئجار أحد المنازل ، وتقام فيها المحكمة، بل إن بعض القضاة كان يفصل في القضايا في المسجد، أو بيته، أو حتى في الشارع في حال عدم وجود مبنى لتلك المحكمة [3].

ولا شك أن المحاكم في الحجاز أكثر تطورًا عنها في بقية البلاد نتيجة أوضاعها السابقة كما أسلفنا. ويصف إبراهيم حبيب إحدى المحاكم التي زارها في مكة المكرمة: « فدخلت إلى غرفة بها عدة مكاتب يتوسطها مكتب القاضي وإلى جواره من الجانب الآخر مكاتب الموظفين، وأمام

(١) وهبة، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٢٩١ ، ٢٩٢ .
(٢) **صحيفة أم القرى**، العدد ١٣٨، في ١٣٤٦/٢/٧هـ، ص١ ..
(٣) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٧٠ .

مكتب حضرة القاضي مقاعد مخصصة لجلوس المتقاضين، وعلى مكتبه جهاز تليفون))[1].

ويتم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية على الجميع من مواطنين، أو مقيمين، أو زوار، أو حجاج[2]، ويتم تنفيذ الأحكام علانية في جميع أوقات السنة، وحتى في موسم الحج. وقد شهد عدد من الرحالة بأنفسهم مظاهر تنفيذ الحدود الشرعية، ففي مكة كانت تقام على مقربة من الحرم الشريف[3]، لتكون رادعة للجميع. ورصد الرحالة كثيراً من مظاهر تنفيذ القصاص في عدد من الجناة في أنحاء المملكة[4]. وأكد الرحالة أن تطبيق الشريعة الإسلامية والحزم في ذلك أدى إلى تناقص الجرائم من قتل وسرقة. ويصف التميمي الأمن وقلة الجرائم بناءً على ما شهده في محكمة حائل: ((وربما جلس القاضي في محكمته هذه أيامًا وأسابيع دون أن يفصل بين الأنام أو يصدر مثل هذه الأحكام، لأن الناس أنصفوا فاستراح القاضي))[5]. ولا شك أن وصفه هذا ينطبق على كثير من المحاكم في أنحاء البلاد. وفي اعتقادنا أن المحاكم في المدن الرئيسة كالرياض ومدن الحجاز تحظى بالنظر في قضايا أكثر مما ذكره التميمي نظرًا للكثافة السكانية فيها مقارنة بغيرها، ومع الكثافة السكانية في مكة المكرمة إلا أن المحاكم في موسم الحج تكون شبه معطلة، عدا القضايا المستعجلة، ويعلل إبراهيم حبيب ذلك بانشغال أهل مكة بطلب الرزق في موسم الحج [6].

(١) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٤٧ .
(٢) المرجع السابق، ص١٥٠ .
(٣) حيث تقام في شارع الحكومة وهو في أسفل (أجياد) يمتد من شمال (الصفا) حتى يجاوز باب إبراهيم. الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص٦٣ .
(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٦٢. حبيب، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٥٠، السوادي، محمد . مرجع سابق، ص١١٦، حتة، محمد كامل. **في أرض المعجزات**، ص٢٦٨، وتفاصيل هذه الأمثلة في الفصل السادس (النواحي الأمنية) .
(٥) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٧١ .
(٦) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٤٧ .

تنظيمات الحج والعناية بالحرمين الشريفين :

أولاً : تنظيمات الحج :

يتوافد في كل عام حجاج بيت الله الحرام إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والعمرة استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾[1]، ولا شك أن اجتماع هذه الأعداد الكبيرة في ذلك الموسم يتطلب جهودًا كبيرة لتنظيمهم وخدمتهم والعمل على أمنهم وراحتهم لأداء مناسكهم بيسر وسهولة .

وقد بادر الملك عبدالعزيز منذ دخوله مكة المكرمة في جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/ ديسمبر ١٩٢٤م بالعمل جاهدًا على خدمة حجاج بيت الله الحرام، يدلنا على ذلك أنه بذل كل الاستعدادات الممكنة لإنجاح موسم حج ذلك العام، على الرغم من الظروف المحيطة به المتمثلة في عدم استكمال ضم الحجاز، إذ لا تزال قواته محاصرة لمدينة جدة، وقد أصدر نداءً إلى جميع المسلمين يبين لهم أنه قد بذلت التسهيلات كافة من أجل أمن وراحة حجاج بيت الله الحرام[2].

وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م أصبحت إدارة الحج تابعة لمديرية الأوقاف، وشكلت لجنة (إدارة الحج) ، حيث نصت التعليمات الأساسية للمملكة بتشكيل إدارة للحج لها الصلاحية في النظر في أمور الحج والحجاج، واستمرت في عملها حتى إنشاء المديرية العامة لشؤون الحج عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م [3].

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) **صحيفة أم القرى**، العدد ١٢، في ١٣٤٣/٨/٣هـ، ص١، ٢ .

(٣) **صحيفة أم القرى**، العدد ٣٠، في ١٣٤٤/١/٢هـ، ص٣ .

واستمر قدوم الحجاج إلى مكة المكرمة في ذلك العام والأعوام التي تليه وبدأت الأنباء ترد إلى أنحاء العالم الإسلامي عن استتباب الأمن والتحسن المستمر في الخدمات المقدمة للحجاج. وقد دون عدد من أولئك الرحالة الذين قدموا لأداء فريضة الحج رحلاتهم، ورصدوا مشاهداتهم وانطباعاتهم حول الحج وتنظيماته واستعدادته، والخدمات المقدمة للحجاج .

١ - ولعل من أبرز الجوانب التي تناولها الرحالة جانب الأمن . فمن النادر أن تخلو مؤلفاتهم من ذكر تلك الناحية، حيث رصدوا مظاهر الأمن ومؤسساته ونتائج السياسة الأمنية التي انتهجها الملك عبدالعزيز . واستشهد عدد منهم برحلات سابقيهم وما دونوه عن الأوضاع الأمنية قبل عهد الملك عبدالعزيز، وما يتعرض له الحجاج من سلب ونهب وقتل في الحجاز أو في الطرق المؤدية إليه[1] . كما استشهدوا بروايات معاصريهم ممن سبق لهم أداء الفريضة عن معاناتهم من سوء الأوضاع في الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة والطرق المؤدية للحجاز، وما يتعرضون له من قطاع الطرق أو الابتزاز المادي من قبل بعض القبائل؛ حيث يدفعون لهم الإتاوات لقطع المسافات التي تمر بأراضي تلك القبائل. يصف التميمي تلك الأوضاع بقوله: «وكان قطاع الطريق والمفسدون يفرضون على قوافل الزائرين إتاوات يحددونها حسب تقديرهم ...، بل كثيرًا ما كان الجمالون المرافقون للقافلة يعتدون على الحجاج فيغافلون أحدهم قائمًا كان أو نائمًا ويضربونه على صدغة ضربة واحدة تكفي للإغماء عليه بل لقتله أحيانًا، ويسلبون نقوده))[2]. لقد أعطى الرحالة نماذج كثيرة على اضطراب حبل الأمن سابقًا وما يصيب الحجاج من جراء ذلك. وفي المقابل

(١) من أبرز المصادر التي اعتمد عليها الرحالة العرب في أثناء وصفهم لتردي الأوضاع الأمنية في الحجاز والطرق المؤدية إليها قبل عهد الملك عبدالعزيز رحلة إبراهيم رفعت باشا ورحلة البتنوني .

(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٨٤ .

أسهبوا في وصف حالة الأمن والاستقرار التي شهدتها البلاد على يد الملك عبدالعزيز [١].

ومع كثافة المادة حول الجوانب الأمنية، إلا أننا سنقتصر هنا على الاستعدادات الأمنية في موسم الحج والخدمات الأمنية المقدمة لحجاج بيت الله الحرام، سواء في طرق الحج، أو طرق المشاعر المقدسة، أو داخل الحرمين الشريفين.

إن السياسة الأمنية التي اتبعها الملك عبدالعزيز شملت جميع أنحاء البلاد منذ بداية كفاحه لتوحيد البلاد، وبعد ضم الحجاز جعل أكبر همه خدمة حجاج بيت الله الحرام؛ لأداء مناسكهم على أكمل وجه، وهذا لا يتم لهم إلا بتوفير الأمن على الأرواح والأموال، وتمكن الملك عبدالعزيز من تحقيق ذلك عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقًا تجلى فيه الحزم والشدة [٢]، كما اهتم الملك عبدالعزيز بتأمين طرق الحج، فقبائل البادية المنتشرة على طول طرق الحج كانت تهدد أمن وسلامة الحجاج، وتقطع الطرق، وتأخذ الرسوم من الحجاج. فدعا الملك عبدالعزيز بعد دخوله الحجاز رؤساء تلك القبائل المقيمة على مقربة من تلك الطرق، وحثهم على التمسك بالعقيدة الإسلامية، وعدم التعرض لقوافل الحجاج بأي أذى، مع تحديد مناطق نفوذ كل قبيلة تحديدًا فعليًا، حتى يصبح رئيس تلك القبيلة مسؤولاً مسؤولية تامة بما يقع في نطاق قبيلته من أعمال تسيء إلى أمن الحجاج أو القوافل عامة [٣]،

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٩، ٤٣، ٦٤، ٦٥، ١٦٣. الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٢، الطنطاوي، علي. مرجع سابق، ص٤٤. حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيـرة العرب**، ص١٦ - ١٧. حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص٢٣. مظهر، عبدالوهاب. **مرشد الحاج**. ـ ط٣ . ـ القاهرة: مكتبة ومطبعة خضير، ١٣٤٨هـ، ص٨٤، ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**، ص٦٨، ٦٩، ولمزيد من التفاصيل حول الأوضاع الأمنية سابقا ومظاهر الأمن ومؤسساته ونتائج السياسة الأمنية انظر الفصل السادس .

(٢) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥٧ .

(٣) أم القرى، العدد ٦٠، في ١٣٤٤/٨/٦هـ، ص٣ .

وتوعد القبائل التي لا تلتزم بذلك بالعقاب الصارم، وكان ينفذ وعيده هذا. فإذا حدثت جريمة في نطاق تلك القبائل أنذرها بتسليم المجرم أو المسؤولين عن ذلك الحادث، فإذا امتنعت عن تسليمه حذرها فإن لم تستجب فإن عقابها أن تهاجمها قوات الملك عبدالعزيز حتى يتم تأديبها، وهذا النوع من العقاب كان يسمى (التصبيحة)[1]، ولا شك أن مشروع إنشاء الهجر الذي أسسه الملك عبدالعزيز، وعم أنحاء البلاد بما فيها قبائل الحجاز كان له أثره ودوره البارز في نشر الوعي الديني، حيث عرفت تلك القبائل حدود الحلال والحرام، ودفعهم هذا للتورع عن القتل والسلب والنهب. وقام العلماء والمرشدون الذين بثهم الملك عبدالعزيز في تلك الهجر وبين أبناء البادية بدورهم الإيجابي؛ فانتشر العلم الشرعي بينهم، وأقبلوا على طلب العلم . وقد أكد الرحالة تزايد الوعي الديني بين تلك القبائل، حتى تلك القبائل التي تقيم في أطراف البلاد [2].

ومن الاحتياطات الأمنية التي اتخذها الملك عبدالعزيز لحماية وفود الرحمن أن بث المراكز الأمنية على طرق الحج، وخاصة في المحطات التي أنشئت على تلك الطرق لخدمة الحجاج. يقول المازني عن تلك الجهود الأمنية: ((وفي كل محطة مخفر وتلفون))[3] كما يقول عنها عبدالغني شهبندر:

---

(١) يقول المازني في وصف ذلك العقاب: ((أما التصبيحة فشيء آخر تكون هناك عشيرة عرفت بالسطو فينذرها ابن السعود مرة ثم أخرى وثالثة فإن كفت ... وإلا همس في أذن واحد من قواد جيشه .... ويقع على العشيرة في الفجر فيصلي بجيشه ثم يطلق رجاله فيصبحونها... ولم يصبح ابن السعود سوى عشيرة واحدة قرب المدينة مذ دخل الحجاز، لأن الأمر بعد ذلك لم يحوجه إلى تصبيحة أخرى))، المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص٦٨، ٦٩، هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٥٢، ١٥٣.

(٢) وقد قام محمود ياسين في أثناء رحلته إلى المدينة المنورة بتوجيه عدد من الأسئلة إلى أفراد من تلك القبائل التي وجدهم على الطريق، وقد كانت أسئلته تدور حول عقيدة أولئك الأفراد وبعض الأسئلة الفقهية البسيطة المتعلقة بالوضوء والصلاة وشعر من خلالها بوعيهم بأمور دينهم،وحرصهم على أداء فروضه .ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة المنورة**، ص٦٨، ٦٩ .

(٣) المازني ، إبراهيم . مرجع سابق، ص٦٩ . خضير، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص١٧.

((وفي رابغ دائرة للحكومة يقيم فيها الجند السعودي للإشراف على راحة الحجاج))[1].

وكذلك المحطات الأخرى على الطرق بين جدة مكة، وبين جدة والمدينة المنورة، وبين الطائف ومكة المكرمة[2] ، وكانت في هذه المحطات نقاط تفتيش، إذ لا يصرح لأحد بالانتقال داخل الحجاز من مدينة إلى أخرى بغير جواز خاص يطلق عليه اسم (الكوشان). ويشير هيكل إلى تطبيق نظام الكوشان ووجود النقاط الأمنية على الطريق، وأكد توقف السيارة في عدد من المحطات لتقديم تصريح المرور المسمى الكوشان[3]، ولم يكتف الملك عبدالعزيز بالمراكز الأمنية على الطرق، بل وضع كثيراً من الترتيبات الأمنية داخل مدن الحجاز، من تلك الترتيبات تجنيد الجنود في المشاعر المقدسة والطرق المؤدية إليها كل عام لتنظيم حركة السير منعًا للازدحام والحوادث المختلفة[4].

وقد تم وضع جهاز أمني دائم للحرمين الشريفين، ولهذا المركز الأمني مهام متعددة يقول عنها مصطفى محمد: « والشرطة السعودية لها مكان خصيص بها في الحرم الشريف وكنت أرى الشرطي منها يقف في تمام اليقظة خوف اندساس النشالين بين المصلين أو الطائفين، وخوف اعتداء بعض الناس على بعض، وتجد أيضًا أحد العساكر واقفًا بجوار الركن ليمنع ازدحام الناس على الحجر الأسود))[5]، بل كانت الحكومة السعودية حريصة على

---

(١) شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص٢٨

(٢) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٣٠٦. حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٠٠ - ١٠٢.

(٣) الكوشان كلمة تركية تعني الرسوم التي تؤخذ عند مغادرة المدينة أو الدخول إليها. مغربي، محمد علي. **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري**. ـ ط١ . ـ جدة: تهامة، ١٤٠١هـ، ص٦٨ - ٦٩ .

(٤) نجيب، متولي. مرجع سابق، ص٨١ — ٨٢. حتة، محمد كامل. **صور من الحجاز**، ص٤٣. وثيقة رقم ٣٢٠ في ١٣٤٧/١٢/٤هـ (الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز) .

(٥) مصطفى، محمد. مرجع سابق، ص٩٤ .

مراقبة المشبوهين من أهل البلاد أو حتى القادمين من خارجها، فقد حدث أن أبعدت الحكومة السعودية بعض المصريين المشتبه بهم، واتضح بعد مباحثات مع الحكومة المصرية أنهم من أرباب السوابق[١] . وقد أكد عباس حمادة بناءً على ما سمعه من مدير الأمن العام وقوع حوادث سرقة من قبل أشخاص قدموا من بلاد بعيدة واندسوا بين الحجاج بقصد النشل والسرقة وخاصة في يوم عرفة[٢].

٢ – وقد أعطى الملك عبدالعزيز للمواصلات وسائلها وطرقها الأولوية في اهتمامه نظرًا لاتساع أرجاء بلاده وتباعد مناطقها، ولا شك أن وسائل وطرق المواصلات في منطقة الحجاز جاءت ضمن أول المشروعات في المملكة لخدمة ضيوف الرحمن، وتذليل العقبات أمامهم، وقد أوجد كثيراً من وسائل المواصلات، حيث كانت وسيلة النقل المتاحة سابقًا هي الجمال والدواب، فأدخل الملك عبدالعزيز السيارات ؛ لتكون وسائل نقل للحجاج إلى جانب الجمال منذ عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦[٣]. ويصف المازني ذلك بقوله: ((فقد اتخذت الحكومة السيارات وشجعت على اقتنائها ... وقد دخل السعوديون الحجاز وليس فيه سوى سيارة واحدة يملكها الملك حسين السابق))[٤]. وقد ذكر أحمد حسين الصعوبات التي واجهت الملك عبدالعزيز عند إدخاله السيارة لتكون وسيلة للمواصلات: ((ولقد سمعت بأذني عندما حججت للمرة الأولى كيف كان اللغط يجري في كل مكان وعلى كل لسان أن البلاد مقبلة

(١) المرجع السابق، ص٩٤ . وفي خطاب موجه لابن عمار أمير رحيمة تنبيه على ضرورة مراقبة عدد من الحجاج المشبوهين من العراق وإيران. وثيقة رقم ٢٥٦ في ١٣٦٤/١١/٢١هـ (الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز .

(٢) حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٨٣ .

(٣) رضا، محيى الدين. **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص٨٥. مظهر، عبدالوهاب. مرجع سابق ص٤٤.

Armstrong, H. C. Lord of Arabia Ibn Saud : An Intimate Study of a King, (Beirut, Khayats, 1966) P. 223

(٤) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٦٣ .

على الخراب بدخول هذه السيارة اللعينة حليفة الشيطان))[١]، وأعطيت الامتيازات لشركات السيارات لنقل الحجاج، وكانت السيارات في البداية قليلة العدد وأجورها عالية، ثم زاد عدد السيارات التي تنقل الحجاج فوصلت عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م إلى ٦٠٠ سيارة، مما أدى إلى انخفاض الأسعار من لدن كثير من شركات السيارات. ويذكر المازني أن عدد السيارات قد وصل إلى ١٢٠٠ سيارة عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م[٢]، وقد وجدت كثير من شركات السيارات التي تشرف عليها هيئة رسمية معينة من قبل الملك عبدالعزيز، وحين أصبحت السيارات الوسيلة الرئيسة لنقل الحجاج، وضعت التنظيمات الخاصة بها والتي تشمل تحديد أجورها وأوضاعها واختصاصاتها[٣]. وقد تم إدخال تعديلات على تلك الأنظمة في أعوام مختلفة تبعًا لما يطرأ في مواسم الحج من سلبيات وإيجابيات، فيتم تبني الإيجابيات، ومحاولة تلافي السلبيات قدر الإمكان، وقد تم إنشاء النقابة العامة للسيارات عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م، وتقوم بتوزيع الحجاج على شركات السيارات بحسب إمكاناتها، وتحديد أجور النقل بحيث لا تكون قابلة للنقص ولا الزيادة وإلزامية إسعاف السيارات المتعطلة ومراقبة كفاءة السائقين والإجراءات الجزائية المترتبة على عدم الالتزام بتلك الأنظمة. وفي عام ١٣٧٢هـ تأسست النقابة العامة الثانية للسيارات لمواجهة زيادة أعداد الحجاج[٤]. ولا شك أن وجود السيارات في الحجاز يستدعي الاهتمام بالطرق التي تسلكها تلك السيارات، فقد كانت شكوى الحجاج مستمرة من صعوبة المواصلات ووعورة الطرق، وتكمن وعورتها في وجود عقبات طبيعية، فالرمال على تلك الطرق الصحراوية تبتلع عجلات السيارات

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٢ .
(٢) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٦٣ .
(٣) ولمعرفة تفاصيل تطور نظام النقل بالسيارات وشركاته وأنظمته وهيئاته انظر: جميل، وليد. **مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبدالعزيز**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ، ص١٩١ – ٢٠٦ .
(٤) المرجع السابق، ص١٩٦ ـ ٢٠٢ .

وتستهلك جهد الحجاج ووقتهم لتخليصها فإذا تخلصوا من تلك الرمال واجهتهم عقبات أخرى من جبال، ومرتفعات، ومنخفضات، وصخور ونتوءات. يصف محمد ثابت الطريق بين جدة والمدينة المنورة: ((وقد تلين التربة فتغوص فيها العجلات إلى نصف ارتفاعها فتقف السيارة ونعالج دفعها بشق الأنفس ... وفي المرحلة الأخيرة كثرت الجبال المعقدة المجدبة، وأضحى الطريق صخريًا كثير الحصى والليات))[1]. وأسهب غيره في وصف تلك الصعوبات[2]، وكانت تلك العقبات أشد على ركاب السيارات من ركاب الجمال التي تعودت على السير في الصحراء .

ولعل من الواضح أن رصف طرق المواصلات في المملكة لم يتم بالصورة المثلى إلا في فترة متأخرة، على رغم من الجهود المبذولة من الملك عبدالعزيز لتسهيل طرق الحج وتمهيدها، إلا أن الظروف والإمكانات حالت دون ذلك، وقد كان عدد من الرحالة أكثر موضوعية في حديثهم عن رصف تلك الطرق، وعدم توافر الإمكانات لدى الحكومة السعودية منهم أحمد عيسى: ((ولست في حاجة ـ أيها القارئ ـ إلى أن أبين لك ما يحتاج إليه تعبيد تلك الطرق ورصفها من مال طائل لا تتسع له خزانة الحكومة الحجازية))[3]. ولا شك أن الطرق الرئيسة التي تربط بين مدن الحجاز على الرغم من أنها لم ترصف بالطرق الفنية، إلا أنها بذلت الجهود لتمهيدها وإزالة العقبات منها وجعلها صالحة للسير، تلك العقبات التي أدت إلى تلف مئات السيارات خلال

---

(١) ثابت، محمد. مرجع سابق، ص٥٢ .

(٢) جمعة، محمد لطفي. مرجع سابق، فقد وصف الطريق بين مكة والمدينة ومدى الصعوبات التي واجهتهم في أثناء اجتيازه، ص١٨٩، ١٩٠. عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص٩٤، ٩٥. حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٧ – ٣٠. محمد، مصطفى. مرجع سابق، ص٣٤ .

(٣) عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٢، وقد أكد أرسلان الصعوبات التي تواجه الحكومة السعودية لرصف تلك الطرق وعدم توافر الإمكانات المادية لذلك، أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص١١٣ .

فترة وجيزة. يقول أحمد حسين عن ذلك: ((كان الحجاز يخسر في كل عام مئات الألوف من الجنيهات ثمنًا للسيارات التي تستهلك، وتصبح غير صالحة للسير في أقل من عامين أو ثلاثة على الأكثر، وما ذلك إلا لسوء حالة الطرقات))[1]. وكانت المحاولات المبدئية لتمهيد الطريق تتركز على المناطق الصعبة منه ذات النتوءات والارتفاعات بحيث يتم دكها وتسوية تلك العقبات مثل الطريق بين مكة والطائف. يقول عنه عبدالوهاب عزام: ((فسرنا في طريق غير معبد، ولكنه سهل في معظمه))[2]. ويصف المازني الطريق من جدة إلى مكة :((والطريق إلى مكة طريقان: واحد للسيارات وهو حسن ومكبوس ... والآخر للجمال والمشاة على يميننا ويسارنا)). ويشير أيضًا إلى أنه مكبوس باستخدام الحجارة[3]. وهذا يؤيد ما ورد في صحيفة أم القرى من صدور الأمر الملكي بتمهيد وإصلاح طريق جدة ـ مكة، حيث أصبح الطريق صالحًا لسير السيارات وكان ذلك عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م[4]، نلمس من خلال حديث المازني الجوانب التنظيمية في تحديد مسار للسيارات، ومسار آخر للجمال والمشاة .

وأما السفر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، فيتم عن طريقين الأول بري والآخر يكون بالتوجه إلى جدة، ومنها إلى ينبع بحرًا، ثم يركبون من ينبع إلى المدينة الجمال أو السيارات، وطريق الزيارة البري أصبح مرغوبًا أكثر لانتشار الأمن، وهو عبارة عن أربعة طرق رئيسة: السلطاني، والفرعي، والغاير، والطريق الشرقي، ويفضل عبدالوهاب مظهر الطريق الأول وهو الطريق السلطاني؛ لتوافر المياه فيه أكثر من الطرق الأخرى[5]. ويعد الطريق

(١) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٢٥ .
(٢) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٣٠٦ .
(٣) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٦٤ . ويؤكد ذلك عبدالوهاب خضير والذي كان مرافقًا له في تلك الرحلة، خضير، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص١٦ ،١٧.
(٤) **صحيفة أم القرى**، العدد، ١٩٧ في ١٣٤٧/٤/٢١هـ، ص١ .
(٥) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٨٤، ٨٥ .

من مكة إلى المدينة مرورًا بجدة من أوعر الطرق وأطولها، وقد عانى عدد من الرحاله حين اجتيازه منهم عبدالغني شهبندر: ((وما زلنا معرضين لشدة الحر وكثرة الغبار وقلة الماء وعطل السيارة وفساد الطريق))[١].

ومن الواضح من خلال كلامه أن الطريق ممهد في بعض أجزائه، فهو يقول: ((وفساد الطريق)) وهذه الكلمة لا يمكن إطلاقها إلا على ما كان صالحاً من قبل للسير. أما أحمد عيسى وكانت رحلته عام ١٣٥٦هـ فيؤكد تعبيد جزء من الطريق بين جدة والمدينة يصل إلى النصف: ((وصلنا إلى مستورة في منتصف الطريق بين جدة والمدينة ... ومستورة هي الحد الفاصل بين طريق معبد تسير فيه السيارة بسهولة وطريق صعب ينهك قوى الحجاج في (وادي الرمل) حيث تغوص عجلات السيارة))[٢]. ولعل من الواضح من الروايات السابقة أن الجهود مبذولة وبشكل تدريجي لتمهيد الطرق وإزالة العقبات منها ثم تعبيد وسفلتة أجزاء منها بحسب الإمكانات المتاحة حتى تم رصف الطريق بين جدة ومكة عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م. فعند زيارة أحمد حسين للمملكة عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م أثنى على ذلك الطريق المعبد، وقارن بينه وبين رحلته عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م وكيف كان الطريق بين مكة وجدة على قصر مسافته مقسمًا إلى عدة مراحل في كل مرحلة محطة، وبلوغ تلك المحطة يعد إنجازًا عظيمًا وكيف أنه قطعه في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م في ساعة وربع، وأنه في ذلك العام لم يعد يشاهد قوافل الجمال على تلك الطرق لتزايد استخدام السيارات[٣]. ويثني عبدالوهاب عزام عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م على الطريق بين جدة ومكة: « فدخلنا مكة بعد ساعة وعشر، وكان هذا أول سفر إلى مكة على الطريق المقير وشتان بين سير السيارات على الرمال والحصى ... وبين سيرها على طريق مستو أملس))[٤].

(١) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٥٤ .
(٢) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص٩٤، ٩٥ .
(٣) حسين، أحمد . مرجع سابق، ص٢٧، ٢٩، ٣٥ .
(٤) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص١٩٥ .

ولم تكتفِ الحكومة بتعبيد الطريق بل وضعت اللوحات الإرشادية عليه. يقول متولي نجيب: « وبالجهة اليمنى بين كل كيلومتر وآخر بناء كأنه شاهد مقبرة طلي بالجير وبه رقم (الكيلومتر) وجملة (من جدة)، وفي الناحية المقابلة عدد الكيلومترات وجملة (من مكة)[1]، وتم الاتفاق مع إحدى الشركات الأجنبية لتعبيد الطريق بين جدة والمدينة حيث يبلغ طول الطريق ٤٣٠ كيلومترًا، وفي أثناء مرور محمد حتة بذلك الطريق عام١٣٧١هـ/١٩٥٢م ذكر أن الطريق كان مرصوفاً إلى مسافة لا تتجاوز الخمسين كيلو مترًا، هي التي أتمت الشركة رصفها، وكان مقررًا أن ينتهي رصف الطريق كله في أربعة أعوام، وكانت الشركة تحاول أن تتحلل من التزاماتها أو تدخل في مساومة مع الحكومة السعودية، وأن الطريق توقف قريبًا من رابغ، وأن المسافة المتبقية مسافة كبيرة مسالكها وعرة كثيرة العقبات[2]. ويؤيد ذلك ما ذكره محيى الدين رضا: من أنه تم إلغاء ذلك العقد نتيجة عجز الشركة عن إتمام عملها حيث وصل تعبيد الطريق إلى رابغ، وأسند العمل إلى مديرية الإنشاء والتعمير السعودية والتي استطاعت إتمام ذلك العمل[3]. وعلى الرغم من عدم إتمام رصف تلك الطرق إلا في مدة متأخرة إلا أن الاهتمام بتوفير الخدمات على تلك الطرق كان منذ فترة مبكرة، حيث قام الملك عبدالعزيز بتوفير كثير من المحطات على تلك الطرق،وورد ذكرها لدى الرحالة بكثرة، وهذه المحطات تقدم خدمات متنوعة للحجاج، ففيها مطعم لتقديم الطعام والشراب، وفيها محطة للوقود والزيت، وفيها نقطة تفتيش على جواز المرور، وفيها مقاهٍ وفنادق بسيطة للراحة، وهواتف للاتصال، وفي عدد منها مراكز صحية، ومراكز

(١) نجيب، متولي. مرجع سابق، ص٤٢ .
(٢) حتة، محمد كامل. **صور من الحجاز**، ص١٢٢ .
(٣) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص٣٧، ١٧٢ .

للشرطة للحفاظ على الأمن. وتختلف تلك المحطات من حيث حجمها. والخدمات المقدمة فيها، وتوفر فيها أيضًا فيما بعد ورش لإصلاح السيارات[1].

ولم تكتفِ الحكومة السعودية بنقاط الشرطة الموجودة في تلك المحطات، بل كان لها دوريات مستمرة على تلك الطرق، ولقد اتخذت الحكومة السعودية منذ أن دخلت الحجاز وسائل لمراقبة الطرق وزودتها بسيارات إسعاف لتقديم المساعدة للحجاج قدر الإمكان [2].

وإضافة إلى هذه المحطات الثابتة على الطرق كان هناك نقاط مؤقتة توضع استعدادًا لموسم الحج؛ منها المخيم الأمني المقام قرب مدينة الرياض، وهو مزود بالموظفين من رجال الصحة والشرطة لخدمة الحجاج على تلك الطرق [3].

هذا بالنسبة لطرق الحج الرئيسة، أما الطرق داخل مدن الحجاز وبين المشاعر المقدسة، فلا شك أنها نالت اهتمامها من الملك عبدالعزيز، ولا شك أن رصفها كان سابقاً لرصف الطرق الطويلة بين مدن الحجاز؛ لأنها لا تكلف ما تكلفه تلك الطرق، وقد أمر الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م بضرورة تنظيم الطرق وفتح طرق جديدة[4].

وأشار العوري الذي حج عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م إلى أن الملك عبدالعزيز منع استخدام السيارات داخل مكة وفي الطريق من مكة إلى منى وعرفات ومزدلفة، وطبق المنع على نفسه: ((وذلك أن صاحب الجلالة ، وأفراد العائلة المالكة، والوزراء، والأشراف لا يركبون إلا الدواب شفقة على الحجاج، حتى لا يلحقهم ضرر من السيارات، ولذلك صدرت إرادته المطاعة بعدم

(١) جمعة، محمد لطفي. مرجع سابق، ص٥٩، حمدي، محمد، مرجع سابق، ص١٠٠ - ١٠١، حمادة، متولي. مرجع سابق، ص٢٩، هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٢٧٤ .
(٢) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص١٧٥، ص٤٠ .
(٣) المرجع السابق، ص٤٠ .
(٤) **صحيفة أم القرى**، العدد ٢٥٦ في ١٣٤٨/٦/١٣هـ، ص١ .

ركوبها لأحد ما سوى الموجودين في المستشفى المشار إليه))[1]. وكانت تصدر في كل عام في بداية شهر ذي الحجة تعليمات لتنظيم حركة الحجاج في موسم الحج، وكان هذا التنظيم يشمل حركة السيارات من أول يوم من ذي الحجة حتى يوم عرفة، كما كان التنظيم يشمل الجمال، حيث كانت تحدد أيام معينة تسير فيها دون السيارات[2]، كما منعت الحكومة السعودية تجول السيارات في شوارع المدينة المنورة لشدة الزحام وضيق الطرقات، وهناك عربات مخصصة لنقل الزوار إلى أماكن إقامتهم[3]. وقد تم اتخاذ هذه الإجراءات لتلافي ما كان يحدث في الأعوام السابقة من ازدحام وفوضى وصفها محمد ثابت في طريق عودتهم إلى مكة بعد رمي الجمرات فقال: (وكانت قُطر الجمال بهوادجها قد بدأت الزحف براكبيها إلى مكة، فسدت كل طريق، وحاولت السيارات السير بين تلك الجيوش، وكلما نفخ صورها ذعرت الإبل فهاجت وماجت ... فانقلب (الشقدف) بمن فيه، وكم ديس من أطفال ونساء بعد سقوطهن هكذا ... وليس ثمة نظام موضوع يُسيَّر الجمال أو السيارات، فكل يسير بمحض إرادته، حتى يتلاقى فريقان يسيران في اتجاهين متضادين، فتقف حركة المرور تمامًا))[4]. ومع وجود رجال المرور على تلك الطرق كما أشار محمد ثابت إلا أنه لم يكن بإمكانهم ضبط حركة السير كما ينبغي لكثرة أعداد السيارات والجمال من ناحية، ولضيق الطرق من ناحية أخرى ومحدوديتها. يقول هيكل في وصف تلك الطرق: ((لذلك امتلأت طرق مكة يومئذ بقوافل الإبل ... وبعضها يسير إلى جانب بعض إذا انفسح الطريق، ويتلو بعضها بعضًا في الطرق الضيقة . وطرق مكة ضيقة كلها إلا قليلاً لذلك كانت السيارة تقف في الطرق ذات السعة أمام هذه الإبل

(١) العوري، محمد. مرجع سابق، ص٤٣ .
(٢) **أم القرى**، العدد ١٣٠، في ١٣٤٥/١١/٣٠هـ، ص٢ .
(٣) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٣٠ .
(٤) ثابت، محمد . مرجع سابق، ص٣٧ – ٣٨ .

المتراصة، حتى تفسح لها طريقاً، أما في الطرق الضيقة، فكانت تضطر أحيانًا إلى التراجع، لتقف في مكان يتسع لوقوفها ومرور القافلة بها))[1]. وكانت المشكلة الأساسية تتمثل في عدم وجود طرق كافية، وضيق الطرق الموجودة وعدم كفايتها لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الحجاج كما أسلفنا، وكان لا بد من استحداث وفتح طرق جديدة في مكة والمشاعر المقدسة لاستيعاب الحركة المرورية في موسم الحج، فتم فتح طريق جديد؛ لتسهيل حركة السيارات إلى منى وعرفات، وتكلف أموالاً طائلة لنزع ملكية الدور التي يمر فيها ذلك الشارع[2]. وتم توسعة شارع القشاشية العام والمسعى، كما صدرت الأوامر عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م بفتح طرق جديدة في مكة ومنى ومزدلفة وعرفات وتعبيد تلك الطرق[3]. ولا شك أن حركة المرور كانت آخذة في التطور عامًا بعد عام في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة يتضح ذلك في موسم حج عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م فقد أثنى محمد حتة على الجهود المبذولة لتنظيم حركة المرور: ((ثم أفاض الناس من عرفات ... وإن تعجب فعجب ذلك النظام المحكم وتلك الحركة الواعية التي يسيطر عليها رجال الشرطة وجنود المرور)). وأكد إشراف الأمير سعود بن عبدالعزيز والأمير عبدالله بن فيصل بن عبدالعزيز بأنفسهم على تنظيم حركة المرور [4]. كما شاهد محيى الدين رضا الأمير عبدالله الفيصل في موسم حج عام ١٣٦٨هـ وموسم حج عام ١٣٦٩هـ يقف في الطريق للإشراف على حركة المرور في أثناء توجه الحجاج من عرفات إلى مزدلفة [5]. ومن الإجراءات التي شهدها محيى الدين رضا عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م تخصيص طريق للجمال وآخر للسيارات، للتوجه إلى

---

(١) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٨٦ .
(٢) السلاح، محمد . **عبدالعزيز والحج**، ص٢٦ .
(٣) جميل، وليد . مرجع سابق، ص٢٢١ .
(٤) حتة، محمد كامل . **صور من الحجاز**، ص٤٣ .
(٥) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص١٥١ ، ١٥٢ .

عرفات، وذلك للحفاظ على سلامة الحجاج وراحتهم وتسهيل أداء مناسكهم، وقد أكد الشدة والحزم في ذلك القرار وتطبيقه على الجميع وعدم محاباة أحد [1]. وأثنى متولي نجيب على رجال المرور في عرفات والذين انتشروا قبيل فجر يوم عرفة وبذلوا الجهود المضنية لتنظيم حركة السير، على الرغم من كثرة أعداد الحجاج والسيارات إلا أنهم استطاعوا ـ كما ذكر ـ أن يقوموا بدورهم بيقظة وحسن تدبير [2].

٣ – لقد أولى الملك عبدالعزيز اهتمامًا بالغًا بالنواحي الصحية وتنظيماتها في الحج منذ دخوله الحجاز. ففي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م صدرت أوامره بالموافقة على الترتيبات الصحية لموسم حج ذلك العام، وتتركز على إنشاء مراكز إسعافية في المشاعر المقدسة، وتوفير المياه النظيفة للشرب، والتخلص من بقايا الأضاحي لمنع أضرارها الصحية، وغيرها من الخدمات [3].

لا شك أن اجتماع الآلاف من الحجاج القادمين من أنحاء العالم الإسلامي في موسم الحج وازدحامهم في المشاعر المقدسة في منى، وعرفات، ومزدلفة، وعند رمي الجمرات، قد يكون سببًا لانتشار الأوبئة والأمراض ما لم تتخذ الإجراءات الصحية الوقائية التي يمكن من خلالها تفادي تلك الأمراض بإذن الله، فمن الطبيعي أن يُولي الملك عبدالعزيز اهتمامه بالمحاجر الصحية، وهي الخطوة الأولى لتلافي دخول المصابين بأمراض وبائية إلى المملكة. ففي عام ١٣٤٥هـ صدر أمر ملكي بفصل إدارة المحاجر الصحية عن مديرية الصحة العامة، وتم تكوين إدارة للمحاجر الصحية في جزيرتي (أبي سعد) ، و(الواسطة) للقيام بمعاينة الركاب والسفن القادمة إلى ميناء جدة

---

(١) المرجع السابق، ص١٥١ .

(٢) نجيب، متولي . مرجع سابق، ص٨١ ، ٨٢ .

(٣) الأمر الملكي بشأن الاستعدادات الصحية لعام ١٣٤٤هـ، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

من الحجاج وغيرهم للتأكد من خلوهم من الأمراض المحجرية[1]. يصف عبدالوهاب مظهر كيفية الحجر الصحي، حيث يصعد طبيب المحجر الصحي إلى السفينة، وفي حال وجود أمراض تستدعي الحجر يتم نقل الحجاج من ميناء جدة في سفن صغيرة إلى إحدى الجزيرتين المخصصتين للحجر الصحي، وفيها يتم وضع الحجاج مدة الحجر الصحي في أماكن قد أعدت لذلك. وأثنى عليها من ناحية استعداداتها وتوفر الخدمات بها من حمامات ومباخر وآلة لترشيح مياه البحر[2]، وتعددت المحاجر الصحية في أنحاء المملكة على ساحلي البحر الأحمر والخليج العربي، والهدف من هذه المحاجر حجز الحجاج القادمين من المناطق الموبوءة بأمراض معينة منعًا لاختلاطهم ببقية الحجاج [3]. ومن الإجراءات الصحية التي تسبق قدوم الحجاج عدم التأشير على جواز سفرهم من القنصليات السعودية في بلادهم حتى يتم التأكد من أخذهم للقاح الجدري والكوليرا[4]، وإذا تم التأكد من خلو القادمين من الأمراض الوبائية يتم السماح لهم بالنزول في موانئ المملكة، وعند دخول أولئك الحجاج إلى الأراضي السعودية يتم توزيع نشرات تحوي إرشادات صحية. وقد نشر عبدالغني شهبندر تلك الإرشادات، وهي تحوي عشرة نصائح صحية أبرزها عدم التعرض لأشعة الشمس وخاصة وسط النهار، وأن تكون حركتهم في أطراف النهار أو في الليل، واستخدام المظلات خلال السير تحت أشعة الشمس، وإرشادات في حال التعرض لضربات الشمس، وضرورة مراجعة المستوصفات والمستشفيات المتوافرة حال الشعور بأي أعراض مرضية، والتزام

(١) السماري، فهد بن عبدالله. ((سياسة الملك عبدالعزيز تجاه إجراءات الحجر الصحي الدولية))، **مجلة الدرعية**، العدد الأول، المحرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م .

(٢) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٧ ، ٢٨ . خضير، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص١١.

(٣) جميل، وليد . مرجع سابق، ص١٥٦ — ١٥٨ .

(٤) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص١٨ ،١٩، حمدي، محمد. مرجع سابق، ص٨١.

النظافة العامة والشخصية، والاهتمام بنظافة الأكل والشرب وغليه وتبريده وغسل الخضروات والفواكه، واتقاء لدغ البعوض باستخدام الناموسيات، وتؤكد تلك الإرشادات توافر المراكز الصحية والمستوصفات وضرورة مراجعتها واستعدادها لتوفير الخدمات الصحية كافة[1]. وقد وفرت الحكومة السعودية الخدمات الصحية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة. فبناءً على نظام مصلحة الصحة العامة والإسعاف الصادر في ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، تم تقسيم منى إلى مناطق وضع في كل منطقة فيها مركز صحي مزود بالأطباء والممرضين والأدوية اللازمة والماء، ويشرف عليها دائرة الصحة العامة في منى وكذلك في عرفات[2]، وقد طاف عبدالغني شهبندر – وهو طبيب متخصص - بنفسه في هذه المستوصفات والمراكز فأشاد بها، وأنها مستكملة للشروط الصحية من ناحية الخدمات والتجهيزات المتوافرة بها[3]. كما أشاد العوري بالتنظيمات الصحية في موسم حج عام ١٣٤٧هـ، وذكر من هذه الخدمات مرور مدير الصحة العام محمود حمدي على كل مظلة من تلك المظلات المقامة في عرفات للتفتيش على كل مركز من مراكز الأطباء الموجودة عند كل مظلة، وتفقد أحوال المشاة وخاصة المرضى منهم، ويوجد عند كل مظلة منها كمية من الماء العذب الصالح للشرب، وهذه المراكز الصحية تنقل مع الحجاج إلى عرفات ومنى، وتبقى بها حتى انتهاء موسم الحج[4]، وتقدم تلك المراكز الخدمات الصحية للحجاج، وتقوم بإبلاغ دائرة الصحة عن أي أمراض وبائية بأسرع وقت، كما تم توفير سيارات كبيرة

(١) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٢٣، ٢٤. انظر صحيفة أم القرى العدد ٢٢٩ في ١٣٤٧/١٢/٦هـ، ص٥ .

(٢) محمد، مصطفى . مرجع سابق، ص١٣١. حمادة، متولي . مرجع سابق، ص٦٨، ٦٩. مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٧١ .

(٣) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٨٧ .

(٤) العوري، محمد . مرجع سابق، ص٤٤ .

للإسعاف تنقل المرضى إلى المستشفيات في مكة إذا استدعت الحالة، أو نقلهم إلى المراكز الطبية المتوافرة في منى وعرفات[1]، وكذلك تقوم سيارات الإسعاف بنقل المرضى الذين تسمح حالتهم الصحية بذلك إلى عرفات ليشهدوا مع الحجاج يوم الوقوف بعرفة. وقد أكد العوري: أنه تم نقله من المستشفى الملكي السعودي في مكة إلى عرفات بسيارة إسعاف لأداء مناسكه، وأشاد بجهود دائرة الصحة العامة وأنها ظلت موجودة بعرفات طوال الليل، لمتابعة نفرة الحجاج من عرفة إلى مزدلفة، ولتفقد أحوال المشاة ومساعدة الضعاف منهم ولإسعاف المرضى والمصابين[2]. وكذلك لا يخفى وجود سيارات الإسعاف على الطرق المؤدية إلى الحجاز كما أسلفنا. ومن التدابير الصحية التي تُتخذ في موسم الحج: التفتيش الصحي، وتقوم به الشرطة الصحية؛ حيث تقوم بالتفتيش على المنازل للتأكد من نظافة البيوت المعدة لسكن الحجاج ومنع الازدحام بها [3]، إذ نجد لدى الرحالة شكوى مستمرة من أوضاع المنازل في مكة من حيث سوء تصميم المنازل، وعدم توافر الشروط الصحية بها. وهذه الأوضاع لا شك أنها كانت قائمة قبل دخول الملك عبدالعزيز إلى الحجاز. يؤكد ذلك ما ذكره عبدالغني شهبندر في تقرير صحي نشره طبيب سبق له الإقامة في الحجاز قبل عهد الملك عبدالعزيز وجاء في هذا التقرير، أن أوضاع المنازل السيئة كانت السبب في انتشار الأمراض[4]،ويصف أحمد عيسى هذه المنازل بقوله: ((المنازل في مكة عالية، قد يتكون البيت من خمسة طوابق ... والرطوبة تكاد تزهق الروح وتكتم أنفاس من تحدثه نفسه بدخول المنزل))[5].

---

(١) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٧٢ .
(٢) العوري، محمد . مرجع سابق، ص٤٤ – ٤٦ .
(٣) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص١٧٥ .
(٤) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٨٤.
(٥) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص٧٨ .

ويقول محمد ثابت عن تلك الأوضاع: ((ومن أكبر المنغصات في تلك البلاد كلها قذارة البيوت، وبخاصة (المراحيض) التي تكاد تنز أرضها وجدرانها رطوبة منتنة فالمجاري راكدة تحت البيوت)). وعزا كثرة البعوض إلى عدم وجود نظام صرف صحي لتلك المنازل [1]. وكذلك البيوت في المدينة المنورة، فلم يكن لدورات المياه ترتيبات صحية لذا كانت الروائح الكريهة تؤذي زوار المدينة المنورة [2]. ولم يكن من السهل على الحكومة السعودية تغيير تلك الأوضاع الموجودة من عشرات السنين، أو إزالة تلك المنازل لعدم وجود بدائل سكنية للحجاج، ولكن شددت على المراقبة المستمرة لتلك البيوت كما أسلفنا. ومن الخدمات الصحية المبذولة في موسم الحج رش الشوارع في مكة ومنى بمواد مطهرة منعًا لانتشار الجراثيم [3]، وقد منع ذبح الأضاحي بين الخيام منعًا باتًا، وتمر الشرطة بين الخيام للتأكد من تنفيذ تلك الأوامر، وقد خصص مكان في منى لبيع الأضاحي وذبحها، وقد أحيط بالأسلاك الشائكة. وقد كانت الشرطة الصحية تتولى قبل ذلك دفن الأضاحي في منى لمنع تحلل الجثة وتعفنها وما ينتج عن ذلك من أضرار صحية، فقد كان ترك الأضاحي وتعرضها للتعفن والتحلل يؤدي إلى انتشار الأمراض بطريقة وبائية[4]. يقول محمد ثابت عن ذلك: ((وكان بعض مندوبي الصحة يجمعون مابقي من الذبائح على حمار ليحرقوها أو يدفنوها خارج البلدة))[5].

---

(١) ثابت، محمد . مرجع سابق، ص٣٧، ١٤ .

(٢) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٣٩ .

(٣) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص١٩. حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٦٨. محمد، مصطفى. مرجع سابق، ص٣١. خلف، يوسف. **النفحات الإلهية في البقاع الحجازية** (د.م، د.ن، د.ت)، ص٣٤.

(٤) حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٧٦. شهبندر، عبدالغني ، ص٨٣ – ٨٤. محمد، مصطفى. مرجع سابق، ص١٣١ .

(٥) ثابت، محمد . مرجع سابق، ص٣٧ .

وتقوم مديرية الشؤون الصحية بالمراقبة والإشراف على نظافة المقاهي والمطاعم والأسواق، وخاصة محلات بيع المواد الغذائية . يقول عبدالوهاب مظهر:((إذ يمر أطباء مخصوصون بالحوانيت في مواعيد مختلفة لفحص المأكولات وحرق ما يفسد منها ،وقلما يجدون الآن مأكولات غير طازجة))[١].

ولعل خير من صوَّر التنظيمات الصحية في الحج والخدمات الصحية المقدمة للحجاج عبدالغني شهبندر بحكم عمله طبيبًا مرافقًا للحج السوري الذاهب بطريق البحر من بيروت ، وبحكم كونه طبيبا أسهب في وصف النواحي الصحية في الحج، وقد قام بنشر الإرشادات الصحية التي كانت توزعها الحكومة السعودية كما أسلفنا ، كما نشر ملخصًا لرسالة طبيب سبق له الإقامة في الحجاز عن الأمراض المنتشرة في الحجاز سابقًا وأسباب انتشارها والتي منها أوضاع المساكن وسوء تهويتها وسوء التغذية ومياه الشرب. وقد نشر شهبندر هذا التقرير للمقارنة بين الأوضاع السابقة والأوضاع الحالية [٢]، وكان وصفه للحالة الصحية في موسم حج ذلك العام نابعًا من أبحاثه الشخصية: ((إن الأبحاث التي أجريتها والحوادث التي تتبعتها مدة إقامتي في مكة المكرمة برهنت لي أن الحالة الصحية كانت على غاية ما يرام وكانت الوفيات أقل عددًا من وفيات السنين الماضية))[٣].

وكانت مديرية الصحة تحرص في نهاية موسم الحج على إعداد تقرير طبيٍ عن الأوضاع الصحية في ذلك الموسم ومدى نظافته من الأمراض الوبائية ، ويختم هذا التقرير بتوقيع مدير الصحة العام ومعاونه ورئيس صحة منطقة مكة والمفتش العام وعموم الأطباء ورئيس الصيادلة ، ويتم نشر هذا التقرير في الصحيفة الرسمية أم القرى[٤]. وكانت المراكز الصحية المنتشرة في منى

(١) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٧٠ .
(٢) شهبندر ، عبدالغني . مرجع سابق، ص٧٨ – ٨٤ .
(٣) المرجع السابق، ص٨٧ .
(٤) جميل، وليد . مرجع سابق، ص١٥٩ .

وعرفات ترفع تقارير صحية كل مساء، ويتم بناءً عليها إعداد تقرير هيئة مستشفى منى وعرفات للتأكد من خلو الموسم من الأمراض الوبائية. وأكد عبدالغني شهبندر الذي حج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م نظافة موسم حج ذلك العام بناء على تقرير الهيئة الصحية، وسرد أسماء الأطباء الذين تولوا وضع هذا التقرير، وكان هو ضمن تلك اللجنة والتي ضمت عشرة أطباء، وأكد أن هذا التقرير كان يتم إطلاع الرأي العام عليه[١]. وقد أثبت ذلك التقرير في كتابه، وهو يشمل أعمال إدارة الشؤون الصحية وجهودها في ذلك الموسم وأماكن وجودها في مكة وعرفات ومنى، ونقلها وإسعافها للمرضى، وتجول أعضائها المستمر بين المخيمات، وإسهامها في حمل المرضى من المستشفى للوقوف بعرفة، وأعداد المرضى الذين تم إسعافهم وعدد الوفيات ، حيث بلغت ٢٧حالة وفاة، وأسباب الوفاة،وجنسيات المتوفين[٢]. وكان من نتائج التنظيمات والخدمات الصحية التي قدمت للحجاج في عهد الملك عبدالعزيز انخفاض عدد الوفيات والحد من انتشار الأوبئة والأمراض المختلفة، حيث كان يمر مواسم حج متعددة دون ظهور أمراض وبائية، ويتضح هذا من التقارير التي كانت تعد في مواسم الحج المختلفة ومنها التقرير السابق، وأيضًا ما نشره عبدالغني شهبندر في مقدمة كتابه من شهادة لطبيب غير مسلم[٣]عن تحسن الأوضاع الصحية حيث قال: ((لم يحدث وباء بين الحجاج منذ عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م أي منذ عشر سنوات، ولا شك أن هذه الطمأنينة، وتقدم أسباب الرخاء مما يساعد مساعدة عظيمة على الاندفاع الديني نحو الأماكن المقدسة وقد بذلت

(١) وهذا التقرير عن نظافة موسم حج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م منشور في صحيفة أم القرى، عدد ٥٨٨ في ١٣٥٤/١٢/١٩هـ، ص١ .

(٢) شهبندر، عبدالغني، مرجع سابق، ص٨٧ – ٩٠. وكان عدد المتوفين من اليوم السابع حتى اليوم الثاني عشر سبعة وعشرين شخصًا، منهم عشرون بأمراض عادية وسبعة بالشيخوخة، صحيفة أم القرى، العدد ٥٨٨ في ١٣٥٤/١٢/١٩هـ، ص١ .

(٣) هو الجنرال الدكتور مارتن مدير ومستشار الصحة والإسعاف العام في المفوضية العليا في بيروت، شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص٥ .

الجهود أخيرًا لتحسين وسائل الرفاه للحجاج، وهذه كانت ولا تزال مستمرة بكل نشاط، وإن نجاح هـذه الأنظمة الصحية للحج باهر للغاية ومما ساعد كثيرًا على ذلك ما اتخذته الحكومة الحجازية من المنشآت الصحية المهمة في المنطقة المقدسة))[1].

٤ – لا يخفى قلة المياه وشحها في الحجاز، إذ كان النقص الشديد في المياه الصالحة للشرب من أهم المشكلات التي واجهها الملك عبدالعزيز، فحاول جاهدًا منذ دخوله مكة المكرمة أن يضع الحلول لهذه المشكلة، إذ الماء قوام الحياة، وكانت هذه الناحية في نظر الملك عبدالعزيز من الأولويات. يثبت هذا ما ذكره الملك عبدالعزيز لمحمد رفعت: ((إننا نسير في الإصلاح بخطوات واسعة ... بدأنا بالماء لنوفر للشعب الماء النقي الصالح للشرب))[2].

فبالنسبة لمكة المكرمة كانت عين زبيدة من أهم موارد المياه، وكان لها هيئة خاصة بها هي (هيئة عين زبيدة) ، ويتبرع لها أغنياء المسلمين من أموالهم الخاصة، وقد أبقى الملك عبدالعزيز الهيئة في عملها وأسهم في تطويرها،كما تعهد عين زبيدة بالإصلاح والتعمير[3]، ففي عام ١٣٤٧هـ /١٩٢٨م صدر الأمر الملكي باتخاذ الوسائل اللازمة لتعمير عين زبيدة وعين الزعفران وإنشاء خزانات كبيرة في الأماكن العالية من مكة منها خزان للمياه يتسع لمئة ألف طن من المياه، وكذلك تم إصلاح الصهاريج القديمة لتوفير مياه الشرب للأهالي والحجاج[4]. وقد أكد مصطفى محمد في رحلته لموسم حج عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م توفر المياه: ((والمياه الآن في مكة متوفرة جدًا لأن مجاري الماء من عين زبيدة جاري العمل في إصلاحها أولاً بأول))[5].

(١) المرجع سابق، ص أ – ب .
(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٢٩ .
(٣) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٧٧. الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٣، ص٩٤٢ – ٩٤٣ .
(٤) **صحيفة أم القرى**، العدد ١٩٧ في ١٣٤٧/٤/٢١هـ، ص١ .
(٥) محمد، مصطفى . مرجع سابق، ص٩٦ .

واستمر التطوير في عين زبيدة، فاستعيض عن مجاريها القديمة بأنابيب محافظة على المياه من التلوث[1] وعمم الماء في عرفات، فكثرت صنابير المياه فيها، وكذلك في مزدلفة، ثم تم توفيره في منى[2]. يقول محمد حمدي: ((وقد كان الحجاج من قبل يجدون صعوبة شديدة في حصولهم على ما يكفيهم من مياه الشرب الصالحة طوال وجودهم بعرفات ومنى، ولكن هذه الصعوبة ذللت في الوقت الحاضر إلى درجة مرضية))[3]. ومن الإصلاحات التي تقوم بها (هيئة عين زبيدة) إصلاح ما يفسد من القناة وتوسيع مجراها وإيصالها لكثير من جهات مكة، كما حرصت على المحافظة على فتحات القنوات وإحكام الرقابة عليها خوفًا من تلويثها بالقاذورات، وخاصة في أيام الحج[4]، ولا شك أن هذا من الإجراءات الصحية حيث أهم أسباب انتشار الأمراض في الأزمنة السابقة تلوث المياه[5]، وقد أكد عباس حمادة نظافة ذلك الماء وعذوبته[6]. وشهد الرحالة بتوافر صنابير المياه في منى ليشرب منها الحجاج مجانًا[7].

ولا شك أن مدينة جدة كانت أشد مدن الحجاز معاناة من قلة الماء. يصف محمد حتة معاناتها بقوله: ((وكان أشد ما يلقاه أهل جدة والحجاج الوافدون عليها من العناء، بسبب قلة المياه الصالحة للشرب)). والمياه في جدة نوعان: الماء العذب الذي يتم تقطيره من ماء البحر بالآلة التي تسمى عندهم

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٦٢ .

(٢) نجيب، متولي . مرجع سابق، ص١٠٤. حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٧٣. السلاح، محمد. **وثبة الديار الحجازية**، ص٧٥.

(٣) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٥٤

(٤) رضا، محيي الدين. **رحلتي إلى الحجاز**، ص٩٢. حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٧٧ . ((كما رأيت جنود الشرطة تحرس برك المياه وفوهاتها في عرفة ومنى لعدم تلويثها بالأوساخ)). أم القرى ، عدد ٥٨٨ في ١٣٥٤/١٢/١٩هـ، ص١ .

(٥) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق. ص٨٤،

Armstrong, Op, Cit, p. 224

(٦) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٧٧ .

(٧) السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٥٧. نجيب، متولي. مرجع سابق، ص١٠٤ .

(كنداسة)، وهذه المياه معدة للشرب. أما النوع الآخر فهو ما يجمع من مياه الأمطار في الصهاريج والحفر وهو ماء عكر غير نظيف، وكانت توجد بعض الآبار وهي مالحة وغير صالحة للشرب، ومن الصعب الحصول على ماء البحر المقطر لغالبية السكان لكثرة تكاليفه، وقلة إنتاجه . وقد قامت الحكومة السعودية باستيراد (كنداسة) جديدة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م[1]. وكان إنتاجها يصل إلى ١٥٠ طنًا من المياه يوميًا، كما تم إصلاح الآلة الموجودة في ينبع ووصل إنتاجها إلى ٢٥ طنًا من الماء يوميًا ولا يخفى أنَّ ينبع من الموانئ المهمة التي يصلها آلاف الحجاج سنويًا، كما أصلحت الصهاريج التي تخزن بها مياه الأمطار، ومع ذلك ظلت الحاجة ماسة إلى مياه الشرب في جدة، وخاصة في موسم الحج، فتم إقامة مشروع (عين العزيزية) المستمدة من وادي فاطمة بين جدة ومكة المكرمة، حيث مدت في أنابيب على طول خمسة وستين كيلومترًا[2]. يصف الملك عبدالعزيز جهوده تلك لأحد الرحالة بقوله: ((بدأنا بالماء لنوفر للشعب الماء النقي الصالح للشرب ... فأنشأنا عملية المياه في جدة، وكانت في أول الأمر تمد المدينة بمليون جالون من الماء من عيون وادي فاطمة بين جدة ومكة، ثم رأينا أن هذا القدر لا يكفي لا سيما في موسم الحج، وبعد تقدم العمران في جدة أخذنا في تنفيذ مشروع آخر لتغذية جدة بمليون جالون آخر))[3]. وقدر الزركلي تكلفة المشروع بنحو ستة ملايين ريال[4]. ويقدر محمد حتة تكاليف المشروع بمليون جنيه، وذكر أنه يجري العمل في توسيع المشروع في أثناء زيارته عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م حتى يمكن مواجهة الزيادة المطردة في تعداد سكان جدة والوافدين عليها من الحجاج [5].

(١) أم القرى العدد ٨٤ في ١٣٤٥/١/١٣هـ، ص٣ .
(٢) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢٧٠ .
(٣) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص٢٩. وقد دار هذا الحوار بين الملك عبدالعزيز والرحالة محمد رفعت في أثناء زيارته للرياض عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م .
(٤) الزركلي، خير الدين .**شبه الجزيرة**، ج٣، ص٩٤٥.
(٥) حتة، محمد . **صور من الحجاز**، ج٣، ص١٤٩ .

وتعتمد المدينة المنورة على (عين الزرقاء) كمورد أساس للمياه، يصفها محمود ياسين بقوله: « ماء المدينة الذي عليه مدار سقياها من العين الزرقاء ... وماء الزرقاء يسير إلى المدينة في قناة مبنية بناءً متينًا، قد تفرع من هذا المجرى فروع كثيرة في جهات المدينة، وبُني لها خزانات تنـزل عن سطح الأرض بنحو عشرة أمتار يملأ منها السقاؤون الماء)) [1]، ويتم بعد ذلك توزيعه على مساكن المدينة المنورة، وينـزل الناس عن طريق سلالم من حجر إلى هذا المجرى فيأخذون الماء من حنفيات مثبتة فيه، ولا شك أن إقامة مجاري العين وخزاناتها بهذه الطريقة كفل لتلك المياه النظافة التامة[2]. وصفها محمد ثابت بقوله: ((وقد تملأ منها خزانات لا تمسها الأيدي)). كما يؤكد محمود ياسين نظافتها: ((لهذا كانت مياه هذه العين نظيفة وبعيدة عن التلوث لا يجاريها في ذلك ماء بلدة من بلاد الحجاز))[3]. وقد اعتنى الملك عبدالعزيز بالعين الزرقاء حيث أصدر أمراً ملكياً عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بتشكيل لجنة خاصة لإدارة العين، كما تم تنظيفها وتوسعتها وإقامة قنوات جديدة من الأنابيب لإيصال الماء لبيوت المدينة [4]، وتم تبليط مجرى العين من منبعه إلى داخل البلدة عدا بعض المناطق الصخرية، وأحدثت عدة ممرات لماء العين داخل الأرض، كما وجد الماء في كهف صخري مساحته ستة عشر مترًا مربعًا وارتفاعه سبعة أمتار فضم إلى مجرى العين [5].

وفي السنوات الأخيرة من عهد الملك عبدالعزيز تم إرسال (مكينة) حفر للآبار الارتوازية مع قطع غيارها ومهندسيها لحفر الآبار في أطراف المدينة المنورة وأماكن ازدحام السكان وأماكن إقامة الحجاج، كما وُضع حجر

(١) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة المنورة**، ص١٣٣ .
(٢) المرجع السابق، ص١٣٣. ثابت، محمد . مرجع سابق، ص٥٩ .
(٣) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٣٣ .
(٤) جميل، وليد . مرجع سابق، ص٢٣٧ .
(٥) الزركلي، **شبه الجزيرة**، ج٣، ص٩٤٧ .

الأساس لبناء خزان عين الزرقاء، وتم حفر آبار ارتوازية في كل المحطات والقرى المنتشرة على الطريق بين جدة والمدينة المنورة[1].

٥ – اهتم الملك عبدالعزيز بفئة المطوفين والأدلاء لما لها من علاقة مباشرة بحجاج بيت الله الحرام، لذا وضع التنظيمات التي تحدد علاقتهم ومسؤوليتهم تجاه الحجاج لتلافي الشكوى المستمرة التي تتكرر في كل عام من بعض فئات المطوفين. يقول أرسلان واصفاً تلك الشكاوى: « وإني لأعلم أن كثيرًا من الناس يطعنون في المطوفين والأدلاء بل يبالغون في ذمهم أو في ذم العدد الكثير منهم، ويقولون: إنهم ينهبون الحجاج، ويجورون عليهم، ويتقاضون من الأجرة أضعاف حقوقهم، وقد يخدعونهم ويغشونهم ويرتكبون في أمورهم كل محرم))[2]. والمطوفون هم من أهل مكة، يتم تعيين مشايخهم من قبل الملك عبدالعزيز ، ففي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م أصدر الملك عبدالعزيز تعليمات خاصة بالمطوفين من ناحية مسؤولياتهم تجاه الحجاج والمتمثلة في تعليم الحجاج مناسك الحج وإسكانهم وتوفير وسائل المواصلات لهم للتنقل بين المشاعر المقدسة، والخدمات التي يجب أن تقدم لهم حتى سفرهم حتى يتم لهم أداء مناسكهم بيسر وسهولة[3].

ويصف أرسلان المهام التي يقوم به المطوف منذ وصول الحاج: فهو يستقبله في الميناء، وينهي إجراءاته والرسوم المستحقة عليه، ويوفر له سكنًا مؤقتًا للإقامة في جدة حتى يتم نقله إلى مكة عن طريق الجمال، أو السيارات، وبعد وصوله إلى مكة يوفر له السكن الملائم، وهناك في مكة يتولى المطوف إرشاد الحاج إلى كيفية أداء مناسك الحج، والمطوف يتكفل بحفظ ممتلكات الحجاج منذ وصولهم إلى البلاد حتى مغادرتهم، ويتولى توفير

(١) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص٣٦ ـ ٣٨.
(٢) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٧٢ .
(٣) **أم القرى**، العدد ١١٩ في ١٣٤٥/٩/٢٢هـ، ص٤ .

المواصلات لنقل الحجاج بين المشاعر المقدسة، ثم إذا أراد الحاج زيارة المدينة المنورة هيأ له جميع أسباب السفر، وسلمه إلى المزور وهو الذي يتولى شؤون الحجاج في المدينة المنورة[1].

وقد أسهب أرسلان في وصف أعمال المطوفين ومهامهم والعبء الذي يقع على كواهلهم، وقد تناول هذا الموضوع بإنصاف، وموضوعية حيث ناقش التهم التي توجه إلى أولئك المطوفين[2].

ومن هذه التهم الجهل بالمناسك وابتداعهم لأدعية غير مشروعة في الطواف والسعي[3] لأن غالبية أولئك المطوفين من عامة الناس يغلب عليهم الجهل بأمور دينهم. يصف أرسلان أوضاعهم تلك: ((فالذين يطلبون الكمال عند المطوفين والمزورين ينسون أنهم بشر، وينسون أنهم مرتزقون، وينسون أن أكثرهم عوام)). وقد ذكر أرسلان اقتراحًا طرحه على الملك عبدالعزيز بشأن المطوفين: ((وقد اقترحت على الملك أن يأمر بتعليم المرشحين لهذه المهنة تعليمًا خاصًا بحيث يكونون من المتفقهين في الدين، وقادرين على إتقان خدمتهم للحجاج من كل وجه، ولا بد أن يفعل إن شاء الله تعالى))[4].

وبلغ من عناية الملك عبدالعزيز بهذه الفئة أن أنشأ مدرسة خاصة يتعلم فيها المطوفون العلوم التي تعينهم على أداء أعمالهم كما ينبغي، من ذلك تعليمهم كيفية أداء المناسك بحسب الكتاب والسنة مع تعلم الأدعية المشروعة

---

(١) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٧٤ – ٧٧. وأعطى الهواري كذلك وصفًا مقاربًا لما ذكره أرسلان عن مهام المطوفين والأعباء الملقاة على عواتقهم والخدمات التي يقدمونها للحجاج، الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٧٨ – ١٨١ .

(٢) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٧١ ـ ٧٨ .

(٣) يقول أرسلان عن هذه الأدعية: ((أكثر هذه الأدعية والأذكار التي يلقنونها للحجاج غير واجب ولا مسنون، والذي ينبغي لهم هو أن يعلموا الحاج الأذكار المأثورة كالتلبية وبعض الأدعية وهي قليلة، وأن يدعوا الله فيما عداها بلغته، سائلاً إياه ما يشعر بحاجته إليه من خير دنياه، وآخرته)). مرجع سابق، ص٧٥ .

(٤) المرجع السابق، ص٧٣ ، ٧٥.

والنظم الإدارية في الحج، وقد أثنى المازني على إنشاء هذه المدرسة لتعليم المطوفين وتحسين أوضاعهم وتوعيتهم بمسئووليتهم تجاه الحجاج [1]، ولا شك أن هناك تفاوتًا واضحًا بين المطوفين من حيث كفاءتهم وقيامهم بمهامهم تجاه الحجاج، لذا فلابد للحكومة السعودية من متابعة المطوفين، وحتى تتمكن من ذلك تم إنشاء هيئة جامعة للمطوفين يتم من خلالها تطبيق الأنظمة الإدارية والتعليمات الخاصة بالمطوفين ؛ لتيسير أعمالهم وحل مشكلاتهم [2].

وقد ذكر الهواري وجود هذه الهيئة وتطبيقها للأنظمة: ((أما الآن فقد أصبحت للمطوفين هيئة منظمة تتحمل في حق الحاج مسؤولية عظيمة وتحسب لها ألف حساب في كل حالة من الحالات نظرًا لما جعلته القوانين الشرعية وراء ذلك من العقاب الصارم والجزاء الباتر))[3].

ثانيًا : العناية بالحرمين الشريفين :

عرضنا فيما سبق لكثير من التنظيمات الخاصة بالحج والخدمات المقدمة لحجاج بيت الله الحرام، ولا شك أن الحرمين الشريفين قد نالا نصيبهما من العناية والاهتمام، وقد وضع الملك عبدالعزيز الكثير من التنظيمات والتي تهدف إلى تحسين أوضاعهما، كما قام بكثير من الإصلاحات والترميمات، والتي شملت جميع أجزاء الحرمين الشريفين، وسوف نعرض لهذا في ضوء ما دونه الرحالة بدءًا بالنواحي التي نالت اهتمامًا أكثر من غيرها، وأبرزها المسعى والشكوى المستمرة من أوضاعه، وما طرأ عليه من إصلاحات بالتدريج بحسب الظروف والإمكانات المتاحة، ثم يليه الجوانب الأخرى مثل العناية بأرضية الحرمين الشريفين والإضاءة فيهما ونظافتهما وتوفير مياه الشرب كما سيتبين لنا.

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٧٦ .
(٢) جميل، وليد . مرجع سابق، ص٧٢ ، ٧٣ .
(٣) الهواري، أحمد . مرجع سابق، ص١٧٨ ، ١٧٩ .

لقد كانت شكوى الحجاج مستمرة من الأوضاع السيئة للمسعى، فالغبار كان يؤذي الحجاج في أثناء حركتهم المستمرة في المسعى، إضافة إلى أن الشارع لم يكن مسقوفاً عدا أجزاء صغيرة منه، مما يعرض الحجاج لحرارة الشمس وما ينتج عن ذلك من أضرار صحية. وقد كتب الرحالة عن تلك الأوضاع السيئة ناقدين ومبدين الكثير من الملحوظات والمقترحات لتحسين أوضاع المسعى، وكان أشد ما ضايقهم ما ذكره السوادي في قوله: ((ولا أريد هنا أن أوجه النقد الذي تكرر عشرات المرات بشأن المتاجر القائمة على جانبي المسعى واختلاط الساعين ذهابًا إلى المروة وإيابًا إلى الصفا بمئات الباعة والزبائن والتجارة ... بحيث يستحيل أن يقال إن (الساعي) في هذا الطريق يمكن أن يخلص نجيًا لله))[1] . ويقول هيكل: ((وقد بلغ من طغيان المباني، أن اعوج المسعى اعوجاجًا يحول دون رؤية الصفا من المروة أو المروة من الصفا))[2]. وقد أولى الملك عبدالعزيز اهتمامًا بالغًا لتطوير المسعى، ولم يكن من السهل إصلاح أوضاعه في فترة قصيرة، لذا كانت الإصلاحات تتم على مراحل: أولها كان صدور الأمر الملكي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بتبليط ورصف المسعى بالحجارة، وتقــرر أن يكون التبليط بالحجر الصوان المربع، وانتهى العمل منه في ذلك العام[3]. يصف المازني وضع المسعى عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م: ((وخرجنا للسعي بين الصفا والمروة، وهو طريق بينهما مهدته الحكومة السعودية، وعبدته ورصفته تسهيلاً للسعي))[4]. وأعيد رصف المسعى مرة أخرى؛ لأن رصفه السابق كان بشكل غير منتظم وبطريقة غير فنية [5]. وقد ذكر الرهوني تلك الجهود، وأن المسعى قد رصف في عهد الملك عبدالعزيز

(١) السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٤١ .
(٢) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٨٢ .
(٣) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٤. حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٤٧ .
(٤) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٧٩ .
(٥) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٨٢ .

عام ١٣٤٥هـ، ثم أعيد رصفه وتبليطه عام ١٣٥٦هـ[١]. وبالنسبة لسقف المسعى فقد كان جزء من المسعى مسقوفًا وجزء غير مسقوف [٢]، والجزء المسقوف تم سقفه في عهد الشريف حسين عام ١٣٣٩هـ[٣]، وهذه المظلة من باب العباس إلى المروة وتم إصلاحها في عهد الملك عبدالعزيز وتجديد سقف المسعى، وزيادة الأنوار الكهربائية فيه. وفي عام ١٣٥٧هـ بدأ العمل لسقف المسعى بالكامل [٤] . يذكر أحمد حسين: أنه تم إقامة سقف للمسعى من الصلب ليقي الساعين من حرارة الشمس[٥]. بينما يذكر محمد رفعت: أن الملك عبدالعزيز أمر بتغطيته بسقف من الصاج لوقاية الساعين من الشمس والمطر[٦]، وعلى كل فقد تم سقف المسعى بأكمله، وبعد تمام إنشائه، تم تركيب الأنوار الكهربائية في جميع أنحائه[٧].

كما أكد أحمد حسين: أن الحكومة السعودية بذلت جهدها في العناية بالمسعى وتخفيف الازدحام فيه، فقد كانت السيارات الذاهبة إلى منى وعرفات تزيد في ازدحام المسعى حيث يقطع المسعى الشارع الرئيس الذي يأتي من عرفات، وكان الجند يتولون تنظيم حركة المرور فيه[٨]، ومع ذلك ظلت المشكلة قائمة، فاشترت الحكومة السعودية إحدى الدور القائمة في المسعى، وقامت بهدمه تمهيدًا لإنشاء نفق لتمر فيه السيارات في طريقها إلى منى وعرفات منعًا للاضطراب والفوضى في أثناء موسم الحج إذ كان وجود السيارات والدواب في المسعى مما يضايق الساعين على أقدامهم[٩]. وهكذا

(١) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٤ .
(٢) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٤٧ .
(٣) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٣، ١٠٤ .
(٤) المرجع السابق، ص٦٤ .
(٥) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٤٨، ٤٩ .
(٦) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٧٤ .
(٧) السلاح، محمد . **وثبة الديار الحجازية**، ص٤٩ .
(٨) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٤٨. حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٤٧ .
(٩) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٤٨ .

نلحظ أن الجهود كانت مبذولة لتيسير السعي على الحجاج، وتذليل العقبات، إلا أن أبرز المشكلات وجود سوق تجارية من أهم أسواق مكة وأكثرها حركة تجارية قائمة على جانبي المسعى وقد تكرر ذكرها لدى الرحالة، وطالبوا بضرورة الإسراع في حل تلك المشكلة وإزالة السوق من على جانبي المسعى لتحقيق الخشوع والطمأنينة للساعين وعدم انشغالهم بأمور الدنيا، وكان هناك كثير من العقبات أمام الحكومة السعودية لذا تأخر إزالة تلك الدور والمتاجر حول المسعى. وقد ناقش أحمد حسين تلك المشكلة مناقشة موضوعية فيقول: «ولا نزال نستنكره وندعو للعمل السريع على إزالته، ولكننا نخالف المستنكرين في تحميلهم حكومة الملك ابن السعود وزر هذا الأمر من ناحية، والذين لا يقدرون صعوبة الإصلاح من ناحية أخرى. فهذا السوق الذي أنشئ على المسعى ... هو وليد مئات السنين، بحيث أصبح جزءاً لا يتجزأ من مكة وحقوقًا مكتسبة». فإذا أقدمت الحكومة السعودية على إغلاق هذه المتاجر وهي مملوكة لأصحابها بطرق مشروعة، كان في ذلك ظلم لهم وغصب لحقوقهم، وإن هي حاولت إرضاء أصحابها للتخلص منها لزمها دفع أموال باهظة، وهي لا تملك من المال ما يمكنها من الشراء في تلك الفترة[1].

ومع ذلك كان الملك عبدالعزيز حريصًا على تصحيح وضع المسعى، ففي أواخر عهد الملك عبدالعزيز وضعت الأسس لمشروع يتضمن هدم البيوت المحيطة بالمسعى بعد تعويض أصحابها تعويضًا مناسبًا، وهذا المشروع يدخل ضمن مشروع توسعة الحرم المكي الشريف الذي أمر به الملك عبدالعزيز وبدأ في عهد الملك سعود[2].

(١) المرجع السابق، ص٤٦ – ٤٧ .
(٢) المرجع السابق، ص٤٧، السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٤١ .

وفي مجال العناية بالحرمين الشريفين صدر الأمر الملكي لمدير الأوقاف عام ١٣٤٤هـ بترميم المسجد الحرام وإصلاحه، وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م صدرت الأوامر الملكية بعمارة المسجد الحرام من الداخل والخارج، وانتهي من تنفيذ ذلك المشروع عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م[١]، ومن أبرز نواحي الإصلاح إضاءة المسجد الحرام، والمسجد النبوي. حيث تم تركيب ماكينة الكهرباء والإضاءة في المسجد الحرام عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م وتم تجديد جميع (اللمبات) الكهربائية وزيد عددها حتى وصلت إلى ألف (لمبة) موزعة في المطاف، وبقية المسجد الحرام، وأضاف الملك عبدالعزيز لها (فنارات اللوكس) زيادة في الإنارة[٢].

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م تم تركيب ماكينة أخرى، وزيادة الإضاءة في المسجد الحرام بتركيب عدة قناديل كهربائية . وفي عام ١٣٥٣هـ أهدى أحد الحجاج الهنود لمكة ماكينة كبيرة قوتها ٣٤ كيلووات، وزيدت أضواء مصابيح الحرم المكي، وعمت الإضاءة جميع أنحاء الحرم المكي[٣]. وصفها الرهوني بقوله: ((وصار ليل المسجد الحرام نهارًا ولله الحمد وله المنة))[٤]. وفي عام ١٣٧١هـ تقرر إضاءة المسجد الحرام من محطة الكهرباء الرئيسة مع زيادة وسائل التهوية فيه[٥].

وفي الحرم النبوي الشريف ذكر محمود ياسين: أن الأضواء الكهربائية مبثوثة في جميع أنحاء المسجد، وذكر مواضعها أمام باب قبر

(١) آل عبدالمحسن، إبراهيم. **تذكرة أولي النهى والعرفان**. ـ ط١. ـ الرياض: مؤسسة النور للطباعة والتجليد، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص١٦٤ .

(٢) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٨٠، ذكر الرهوني أن ماكينة الكهرباء التي تم تركيبها عام ١٣٤٦هـ تبرع بها الحاج داوود إتبا أحد تجار الهنود، وهي ماكينة ذات قوة ٣٠ كيلووات، الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٢ .

(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٧٤، الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٣. الهواري، أحمد، مرجع سابق، ص١٤٤ .

(٤) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٣ .

(٥) رضا، محيى الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص٤٧ .

النبي ﷺ وفي الروضة الشريفة وفي الرواق المحدث من باب الرحمة في المحل الخاص بالنساء وغيرها من الجهات[1].

وكان من أبرز الإصلاحات التي تمت في الحرم المكي الشريف إقامة مظلات في الجهات المكشوفة من الحرم عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م[2]، وقد أشار عبدالوهاب مظهر إلى أن تلك المظلات اتخذت شكل الخيام، وأنها نصبت على أعمدة من الخشب في صحن الحرم[3]، وقد تم تجديد هذه المظلات عام ١٣٧١هـ . وقد وصفها محيى الدين رضا: بأنها كانت مظلات متحركة، تستخدم في فناء المسجد لتقي المصلين من حرارة الشمس[4].

ويصف المازني أرضية الحرم: ((ينحدر منها المرء إلى صحن رحيب جدًا يدور بالكعبة ... وأرضه رمل وحصى، ولكنه حول الكعبة مبلط، وكذلك ما بين الأبواب وهذا المطاف))[5] . وكذلك وصفه هيكل بأنه مقسم إلى أقسام: تتعاقب بعضها إثر بعض، بعضها مفروش بالبلاط، وبعضها مفروش بالحصباء[6]. وقد تم تبليط المسجد الحرام بالبلاط الإسمنتي وغطيت المناطق المفروشة بالحصى بهذا البلاط، كما استبدل به البلاط الحجري القديم[7]، وفي عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م تقرر رصف المطاف وما حوله والممرات الموصلة إليه بالرخام السعودي المكتشف حديثًا[8].

(١) ياسين، محمود، **الرحلة إلى المدينة**، ص١٣٤ .
(٢) **أم القرى**، العدد ١٩٧ في ١٣٤٧/٤/٢١هـ ص١ .
(٣) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٥١ – ٥٢. وقد نشر في كتابه صورة لتلك المظلات كذلك ورد ذكرها لدى الهواري وأكد ما ذكره مظهر من أنها مقامة على أعمدة من الخشب . الهواري، أحمد، مرجع سابق، ص١٤٠
(٤) رضا، محيى الدين. **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص٤٧ .
(٥) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٧٥ – ٧٦، كما ذكر الهواري أن المطاف حول الكعبة مرصوف بالرخام الأبيض، الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٤٢ .
(٦) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٨٠ ، ٨١ ..
(٧) جميل، وليد . مرجع سابق، ص٢٤٠ ..
(٨) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات من الحجاز**، ص٤٧ .

ولا شك أن بئر زمزم قد نالت نصيبها من الاهتمام، حيث أنشأ الملك عبدالعزيز في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م سبيلاً لبئر زمزم، كما جدد عمارة السبيل القديم بحيث يماثل الجديد[١]. وفي عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م أنشأ السبيل الثالث. يقول الرهوني: ((قد أحدث جلالة الملك مولاي عبدالعزيز سبيلين ملازمين لمقصورة بئر زمزم، وجدد سبيلاً آخر وكتب عليه اسمه، جزاه الله خير الجزاء))[٢]. وكان الماء يستخرج من زمزم بالدلاء الجلدية، فاستعان الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بالآلات الرافعة لزيادة المستخرج من الماء وتوزيعه بطرق صحية، يتوفر فيها النظافة[٣] كما تم توفير ماء الشرب في المسجد النبوي يقول محمود ياسين: ((أما ماء الشرب فهو في المسجد لا ينقطع ولله الحمد، وبها أباريق صغيرة وآنية كتب عليه اسم الواقف))[٤].

وكان الاهتمام بالغًا بنظافة الحرمين الشريفين، حيث صدر عام ١٣٤٦هـ أمر ملكي بتنظيم أوضاع أغوات الحرم المكي ومرتباتهم والأعمال المناطة بهم، كما شمل التقرير تنظيم نظافة الحرم وتعيين كناسين وغسالين وفراشين للقيام بهذه الأعمال[٥]،وفي الحرم النبوي وصف محمود ياسين خدمات النظافة بقوله: ((أصبح في الحرم الشريف طوائف من العمال لقم المسجد وتنظيفه، فناس منهم للقم، وناس للغسل، وناس للمسح، وناس لتنظيف القناديل)) . كما توفر ماء للوضوء، ومواضع الوضوء في المسجد النبوي عند أبوابه الخمسة[٦].

---

(١) آل عبدالمحسن، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٧٧ .
(٢) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١٠٠.
(٣) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص ١١٠ – ١١١.
(٤) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٣٢.
(٥) جميل، وليد. مرجع سابق، ص٢٣٨.
(٦) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٣٢.

وقد تم أيضًا العناية بالحرم النبوي الشريف ففرش بأنواع السجاد والأبسطة الثمينة [1]، وكان المسجد سابقاً مفروشًا بالسجاجيد التركية، وبعـد اندثارها تم فرشه بسجاجيد عجمية[2].

وكان من أبرز التنظيمات التي تمت في الحرمين الشريفين الأنظمة الخاصة بأئمة الحرم، فقد تم توحيد الإمامة في الحرمين الشريفين، وكانت الإمامة سابقًا، كما وصفها الرهوني: ((كان يصلي أولاً الشافعي، ثم المالكي، والحنبلي في آن واحد، ثم الحنفي إلا المغرب، فكان الأئمة الأربعة يصلونها في آن واحد، فيقع في ذلك من الاختلاط والسهو ما لا يحصى، ولذلك وحد جلالة الملك مولاي عبدالعزيز بن سعود إمام الصلاة، وجعله حنبليًا))[3]، وعمل الملك عبدالعزيز على توحيد الإمامة بالتدريج تلافيًا لما قد يحدث من مشكلات، فأمر أن يصلي إمام الحنابلة في أول الوقت من كل صلاة، ثم يصلي بعده أئمة المذاهب الأربعة، واستمر هذا النظام فترة من الزمن، ثم أمر أن ينتخب أئمة من كل مذهب من المذاهب الأربعة، ويصلون بالتناوب بحيث لا يصلي في الوقت إلا إمام واحد، ثم تم توحيد الإمامة بأن يكون الإمام حنبليًا، كما أصبح إمام الجمعة والأعياد إمامًا حنبليًا [4].

(١) مظهر، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٨٨.
(٢) شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص ٣٨.
(٣) الرهوني، أحمد. مرجع سابق، ص١٠١.
(٤) المرجع السابق، ص ١٠١ – ١٠٢.

الفصل الرابع

الجوانب الاجتماعية من خلال الرحلات العربية

- فئات المجتمع
- الملابس
- الطعام
- العادات والتقاليد
- النواحي الصحية
- التعليم

فئات المجتمع :

ينقسم سكان المملكة العربية السعودية إلى حاضرة وبادية، ويعمل الحضر في الفترة المبكرة من تاريخ المملكة العربية السعودية بالتجارة والزراعة وبعض الحرف والصنائع، ويربون الماشية من أغنام، وأبقار، ويستخدمون الخيول والحمير وسائل للمواصلات، وقوام حياتهم النخيل، وغذاؤهم الرئيس التمر، وما تنتج مواشيهم من ألبان وسمن وزبد، ويعتمدون في حياتهم على الزراعة، وينتجون أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة، وغالبًا تكون كمياتها بسيطة يتم استهلاكها محليًا ولا يصدر منها إلا القليل[1].

والبادية يعملون في الرعي، وقوام معيشتهم أغنامهم وإبلهم، فألبانها ولحومها غذاء، وأصوافها وأوبارها رداء، وأشعارها وجلودها بيوت لهم، وهم دائمو التنقل والارتحال طلبًا للماء والمرعى[2]، ويقدر التميمي من خلال مرافقته لإحدى القبائل مدة إقامتهم في الموضع الذي يختارونه بين يومين وأسبوع بحسب نسبة خصب الأرض وكفاية الكلأ للماشية، ولا يلبثون أن يغادروه إلى مكان آخر، ورحيل القبيلة من مكانها يتم بناءً على تقرير رعاة الإبل بأن المرعى لم يعد نافعًا، وعندئذ يصدر زعيم القبيلة أمره بالرحيل، فيصبحون وقد فكوا أطناب البيوت، وحملوها مع متاعهم على ظهور الإبل، ويسبق الرجال النساء باحثين عن الكلأ، فإذا وجدوه انتظروا وصول النساء والمتاع[3].

ولا يخفى أن حياة البادية حياة تنقل وارتحال دائم وما ينتج عن ذلك من حروب ونزاعات بين القبائل، وحياتهم التي تعتمد على المرعى معرضة للظروف المناخية، فإذا قل المطر وجاءت مواسم القحط، أصبحت هذه القبائل عالة على

---

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٠، ٦١. مصطفى، محمد مرجع سابق، ص ١٧. نجيب، متولي، عباس مرجع سابق، ص ٢٠٩

(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٤٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٤٤، ٤٥ .

ما جاورها من البلاد والقرى، تسطو، وتنهب، وتعد ذلك من مقاييس البطولة والشجاعة[١]، وأدى ذلك إلى الفوضى وانقطاع حبل الأمن، وقد استطاع الملك عبدالعزيز بسياسته وحكمته القضاء على الفوضى والاضطراب وتأمين البلاد، كما استطاع بمشروعه الإصلاحي توطين هؤلاء البادية تدريجيًا عن طريق إنشاء الهجر واستقرارهم فيها .

وقد ضمت مكة المكرمة والمدينة المنورة كثيراً من العناصر البشرية لما لها من مكانة في نفوس المسلمين الوافدين من شتى أنحاء العالم، ولهذا فإن نسبة العرب في مدن الحجاز أصبحت قليلة إذا ما قيست بنسب العرب في الأقاليم الأخرى من الجزيرة العربية، وكانت نسبة الأجناس الأخرى تزداد ازديادًا ملحوظًا مع الزمن؛ لأن عددًا من الحجاج غير العرب كانوا يبقون في مكة والمدينة وجدة بعد انتهاء فريضة الحج، يجاورون الأراضي المقدسة، ويقضون بقية حياتهم في العبادة[٢] .

يصف هيكل تنوع السكان في مكة المكرمة: ((ولا عجب فأهلها اليوم على الحقيقة خليط من أبناء البلاد الإسلامية، قصدوا المدينة المقدسة حاجين، ثم جذبتهم قدسيتها فأقاموا بها، وفيها من تيسرت له أسباب العيش، ومنهم من ظلوا يعتمدون في عيشهم على الصدقات))[٣].

ولم يكن تعدد الأجناس قاصرًا على مكة والمدينة، بل شمل مدن الحجاز الأخرى. حيث يصف أحد الرحالة سكان جدة بقوله: ((سكان جدة من مختلف الأمصار والبلدان وجلهم أغراب لا يمتون إلى الحجاز بصلة فمنهم المصري، والعراقي، والإيراني، والسوري والجاوي، والهندي، وأكثرهم يتكلمون لغات كثيرة وذلك بالنظر لكثرة اختلاطهم بمختلف الشعوب الإسلامية))[٤] .

(١) أبو عليه، عبدالفتاح . مرجع سابق، ص١٨ ،١٩ .
(٢) المرجع السابق، ص٨٢ .
(٣) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٢٣ .
(٤) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص١٧ .

وهكذا فإن غالبية السكان في مكة وجدة والمدينة المنورة أخلاط مختلفة منهم من هو حديث عهد بالإقامة فلا يزال محتفظًا بلغته وهيئته، ومنهم من أقام منذ زمن بعيد فامتزج مع السكان وأصبح منهم .

ولا شك أن هناك كثيراً من قبائل البادية التي تقيم في الحجاز قرب المدن الرئيسة وقريبًا من الطرق، وهذه القبائل تعد عربية خالصة، وتشكل غالبية بالنسبة لسكان الحجاز، وهي محافظة على نقاوة أنسابها وأصولها كعادة القبائل العربية بشكل عام(١)، ولها عاداتها وتقاليدها وأعرافها وقوانينها، وكانت تلك القبائل مثار تهديد للحجاج وأمنهم فيما سبق، فقد تقاسمت طرق الحج، وأقامت على مقربة منها تأخذ الإتاوات على الحجاج، ومنها من يقطع الطريق على الحجاج فيسلب وينهب ويقتل(٢)، وقد تغيرت أوضاعهم بعد دخول الملك عبدالعزيز الحجاز ، حيث انتقل عدد منهم إلى الإقامة والاستقرار في الهجر على غرار الهجر التي أنشئت في أنحاء البلاد .

الملابس :

ملابس الرجال :

لا يخفى أن المملكة العربية السعودية تغطي مساحات شاسعة من أراضي الجزيرة العربية، واتساع المملكة واختلاف مناطقها استوجب اختلافًا في الملابس وأشكالها إلى حد ما تبعًا لظروف البيئة والمناخ .

على أن الثوب الأبيض المصنوع من القطن أو غيره من الخامات يعد قاسمًا مشتركًا بين أهل نجد والحجاز والمناطق الأخرى، إلا أن الاختلاف فيما يرتدونه فوق ذلك الثوب، وأيضًا فيما يرتدونه على رؤوسهم .

والرحالة الذين زاروا الحجاز بالذات لم يجدوا وحدة في الملابس، وقد فسروا ذلك بتعدد الأجناس، وأن اجتماع المسلمين من كل حدب وصوب في

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح . مرجع سابق، ص١٦ .

(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٨٤ .

كل عام للحج والعمرة إضافة إلى من يتخلف من أولئك الحجاج للمجاورة في الحجاز أدى إلى ذلك التنوع والتباين. يقول أحد الرحالة عن ذلك التنوع: ((وليس في جدة وحدة في الملابس فمنهم من يلبس العباءة وثوبًا شفا، ومنهم من يلبس ثوبًا مخططًا مصبوغًا، ومنهم من يعتم بالعمامة .. وبالجملة فلا ترى ملابس شخص تشبه ملابس الأخر إلا ما ندر))[1].

على أن الطنطاوي استطاع تحديد زي معين لسكان الحجاز أنفسهم وصفه بقوله: ((ومن رجل يلبس ثوبًا رقيقًا، فوقه رداء قصير (جاكيتة) من قماش هفهاف وعلى رأسه قلنسوة (طاقية) بيضاء، إذا مشى في الشمس تعمم عليها بملحفة بثقل الفراش يتقي بها شمس مكة الحادة المخيفة، .... وهذا هو الحجازي))[2]. أما أحمد عيسى فقد وصف لباس الشباب من أهل الحجاز بقوله: ((أما شباب الحجاز في مكة فقد استعاضوا عن (العقال) بقلنسوة (طاقية) بيضاء منشاة، قمتها هرمية الشكل، ومحيطها مفلطح من أسفل، وهم يقلدون في ذلك (الجاويين) ولبس تلك القلنسوة (الطاقية) شائع بين الطلبة وصغار الموظفين، وجمهرة التجار على اختلاف طبقاتهم)) .

كما وصف الرحالة أيضًا ملابس فئات من المجتمع مثل خدم (المطوفين) فهم يغطون رؤوسهم بشال كبير (كوفية) على شكل عمامة، ويشدون حول وسطهم منطقة (حزامًا) من الصوف حتى يتم تمييزهم عن غيرهم[3].

وعلى الرغم من تعدد الأزياء وتنوعها في الحجاز إلا أن التأثير المتبادل بين مناطق المملكة أدى إلى نوع من التجانس في اللباس بشكل عام، فالزي السعودي بدأ ينتشر في الحجاز تدريجيًا، فالخاصة من أهل مكة أصبحوا يرتدونه . يؤيد ذلك ما ذكره أحمد عيسى: ((أما الخاصة من أهالي مكة

(١) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص١٧ .
(٢) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص٦٤ ، ٦٥
(٣) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٦٨ .

فهم يلبسون (العقال) الحريري (المقصب) والجلباب الأبيض المتموج والعباءة الصوفية الرقيقة والحذاء اللامع))[1].

ويتضح لنا مما سبق أن الزي العام الرسمي في المملكة العربية السعودية تبلور في صورة الثوب الأبيض، وغطاء الرأس كوفية من قماش، ذي مربعات حمراء ويسمى (الشماغ)، أو كوفية بيضاء ويعلو ذلك العقال الأسود الذي يصنع من خيوط الصوف أو الحرير، وكان هناك العقال المقصب بخيوط ذهبية ويرتديه الملك عبدالعزيز وبعض الأمراء والخاصة، ويرتدي الرجال فوق الثوب عباءة تختلف ألوانها، فتارة سوداء، وتارة حمراء، وتارة بيضاء، وتمتاز هذه العباءة بوجود تطريز حول العنق، والصدر بالقصب، وتختلف سماكة هذه العباءة بحسب فصول السنة .

ملابس النساء :

لم يستطع الرحالة وصف ملابس النساء في تلك الفترة وصفاً دقيقاً لالتزام المرأة بدينها وتمسكها بحجابها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2].

واتصفت ملابس النساء بموافقتها للدين الإسلامي من ناحية الالتزام بالحجاب الشرعي والمتمثل بارتداء العباءة فوق ثيابها، واتسمت تلك الثياب بأنها طويلة ساترة وواسعة تساعد على حرية الحركة، وتخفي معالم الجسم .

وتستخدم المرأة لصناعة ملابسها الخامات المتوافرة المناسبة لمناخ البلاد، وغالب هذه الأقمشة تستورد من خارج البلاد [3].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٨ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٥٩ .

(٣) غالبية هذه الأقمشة يستورد من خارج البلاد وخاصة من الهند، عدا الصوف الذي يستخدم في صناعة العباءات والعقل، وهبة، حافظ. **جزيرة العرب في القرن العشرين**، ص٤٤.

ولقد لفت انتباه الرحالة تستر النساء وحياؤهن سواء في الحاضرة، أو البادية.حيث ذكر المازني في رحلته: أنه نادرًا ما يشاهد نساء الحاضرة: « ولم أر امرأة ولا بنتًا إلا واحدة في نحو السابعة من عمرها ملفوفة في ملاءة. وقيل لي: إن النساء لا يخرجن من البيوت »[1]. ومع انتشار الحجاب في الحاضرة إلا أنه اختلف في شكله بين مكة المكرمة والمدينة المنورة. يصف أحمد عيسى حجاب النساء في مكة المكرمة: « أما السيدات فإني لا أستطيع وصف لباسهن، لأن الحجازيات يسرن في عباءات بيضاء مخروطية الشكل، قد أسدلنها على أجسامهن من قمة الرأس إلى أخمص القدم، فلا ترى غير عيون ناظرة من فتحتين صغيرتين أمام عيني السيدة »[2]. وكانت العباءة في مكة بيضاء اللون بينما هي في المدينة المنورة سوداء، وغطاء الوجه كامل لا ثقوب فيه يقول السائح في وصفه: « أما نسوة المدينة فلا زلن على حجاب شديد الوطأة تمشي المرأة في ثوب أسود قد جللت به جميع بدنها لا تبصر ما أمامها إلا من سجفه الرقيق »[3].

وقد شاهد الرحالة نساء البادية بشكل أوضح من نساء الحاضرة، بحكم ظروف حياتهم وتنقلهم المستمر، وخروج النساء لرعي الماشية وغيرها من الأعمال، ووصف عدد من الرحالة نساء البادية بالستر[4]. يقول السائح: « وكذلك نساء البدو يبالغن في ستر وجوههن بلثام أسود يثقبن فيه نقبًا يقابل الأعين مع تحليته بقطع من الفضة »[5].

وانفرد فؤاد حمزة بوصف ملابس النساء في منطقة عسير حيث ترتدي النساء ثوبًا فضفاضًا طويلاً يتسع من الأسفل، ويلبسن أحزمة من الجلد حول

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٩ – ٢٠ .
(٢) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٦٩ .
(٣) السائح، محمد . مرجع سابق، ص١٦٩ .
(٤) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٩٢. عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص١٦٩ .
(٥) السائح، محمد . مرجع سابق، ص١٦٩ .

خصورهن، وغطاء الرأس عبارة عن قبعات من الخوص تسمى (طَفَشة) وتختلف تلك القبعات من حيث أشكالها، حيث ترتدي نساء تهامة قبعات ذات إطار عريض لاتقاء حرارة الشمس، أما غيرهن من نساء المنطقة فيرتدين قبعة ذات إطار رقيق ولكنها بارزة من الوسط على شكل أسطوانة وترتدي النساء في الجبال الخمار يضعنه فوق رؤوسهن، وتلبس الفتيات قبعات مصنوعة من القماش على شكل مثلث مفتوح القاعدة وقد يوضع خمار أو نقاب فوق هذه القبعة [1].

وغالب النساء في منطقة عسير سافرات يكثر اختلاطهن بالرجال وقد تغيرت أحوالهم بعد الحكم السعودي ، حيث انتشر بينهم الوعي الديني وعم الحجاب أوساط النساء[2].

الطعام :

يتناول الناس عادة وجبتين رئيستين في اليوم والليلة: إحداهما وقت الضحى والثانية مساء قبيل المغرب في بعض المناطق، وبعد المغرب في مناطق أخرى. وفي الصباح كانوا يكتفون بحبات من التمر مع القهوة، واقتصارهم على وجبتين فقط يعود إلى طبيعة حياتهم[3]، فالعمل يستغرق أغلب ساعات يومهم، فلا وقت لإعداد الوجبات وتكرارها إضافة إلى التزامهم بالسنة النبوية في الإقلال من الأكل والنوم مبكرًا ، ولا يخفى أن ظروفهم الاقتصادية لا تتيح لهم تناول المزيد من الطعام .

وقد وصف الرحالة عددًا من الأطعمة التي قدمت لهم في أنحاء المملكة من هذه الأطعمة ما سيأتي :

---

(١) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١٠٧، ص١٢٦ .

(٢) المرجع السابق، ص٨٠ – ٨١، ص١٣١ .

(٣) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٥٠. المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٤٩ .

١ - الأرز : من أبرز الأطعمة التي ذكرها الرحالة الأرز، وكان طعام الضيافة الأول في أنحاء المملكة، ويقدم الأرز واللحم في وجبة واحدة، حيث يسلق اللحم ثم يسلق الأرز في مرقه وقد يحمر اللحم بعد سلقه أو يكتفى به مسلوقًا[1]، وفي جميع المآدب التي حضرها الرحالة كان يقدم لهم ذلك الطبق سواء في الحاضرة أو البادية. يقول أحد الرحالة عن ذلك: ((إن أهل نجد ولا سيما سكان باديتها يعدون الأرز طعامًا أساسيًا لهم، بمثابة الخبز عند سائر الشعوب الأخرى)) . كما أنه ذكر أن تجارة الأرز رائجة في مدينة حائل؛ لأن الأرز بمثابة المادة الغذائية الأولى هناك[2]، وفي المآدب الرسمية كان الخروف يوضع فوق الأرز كاملاً، ولم يكن ذلك المنظر مألوفًا لدى عدد من الرحالة مما دفعهم لوصفه بأسلوب لا يخلو أحيانًا من السخرية، ويقدم الأرز مع اللحم للضيوف سواء في وجبة الغداء أو العشاء، والأرز لم يكن متوافرًا كما هو عليه الآن، وكانت أنواعه محدودة، والمتوفر منه (التمن) وهو الأرز العراقي بأنواعه: العنبر، الخضيراوي، المهبش، الأحمر[3] .

ويذكر الريحاني نوعين من الأرز في الرياض: ((في المطبخ السلطاني والمطبخ العام اللذين لا يختلفان في غير التّمن، أي الأرز، فالصنف الذي يطبخ للسلطان ورجاله أحسن من ذاك الذي يطبخ للعربان والإخوان))[4].

٢ - الجريش : ويصنع من القمح المهروس، ويتم جرشها برحى مخصصة لذلك تسمى (المجراشة) مثل الرحى تمامًا إلا أنها أخف منها بحيث تكتفي بتكسير الحب دون طحنه، ويضاف إليها البهارات والملح والشحم أو السمن وفصوص

---

(١) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣١٠، التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٥٠ .

(٢) مصطفى، محمد . مرجع سابق، ص٤٧ .

(٣) السويداء، عبدالرحمن . **نجد في الأمس القريب**. ـ ط١ . ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ، ص٢٨٤.

(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ص٥٧٩.

من البصل، ويضاف إليها اللبن الحامض، وتحرك بعصا غليظة حتى يتم تلاؤم الحبوب مع بعضها وامتزاجها، وتقدم في الغالب عشاء وربما غداء[1]. وصفها التميمي حين إقامته في بلدة الجوف: ((وكنت أتناول وجبتين من الطعام يوميًا في قصر الإمارة : أولاهما وقت الضحى وهي عبارة عن قمح مجروش مطهي بالسمن))[2].

٣ - **الحنينة :** تصنع من خبز البر مع السمن البري أو الزبدة الطازجة مع كمية مناسبة من التمر تساوي ٢٥٪، وإن عدم التمر فيوضع بدله الدبس أو العسل، ويدعك الخبز البر مع السمن والتمر، ويفرك، ويقلب حتى يصبح قريبًا من العجينة ثم تقدم للأكل وهي ساخنة[3]. يصفها الريحاني وقد قدمها لهم أمير عنيزة: ((وقد أدهشنا يوم السفر بأكلة جمعت بين الخبيص والعبيط جيء بها في جفنة كبيرة على كانون من النار لتؤكل حامية، هي الحنُينة بنت الخبيص والعبيط، وقد عملت قرصًا كقرص العيد وغمست بالسمن والسكر))[4]. وقد أعجب الريحاني بها بينما نجد الطنطاوي على النقيض من ذلك لم يستسغها ولم يستطع أكلها بعد أن شاهد الأدلاء من البدو في رحلته يصنعونها، ويصف طريقة صنعها: ((جاؤوا بالدقيق فعجنوه بهذه الأيدي القذرة ذات الأظافر السود وصبوا عليه السمن النيئ ومزجوه به، ثم جاؤوا بالعجوة فعجنوها معه، فكانت الأكلة من ثلاثة أجزاء متساوية، جزء من الدقيق، وجزء من السمن، وجزء من العجوة))[5]. ويتوهم الطنطاوي حين يظن أن الحنينة عبارة عن عجين صب عليه السمن، بل تصنع من خبز البر، ولو صنعت

(١) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص ٢٧٨.
(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص ٥٠.
(٣) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص ٢٧٩.
(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ص ٦٠٩ – ٦١٠.
(٥) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٤١.

من العجين مباشرة فما سبب التأخير الذي وصفه في أثناء إعدادها: ((فصبرنا وصبرنا حتى اقترب الظهر ولم تنته الحنينة))[1].

٤ - الخبيص والعبيط:

يصف الريحاني هاتين الأكلتين، وقد أكل منها في أثناء زيارته للقصيم: ((الخبيص في نجد هو غير العبيط، الخبيص يعمل من الطحين والماء والسكر: ضع الطحين في القدر وحركه فوق النار حتى تفوح رائحته ثم ضع الماء، والسمن، والسكر فوقه، وحركه حتى تفوح رائحته ثانية، فصب عليه السمن وحركه حتى تفوح الرائحة الثالثة، فارفعه إذ ذاك عن النار، ودعه يبرد ويشتد)) . أما العبيط فذكر أنه من التمر والسمن يدعك معًا [2].

٥ – الأقط:

يصنع من اللبن. يصف أحد الرحالة طريقة صنعه: ((ومع كثرة الألبان هناك فإنهم لا يعرفون الجبن، ولكنهم يصنعون شيئًا كثير الشبه به يسمونه (البقل) وطريقة صنعه أنهم يغلون اللبن حتى يجف، ومن ثم يضعونه في الهواء، فيزداد جفافًا ويقطعونه قطعًا صغيرة بعد أن يضيفوا عليه قليلاً من الملح))[3]، ويسمى الأقط (البقل) وفي البادية المضير. يقول عنه عبدالوهاب عزام : ((فقد سألتنا إحداهن أتريدون مضيرًا... وكنا عرفناه في المقامة المضيرية من مقامات بديع الزمان الهمذاني ... قلت: أهو الأقط، قالت إحداهن نعم أنتم تسمونه الأقط، ونحن نسميه المضير))[4].

٦ – العريكة :

من أعم الأطعمة وأشهرها في منطقة عسير، يصنع من دقيق الشعير أو الذرة أو الدخن، ويعصد الدقيق بالماء على النار ثم يسكب في أوانٍ خشبية أو

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤١.
(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٩ - ٦١٠.
(٣) مصطفى ، محمد شفيق، مرجع سابق، ص٤٧.
(٤) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٧٨.

نحاسية، وتحفر وسط العصيدة المسكوبة حفرة صغيرة تملأ بالزبدة السائلة أو السمن السائح [1].

المشروبات :

١ – القهوة: تعد القهوة من المشروبات الرئيسة لدى الحاضرة والبادية على حد سواء، وهي مشروب الضيافة الأول، وتتمتع القهوة بمكانة مرموقة من ثلاثة قرون تقريبًا، وهي من مقاييس الكرم ومظاهره [2].

ولقد كتب الرحالة الكثير عن القهوة وما يتعلق بطرق إعدادها وعادات القوم وآدابهم في طريقة تقديمها وشربها. يقول عنها الطنطاوي: ((فإن للقهوة عند العرب اليوم من الشأن ما يقل معه كل تعب ينال من أجلها، ولها عندهم قواعد وقوانين لا معدل عنها ولا ترخص فيها))[3]. وتصنع القهوة بتحميصها على النار في أدوات خاصة، ثم تدق بالهاون ولا تطحن لأن دقها بالهاون وظهور صوته دعوة للضيوف للاجتماع لها[4]، ويتخذ لها أكثر من إناء عند صنعها لغليها ثم تصفيتها ويضاف إليها حب (الهيل) والزعفران وغيره، وتقدم في أباريق تسمى (دلال) ومفردها (دلة) ، وتوضع قطعة من الليف في فم الدلة[5]. والدلة مصنوعة من نحاس أصفر يتم صقلها باستمرار لتحافظ على لونها وبريقها. يصفها الريحاني بقوله: ((وأهم من كل ما ذكر الأباريق وهي محور الدعوة .. أباريق النحاس الوهاجة كأنها وصلت تلك الساعة من المعمل في دمشق)). وتصف تلك الأباريق صفًا متناسقًا في خزانة أمام المضيف يسهل معه تناول ما يريد منها، ولها عدة أحجام مختلفة من الصغير الذي يكفي ضيفين إلى أكبر حجم [6]، ولهم اهتمام بالغ بالقهوة. يصفه الطنطاوي بقوله: ((إنهم

---

(١) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١٠٧، ص١٢٧ .

(٢) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص٢٨٩ .

(٣) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٥ .

(٤) المرجع السابق، ص١٠٥ – ١٠٦. الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٨ .

(٥) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٦. المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٠٤ .

(٦) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٨ .

من اهتمامهم بها نحتـوا من اسمها فعلاً هو تقهوى يتقهوى تقهويًا .... وتوسعوا في هذا الفعل حتى شمل الشاهي .... فهم يقولون: (أقلط تقهوى) أي تفضل اشرب القهوة أو اشرب الشاهي أو كل ... وقد يقولون اتقهوى شاهي ...))[1].

٢ – اللبن :

يعد اللبن من المواد الغذائية الأساسية للسكان في تلك الفترة سواء في ذلك الحاضرة والبادية . ولبن الماعز والأبقار أكثر توفرًا في حاضرة نجد، أما البادية فالغالب لديهم لبن النياق وإقبالهم عليه أكثر من إقبالهم على ألبان الماعز، وكان اللبن يقدم عادة مع التمر. يقول عن ذلك عبدالوهاب عزام: ((ثم جاءنا طبقان من الخوص عليهما لبن في خمس غضارات، وثلاثة أوان فيها تمر وثلاث أخرى فيها زبد))[2]. ولبن الإبل هو أحد المشروبات الغذائية الصحية، وشرب الرحالة لبن النياق، وأثنوا عليه، بل كان عبدالوهاب عزام متلهفاً على شربه. يقول عن ذلك: ((واللبن ناصع البياض خفيف لذيذ، فكرعنا فيه للطعام والتداوي، إذ حزرت أنه لبن إبل، وكنت أتطلع إليه فلم أظفر به من قبل، وكان لبنًا مخيضًا))[3]. وعلى النقيض من عبدالوهاب عزام الذي كان متلهفا لشرب لبن النياق نجد أحمد حسين ينفر منه ويتخوف من شربه يقول عن شعوره ذلك: ((ولما حدثت الأمير عن رعبي من لبن النياق قال لي: هذا هو. وإذا بالساقي يأتي بكأس جميل يصب فيه من وعاء بلوري يحمله لبنًا جميلاً سائغًا)). ومع ذلك أكد أنه لم يشربه: ((حتى أنني أستطيع أن أقول: إنني اجتزت الجزيرة وعشت في الرياض دون أن أرى نفسي مضطرًا

(١) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٧ .

(٢) يقول عبدالوهاب عزام عن اللبن في العراق والشام والجزيرة العربية فهو اللبن الرائب أو المخيض ويسمى في العراق الشنينة، واللبن الذي لم يتغير يسمى في تلك البلاد الحليب، وفي مصر اللبن الحليب، واللبن الرايب واللبن الحامض، وكل ما خرج من الضرع لبن، ويميز بصفته، وهذا يوافق اللغة الفصحى، عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٥٥ .

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥ .

لشرب لبن النياق))[1]. ويقدم اللبن والتمر مع الوجبات الرئيسة أو يقدم وجبة إفطار أو بين الوجبات.

ويقدم الحاضرة والبادية اللبن لضيوفهم ولعابري السبيل مجانًا دون مقابل، بل يرون أن من غير اللائق بيع اللبن[2].

العادات والتقاليد :

الضيافة والكرم :

يعد الكرم من أبرز العادات والتقاليد التي عايشها الرحالة في أنحاء المملكة، وأسهبوا في ذكرها والإشادة بها سواء من الملك عبدالعزيز أو الأمراء وكبار الشخصيات وحتى من عامة الشعب، فقد تنافس البدوي والحضري في الكرم وحسن الضيافة، وتلك الصفة متأصلة في نفس العربي منذ الجاهلية فلما جاء الإسلام أكد عليها وحض المسلمين على البذل والعطاء وإكرام الضيف .

وعادة الكرم لها ضرورتها في تلك البلاد الصحراوية القليلة الماء والموارد، وقد أدرك السكان ذلك فبذلوا ما في وسعهم لإكرام ضيوفهم، وكانت مظاهر الكرم تتجلى في الترحيب بالضيف ومؤانسته: ((ثم دعينا إلى العشاء ولقينا من ترحيب الرجل وإكرامه وإيناسه واعتذاره ما لقينا من قبل ومن بعد من جود العرب وكرم ضيافتهم، ولا سيما أمراء الملك عبدالعزيز أعني حكام البلاد المرسلين، وقد ضرب من قبله لهم في الجود مثلاً، وسن فيه سننا))[3]. كما كانوا يبذلون ما في وسعهم لإكرامه. يصف المازني ذلك بقوله: ((وكرم العربي ليس ككرم سواه فهو يكرمك، ويبذل لك كل ما يدخل في طوقه، بل فوق ما في مقدوره، ثم كأن الذي يصنع هذا سواه، ....

(١) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦١ .
(٢) حمزة، فؤاد . في بلاد عسير، ص١٢٨. ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة المنورة**، ص٦٦ .
(٣) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٧١ .

ولا تكاد تستقر في مجلسك حتى يشيع في نفسك الشعور بعدم الكلفة، وبانتفاء القيود، وبأن حريتك في حديثك وجلستك، وفيما تشتهي نفسك غير محدودة))[1].

وقد قدمت للرحالة الموائد على الطريقة العربية، كما أقيمت لهم موائد غربية تعجب الرحالة من أصنافها وجودتها. وهذه اختص بتقديمها الأمراء ووجهاء الحجاز، وقد تعجب الرحالة من المآدب الرسمية، ووصفوا مدى الذوق والأناقة والنظام في تقديم الطعام ومدى تنوع الأصناف وتوفر أدوات الطعام من ملاعق وشوك وسكاكين بل وجود أطعمة راقية ونادرة [2]. يقول المازني عن ذلك: ((فقد سمعت أن فريقاً من المصريين لا يصدقون أن أهل الحجاز يعرفون الأكل على الطريقة الحديثة فلهؤلاء أقول ... ولكنا دعينا في كل مكان حتى في قلب الصحراء وتحت الخيام إلى موائد على الطريقة الغربية، عليها من المآكل ما يندر أن تقع عليه العين أو يذوقه اللسان حتى في مصر المتحضرة))[3].

كما قدم لهم الطعام على الطريقة العربية، حيث مدت لهم الموائد على الأرض، وقدم لهم الأرز يعلوه الخروف كاملاً، وقد يقدم معه الثريد، وأنواع مختلفة من الخضار المطبوخة والفواكه[4]،وأحيانًا يستبدل لحم الخروف بلحم الجزور، ويوضع لحم الجزور كاملاً مبالغة في الكرم[5]،وقد يقدم بعض الأمراء لهم الغزال والنعام ويعدونها من أفخر اللحوم وأجلها شأنًا في إكرام

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٤٤ .

(٢) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٥. المازني، إبراهيم . مرجع سابق. ص٨٣. حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦٠ – ٢٦١ .

(٣) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٤٨ – ٤٩ .

(٤الريحاني. **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٩، هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٣١، ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة** ص٥١، عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣١٠ .

(٥) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٣٥٣ .

خاصة ضيوفهم[1]،وبلغ من كرم بعضهم أنه كان لا يتناول الطعام مع ضيوفه، بل كان يقف قريبًا من باب الغرفة يخدم ضيوفه ولا ينظر إلى الطعام[2].

ولم يقتصر الكرم على علية القوم بل كان الكرم صفة اتسم بها الجميع، فها هو الطنطاوي يصف ما لقيه من الجند السعوديين بعد تجاوزه لحدود سوريا ودخوله لحدود المملكة: ((فقد دخلوا إلى بيت من الشعر على مثال بيوت البدو وقد حفرت في وسطه حفرة أوقدت فيها النار، وصفت من حولها البسط والجلود، فأجلسوا ضيوفهم على أكرمها وأحسنها، وقدموا لهم أصناف الضيافة))،وقال عنهم: ((وقاموا بين أيدينا يخدموننا فما تركوا شيئًا يستطيعون أن يفعلوه من الإكرام إلا فعلوه))[3].

ومن مظاهر الكرم تقديم القهوة والشاي قبل تقديم الطعام وبعده، وكانت القهوة رمز الكرم والضيافة، وكانت تقدم في كل وقت ليلاً أو نهارًا، وتسبق الوجبات الغذائية وتعقبها[4]. وللقهوة مكانتها وآدابها وعاداتها[5]. يصف الريحاني دعوتهم لتناول القهوة بقوله: ((تفضل نقهويك، هي دعوة شبيهة بدعوة الإنجليز للشاي ... على أن ضيافة العربي العنيزي تمتاز عن ضيافة الإنكليزي في أن رب البيت يخدمك بنفسه من حين الاستقبال إلى حين الوداع، وما أجمل ذلك الكرم وتلك الوداعة)). ويجلس رب البيت بجوار موقد النار ويجلس بجواره ابنه أو أحد أقاربه ليدق البن في الهاون بينما يصنع هو

---

(١) مصطفى، محمد، مرجع سابق، ص١٨ .

(٢) وصف هيكل حين زيارته للهدة في الطائف حال مضيفهم معهم حيث يقول: ((وقام رب الدار على قدميه عند الباب لا يتناول معنا طعامًا ولا يلقي إلينا نظرة)). ويقول عنه في الوجبة التالية: ((ولم يشاركنا في العقال كما وقف ساعة الغال بعيدًا عنا يجيب مطالبنا ولا يلقي علينا نظرة)). هيكل، محمد . مرجع سابق، ص٣٥٠، ٣٥٣ .

(٣) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٨٨ .

(٤) السوادي، محمد . مرجع سابق،ص٣٦، ٣٧، الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٤ – ١١٥.

(٥) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٩٧ .

القهوة، وموقد النار مجوف مستطيل لا يزيد على ثلاثة أذرع، وعند رأس الموقد خزانتان: واحدة للحطب، والأخرى للأواني، وهي قريبة يستطيع الجالس تناولها بسهولة[1]. وتصف أواني القهوة وخاصة الأباريق الصفراء المصنوعة من النحاس والتي تسمى (دلال) أمام الضيف والمضيف، ولكل من هذه (الدلال) اسم مثل (العروسة) و(الأم)[2] وربما تكون تلك المسميات بحسب الحجم والسعة. ومن آداب تقديم القهوة أن يمسك الساقي الإناء باليسرى ويقـدم (الفناجين) باليمنى[3]، وتكون في يده ما بين ستة إلى عشرة (فناجين)، ويرون تقديمها باليسرى إهانة للضيف، ويأخذ الضيف الفنجان بيمينه فيشربه ثم يدفعه إلى الساقي فلا يزال يصب فيه حتى يهزه الضيف ثلاث مرات علامة أنه قد اكتفى أو يقول تمام[4]، ولا يصبون في كل مرة إلا رشفة واحدة لا تكاد تستر قعر الفنجان، وعندهم أن هذا من الإكرام[5]، وإذا ملأ الساقي فنجان أحدهم كان ذلك احتقارًا له، ويبدأ الساقي بمن على يمينه ثم يعطي من يليه، ولا يتخطى أحدًا فإن تخطى أحدًا عد ذلك إهانة له، وإذا اكتفى الضيف ولم يأخذ الفنجان وجب على الساقي أن يشربه أو يريقه، ولا يدفعه لمن بعده[6]،ولمكانة القهوة عندهم يطلقون على قاعة الاستقبال اسم (القهوة)، هذا إذا كان المضيف من عامة الناس أو وجهاء القوم، أما إذا كان المضيف أميرًا أو حاكم بلدة فإن تقديم القهوة يتخذ نمطًا آخر، فعندما ينادي الأمير (قهوة) يرددها الخادم الذي بالباب فيرددها الخادم الذي يليه وهكذا يتناقلها من بعدهم حتى يسمعها الموظفون للقهوة في مجلسهم فيسرعوا بإحضارها[7].

---

(١) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٦، ص٦٠٨ .
(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٧١. الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٦ .
(٣) الرهوني، أحمد . مرجع سابق، ص١١٤ .
(٤) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٦، ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**، ص٨٧ .
(٥) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٢٦ .
(٦) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٦ .
(٧) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص٨٧ .

وقد دهش الطنطاوي من تلك العادة[1]، وكان هذا من عادات الملك عبدالعزيز في أثناء سفره. يقول الريحاني: ((من عادات السلطان أنه حين يحتدم غيظًا يطلب القهوة فنادى العبد في الباب قهوة وكرر الصدى خارجًا عند النار))[2]. أما في أثناء إقامته فإن طلب القهوة يتم بإشارة منه ولا يستخدم الأسلوب السابق .

ولا يقتصر الأمر على تقديم القهوة في مجالسهم ، بل يقدم الشاي غالبًا بعد القهوة ونادرًا ما يسبقها، وتظل أدوار القهوة والشاي ما دام الضيوف في مجلسهم[3]. وقد ذكر الريحاني أنهم يقدمون بعد القهوة في كؤوس من الزجاج شيئًا من الشاي جزآه الأكبران الحليب، والسكر، ويسمى القهوة الحلوة ويقدم للضيف دائمًا بعد القهوة المرة[4]، ويدار في نهاية المجلس مجمرة فيها البخور، ويكون عادة من بخور العود الزكي الرائحة[5]،وأعجب عزام بهذه العادة وقال عنها: ((والطيب في مجالس الملك والأمراء وأعيان نجد، والحجاز خاتمة المجلس، وهي خاتمة حسنة، وسنة محمودة))[6].

---

(١) وصف الطنطاوي تلك العادة بقوله: ((وقد كنت أبصرت على الدرج وفي أرض الدار، وفي الردهة العالية عددًا عديدًا من العبيد ... فلما قال الأمير بصوت منخفض: قهوة، سمعت العبد الذي يقوم على رأسه يقول بصوت أرفع: قهوة، فيقول الذي على الباب: قهوة فيصرخ الذي في الردهة: قهوة .. فينقلها الذي على الدرج ثم الذين في أرض الدار حتى يبلغ الصوت صانع القهوة ... فما راعنا ونحن نسلم على الأمير ونتحدث إلا ستون قهوة ... قهوة ... تخرج متعاقبة متلاحقة كصراخ الجن، لا يفهم منها شيء، فلم ندر ماذا حدث، وعملت المفاجأة، عملها في نفوسنا، فمنا من صاح ومنا من ابتدر الباب)) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٠٥ .

(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٤٣ .

(٣) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص٩٢ .

(٤) الريحاني، أمين .**ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٩.كان ذلك في أثناء زيارته للقصيم في مدينة عنيزة .

(٥) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص٩٢ .

(٦) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٢٠ .

عاداتهم في الطعام :

كانوا يتناولون غالبًا وجبتين أساسيتين في اليوم: مرة في الضحى، والثانية في المساء سواء في نجد أو الحجاز[1]. وفي الصباح يكتفون بتناول القهوة مع قليل من التمر، وعادة ما يكون ذلك بعد صلاة الفجر مباشرة[2] كما أسلفنا . وكانوا يجلسون غالبًا على الأرض لتناول الطعام، ويستخدمون أيديهم اليمنى فقط[3] وذلك اتباعًا لسنة النبي ﷺ ، ومن العيب عندهم أن يستخدم الإنسان يسراه في أثناء الطعام حتى في تقطيع اللحم أو الخبز ولو كان الخروف كاملاً غير مقطع، وهم يتمرنون على استخدامها، بحيث يستغنون عن الاستعانة باليسرى، وغالبًا ما يقطع المُضيف اللحم ويقدمه لضيوفه[4]، ويشمل ذلك أمراء البلاد والأعيان، فالأمير يقطع اللحم ويقدمه لضيوفه، ومن العيب عندهم أن يقوم أحد عن المائدة قبل الأمير حتى وإن شبع، وإذا نهض الأمير نهض الجميع، إلا أن الأمير لا يترك المائدة أبدًا إلا بعد أن يجد الأيدي كلها قد كفت عن الطعام[5].

ومن عاداتهم الانصراف بعد الطعام، وخاصة بعد إدارة المجامر بالبخور، إذ هي خاتمة المجلس[6]. وكان الريحاني يفضل الدعوة لتناول القهوة أكثر من الدعوة لتناول الطعام، ففي الأولى يستطيع إشباع رغبته في الحديث وحب الاستطلاع، أما في الثانية فيلزمه طبقًا للعادات الانصراف وعدم الإطالة[7].

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٤٩ .
(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٥٠ .
(٣) مصطفى، محمد شفيق . مرجع سابق، ص٤٧ .
(٤) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١٢٨ .
(٥) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٥٠ ، ٥١ .
(٦) يقول الطنطاوي عن هذه العادة: ((فلما خرجنا، قال الشيخ الرواف : ألم تسمعوا المثل النجدي؟ قلنا: وما ذاك؟ قال: (إذا دار العود فلا قعود) فعلمت سر نظر الأمير إلينا، وتمنيت لو دخل هذا المثل بلادنا)). الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص٩٢ .
(٧) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٩ .

عاداتهم في السفر:

من عادات الناس في المملكة أنهم إذا خرجوا في سفر وكانوا أكثر من شخصين أمروا أحدهم عليهم عملاً بقول الرسول ﷺ : ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم))[1]، وأمير القافلة هو المرجع الأعلى في كل ما يتعلق بالرحلة[2]. ومن عاداتهم في أسفارهم أنهم يتنادون، ويسرون باكرًا فيصلون الفجر أول وقت الصلاة، ولا يتوقفون للراحة إلا في وقت الضحى[3]،فيقيلون إلى قبيل الغروب، ويتناولون في فترة القيلولة وجبة الغداء ثم قبل الرحيل يتناولون وجبة العشاء، ثم يشدون الرحل إلى منتصف الليل فيبيتون إلى الفجر فيصلونه ويستأنفون المسير إلى الضحى وهكذا[4].

أما إذا كان سفرهم في شهر رمضان، فكانوا يسيرون من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العصر، فيستريحون، ويصلون الظهر والعصر قصرًا وجمعًا، ويعدون إفطارهم، ثم يصلون المغرب ويجمعون معه العشاء قصرًا، ويأكلون بعدها طعام الإفطار، ثم يشدون الرحال إلى منتصف الليل فينامون إلى قبيل الفجر حيث يستيقظون لتناول طعام السحور، ويستأنفون سيرهم إلى ما بعد العصر وهكذا[5].

النواحي الصحية:

كانت الأوضاع الصحية في أنحاء شبه الجزيرة العربية في بداية عهد الملك عبدالعزيز بصفة عامة أوضاعًا متردية نتيجة الجهل وانعدام أساليب الوقاية، فانتشرت الأمراض والأوبئة في أنحاء البلاد، واشتدت وطأتها في أثناء

(١) السجستاني، سليمان بن الأشعث (أبو داوود) . سنن أبي داوود (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج٣، ص٣٦ .
(٢) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٧٤ .
(٣) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٢٦ .
(٤) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٥ .
(٥) المرجع السابق، ص٦٤ – ٦٥ .

مواسم الحج[1]. وكان لاهتمام الملك عبدالعزيز بالنواحي الصحية وخاصة بعد دخوله الحجاز أثره في تحسين تلك الأوضاع، وخاصة في منطقة الحجاز، ولا شك أنه على الرغم من الجهود المبذولة إلا أن التحسن كان تدريجيًا نظرًا لضعف الإمكانات المادية وعدم توافر الأطباء المؤهلين، إضافة إلى الجهل وانعدام الوعي الصحي بأساليب الوقاية من الأمراض، واتساع رقعة البلاد، وصعوبة المواصلات.

والأوضاع الصحية في نجد والحجاز والمنطقة الشرقية متشابهة من حيث اعتماد السكان فيها على الطب الشعبي المتمثل في استخدام الأعشاب، والمركبات الكيماوية المتوافرة في البيئة والتداوي بالعزائم والكي والحجامة والفصد[2]. وفي الحجاز كان يوجد عدد من المنشآت الصحية المحدودة في كل من مكة وجدة والمدينة لخدمة الحجاج. وكانت القنصليات الأجنبية في جدة تحوي عيادات طبية، إضافة إلى التكية المصرية في مكة والمدينة المنورة، وفي كل منها طبيب، ومع ذلك كانت الحالة الصحية في عهد الدولة العثمانية وفي أثناء حكم الأشراف سيئة للغاية[3]، وانتشر كثير من الأوبئة خلال مواسم الحج المختلفة، مما دفع الدول الأجنبية التي لها صلة بالحجاج إلى فرض رقابة شديدة على السفن التي تقل الحجاج، وكان سببًا في إنشاء المحجر الصحي في جزيرة قمران في جنوب البحر الأحمر ومحجر الطور في شماليه[4]، ولا شك

(١) شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص أ – ب،

Armstrong, Op, Cit, P.224.

(٢) السويداء، عبدالرحمن. مرجع سابق، ص٣٤٩ – ٣٥٤، مغربي، محمد. **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري**. ـ ط١ . ـ جدة: تهامة، ١٤٠٢هـ، ص١٥٩ - ١٦٤.

(٣) مغربي، محمد . مرجع سابق، ص١٦٦. يذكر السوادي أنه بلغ من تردي الأوضاع الصحية أن بعض الوافدين من جنسيات أخرى من العرب كانوا يمتهنون الطب وليس لهم شهادات طبية، وكانوا يخدعون العامة ويستغلون حاجتهم إلى الأطباء، السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٩٦ ، ٩٧ .

(٤) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٠٩ .

أنه بعد دخول الملك عبدالعزيز الحجاز أولى النواحي الصحية اهتمامًا بالغًا، خاصة في مواسم الحج، فبعد ضم الحجاز صدرت التعليمات الأساسية في ٢١صفر ١٣٤٤هـ/ ٣ أغطس ١٩٢٦م ونصت تلك التعليمات على أن تكون الصحة العامة ضمن الأمور الداخلية وتخضع للنيابة العامة، وتتلقى الأوامر والتعليمات منها مباشرة[١] وقد تم إنشاء (مصلحة الصحة العامة) عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م ومقرها مكة المكرمة[٢].

لقد تركزت الجهود الصحية في موسم الحج للحد من انتشار الأمراض الوبائية والحفاظ على أرواح الحجاج وسلامتهم، فاتخذت كثيراً من الخطوات الصحية لمواجهة موسم الحج، وكان من أبرزها العناية بالمحاجر الصحية وإنشاء إدارة مستقلة للمحاجر الصحية مركزها جدة. وأكد محمد رفعت: أن مصلحة الحجر الصحي في المملكة تتمشى مع الأنظمة التي تقتضيها الاتفاقات الدولية الصحية[٣]، ويتم تلقيح القادمين من الحجاج حين يتم التأكد من عدم أخذهم اللقاحات المطلوبة، ويتم توزيع نشرات إرشادية صحية على الحجاج بمجرد وصولهم إلى البلاد[٤]، كما تم إنشاء كثير من المستشفيات، والمراكز الصحية المستقرة والمتنقلة في مكة والمدينة وجدة والمشاعر المقدسة. وكان هناك كثير من الاحتياطات الصحية، وقد ورد ذكرها في أثناء الحديث عن التنظيمات والترتيبات الصحية للحج في الفصل السابق.

وما يهمنا في هذا المبحث النواحي الصحية في أنحاء البلاد، فقد تم تقسيم المملكة إلى ست مناطق صحية : مكة المكرمة، والمدينة المنورة،

(١) المواد ١١ - ١٢، القسم الثالث من التعليمات الأساسية، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٢) الزركلي، خير الدين .**شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٤٠٢.

(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١١٠.

(٤) رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٣٢، شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص٢٣.

وجدة، والرياض، والأحساء، وعسير، ويدير كل منطقة طبيب (مدير المنطقة) وفي كل منطقة من المناطق الست أقيمت المستشفيات، والمستوصفات، وتعتني الحكومة السعودية عناية خاصة بالطب الوقائي ومكافحة الأمراض الوبائية، وتلزم السكان بقبول اللقاح الإجباري ضد هذه الأمراض كالجدري والكوليرا وغيرهما[1].

وأنشئت كثير من المستشفيات، وتم ترميم الموجود منها، فقد تم ترميم مستشفى أجياد في مكة المكرمة وإصلاحه وزيادة مبانيه، فأصبح في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م يستوعب ١٣٥ مريضًا، كما تم بناء مستشفى في الطائف ومستشفى في جدة يتسع لمئة مريض، وأقيم (مستشفى الملك) في الرياض عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ويستوعب ١٥٠ مريضًا[2].

والخدمات الصحية المقدمة للسكان كانت مجانية إضافة إلى محاولة نشر المبادئ الصحية والوعي الصحي[3]، وكان ذلك يتم عن طريق التعليم الذي بدأ يأخذ طريقه إلى مدن المملكة كافة. ولا شك أن اتساع رقعة المملكة العربية السعودية وصعوبة المواصلات وتباعد القرى وانتشار القبائل في البادية على مسافات متفرقة، أدت هذه العقبات إلى مضاعفة الجهد لتقديم الخدمات الصحية. يصف محمد حمدي هذه الجهود: « وهو الملك الذي أدخل النظام الصحي الحديث في نجد والأحساء بالإكثار من الأطباء وإنشاء المستشفيات المتنقلة لمعالجة المرضى، لأن حالة البلاد المالية لا تساعد على إنشاء مستشفى في كل بلد »[4]. وأكد محمد رفعت وجود وحدات طبية

(١) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٧٤. رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٠٩.

Armstrong, Op, Cit, P .224

(٢) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٤٠٨ – ٤٠٩ .

(٣) رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٣٢ .

(٤) حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٧٦. يذكر الزركلي أنه تم إنشاء إدارة خاصة للطب السيار قوامها عشرة أطباء متنقلين يقومون بجولات في الجهات التي تحتاج إلى إسعافات طبية، ومن عملهم التلقيح بالأمصال المختلفة وإجراء العمليات المستعجلة وهذه الإدارة مزودة بالخيام والسيارات والأدوية اللازمة، الزركلي، خير الدين . **شبه الجزيرة**، ج١، ص٤٠٤ .

متنقلة بالسيارات، يقوم فيها الأطباء ومعاونوهم بالعمل لخدمة الأهالي، وهذه الوحدات المتنقلة تتبع لكل منطقة صحية من المناطق الست التي ذكرناها سابقاً[1].

كما تم في أواخر عهد الملك عبدالعزيز إنشاء مستشفيات حديثة متكاملة الوحدات منها مستشفى في الرياض، وكذلك مستشفى الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة[2] كما شاهد أحمد حسين مستشفى الظهران ودهش لما فيه من الاستعدادات الطبية والأجهزة والمعدات[3]. ومن الاهتمام بالشؤون الصحية في المنطقة الشرقية ما ذكره محيي الدين رضا في أثناء زيارة الأمير سعود بن عبدالعزيز لها أنه أمر بتعيين وكيل لمدير الصحة العامة يكون مسؤولاً ومشرفاً على جميع الشؤون الصحية في المنطقة الشرقية، كما أصدر أمرًا بإنشاء مستشفى في كل من الدمام والقطيف والجبيل وبإكمال مستشفى الأحساء وتأمين ما يلزم له من أثاث، وهيئة طبية، وأدوية وغيره، كما أمر بإنشاء مستوصف صحي متكامل في كل من الأحساء والقطيف[4]، وهكذا نلحظ أن الرحالة لمسوا بأنفسهم تطور النواحي الصحية وتقدم الخدمات الصحية المقدمة سواء للحجاج أو للأهالي. يصف عبدالغني شهبندر وهو طبيب قدم مع الحملة السورية لحج عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م: ((درست الحالة الصحية في الحجاز في عهد المغفور له الملك حسين وفي عهد الملك عبدالعزيز آل السعود فتبين لي أن الأمراض قد خفت وطأتها في عهد الحكومة السعودية، نظرًا للاهتمام بالأمور الصحية وكثرة الأطباء وشدة

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١١٠ ،

Armstrong, Op, Cit, P, 224

(٢) ذكر محيي الدين رضا أنه عهد إلى شركة صدقة وسراج كعكي بإنشاء مستشفى في الرياض ووصفه بأنه أكبر مستشفى في الشرق الأوسط، رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات**، ص١٧٩، ص١٧٢ .

(٣) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٩٧ .

(٤) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات**، ص١٧ .

العناية)) . ويقول في موضع آخر: ((وقد اهتمت الحكومة السعودية في تنظيم الأمور الصحية ومكافحة الأمراض بقدر الإمكان والهمة مبذولة لجعل الحجاز من الوجهة الصحية في مصاف المدن الراقية))[1]. ويثني محمد حمدي على الأوضاع الصحية ويذكر أنها تقدمت كثيرًا عن ذي قبل، كما أشاد بالجهود المبذولة من قبل الأطباء والمشرفين على الأوضاع الصحية[2].

التعليم :

إن النقلة الحقيقية للتعليم في المملكة العربية السعودية كانت بإنشاء مديرية المعارف عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م[3]. ولا يعني هذا التاريخ أنه بداية ظهور التعليم في المملكة، بل كان الاهتمام بهذه الناحية منذ فترة مبكرة، حيث كانت حركة العلم والتعليم مستمرة في صور متعددة، وإن لم تتخذ شكل التعليم النظامي إلا بعد تأسيس مديرية المعارف .

وتمثل اهتمام الملك عبدالعزيز بهذه الناحية في طلبه هو نفسه للعلم، المتمثل في الدرس اليومي الذي يلقى بين يديه بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء، واستمر على هذا النهج حتى وفاته، وكان في تلك المجالس العلمية نموذجًا يحتذى لطلبة العلم، فلم يكن يكتفي بالسماع فقط ، بل كان يشارك بالسؤال والاستفسار والتعليق والتعقيب، وهذا ما أكده عدد من الرحالة من خلال مشاهداتهم الشخصية[4]. بل إن أمراء البلاد ساروا على نهج الملك عبدالعزيز في طلبهم للعلم، وكان لعدد منهم مجالس علمية على نمط تلك المجالس اليومية التي يعقدها الملك عبدالعزيز، وقد رأى الطنطاوي ثقافة أولئك الأمراء، وعزا ذلك إلى تلك المجالس العلمية[5].

---

(١) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٧٨ ، ص٨٤.
(٢) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٩٨ .
(٣) وثيقة رقم ٦٦ في ٣ رمضان ١٣٤٤هـ، مركز الوثائق ، معهد الإدارة العامة بالرياض .
(٤) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٩٤ .
(٥) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص٩١ .

وكان تأخر التعليم النظامي في المملكة مثار نقد وتساؤل من عدد من الرحالة منهم الريحاني فقد سمع قبل قدومه للملك عبدالعزيز نصيحة من أديب نجدي مقيم في البحرين: ((أسألك يا حضرة الأستاذ بل أرجو منك أن تشير على عبدالعزيز وتلح عليه أن يفتح المدارس في بلاده... هي مصباح بيد صديق لابن سعود أضاء موطنًا من مواطن الضعف في بلاده)). وكان الريحاني يتساءل عن عدم انتشار التعليم في نجد، هل يكره البدو التعليم أم هو عدم شعور بأهمية العلم[1]. وكان الملك عبدالعزيز عكس ذلك، بدليل مجالسه العلمية اليومية كما أسلفنا، إضافة إلى جهوده العظيمة في نشر العلم بين أبناء البادية في الهجر التي أنشأها لهم لتحقيق الأمن والاستقرار للبلاد، وقد بعث الملك عبدالعزيز لهذه الهجر عددًا من العلماء وطلبة العلم وعاظًا ومعلمين ومرشدين في تلك الهجر، وكان من مهامهم تعليم البادية أصول الدين، وسورًا من القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة وحثهم على العلم والعمل[2].

وكان هناك أيضًا التعليم التقليدي المتمثل في الكتاتيب التي أدت دورها في نشر العلم ومحاربة الأمية حسب إمكاناتها المتواضعة، وسميت الكتاتيب بهذا الاسم ؛ لأنها تعلم الكتابة، ولم تقتصر على ذلك بل كان يتم فيها تعليم النشء القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وهي متفاوتة في مستوياتها، ولم يكن لها أنظمة رسمية تسير بموجبها، ومكان الدراسة إما أن يكون جزءًا من المسجد، أو في بيت الشيخ، وتكون على فترتين في الصباح والمساء أو فترة واحدة، والدراسة فيها مستمرة صيفًا وشتاءً[3]. ويتوجه

(١) تمثل ذلك التساؤل في قوله: ((ولكن ما العذر في الجهل؟ أيكره التعليم غير البدو ؟ أبدوي إذن سلطان نجد))، الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٠٨ – ٥٠٩ .

(٢) وعدها بعضهم نموذجًا مبكرًا من المشروعات التعليمية لتعليم الكبار، وهي فريدة في تاريخ التعليم بالمنطقة. أبو راس، عبدالله، الديب. بدر الدين، **الملك عبدالعزيز والتعليم** . ـ ط٢ . ـ جدة: دار عكاظ، ١٤١٣هـ، ص١١٨ – ١١٩ .

(٣) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص٢٠٩.

بعد ذلك عدد من طلابها إلى حلقات المساجد، وهي المرحلة الثانية بعد الكتاتيب، وتهدف إلى إعداد الطالب لتولي المناصب الدينية مثل : القضاء، والإمامة، والخطابة، والتدريس، والإفتاء، وكتابة العدل، وتولي العقود، وبعض الطلاب لا يكتفي بذلك، بل يواصل دراسته على مشايخ في الأقطار المجاورة أو البعيدة[1].

ويقوم عدد من الطلبة برحلات متعددة لطلب العلم، إذ تعد هجرة الطلاب في طلب العلم تقليدًا علميًا، ولا يقتصر الأمر على هؤلاء الطلبة ، بل إن بعض الأفراد من البادية كانوا يرحلون إلى أقرب المدن إليهم لطلب العلم وخاصة الرياض. وقد شهد الريحاني في رحلته تلك بعض هؤلاء : ((هناك ثلاثة ذاهبون إلى الرياض (ليقروا) يتعلموا القرآن والحديث))[2]. والريحاني في مقولته تلك يجيب عن سؤاله السابق الذي طرحه هل يكره البدو العلم والتعليم . وعلى كلٍ فإن الجهود السابقة هي نواة للتعليم النظامي في المملكة، وقد قامت بدورها في محاربة الأمية، وقد اختفت فيما بعد بالتدريج بعد ظهور التعليم النظامي. وقد كان لتأخر التعليم النظامي عدد من الأسباب تمثلت في أن البلاد ما زالت في طور التوحيد، ولم يتحقق لها الاستقرار الكافي للتفرغ للنواحي التعليمية المنظمة، إضافة إلى ضعف الموارد والإمكانات قبل اكتشاف النفط، ومع ضعف موارد الدولة كانت الحروب والفتن والثورات تستنزف تلك الموارد[3] إضافة إلى عدم تقبل بعض الأهالي للتعليم النظامي ومعارضتهم للعلوم الحديثة، وعلى كل كان الملك عبدالعزيز حكيمًا في التعامل مع كل جوانب التجديد والتغيير في البلاد .

---

(١) السلمان، محمد عبدالله . **التعليم في عهد الملك عبدالعزيز** . ـ الرياض: الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص٥٧ – ٥٨ .

(٢) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٩٦ .

(٣) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٦٥ .

وبالفعل شرع الملك عبدالعزيز بعد توحيد البلاد في إرساء قواعد التعليم المنظم[1]. وبدأ من الحجاز لوجود بذور التعليم النظامي المتمثل في عدد من المدارس الأهلية، ومن أشهر هذه المدارس المدرسة الصولتية في مكة المكرمة التي أنشئت عام ١٢٩٢هـ والمدرسة الفخرية في مكة أسست عام ١٢٩٨هـ ومدرستا الفلاح بمكة وجدة، وأسست الفلاح بجدة عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ومدرسة مكة عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، ومدرسة قاعة الشفاء تأسست عام ١٣٢٧هـ في مكة المكرمة ومدرسة دار الفائزين تأسست عام ١٣٠٤هـ[2].
وقد تم تأسيس مديرية المعارف العامة بناء على مرسوم ملكي صدر في غرة رمضان ١٣٤٤هـ/ ١٥ مارس ١٩٢٦م[3]، وبعد إنشاء مديرية المعارف تولت الإشراف على المدارس الأهلية السابقة، كما تم إنشاء مدارس أهلية جديدة بتشجيع من الدولة، ولم تقتصر هذه المدارس الأهلية على الحجاز ، بل شملت جميع أنحاء المملكة[4].

وتولت مديرية المعارف الشؤون التعليمية، وتم فتح أربع مدارس حكومية في مكة المكرمة عرفت بالمدارس الأميرية، وبعد صدور التعليمات الأساسية للمملكة في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٩٢٦م أصبحت مديرية المعارف مرتبطة بالنيابة العامة، ومهمتها الإشراف على التربية والتعليم في حدود تعاليم الدين الإسلامي[5].

---

(١) تتضح حكمة الملك عبدالعزيز تلك في رده على الريحاني حين قال: ((وستكون الهجرة الثانية من الجهل إلى العلم إن شاء الله، فنؤسس المدارس ويتعلم الإخوان شيئًا من العلوم التي من شأنها أن تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد)) . فأجاب الملك عبدالعزيز: ((كل شيء يجيء في وقته))، الريحاني، أمين. **تاريخ نجد الحديث**، ص٢٦٣ ..

(٢) السلمان، محمد . مرجع سابق، ص١٥٣ – ١٥٦ .

(٣) وثيقة رقم ٦٦ في ٣ رمضان ١٣٤٤هـ، مركز الوثائق ، معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٤) لمعرفة التفاصيل الخاصة بإنشاء هذه المدارس انظر السلمان، محمد . المرجع السابق، ص١٥٧ – ١٨٠ .

(٥) المادتان ٢٣ – ٢٤ من القسم الثالث، التعليمات الأساسية، مركز الوثائق ، معهد الإدارة العامة بالرياض، وتم إنشاء مجلس المعارف عام ١٣٤٦هـ تحت رئاسة مدير المعارف بموجب أمر ملكي حددت فيه صلاحيات المجلس، انظر: وثيقة رقم ٧٠ تنظيم وإدارة في ٢٧ المحرم ١٣٤٦هـ، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في التعليم إلا أننا نجد أن الرحالة يختلفون فيما بينهم في تقييم تلك الجهود. فقد انتقد بعض الرحالة الحكومة السعودية وطالبها بمضاعفة الجهد من أجل النهوض بالتعليم في المملكة. بينما نجد عدداً من الرحالة يثمن الجهود المبذولة، ويرى أنها خطوة في الطريق الصحيح، ويلتمس العذر للحكومة السعودية في ظروفها وإمكاناتها. ومن الرحالة المنصفين محمد حمدي حيث يقول: ((كذلك عمل على نشر التعليم والإكثار من المدارس ومكافحة الجهالة بكل الوسائل الممكنة، ولولا المال الذي يعوز كل مشروع إصلاحي لوجدنا البلاد العربية التي يقود سفينتها الملك عبدالعزيز أسبق البلاد العربية وأسرعها خطى في طريق التقدم))[(١)]. وبعد أن عرض هيكل الانتقادات للحكومة السعودية والتي سمعها في مكة من بعض شبابها، نجده يستطلع الآراء في الحجاز حول التعليم وجهود الحكومة حتى يعطي حكمًا أكثر إنصافًا حيث يقول: بناءً على الآراء التي سمعها: ((ولكنهم يقرون جميعًا بأن أحوال الحجاز اليوم خير مما كانت عليه في أي عهد عرفوه، .... وإن ما ينفق في التعليم وما إليه من مرافق الإصلاح أكثر مما كان ينفق في العهود السالفة جميعًا))[(٢)].

وقد قام عدد من الرحالة بزيارة بعض المدارس الأهلية والحكومية في الحجاز واطلعوا على مناهجها ونظامها وسير العمل بها. وأضاف محمد رفعت إلى ذلك زيارة مديرية المعارف، واطلع على سير العمل بها عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. وتلك الزيارات كشفت للرحالة أنفسهم الأوضاع التعليمية في الحجاز على حقيقتها، وصححت فكرتهم السابقة عنها. من هؤلاء أحمد عيسى حيث يقول: ((قبل سفري إلى الحجاز كانت فكرتي عن التعليم هناك فكرة متواضعة جدًا، فكنت أظن أنه لا يوجد بالحجاز إلا بضع مدارس أولية في

(١) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٧٥ .
(٢) هيكل، محمد . مرجع سابق، ١٦٤ – ١٦٥ .

مكة والمدينة تعلم القرآن والحساب ... حملني هذا الخيال إلى المبالغة في بخس حالة التعليم في تلك البلاد المقدسة))[1].

وقد زار أحمد عيسى عددًا من المدارس الحكومية والأهلية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، واطلع على مناهجها وأنظمتها، وتجول في فصولها، وشاهد طلابها، ورصد الكثير من المعلومات عن تلك المدارس، كما نشر تقريرًا مرفوعًا لوكيل مديرية المعارف عن مدارس الحجاز عام ١٣٥٤هـ جاء في مقدمة التقرير: ((حضرة صاحب الفضيلة وكيل مديرية المعارف ... أتشرف بأن أرفع إلى فضيلتكم فيما يأتي تقريرًا عن إدارة المعارف العامة ومدارس العاصمة والملحقيات الأميرية والأهلية وعدد كل مدرسة أميرية، وموظفيها وخدمها ومقررها الشهري من المرتب))[2] .

وقد جاء في ذلك التقرير أن عدد المدارس الحكومية في الحجاز ٢٣ مدرسة وثلاثة كتاتيب في ينبع وقرى جدة، وعدد المدارس الأهلية عشر مدارس وتسعة عشر كتابًا، ومجموع التلاميذ المقيدين في المدارس الأميرية والأهلية والكتاتيب ٦٩٧٠ تلميذًا[3]، ويتضح من هذا التقرير الصادر عام ١٣٥٤هـ استمرار وجود الكتاتيب في أداء دورها التعليمي وخضوعها لإشراف مديرية المعارف . ومن الرحالة الذين تناولوا التعليم في تلك الفترة عباس حمادة الذي التقى مدير إدارة المعارف العامة عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، وحاول أن يقوم بجولة في المدارس لاستطلاع شؤونها، ولم يتمكن من ذلك، فالمدارس كانت مغلقة، والطلاب في إجازة لحلول موسم الحج وحاجة أهاليهم إليهم لمعاونتهم في خدمة الحجاج[4].

(١) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٧٤ .
(٢) المرجع السابق، ص١٨١
(٣) المرجع السابق، ص١٨١ .
(٤) كان مدير المعارف في تلك الفترة إبراهيم الشورى، حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٥٨ .

وقد نشر بعض المعلومات ولم يذكر مصدرها، ربما استقاها من مدير المعارف حين لقائه به. أما محمد رفعت فقد قام بزيارة لمديرية المعارف عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م والتقى مديرها (محمد بن عبدالعزيز بن مانع)[١]، ويتضح لنا من خلال الحوار الذي دار بينهما التقدم الملموس في مجال التعليم وانتشار المدارس في جميع أنحاء المملكة، وقد جاء في حديث مدير المعارف عن التعليم في المملكة: ((ففيها اليوم ١٨٢ مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية، يتعلم فيها ٢١,٠٠٠ تلميذ، و٧٥ مدرسة حرة يتعلم فيها ٨٠٠٠ تلميذ آخرين)). ولا ندري بالضبط معنى قوله ٧٥ مدرسة حرة وربما يقصد بها المدارس الأهلية والكتاتيب . وإضافة إلى ما سبق المعاهد السعودية العلمية في أنحاء المملكة لتخريج مدرسين لتغطية الاحتياج في مدارس المملكة[٢]، كما أعطى الكثير من المعلومات عن التعليم في المملكة كما سيأتي. وسوف نعرض فيما سيأتي لأبرز المدارس الأهلية والحكومية التي ذكرها الرحالة.

مدارس الفلاح في مكة وجدة من أشهر المدارس في الحجاز، وهي مدارس أهلية، أنشئت قبل عهد الملك عبدالعزيز، وكان صاحبها ينفق عليها من ماله الخاص، ولما تأخرت حالته المادية ضمت إليها الحكومة جزءًا من إيرادات الجمارك، واستمرت الدولة في مساعدة المدرسة ماديًا[٣]،وقد أدت دورًا لا يستهان به في نشر العلم في الحجاز، وتنقسم المدارس إلى عدة مراحل:

---

(١) محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن مانع (١٣٠٠ – ١٣٨٥هـ) فقيه عالم. ولد ونشأ في عنيزة، ورحل إلى البصرة وبغداد والقاهرة ودمشق، ودرس في البحرين. تولى التدريس في الحرم المكي الشريف في عهد الملك عبدالعزيز، ثم تولى رئاسة محكمة التمييز بمكة المكرمة، ثم عين مديرًا للمعارف ورئيسًا لهيئة التمييز. موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٦١٥،٦١٦.

(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٠١ .

(٣) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥٧ .

قسم تحضيري[1]، وقسم ابتدائي، وقسم عال[2]، وتدرس فيها علوم الدين وعلوم اللغة العربية بتوسع والمواد العلمية، ثم أدخل تعليم اللغة الإنجليزية، وكان تركيزها على العلوم الدينية[3].

وتُعد مدرسة دار الحديث من المدارس الأهلية التي أنشئت في عهد الملك عبدالعزيز أنشأها الشيخ محمد أبو السمح عبدالظاهر إمام الحرم، ويدرس في هذه المدرسة علم الحديث فقط : رواية ودراية، ويضم إليه بعض العلوم التي يتوقف فهمه عليها[4].

وهناك عدد من المدارس الأهلية التي وردت أسماؤها لدى أحمد عيسى ضمن التقرير الذي نشره والمرفوع إلى وكيل مديرية المعارف كما أسلفنا، ومن هذه المدارس المدرسة الصولتية المدرسة الفخرية ومدرسة الفائزين ومدرسة الماحي ومدرسة العجيمي، ويقتصر بعضها على المرحلة التحضيرية وبعضها يشمل مرحلة تحضيرية، ومرحلة ابتدائية، ويوجد مرحلة عالية في المدرسة الصولتية وفي مدارس الفلاح، وهذه المدارس في مكة المكرمة. أما في المدينة المنورة ففيها مدرسة الترقي ومدرسة فيض محمد ومدرسة العلوم الشرعية. وقد ذكر أحمد عيسى: أنها ذات بناء فخم، وبرنامجها الدراسي واسع، كما أنها تمنح مكافآت مالية لحفاظ القرآن، وتتزايد المكافأة مع

---

(١) أول نظام للتعليم صدر في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، وقد عدل عدة مرات وكان أهم ما جاء فيه تحديد مراحل التعليم بأربع مراحل (المرحلة التحضيرية، الابتدائية والثانوية، والعالية) والمرحلة التحضيرية مرحلة تسبق الابتدائية مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، ومدة الدراسة في المرحلة الابتدائية أربع سنوات ثم صدر أمر بإلغاء المرحلة التحضيرية ودمجها في المرحلة الابتدائية والتي أصبحت مدة الدراسة بها ست سنوات، السلمان، محمد . مرجع سابق، ص٢١١ – ٢١٤ .

(٢) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٨٥ .

(٣) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥٧. مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٦٦ .

(٤) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥٨ .

زيادة الحفظ [1]، وهناك مدرسة النجاح في المدينة المنورة ومدرسة التهذيب[2] ومن المدارس في جدة مدرسة النجاح التي زارها البلغيثي ونظم فيها أبياتًا من الشعر أثنى فيها على إدارتها ومعلميها، كما تذاكر معهم في عدة مسائل علمية استدل منها على غزارة علمهم، ولم يبين هل هذه المدرسة أهلية أم حكومية وهي من المدارس الأهلية؛ لأن المدارس الحكومية كان يطلق عليها المدارس الأميرية[3]،ومن المدارس الحكومية التي ورد ذكرها لدى الرحالة المدارس الأميرية السعودية والتي افتتحت في عدد من مدن الحجاز في مكة، والمدينة، وجدة، ففي المدينة كانت الابتدائية الأميرية على مقربة من الباب المجيدي أحد أبواب الحرم المدني[4]، وأسماها محمود ياسين (المدرسة المجيدية)[5]،ومن مدارس الطائف (المدرسة النموذجية) وقد أطلق عليها عبدالوهاب عزام اسم (مدرسة أولاد الأمراء)[6]،وأنشأها الأمير فيصل بن عبدالعزيز ليتعلم فيها أبناؤه مع أبناء الشعب [7]، وهناك مدرسة دار التوحيد، وقد أسست عام ١٣٦٥هـ للتخصص في تدريس العلوم الدينية وتخريج القضاة[8]، كما كان هناك عدد من المدارس الحكومية في ينبع ورابغ والمسيجيد، ففي ينبع مدرسة أولية ابتدائية زارها المازني مع وفد الصحافة المصرية عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م وكان يديرها مدرس مصري طبقًا لمناهج

(١) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٨٦ ، ص١٢٢ .
(٢) المرجع السابق، ص١٨٠ .
(٣) البلغيثي، أحمد . مرجع سابق، ص١٦ .
(٤) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٨٠ .
(٥) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٢٣ .
(٦) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣١٣ .
(٧) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٩٧ .
(٨) المرجع السابق، ص٩٨ .

التعليم المصرية، وفيها نحو مئة وتسعين تلميذًا، ذكر أنهم متفاوتو الأعمار والأطوال، وليس لهم زي موحد[1].

ولم يقتصر الاهتمام على المدارس التحضيرية والابتدائية فقد أنشئت المعاهد العلمية السعودية في مكة والمدينة وعنيزة والرياض، وهي توازي المرحلة الثانوية، والهدف منها تخريج مدرسين لتغطية الاحتياج في المدارس الحكومية[2]. ومن أوائل هذه المعاهد المعهد العلمي السعودي الذي أقيم في حي أجياد بمكة المكرمة[3]، وكان إنشاؤه عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ، ثم تم افتتاح عدد من المعاهد العلمية السعودية في كل من المدينة وعنيزة والرياض[4]، كما تم إنشاء مدرسة (تحضير البعثات) لإعداد الطلاب للابتعاث إلى مصر وغيرها من الدول. وذكر أحمد عيسى في أثناء رحلته عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م [5] أنه يدرس فيها ٧٠ طالبًا، وأنه لم يتخرج منها أي دفعة حتى تاريخ زيارته، وأبدى ملحوظاته حول تلك المدرسة، فالتعليم فيها يشبه التعليم في المدارس الثانوية في مصر من بعض النواحي، إلا أن مستوى التعليم في تلك المدرسة لا يزال في نظره دون مستوى التعليم في الثانويات المصرية، وأشار إلى أن مادة اللغة الإنجليزية التي تدرس فيها بحاجة إلى كفاءات غير متوافرة في ذلك الوقت، وأن المادة العلمية التي يحصل عليها التلميذ لا تؤهله للالتحاق بجامعة (فؤاد الأول) في مصر، واقترح ندب مدرسين مصريين لتدريس مادة اللغة الإنجليزية [6]، وعلى الرغم مما ذكره أحمد عيسى فقد تخرج منها كثير من

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٢١ .
(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٠١ .
(٣) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٦٤. الهواري، أحمد . مرجع سابق، ص١٣٠.
(٤) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٠١ .
(٥) كان إنشاء مدرسة (تحضير البعثات) عام ١٣٥٥هـ وزيارة المؤلف عام ١٣٥٦هـ أي بعد عام من إنشائها، وهذا ما دفعه إلى القول بأنه لم يتخرج منها أي فوج، عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص١٧٩.
(٦) المرجع السابق، ص١٧٩ .

الدفعات التي تم ابتعاثها إلى الخارج [1] وأول دفعة تخرجت من تلك المدرسة كانت عام ١٣٥٨هـ/ ١٣٥٩هـ [2]. ولا شك أن من أبرز الجهود التعليمية في عهد الملك عبدالعزيز إنشاء كلية الشريعة عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م واشترط لقبول الطالب فيها حصوله على شهادة الثانوية العامة [3]، وورد ذكر تلك الكلية لدى محمد رفعت في الحوار الذي دار بينه وبين مدير المعارف محمد بن عبدالعزيز بن مانع، حيث بين الهدف من إنشاء هذه الكلية بقوله: «وفيها كلية الشريعة لتخريج القضاة))[4]. وعلى كل فإننا نخلص مما سبق أن تركيز الرحالة واهتمامهم كان منصبًا على المدارس في الحجاز لأسبقية إنشائها من ناحية، ولكون غالبية تلك الرحلات لمنطقة الحجاز، وقد لمس عدد من الرحالة بأنفسهم مدى التطور في النواحي التعليمية، وأن الأمور تسير إلى الأفضل. يقول محمد حمدي: ((وقد لاحظنا أن نسبة المتعلمين من الشباب السعودي ارتفعت بدرجة ملحوظة في السنوات الأخيرة))[5]. وكان حكمه هذا من خلال لقاءاته العديدة: « وقد التقيت بفندق مكة المكرمة ... بكثير من علماء الحجاز. وشبابه المثقف ولمست مدى التقدم العلمي في هذه البلاد على يد الحكومة الحاضرة))[6]. وقد انتشر التعليم الحكومي في أنحاء المملكة بعد أن كان قاصرًا على منطقة الحجاز، وقد دهش أحمد حسين حين سمع أن مدرسة الهفوف يزيد عدد طلابها على الستمائة فقال: « وقد هالني هذا العدد الضخم وطلبت أن أزور المدرسة لأفرح برؤية مؤسسة يتعلم فيها ستمائة شاب ألوان العلم الحديث))[7]. وقد رأى الرحالة أن نظام التعليم في المملكة يرتكز

(١) السوادي، محمد . مرجع سابق، ص٩٧ .
(٢) السلمان، محمد . مرجع سابق، ص٢٦٥ – ٢٦٦ .
(٣) **صحيفة أم القرى**، العدد ١٢٨٣ في ١٣٦٨/١٢/٢٩هـ، ص١.
(٤) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٠١ .
(٥) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص١٩٨ .
(٦) المرجع السابق، ص١٩٩ .
(٧) كانت رحلة أحمد حسين عام ١٣٦٧هـ، حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٣٢ .

على الجانب الديني، حيث كانت المواد الدينية أهم وأبرز المواد التي تدرس في مدارس المملكة، سواء الحكومية منها أو الأهلية[1]، وهذا أمر طبيعي فالمملكة قامت على أساس راسخ من الدين الإسلامي في جميع نواحي الحياة، كما وجد الرحالة الاقتباس من نظم التعليم من الدول العربية المجاورة وخاصة مصر، ومن ذلك برامج التعليم، وهذا ما صرح به مدير المعارف العامة محمد بن مانع[2]،ولا شك أن هذا الاقتباس كان بما يتوافق مع نظم البلاد واحتياجاتها، كما تمت الاستعانة بعدد من المعلمين المصريين إضافة إلى جنسيات أخرى، ومن الخطوات التي اتبعتها الدولة لنشر التعليم وتشجيع الطلاب على الالتحاق بالمدارس مجانية التعليم حتى في المدارس الأهلية، فنسبة التلاميذ الذين يدفعون أجرًا في تلك المدارس الأهلية كانت نسبة ضئيلة من الأسر القادرة[3] ، أما التعليم الحكومي فكان مجانيًا، بل إن الحكومة تدفع مكافآت للطلاب نظير استمرارهم في التعليم وانقطاعهم له، وتختلف تلك المكافأت حسب إمكانات المدرسة وميزانيتها [4] . وهذا الإجراء يعود إلى تسرب الطلاب من مراحل التعليم المختلفة لمساعدة أولياء أمورهم في كسب لقمة العيش، وحتى يحد الملك عبدالعزيز من هذه الظاهرة أضاف إلى مجانية التعليم مكافآت تصرف للطلبة، وخاصة في المراحل العالية لقلة الإقبال عليها. وأورد محمد رفعت أمثلة لتلك المكافأت نقلاً عن مدير المعارف لطلبة المعهد السعودي حيث يتقاضى الواحد منهم ١٦٠ ريالاً شهريًا وطلبة كلية الشريعة يتقاضى الواحد منهم ٢٤٥ ريالاً شهريًا، وطلبة التعليم الثانوي كان يصرف لكل طالب منهم مبلغ ٦٠ ريالاً شهريًا، وهذه المكافأة لها قيمتها وحسابها بالنسبة لظروف الحياة في ذلك الوقت [5].

---

(١) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٧٧، رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٠١ .
(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٠١ .
(٣) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص١٧٨ .
(٤) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥٨ .
(٥) رفعت، محمد ، مرجع سابق، ص١٠٢ .

وكان الاهتمام بتنوع التعليم يشمل إنشاء المدارس ذات التخصصات المختلفة بما فيها الفنية والمهنية، ومن ذلك إنشاء مدرسة للتجارة المتوسطة بمكة المكرمة، ومدرسة للصناعات الميكانيكية والكهربائية في جدة، ومدرسة لتعليم الآلة الكاتبة العربية والإنجليزية، كذلك تم إنشاء مدرسة لتعليم اللغتين الإنجليزية والفرنسية في مكة المكرمة .

واهتمت الدولة بالتعليم العسكري، فقد وجدت في الطائف بعثتين إنجليزيتين لتدريب الجيش على الأسلحة الحديثة، وفي الظهران بعثة أمريكية لتدريب طلبة الطيران الحربي، وفي مكة مدرسة لتخريج الضباط اسمها (مدرسة الشرطة) مدة الدراسة فيها سنة واحدة، ويمنح الطالب فيها مكافأة شهرية قدرها ١٨٥ ريالاً سعوديًا[١].

وكان لظهور النفط أثره الكبير في التعليم في المملكة من حيث توافر الإمكانات المادية للنهوض بالتعليم وأيضًا كان لشركة أرامكو دورها التعليمي في المنطقة الشرقية خاصة[٢]. وقد شهد أحمد حسين تلك المدارس التي أنشئت لتعليم العمال القراءة، والكتابة وقواعد الميكانيكا، ولتدريبهم على مختلف الصناعات، بل إنه دهش حين شاهد مدرسة لتعليم القيادة على الأصول الفنية الحديثة[٣]،وكان الهدف من هذه المدارس تحسين مستوى الأداء لأولئك العمال إضافة إلى نشر الوعي الثقافي بينهم حتى يسهل التعامل معهم والاحتكاك بهم[٤]. وأكد أحمد حسين حرص الحكومة السعودية على أن

(١) المرجع السابق، ص١٠٣ .
(٢) أبو علية، عبدالفتاح. مرجع سابق، ص٢٢٢ .
(٣) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٩٧، ص٣١٩ .
(٤) فتحت الشركة مدارس مهنية تدريبية لتحسين أوضاع موظفيها، وللحصول على طاقة بشرية مدربة تدريبًا فنيًا يمكن بواسطتها أن توظف السعوديين استجابة لشروط العقد مع الحكومة السعودية. أبو علية، عبدالفتاح . مرجع سابق، ص٢٢٢ – ٢٢٣ .

يتعلم أبناء المملكة ليستطيعوا بالتدريج الإشراف على هذه الشركات، لذا تم إرسال البعوث العلمية إلى أمريكا وأوربا ومصر وغيرها . يصف الأمير سعود بن عبدالعزيز هذه الجهود: « وعندما يعود إلينا أبناء البلاد وقد حذقوا ما حذقوا من العلوم سيزداد سلطاننا على مواردنا وتزداد رقابتنا على أعمال هذه الشركة بأكثر مما هي الآن))[1].

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦٧ .

الفصل الخامس

الجوانب الاقتصادية من خلال الرحلات العربية

- الزراعة
- الرعي
- التجارة
- الصناعة
- النفط
- الميزانية
- النقد

المشروعات الاقتصادية :

- الاتصالات
- مشروعات المياه

الزراعة :

لا شك أن الزراعة من أهم جوانب النشاط الاقتصادي؛ لأنها تؤمن للسكان غذاءهم الذي هو قوام حياتهم، وقد أدرك الرحالة من خلال جولاتهم أن الكثير من الأراضي في عدد من مناطق المملكة تتميز بخصوبة التربة وصلاحيتها للزراعة، كما أن هناك أراضي أخرى يمكن استصلاحها، ولكن على الرغم من وجود الأراضي الصالحة للزراعة وتوافر المياه الجوفية إلا أن الكثير من العقبات كانت تعترض النشاط الزراعي والتوسع فيه، فأساليب الزراعة البدائية الشاقة وعدم توافر آلات الزراعة الحديثة والمرشدين الفنيين الزراعيين وافتقار الأراضي الزراعية إلى أساليب الري والصرف الحديثة، كل هذه الأسباب أدت إلى عدم التوسع في الزراعة والاقتصار على زراعة الضروري للاستهلاك المحلي، وهذا ما دفع عددًا من الرحالة إلى طرح كثير من الاقتراحات لتحسين تلك الأوضاع. ومن أوائل الرحالة اهتمامًا بهذه الناحية الريحاني حيث يقول: « إني على يقين من أن الآبار الارتوازية في الوشم، وبناء السدود والقني، واستخدام الآلات البخارية للرفع والدفع تمكن أهله من زرع كل باع فيه فتزداد غلاله عشرة أضعاف . وما يصح في الوشم يصح في القصيم »[1].

ويولي عبدالوهاب عزام اهتمامًا بالغًا بكل ما يتعلق بالزراعة فهو يصف ما مر به من موارد المياه من آبار وعيون ومدى غزارة الماء أوشحه، وكذلك المزارع والبساتين وإنتاجها من الحاصلات الزراعية، ويبدي ملحوظاته حول ما يمكن استصلاحه من تلك الأراضي[2] وكذلك فعل شكيب أرسلان حيث يقول: « وإن الحجاز فيه بقاع زراعية هي في الدرجة القصوى من الخصب والزكاء، ولكن ينبغي لها المال والعلم فلا بد من بناء السدود كما

(١) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ٦٠٢.
(٢) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق ، ص ٢٠٩ ـ ٢١١.

كانت من القديم، ومن حفر الآبار الارتوازية لاستنباط المياه، ومن الاعتماد في السواني على الآلات الرافعة البخارية (المواتر)))[1].

وكانت شؤون الزراعة حاضرة دائمًا في ذهن الملك عبدالعزيز، فهو يهتم بأخبار الأمطار في جميع أنحاء البلاد ويستبشر بها، وهو دائم الحديث عنها في مجالسه، وكان يبدي قلقه في سنوات القحط أو قلة المطر[2].

واهتمام الملك عبدالعزيز بأخبار الأمطار يدل على حرصه على مصالح رعيته في المناطق التي تعتمد على الأمطار في زراعتها، ولا يعني هذا شح المياه في مناطق المملكة عامة، بل إن بعض المناطق تتوافر فيها المياه الجوفية بكميات كبيرة، من ذلك منطقة الوشم والخرج والأفلاج والأحساء. واستشهد الريحاني على غزارة الماء في الوشم بتعدد الآبار داخل القرى وخارجها[3]، ولكنه انتقد استمرار السكان على أساليب الزراعة القديمة والشاقة وعدم استخدامهم للآلات الزراعية الحديثة، وعزا ذلك إلى تمسكهم بالتقاليد الزراعية القديمة وعدم رغبتهم في التغيير، وضرب مثالاً لذلك بأحد أعيان منطقة القصيم حين سأله عن عدم استخدامه للآلات والمكائن الزراعية لاستخراج الماء فكان رده: ((سمعنا أن السلطان عبدالعزيز يبغي استخدامها في الحسا فمتى فعل نتبعه إن شاء الله))[4]. وقد يحمل رأي الريحاني جانبًا من

(١) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص٢١٨ .
(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٠٩ – ٢١٠ .
(٣) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**،ج٢، ص٦٠١ .
(٤) يصف الريحاني أساليب الزراعة القديمة ومدى تمسك الناس بها حتى أغنيائهم وأعيانهم، وكان ذلك في أثناء وجوده في عنيزة حيث يقول: ((لعبدالله أرض خارج المدينة حفر فيها قليبا عمقه ثمانون قدمًا وعرضه خمسة وعشرون بعشرين، يشتغل في رفع المياه منه عشرة جمال، وهو مطوي بالحجارة محكم البناء. كلفه أربعمائة ليرة إنجليزية، ويكلفه رفع المياه يوميًا ليرة واحدة فى الأقل . أما ثمن الآلة البخارية فلا يزيد على نصف كلفة القليب، وثمن البترول أقل من أجرة الجمال . وعبدالله البسام الذي ساح في مصر والعراق والهند يدرك ما في الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير والسرعة في العمل، ولكنه عربي. والعرب في الزراعة على طريقة ملوكهم وأجدادهم)). الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦١٠.

الصحة من أن الناس لا يرغبون في التغيير ولكن هناك أسباب أخرى وراء ذلك، فرحلته كانت في فترة مبكرة نسبيًا عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م .

واستيراد الآلات الزراعية يشكل عبئاً اقتصاديًا على الدولة مع قلة مواردها وخاصة قبل ضم الحجاز، إضافة إلى حاجة تلك الآلات إلى الوقود الذي يصعب توفيره بشكل دائم قبل اكتشاف النفط، وحاجة هذه الآلات إلى الصيانة والإصلاح مع عدم وجود مهندسين أو فنيين، وكانت الحكومة تدرك تلك العقبات فحاولت جاهدة تذليلها حسب الإمكانات المتاحة .

فبعد ضم الحجاز تم إنشاء مديرية الزراعة العامة للاهتمام بالنواحي الزراعية، وكان مقرها الرئيس في جدة، وأنشئت لها فروع في جميع أنحاء المملكة[1]، وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م صدر الأمر الملكي بإعفاء الآلات الزراعية البخارية والمحاريث الزراعية المستوردة من الرسوم الجمركية، مع أن هذه الرسوم كانت تشكل موردًا مهمًا للدولة في تلك الفترة، كما رفعت الرسوم الجمركية عن الواردات من الغاز والزيت الأسود (الديزل) بهدف تشجيع المزارعين[2].

وقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز بالزراعة يشكل وعيًا مبكرًا، فعلى الرغم مما يعتقده الكثيرون من سكان البلاد وغيرهم من أن موسم الحج واكتشاف النفط هما مصدر ثروة المملكة وعماد حياتها كان الملك عبدالعزيز يدرك أن الزراعة هي التي ترفع مستوى الشعب وتسد حاجته كما أنها قوام حياته. وقد أبدى أحمد حسين إعجابه بوعي الملك عبدالعزيز وإدراكه لحقيقة المشكلة الاقتصادية في بلاده: « وعندما رحت أحدث الملك عما رأيت وشاهدت إذا به يجمل الموقف الاقتصادي لبلاده في كلمة واحدة

(١) وكان يتولى الإشراف عليها محمد الصبان بينما يتولى إدارتها صالح قزاز، وخلفه في إدارتها أحمد عبيد. رضا، محيى الدين. **طويل العمر**، ص٧٣، رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٨١ .

(٢) مظهر، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٨٦ ، ٨٧ .

وهي الزراعة قال لي: إن هذه البلاد بحاجة إلى أن تزرع الكثير لإطعام أهلها، وهناك الأرض الصالحة والأيدي العاملة ولكنا في حاجة إلى الفنيين، وفي هذا السبيل يجب أن نعمل وسوف نعمل))[1]. ويتضح من حديثه حرصه على أن تقوم الزراعة في بلاده على أسس صحيحة، فتوافر الماء والأرض الصالحة للزراعة والأيدي العاملة لا يكفي للنهوض بالزراعة، إذ من الأهمية بمكان توافر الفنيين والمرشدين لتخطيط الأرض الزراعية على الأصول الهندسية واختبار صلاحيتها للزراعة وإرشاد المزارعين لأفضل الطرق والوسائل لاستصلاح الأرض وزراعتها لتلافي المشكلات الزراعية الناجمة عن الجهل بالأساليب الزراعية الصحيحة، وفكرة الملك عبدالعزيز حول أهمية الإرشاد الزراعي قريبة مما ذكره عبدالوهاب عزام من خلال مشاهداته عن حاجة البلاد لذلك: ((وعلى مقربة من القلعة آبار واسعة لا تزال متينة البناء ... ولو قدر الزارعون وأرشدوا لزرعوا أرضًا واسعة من هذه الآبار))[2].

وقد قامت مديرية الزراعة ببث الخبراء والفنيين لإرشاد المزارعين في عدد من المناطق الزراعية المهمة، ففي الخرج كان هناك عدد من الفنيين الزراعيين المصريين[3]،ثم تم الاستعانة بشركة أرامكو لتوفير الخبراء والفنيين الزراعيين للمشروعات الزراعية في الخرج والأحساء [4].

ولا يقتصر أمر الإرشاد الزراعي على المشروعات الزراعية التي أقامتها الدولة، بل شمل عامة المزارعين ، حيث تم تعيين ثلاثة خبراء زراعيين للأحساء وتوابعها واثنين آخرين للقطيف وقراها، وأقام الخبراء الزراعيون في وادي فاطمة والطائف، كما تم إرسال بعثة فنية إلى المدينة المنورة وقراها [5].

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٣٤٦ .
(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٤٠ .
(٣) بدوي، حسين. **الزراعة الحديثة بالمملكة العربية السعودية** . ـ القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٤٥م،ص٦٠ - ٦١.
(٤) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٧٩، أبو علية، عبدالفتاح. مرجع سابق، ص٢٠٦.
(٥) رضا، محيى الدين، **صور ومشاهدات**، ص١٥، ص٣٧، ص٩٦ .

وبلغ من الاهتمام بالإرشاد الزراعي وتوسيع نطاقه أن استعانت مديرية الزراعة بالإذاعة السعودية بعد إنشائها، وكذلك الصحف المحلية، وقد أثنى محمد رفعت على كفاءة هؤلاء الفنيين والمرشدين الزراعيين بقوله: ((ويقوم بالإرشاد الزراعي الفني في أنحاء المملكة خبراء مختصون))[١].

ولم يكتف الملك عبدالعزيز بتوفير المرشدين الزراعيين وإعفاء الآلات الزراعية ووقودها من الرسوم الجمركية، بل امتدت عنايته بالزراعة إلى أوسع من ذلك، حيث نشر محمد رفعت تقريرًا عما بذل في مجال الزراعة نقلاً عن مدير الزراعة[٢]، وقد أورد في هذا التقرير حقائق مدعمة بالأرقام تعطي فكرة عن مدى الاهتمام بالزراعة ودعم المزارعين وتشجيعهم على الرغم من قلة الموارد المالية، فقد استوردت مديرية الزراعة ما بين عامي ١٣٥٠-١٣٥١هـ (٢١٠٠) مضخة رافعة للمياه يبلغ متوسط ما ترفعه الواحدة (٣٠٠ جالون) في الدقيقة، وتم بيعها على المزارعين بالتقسيط على أربع سنوات، وبلغت قيمتها (٦,٣٠٠,٠٠٠) ريال دفع المزارعون قسطًا منها، وأعفاهم الملك عبدالعزيز من باقي الأقساط وقدرها خمسة ملايين ريال، كما تعاقدت الحكومة السعودية مع وكلاء توريد (المكائن) الزراعية في المملكة بشروط معينة لصالح المزارعين، كتحديد نسبة الأرباح وتوفير قطع الغيار، وتأسيس ورش الإصلاح في المناطق الزراعية كافة، وتوفير المهندسين لتلك الورش ثابتين ومتجولين[٣].

ولا شك أن اكتشاف النفط كان له أثره في أوجه النشاط الاقتصادي مما دفع أحد الرحالة للقول: ((والمرجو أن يكون لظهور ينابيع الزيت ... وأن يكون للاهتمام العظيم الذي يبديه جلالته نحو تقدمها زراعيًا أثر فعال سريع في رفع

(١) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١١١.
(٢) كان مدير الزراعة في ذلك الوقت أحمد عبيد الذي تولى الإدارة خلفًا لصالح قزاز. رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٨١.
(٣) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٨١.

مستواها إلى الدرجة التي تسمح بها هذه الموارد الجديدة إن شاء الله تعالى))[1].

وبالفعل بعد تصدير النفط بكميات تجارية وتزايد العوائد النفطية استثمر الملك عبدالعزيز تلك العوائد في دعم الأنشطة الاقتصادية الأخرى ومنها الزراعة، حيث استمرت مديرية الزراعة في سياستها السابقة من توفير الآلات الزراعية وتقسيطها على المزارعين، وتم توريد كميات أخرى من (المكائن) الزراعية ففي عام ١٣٧١هـ تم الاتفاق مع وكالات (المكائن) الزراعية[2]. لتوريد ما قيمته أربعة ملايين وخمسمائة ريال، وتولت الحكومة توزيعها على المزارعين في أنحاء المملكة بالتقسيط على أربع سنوات كالطريقة السابقة، ويؤكد مدير الزراعة أنه على الرغم من توزيع هذه الكميات من (المكائن) والآلات الزراعية إلا أنه ما زالت الطلبات متراكمة على مديرية الزراعة[3]، مما يدلنا على النشاط الزراعي الذي عم أنحاء المملكة واندفاع المزارعين لاستخدام الأساليب الحديثة لاستصلاح وإحياء الأراضي الزراعية، وهذا لاشك كان نتيجة التسهيلات المقدمة لهم، فبالإضافة إلى ما سبق كان يتم إقراضهم تقاوى القمح والحنطة والشعير سنويًا[4]، وتقديم القروض المالية لهم، ففي السنوات الأخيرة من عهد الملك عبدالعزيز تم رصد مبلغ مليوني ريال لإقراض المزارعين المستحقين في الأحساء ورصد مبلغ نصف مليون لإقراض مزارعي القطيف، ويكون استيفاء هذه القروض من المزارعين على أربعة

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص١١٣ .
(٢) ومن وكلاء المكائن الزراعية الذين تم الاتفاق معهم – الشركة التجارية العربية – وكلاء مكائن (رستن)، والجفالي وكلاء مكائن (ناشيونال دبيتر)، وشركة متشل كوتس وكلاء مكائن (تانجي)، رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٨١، ١٨٢ .
(٣) المرجع السابق، ص١٨١ .
(٤) المرجع السابق، ص١١١ .

أقساط، يبدأ دفع القسط الأول المستحق عليهم في نهاية العام الثاني من تسلم هذه القروض[1].

كما تم انتداب هيئة فنية وأخرى مالية لتتولى شؤون وسائل الري والزراعة في المدينة المنورة بالاشتراك مع فرع مديرية الزراعة هناك، على أن يتم إعطاء المزارعين قروضًا مالية مقسطة تعينهم على النهوض بفلاحة مزارعهم وبساتينهم، كما تقوم هذه الهيئة بوضع نظام لكيفية تنفيذ هذه الأوامر، وبالفعل تم إعداد الإجراءات لتوزيع قرض زراعي لمزارعي المدينة المنورة قدره (٨٠٠) ألف ريال[2].

وإضافة إلى الإعانات المقدمة للمزارعين كان على الحكومة السعودية مواجهة الصعوبات التي تعترض المشروعات الزراعية وأبرزها ارتفاع منسوب المياه الجوفية الذي ينتج عنه زيادة الأملاح في التربة ويؤدي إلى بوارها، وقد بذلت محاولات كثيرة لحل هذه المشكلة منها زراعة أراضٍ جديدة تكون أفضل صرفًا من الأراضي السابقة، وبعث الخبراء والفنيين لدراسة تلك المشكلة وإيجاد الحلول، كما قامت مديرية الزراعة بتجارب ناجحة في الخرج والهفوف والمدينة المنورة لصرف المياه وإزالة الأملاح المترسبة في التربة خاصة في الأراضي المنخفضة[3].

ومن الصعوبات اعتماد عدد من المناطق على مياه الأمطار في الزراعة وهذا يجعلها معرضة لتذبذب منسوب الأمطار وسنوات القحط إضافة إلى تسرب مياه الأمطار في رمال الأودية وعدم الاستفادة منها، وقد تم فتح الاعتمادات المالية لإنشاء السدود في أنحاء المملكة، وقد ذكر محمد رفعت عددًا من تلك السدود والميزانية المعتمدة لها؛ منها سلسلة من السدود الباطنية

(١) رضا، محيي الدين. **صور ومشاهدات**، ص١٥.
(٢) المرجع السابق، ص٣٧ – ٣٨، ص١٧٣.
(٣) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٨٢. حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٧٨.

لمنطقة الرياض ووادي حنيفة وتكلفتها خمسة ملايين ريال، وسد وادي العشر بمكة المكرمة بتكلفة مليوني ريال، وسد وادي عكرمة بالطائف بتكلفة (١,٥) مليون ريال[١].

ولا شك أن لهذه الجهود أثرها الواضح في قيام كثير من المشروعات الزراعية في أنحاء المملكة وسوف نعرض فيما سيأتي لأبرزها :

الخــرج :

تقع الخرج إلى الجنوب من مدينة الرياض، وهي مشهورة بخصب التربة ووفرة المياه، وقد أولى الملك عبدالعزيز عنايته بتوسيع النطاق الزراعي في الخرج حيث يمكن عن طريقه توفير الغذاء لقطاع كبير من السكان في مدينة الرياض والبلدان التابعة لها[٢]، وقد طلبت الحكومة السعودية عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م من الحكومة المصرية أن توفد لها بعثة زراعية، فوضعت تلك البعثة تقريرًا يفيد أن كثيراً من الأراضي الزراعية في الخرج بحاجة إلى مشروعات الصرف إلى جانب مشروعات الري[٣].

وقد دهش عدد من الرحالة لغزارة المياه في منطقة الخرج، حيث شاهدوا عيون الماء فيها، ويصف أحمد حسين عين الماء الرئيسة (سمحة) بقوله: « ولم نكد نصل إليها حتى رأينا منظرًا عجبًا فذًا فريدًا، فهذه فجوة ضخمة طول أحد أضلاعها ثمانون مترًا وعرضها خمسون، وهي غائرة في أرض صخرية، وكأن العين قد نحتت نحتًا فالجدران ملساء وعمودية، وفي

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٨٢ .

(٢) وقد أوكل الملك عبدالعزيز لوزير المالية عبدالله السليمان الحمدان العناية بالمشروعات الزراعية في الخرج، وكان له كثير من الجهود والإسهامات في هذا المجال. بدوي، حسين. مرجع سابــق، ص٧٢ ،

Armstrong, Op, Cit, 229.

(٣) المرجع السابق، ص٧٢ .

أسفلها الماء في مساحة كبيرة يبلغ مسطحها حوالي أربعة آلاف متر مربع... ذلك أن عمق الماء يزيد على ثلاثمائة قدم)) .

كما وصف عددًا آخر من العيون مشابهة لتلك العين في هيئتها وغزارة مائها[1].

وحتى يتم تحقيق أقصى استفادة ممكنة من ذلك المشروع تم الاستعانة بخبراء أمريكيين عن طريق شركة (أرامكو) والذين جاءوا بعد البعثة المصرية، وقام هؤلاء الخبراء بتركيب كثير من الآلات والمكائن على تلك العيون، تدار عن طريق محطة توليد للقوى الكهربائية، حيث يسحب الماء في مواسير ضخمة ثم يصب في مجارٍ وقنوات ليصل إلى الحقول، وتم الاستعانة بمئات العمال، واستخدمت الآلات الزراعية كالمحاريث والجرارات، كما أقيمت ورش لإصلاح تلك الآلات[2].

ومن مظاهر نجاح مشروع الخرج زيادة أشجار النخيل وزراعة القمح والشعير، ولم يقتصر المشروع على زراعة المحاصيل التقليدية، بل تم زراعة محاصيل جديدة، منها الذرة المصرية الصفراء والتي لا تستغرق في نموها إلا نصف المدة التي تستغرقها الذرة المحلية، والذرة الشامية والتي تميزت بجودة إنتاجها، إضافة إلى البرسيم المصري والذي يجود صيفاً وشتاءً بعكس البرسيم المحلي الذي ينتج صيفاً فقط[3]، وعدد من الخضراوات والفواكه، كما نجحت زراعة الأرز[4]، ولقد لفت نظر عبدالوهاب عزام جودة القمح والشعير المزروع فيها[5].

---

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

Kay, Shirley, Travels IN, Saudi Arabia, Edited by Rosalind Ingrams, P. 159 – 160 .

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٣) رضا، محيي الدين . **طويل العمر**، ص٧٢،

Kay, Shirley, Op, Cit, p. 160.

(٤) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٧٢ .

(٥) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٢٤ .

وتم في بداية الأمر استصلاح جزء من الأرض وزرعت قمحًا وأرزًا، وبعد نجاح مرحلة التجربة الأولى تم التوسع في المساحة الزراعية . وفي المرحلة الثانية تم تخطيط الأراضي الزراعية، وأدخلت (روضة البجادية) ضمن المشروع وهي مشهورة بخصب التربة[1]. وقد واجهت المشروع عدة صعوبات تمثلت في عدم توافر الصرف لمياه الري، وأيضًا ارتفاع منسوب المياه الجوفية، مما يؤدي إلى زيادة الأملاح في التربة ويتسبب في بوار التربة، وقد بذلت محاولات كثيرة لحل هذه المشكلات، منها زراعة أراضٍ جديدة تكون أفضل صرفًا من الأراضي السابقة، فالمحاولات الزراعية التي تمت في تلك المرحلة كانت تجارب ومحاولات لاستصلاح الأراضي الزراعية، وقد قامت البعثة الأمريكية بإجراء دراسة شاملة للمشروع بهدف معرفة أفضل الطرق لاستصلاح تلك الأراضي[2].

الأحساء :

اشتهرت الأحساء بينابيع المياه، ومن هنا أخذت الأحساء اسمها وشهرتها، وقد دهش أحمد حسين لزراعة الأرز في الأحساء، وعزا ذلك إلى وفرة الماء، فالأرز يحتاج إلى ماء دائم[3]، وفي اعتقادنا أن الأرز المزروع في الأحساء يكفي لاستهلاك المنطقة المحلي ولا يصدر إلى المناطق الأخرى، حيث لم ينل شهرة أو ذكرًا في المناطق الأخرى والمشهور في تلك الفترة الأرز المستورد من الهند، والأرز المستورد من العراق الذي يطلق عليه اسم (التمن) وهو أنواع ودرجات [4] . وتجود زراعة النخيل في الأحساء، حيث اشتهرت بكثافة إنتاجها من التمور، وكانت تصدر كميات وفيرة إلى دول الخليج

(١) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٧١. عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٢٢٧.
(٢) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٧٨ .
(٣) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٣٣١ .
(٤) مصطفى، محمد شفيق . مرجع سابق، ص٢٢ .

العربي ونجد وأنحاء شبه الجزيرة العربية، وأشجار النخيل في الأحساء كالغابات في كثافتها وكثرتها [1] .

المدينة المنورة :

تشتهر المدينة المنورة بزراعة النخيل، وتمرها له شهرته منذ عهد الرسول ﷺ، وهو قوام حياة السكان منذ زمن بعيد، وتتعدد أنواع التمور في المدينة المنورة، ويتم تموين مدن الحجاز الأخرى من تمور المدينة، كما يقبل الحجاج وزوار المدينة على أصناف منه، ولا تقتصر منتجات المدينة على التمور حيث يزرع القمح إلى جانب النخيل في كثير من بساتين المدينة[2]، كما تزرع أشجار الفواكه وأنواع الخضراوات[3]، وتنتشر البساتين حول المدينة المنورة وفي البلاد القريبة منها، حيث تشتهر العلا بزراعة النخيل وأشجار الفاكهة، وتنتج إضافة إلى التمور الليمون الحامض والحلو والرمان والخوخ والعنب والبطيخ، وأنواع الخضراوات من طماطم وباذنجان وقثاء، وأنواع الحبوب كالقمح والشعير والذرة [4].

الطائف :

كانت الطائف ولا تزال المصدر الرئيس للمنتجات الزراعية في الحجاز، حيث يتم إمداد مكة المكرمة وجدة بحاجتها من تلك المنتجات، وقد اشتهرت بإنتاج أنواع من الفاكهة مميزة منها العنب والسفرجل والرمان والمشمش والخوخ والكمثرى. يصف أرسلان جودتها بقوله: ((وكلها عدا الحماط أي التين هي في الطبقة العليا بين الفواكه، أما الرمان فهو كحب الياقوت ليس له نظير منظرًا وطعمًا ....))[5] .

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٣٣١،
Kay, Shirley, Op, Cit, P. 182.

(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٣٥٣ .

(٣) الطنطاوي، علي . مرجع سابق، ص١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص٨٤ ، ٨٥ .

(٥) أرسلان، شكيب . مرجع سابق، ص١٧٩ .

وذكر محيى الدين رضا من منتجات الطائف التين الشوكي وهو ينمو على المطر، وأثنى على عنب الطائف من حيث كبر حجمه وجودة طعمه، كما اشتهرت الطائف بزراعة الورد الذي يستخرج منه عطر مميز غالي الثمن[١] .

ومن الجهود المبذولة لإنشاء السدود في أودية الطائف ما رآه محيي الدين رضا في وادي وج في الطائف من وجود عدد من العمال يحفرون في بطن الوادي بهدف الوصول إلى طبقة صخرية تمهيدًا لاختيار المكان الأمثل لإنشاء سد يحجز الماء الذي ينحدر من ذلك الوادي، وبعد الوصول إلى المنطقة المناسبة تم الشروع في إنشاء ذلك السد . وقد التقى اثنين من المهندسين الزراعيين المصريين في الطائف، وقد انتدبا لعدة مهام منها: البحث لإنشاء السدود بهدف حفظ الماء في مواسم الأمطار للانتفاع به بقية أيام السنة وفي مواسم الجدب[٢].

وادي فاطمة :

يقع وادي فاطمة على الطريق بين جدة ومكة المكرمة، وكان يطلق عليه سابقًا مر الظهران. ويشتهر هذا الوادي بوفرة مائه، حيث توجد فيه كثير من العيون قدرها عبدالوهاب عزام بخمس وعشرين عينًا، وأكد أن هناك عيونًا أخرى طمست بمرور الزمن، وقد جلب الماء من هذه العيون إلى مدينة جدة حيث سيقت المياه في أنابيب على طول خمسة وستين كيلو مترًا، وكان في الوادي أحواض مبنية يمر فيها الماء وينقسم بين الأنابيب الذاهبة إلى جدة وبين المزارع هناك[٣].

---

(١) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات**، ص٩٩ – ١٠٠ .
(٢) المرجع السابق، ص٩٩ .
(٣) عزام، عبدالوهاب، مرجع سابق، ص٢٧٠ – ٢٧١ .

وغالبية الأشجار في ذلك الوادي أشجار النخيل، وهي تسقى من ماء العيون المنتشرة في ذلك الوادي، وأشهر هذه العيون عين أبو عروة ويزرع من مائها سبعة آلاف نخلة، وعين الجموم وهي أعذب عين في وادي فاطمة وعين أبي شهيب . ويوجد إلى جانب النخيل العديد من أشجار الخضراوات والفواكه، ومنها: الموز والليمون والمشمش، وأنواع الخضراوات مثل الباذنجان والخرشوف والبامية والملوخية والطماطم والبطاطس ، كما بزرع البرسيم[1] .

ومن المشروعات الزراعية التي قامت في الحجاز المشروع الزراعي في الشرائع على الطريق بين مكة والطائف، وكان بها عين لا تدر كثيرًا من الماء، وتم البحث فيها عن مصادر أخرى للمياه حتى تم اكتشاف عين جديدة ذات مياه وفيرة أطلق عليها اسم (سمحة) وزرعت منها أراضٍ شاسعة، ومن أهم منتجاتها النخيل والموز والبرتقال والخضراوات، وقامت أنشطة أخرى تبعًا للزراعة حيث أنشىء مصنع صغير للألبان ومعمل لتفريخ الدواجن وحظائر لتربية المواشي والأغنام على الطرق الفنية . وفي منطقة الزيمة قرب الشرائع ينهمر الماء منحدراً من الجبال ويسقي عدة بساتين وأبرز منتجاتها الموز والرمان[2].

كما ازدهرت الزراعة في مناطق أخرى من المملكة، حيث اشتهرت منطقة القصيم بجودة أراضيها الزراعية وتوافر المياه التي تستنبط عن طريق حفر الآبار الإرتوازية، وتساعد مديرية الزراعة المزراعين لاستنباط الماء وتمدهم بالآلات، واشتهرت القصيم بوفرة أشجار النخيل من الأنواع الجيدة، كما تزرع فيها كثير من الفواكه والخضراوات[3]. ومن المناطق الزراعية حائل والجوف، ويزرع النخيل في مدينة حائل، وتجود حائل بكثير من

---

(١) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات**، ص٩٧، المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٨٤ .
(٢) حسين، أحمد .**مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٥٧، هيكل، محمد .مرجع سابق، ص٢٩٨.
(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٨٤. الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٦، مصطفى، محمد شفيق. مرجع سابق، ص٢٧ .

المنتجات الزراعية مثل القمح والتين، كما يزرع فيها الرمان والليمون الحلو والنارنج والبرتقال والبرقوق والتفاح [1]، وتشتهر الجوف بتمورها والتي تتمون منها كثير من قبائل المنطقة في كل عام، ويزرع حولها أيضًا أنواع من الحبوب مثل: السَّمح والدُخن، والقمح والشعير[2].

الرعــي :

لقد كان لطبيعة البلاد الصحراوية تأثيرها في الأنشطة الاقتصادية للسكان ، فقد جزء من سكان المملكة من البادية، يعتمدون في حياتهم على الرعي، والتنقل بإبلهم وأغنامهم خلف العشب والكلأ، وكانت آبار المياه هي مدار حياتهم يردونها لسقيا الماء لهم ولأنعامهم، وكانت مراعيهم حول تلك الآبار أو على مقربة منها[3].

وقد رصد عبدالوهاب عزام في رحلته كثيراً من موارد المياه والمراعي المحيطة بها، وقد علم أنه إذا كثر المرعى والشجر ينتظر السائر منزلاً على ماء ؛ لأن هذه المراعي تكثر في المطمئن من الأرض الذي تجتمع إليه مياه الأمطار والسيول، فيكثر الماء في باطن الأرض[4].

ويعتمد البادية على تلك الثروة الحيوانية التي يملكونها في توفير غذائهم وسكنهم، فيشربون ألبانها، ويستخرجون منها السمن والزبد والاقط، ويغزلون الصوف من أشعارها وأوبارها، فيصنعون منه بيوت الشعر لسكناهم، كما يصنعون البسط والسجاد والمزاود والأخراج، فيستخدمونها في حياتهم اليومية، والفائض منها يتم بيعه، حيث يرد البدو أسواق المدن والقرى المجاورة، فيبيعون ما بحوزتهم من منتجات ويشترون احتياجاتهم [5] .

---

(١) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٧٢ – ٧٣ .
(٢) المرجع السابق، ص٦٠ – ٦١ .
(٣) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٤٧ .
(٤) المرجع السابق، ص٢٥٤ .
(٥) أبو علية، عبدالفتاح . مرجع سابق، ص٣٣ .

ولا شك أن مهنة الرعي في تلك الأثناء قد أسهمت في توفير الثروة الحيوانية اللازمة للاستهلاك المحلي، والذي يزداد في موسم الحج، وفي سنوات الخصب ووفرة المرعى يتزايد الإنتاج، فيصدر إلى خارج البلاد، عن طريق المنافذ التجارية البرية في شمال المملكة إلى سوريا وشرق الأردن[1].

كما يعد الرعي موردًا مهمًا من موارد الدولة، فهي تجبي الزكاة الشرعية على الماشية من إبل وأغنام، وهذه الزكاة كان يقوم بجبايتها مندوبون من الإمارة وشيوخ القبائل، ثم أصبح لها موظفوها المختصون بها[2]، فإذا حل موعد الزكاة من كل عام توجه المكلفون بجمع الزكاة إلى موطن تلك القبائل لجمع الزكاة الشرعية، ولا يقتصر ذلك على القبائل التابعة للملك عبدالعزيز، بل كانت الزكاة تجبى من بعض القبائل التي تدخل إلى حدود المملكة طلبًا للمرعى، منها قبائل شرق الأردن التي ترحل إلى وادي السرحان من كل عام، لخصوبة أرضه وجودة مراعيه، وتدفع الزكاة الشرعية لحكومة المملكة العربية السعودية[3].

التجـارة :

كانت التجارة في شبه الجزيرة العربية تواجه كثيراً من الصعوبات التي من أبرزها الاضطرابات السياسية كالحروب الداخلية والخارجية وانعدام الأمن، فقد كانت قبائل البادية تهاجم القوافل التجارية المارة بأراضيها في حال عدم دفع الرسوم لهم[4] . ويصف الريحاني اضطراب الأمن وأوضاع التجارة ويعطي مثالاً لذلك: « كانت الطرق في الأحساء في عهد الأتراك لا تعبر إلا بقوة عسكرية أو بدفع (الخوة) وكانت الطريق بين العقير والحسا، وهي طريق التجارة إلى نجد الأسفل أكثرها وأشدها أخطارًا. فكان التاجر العربي

(١) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص١١٣، التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٤٤ .
(٢) العتيبي، إبراهيم . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٣٠٥ .
(٣) التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦٣، ص٤٤ .
(٤) مصطفى، محمد . مرجع سابق، ص٦٤ .

العربي المسلم الذي يروم الوصول إلى الهفوف – مسافة أربعين ميلاً – يضطر أن يدفع (الخوة) كلما اجتاز خمسة أو عشرة أميال من هذه الطريق المخيفة، طريق التجارة والأموال... وإذا فاز التاجر المسكين بحياته وبقي شيء في كيسه، فمن المؤكد أن أحماله لا تصل كلها إلى الحسا »[1]، وكانت كثرة الضرائب التي تفرض على التجارة من قبل السلطات المحلية في كل منطقة إضافة إلى صعوبة المواصلات سببًا في ركود التجارة لفترة من الزمن[2]. ويعد توفر الأمن في عهد الملك عبدالعزيز السبب الرئيس في نشاط التبادل التجاري بين أنحاء البلاد، وتأثير الأمن في التبادل التجاري كان واضحًا منذ مدة مبكرة حتى قبل استكمال توحيد البلاد[3]. وازداد حجم التبادل التجاري بعد توحيد البلاد، وبرز كثير من المراكز التجارية في المملكة التي من أهمها مكة، والمدينة المنورة، وجدة. وقد اهتمت الحكومة السعودية بتنظيم شؤون التجارة منذ صدور التعليمات الأساسية عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م حيث أدرجت الأمور التجارية ضمن الشؤون الداخلية[4]، وفي إطار الاهتمام بالتجارة تم إنشاء مجلس تجاري في مدينة جدة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م وقد وضع للمجلس نظام مفصل، وتألف في بداية إنشائه من رئيس وخمسة أعضاء منتخبين من ذوي الخبرة في الشؤون التجارية، ومن اختصاصات المجلس النظر في القضايا الناشئة بين التجار والشؤون التجارية وقضايا الصرافة وقضايا الشركات وغيرها[5]. وقد اشتهر الحجاز منذ القدم بمكانته التجارية، حيث يتوافد

(١) (الخوة) مبلغ من المال تدفعه القوافل عند مرورها بالأراضي الخاصة بالقبائل. الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٩.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح. مرجع سابق، ص٣٧ – ٣٨.

(٣) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٨.

(٤) المادة ١١ من التعليمات الأساسية الصادرة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م. مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٥) ولهذا المجلس سلطات الفصل بين المتخاصمين من التجار، وهذا ما دفع فؤاد حمزة إلى إدراجه في كتابه ضمن الفصل المتعلق بالقضاء، حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص٢٠٣ – ٢٠٤.

الحجاج إلى الحجاز من أنحاء العالم الإسلامي في موسم الحج من كل عام ويتطلب وجودهم توفير السلع الاستهلاكية، كما يحمل الحجاج كثيراً من عروض التجارة، وفي المقابل يشترون الكثير من البضائع لإهدائها أو لغرض الاتجار في بلادهم، ولا شك أن هذا التبادل التجاري في موسم الحج يعد من الأسباب الرئيسة في النشاط التجاري في بلاد الحجاز[1]، ولا يقتصر هذا النشاط التجاري على الحاضرة في بلاد الحجاز بل يشترك البادية في هذه الناحية، حيث يستقطب موسم الحج كثيراً من أبناء القبائل لعرض منتجاتهم والإسهام في الأعمال التي لها علاقة بخدمات الحجاج.

ولا شك أن وجود الموانئ في الحجاز قد أسهم في نشاط التجارة، ومن هذه الموانئ ميناء جدة وينبع والوجه وضباء والليث، وتعد جدة أشهر هذه الموانئ نظرًا لمكانتها التجارية التي اكتسبتها من وجود الشركات والمصارف الأجنبية، وبسبب التمثيل السياسي وإقامة كثير من الأجانب فيها واشتغالهم بكثير من الأعمال المالية والتجارية، كما يتركز فيها كثير من التجار الموردين الذين يستوردون البضائع من عدد من دول العالم ويتم توزيعها في أنحاء المملكة، كما يستقبلون عروض التجارة التي تفد إليهم من أنحاء البلاد ويتولون تصديرها إلى الخارج[2]، وكان يتم عن طريق التجارة نقل المنتجات الزراعية والصناعية لأنحاء البلاد، وكذلك الثروة الحيوانية التي يتم بيعها في الأسواق المحلية، ويصدر الفائض منها إلى البلاد المجاورة. وقد تنوعت التجارة فشملت تجارة الماشية كالإبل والأغنام والأبقار، والمنتجات الحيوانية كالسمن والأقط والجلود المدبوغة والصوف، والمنتجات الزراعية كالحبوب بأنواعها، والتمور، وتجارة الملابس وأدوات الزينة والمجوهرات،

(١) رضا، محيي الدين. **طويل العمر**، ص٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص٩١، هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٣٨.

والأدوات المنزلية والملح والفحم، بالإضافة إلى تجارة اللؤلؤ على شاطئ الخليج العربي[1].

وقد عم النشاط التجاري أنحاء البلاد فنشطت حركة البيع والشراء في أسواق المملكة في عدد من المدن والقرى الكبيرة، وقد زار الرحالة عددًا من هذه الأسواق أبرزها أسواق مكة المكرمة التي يتوافر فيها أنواع البضائع المختلفة وشتى السلع الغذائية ،يصفها أحد الرحالة بقوله: « يجد المسافر كل ما تشتهيه نفسه من الحاجيات من ملبس ومأكل وكماليات »[2]. وتنافس أسواق المدينة المنورة في توفير البضائع التي تغطي احتياجات الزوار في أثناء إقامتهم في المدينة المنورة، كما تتوافر فيها الهدايا التي يحملها الزوار لأنحاء العالم الإسلامي، وتمتاز أسواق جدة بتوافر البضائع خاصة في موسم الحج وأثمانها أرخص من مكة والمدينة ؛ لأنها لا تتحمل نفقات النقل[3].

ويصف أحمد حسين أسواق الرياض بقوله: « ثم جلنا جولة في أسواق الرياض، وليست الرياض كلها في حقيقتها إلا سوقًا لهؤلاء الأعراب الذين يجيؤون من كل فج عميق من الصحراء ليشتروا ما يحتاجون إليه ... وبالجملة فقد رأينا سوقًا ضخمة غاصة بالحركة والنشاط »[4].

ووصف الريحاني عنيزة وأن فيها سوقًا كبيرة تدهش زائرها بتنوع المعروض فيها، كما وصف بريدة بأنها مدينة تجارية فهي محط رحال البدو من سائر القبائل يردونها للبيع والشراء[5].

واشتهرت الأسواق الأسبوعية في منطقة عسير، ودون فؤاد حمزة أسماء كثير من هذه الأسواق كما حدد أيام انعقادها، وتجول في عدد منها ووصف

(١) السلوم، لطيفة . مرجع سابق، ص٢٠٨ .

(٢)مصطفى، محمد شفيق. مرجع سابق، ص٥٨. الهواري، أحمد . مرجع سابق، ص١٣٧، ١٣٨.

(٣) جمعه، محمد لطفي . مرجع سابق، ص٥٦ .

(٤) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٥) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٦٠٧، ص٦١١ .

مدى رواج الحركة التجارية فيها وأصناف البضائع المعروضة، وتعقد هذه الأسواق في الهواء الطلق قريبًا من إحدى المدن أو الطرق الرئيسة، ويحضرها كثير من أفراد القرى والقبائل المجاورة(١).

وقد نشطت حركة الاستيراد والتصدير تبعًا للنشاط التجاري، وإن كانت الواردات تفوق كثيرًا الصادرات، وكانت الواردات من مختلف أنحاء العالم من أوربا واليابان والهند وعدد من البلاد العربية والإسلامية، وتنقل تلك البضائع من الموانئ المهمة على البحر الأحمر والخليج العربي إلى أنحاء البلاد إضافة إلى المنافذ البرية في شمال المملكة(٢).

ونخلص مما سبق إلى رواج التجارة في أنحاء المملكة نتيجة توفر الأمن والاستقرار وزيادة موارد الدولة، ونتج عن هذا النشاط الاقتصادي بروز كثير من المراكز التجارية المهمة كالرياض وعنيزة وبريدة، كما اشتهرت مدن معينة بكونها منافذ تجارية برية كالجوف وحائل وتبوك. وكان من نتائج النشاط الاقتصادي ما ذكره أحمد حسين من إصدار مرسوم ملكي يقضي بفرض ضريبة الدخل وضريبة الأرباح التجارية والصناعية وإيرادات رؤوس الأموال الثابتة والمنقولة(٣).

الصناعة :

اقتصرت الصناعة في البداية على الجهود الفردية المتمثلة في الحرف اليدوية التقليدية التي تهدف إلى تغطية الاحتياجات الضرورية للسكان. وكان اعتمادهم في الصناعات على الخامات المحلية، والمواد الأولية المتوافرة في

(١) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص٧٦ ، ٧٧ .

(٢) هيكل، محمد . مرجع سابق، ص١٣٧ ، ١٣٨. التميمي، محمد . مرجع سابق، ص٦١ .

(٣) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٣٥٤، وقد ذكر أنه اطلع على هذا المرسوم في ملحق العدد ١٣٣٥ من صحيفة أم القرى بتاريخ ١٣٧٠/١/٢٣هـ، وقد نشر هذا المرسوم بعنوان (نظام ضريبة الدخل) ونصت المادة الثالثة منه: أن الدخل الشخصي الخاضع للضريبة هو ما يزيد سنويًا على عشرين ألف ريال عربي سعودي، وقد تكرر نشر هذا المرسوم من العدد التالي من الصحيفة، انظر صحيفة أم القرى العدد ٣٣٦ بتاريخ ١٣٧٠/١/٢٩هـ ص١ ،٢ .

البيئة، ومن أمثلة ذلك النخلة حيث تقوم على أجزائها صناعات عدة، فسعف النخل يستخدم في صناعة السلال والمراوح اليدوية والحصر والزنابيل بمختلف أحجامها والقفف والخصف وهي أكياس لحفظ التمور[1]. وجذوع النخل تستخدم لسقف المنازل وصناعة الأبواب، والصناديق والأواني المنـزلية والمباخر الخشبية، ويستخدم شجر الأثل لصناعة الأبواب الداخليـة والخارجية، وكذلك معدات السفر بأنواعها المختلفة ومنها (الهوادج) التي توضع على الجمال، وتصنع الحبال من ليف النخيل[2] .

ومن المواد الأولية المتوافرة في البيئة صوف الأغنام ووبر الإبل، والذي يغزل بمغازل يدوية خشبية، ثم يتم نسجه بأنوال يدوية، وعادة ما تقوم نساء البادية بتلك المهمة لتوفر الحيوانات لديهم، ويتم إنتاج البسط والسجاد وبيوت الشعر والأخراج والعباءات الصوفية[3]، وقد اشتهرت مدينة الجوف بصناعة العباءات وكانت تصدرها إلى بلاد الشام [4]. ويستفاد من جلود الحيوانات، حيث تتم دباغتها، وتصنع منها الدلاء وتستخدم لاستخراج الماء من الآبار، والقرب لحفظ الماء وتبريده وحفظ الألبان، كما تصنع الأحذية من تلك الجلود المدبوغة [5] .

ومن الصناعات اليدوية المحلية الحدادة، ويتم من خلالها توفير الاحتياجات الضرورية للمجتمع مثل السيوف والخناجر والأدوات الزراعية والأواني المنـزلية وغيرها .

---

(١) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص١٥٠ ،١٥١. مغربي، محمد علي. **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز** ، ص٢١٤ - ٢١٥.

(٢) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص١٣٦ – ١٣٨. مغربي، محمد علي. **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز**، ص٢١٠ – ٢١١ .

(٣) السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص١٥٢ ، حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص٤٩ .

(٤) مصطفى، محمد . مرجع السابق، ص١٧ .

(٥)السويداء، عبدالرحمن . مرجع سابق، ص١٥٢ .

وقد رأى أحمد حسين عددًا من الصناع في أسواق الرياض يعملون في صناعة دلال القهوة من النحاس وعدد من أواني المطبخ والأدوات المنزلية، ولفت انتباهه أنهم يصنعون صنابير الماء بكثرة، وذكر أنها تستعمل في الرياض وما حولها [1] .

وتصنع غالبية الملابس محليًا على أيدي النساء في البيوت، ويعرض العديد من هذه الملابس للبيع في الأسواق وخاصة ملابس المناسبات المزركشة، وزبائنها غالبًا من البادية حيث يرتادون أسواق المدن والقرى الكبيرة لشراء احتياجهم من الملابس وغيرها [2] .

واشتهرت بلاد الحجاز بصناعة المسابح التي يتم تسويقها في أثناء مواسم الحج وتحمل هدايا إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن أشهر أنواعها (مسابح اليسر)[3]، وهي من أدق الصناعات وأكثرها مشقة ويتولاها صناع متخصصون، وقد أثنى أحد الرحالة عليها بقوله: ((وقليل منها من صنع مكة كصنع مسبحات اليسر، فقد اشتهر البعض منهم بدقة صنعه وخرطه وتحليته بالفضة))[4] .

ومن الصناعات التي كانت تشتهر بها مدينة الطائف استخراج عطر الورد الطائفي الشهير بجودته، ويستخرج من الورد الذي يزرع في بساتين الطائف، وخاصة في منطقة الهدا، وكانوا يبيعونه بالتولة، وهي كمية قليلة

(١) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٥٨، ربما يكون رواج صناعة صنابير الماء لتوفر الماء في مدينة الرياض بعد جلبة من السويدي. رضا، محيي الدين. **صور ومشاهدات**، ص٣٩.
(٢) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٥٨ .
(٣) اليسر هو شجر أسود يستخرج من قاع البحر الأحمر يتناوله الصناع، فيقطعونه ويشذبونه ثم يصنعون منه حبات المسابح، ويثقبونها لتنظيم حبات المسبحة عقدًا متساويًا في الحجم، متماثلاً في الشكل، وهم يبذلون في معالجة تلك الأخشاب جهودًا مضنية، وكانت تتم صناعة هذه المسابح بدقة وإتقان فتظهر في شكل جميل أملس لماع، وتعد من المسابح الثمينة. مغربي، محمد علي . **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز**، ص٢٠٧ .
(٤) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٤٨ .

تعبأ في زجاجات صغيرة[١]، ويباع بأثمان غالية ويشتريه علية القوم والأغنياء من الحجاج، وكان هذا العطر مفضلاً لدى الملك عبدالعزيز يعطر منه خاصة ضيوفه[٢].

وكان في المدينة المنورة مصنع لصناعة السجاد يتعلم فيه الأولاد من سن ١٢ - ١٦ سنة نسج السجاد، وتصرف لهم أجور شهرية من قبل التكية المصرية وتتكفل بطعامهم وكسوتهم، وغالبًا ما يكون هؤلاء من الأيتام[٣].

ويعد مصنع كسوة الكعبة المشرفة من أوائل المصانع التي ظهرت في الحجاز، وكان حرص الملك عبدالعزيز على إنشاء ذلك المصنع ليكون لمكة المكرمة شرف صناعة الكسوة، ويتعلم أبناؤها تلك الصناعة، وفي هذا تشجيع ودعم للصناعة المحلية، وقد زار عبدالوهاب خضير مصنع الكسوة ورأى مدى عناية الحكومة السعودية به . كما زاره المازني[٤]وقال في وصفه: ((وأنشأت الحكومة السعودية دارًا لصنع الكسوة جلبت لها الأساتذة من الهند ليتولوا ذلك وليعلموا أبناء الحجاز، وقد زرنا هذه الدار ورأينا أنوالها ونماذج مما تخرج من الحرائر الموشاة والمطرزة بالقصب والفضة ..... وهكذا أفاد الحجاز صناعة جديدة وخسرت مصر صناعتها القديمة البديعة))[٥]. ويتضح لنا من هذا النص أن الأمر لم يقتصر على جلب العمال والمعلمين من الهند ؛ ليتولوا العمل في ذلك

(١) مغربي، محمد علي . **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز**، ص٢١٢ .
(٢) عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢١٩ – ٢٢٠ .
(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص٩٥ .
(٤) كانت زيارة كل من عبدالوهاب خضير وإبراهيم المازني ضمن وفد الصحافة المصرية الذي قدم إلى الحجاز عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م بدعوة من الحكومة السعودية لحضور الاحتفال المقام (بمناسبة عيد جلوس الملك عبدالعزيز)، خضير، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٣.
(٥) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٩٧ – ٩٨. وكانت الكسوة سابقاً ترسل من مصر إلى أن وقعت حادثة المحمل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، فأقيم هذا المصنع في مكة المكرمة عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، وظلت تصنع الكسوة في مكة طوال عشر سنوات حتى عودة العلاقات بين المملكة ومصر عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م، لمزيد من التفاصيل عن حادثة المحمل، انظر الفصل الثاني .

المصنع، بل تم تكليفهم بتعليم أبناء البلاد تلك الصناعة، وهذا كان من الأهداف التي سعى لها الملك عبدالعزيز، كما يتبين لنا من ذلك النص أن الكسوة أصبحت تنسج في ذلك المصنع ثم يتم حياكتها وتطريزها، بينما كان العمل في البداية قاصرًا على حياكة الكسوة[1]. وكانت صناعة الكسوة تستغرق بضعة أشهر من السنة، ويعمل المصنع في الأشهر الأخرى في صناعة السجاجيد والحنابل والكوفيات[2]، ولا شك أن هذه الطريقة ضمنت تشغيل المصنع بقية العام، مما يعود بالفائدة على العمال والمجتمع باستمرار الإنتاجية وتنوعها، إضافة إلى استفادة العمال وعدم انقطاعهم عن العمل.

وبعد تحسن الأوضاع الاقتصادية في البلاد ظهرت صناعات كثيرة، منها صناعة تكرير النفط، والصناعات التعدينية حيث أنشئ مصنع لاستخلاص الذهب في مدينة (مهد الذهب) وقد قام عبدالوهاب عزام بزيارة ذلك المصنع ووصف كيفية استخلاص الذهب عن طريق الآلات (والمكائن) التي تدار بالكهرباء حيث يتم طحن الأحجار وتذويبها في سوائل تفصل المعادن عن غيرها، ثم يتم تخليصها في عجينة تحتوي الذهب والفضة والنحاس والزنك ونسبة الذهب فيها ٢٥٪، والشركة التي تستخرج الذهب هي شركة سعودية أمريكية يديرها أمريكيون وللسعوديين نسبة ٥١٪ من الأسهم [3].

ومن المصانع الحديثة مصنع الصابون في جدة، وصفه أحد الرحالة بأنه من أكبر مصانع الشرق في ذلك الوقت، وقد توافرت فيه فرص العمل لكثير من أبناء البلاد، كما أسست في الحجاز عدد من مصانع الثلج والمشروبات الغازية[4].

---

(١) صحيفة أم القرى، العدد ١٨١، بتاريخ ١٣٤٦/١٢/١٩هـ، ص١.

(٢)المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص٩٧، **صحيفة أم القرى**، العدد ٣٣١ في ١٣٤٩/١١/٣هـ، ص١

(٣) عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٣٧٩ – ٣٨٠.

(٤) رضا، محيي الدين. **صور ومشاهدات في الحجاز**، ص١٨٢، ص١٧٨.

النفـط :

تعد أولى محاولات استكشاف النفط في المملكة العربية السعودية المحاولات التي قام بها فرانك هولمز النيوزلندي الذي قام بإجراء اختبارات في منطقة الأحساء للبحث عن النفط، وحصل على امتياز لشركته عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، ولكن هذا الامتياز ألغي بعد ثلاثة أعوام من إبرامه، بعد أن يئست الشركة من وجود نفط على الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية [(١)].

وفي عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م أجريت دراسات جيولوجية أكدت إمكانية وجود نفط في الساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية، مما دعا شركات كثيرة إلى طلب الامتياز في البحث والتنقيب عن النفط، وبدأت المفاوضات بين المملكة وتلك الشركات لاختيار الشركة المناسبة، فتم الاتفاق مع شركة استاندارد أويل أوف كاليفورنيا (STANDARD OIL OF CALIFORNIA) لاستخراج النفط وتسويقه، وعرفت فيما بعد باسم شركة (أرامكو) ووقعت الاتفاقية في ٤ صفر ١٣٥٢هـ/ ٢٩مايو ١٩٣٣م[(٢)].

لا شك أن اكتشاف النفط من الموضوعات التي نالت اهتمامًا بالغًا من قبل الرحالة، مما دفع عددًا منهم إلى زيارة المنطقة الشرقية للاطلاع على آبار النفط ومنشآتها، من هؤلاء أحمد حسين، ومحمد رفعت، وعائشة عبدالرحمن. وقد فاق أحمد حسين غيره من الرحالة في كثافة المادة التي دونها عن النفط في المنطقة الشرقية، وساعده على ذلك أنه التقى مدير عام شركة أرامكو الذي رحب به بصفته ضيفاً للملك عبدالعزيز، وقام بتهيئة جميع الاستعدادات لإطلاعه على آبار النفط التي تم حفرها ومعامل التكرير، كما

---

(١) **موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي** . ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، ص٣١٧ .

(٢) المرجع السابق، ص٣١٧ ،

Armstrong, Op, Cit, PP. 228-229.

شهد محاولات حفر آبار جديدة، ومكاتب الشركة ومساكنها، وكثير من المنشآت النفطية[1].

لقد كان أبرز ما لفت انتباه أولئك الرحالة، صبر المنقبين الأوائل، وعزيمتهم، وإصرارهم على الرغم من الظروف المحيطة بهم، ومرور خمس سنوات على وجودهم دون اكتشاف النفط بكميات مرضية، وكانوا يجاهدون اليأس حتى لا يتطرق إلى أنفسهم، حتى تم اكتشاف النفط، وتوالت الأنباء عن حفر البئر السابعة التي تم الحفر فيها إلى عمق ٦٥٠٠ قدم[2].

لقد شهد الرحالة وغيرهم للملك عبدالعزيز ببعد النظر والحكمة السياسية بمنحه الامتياز لتلك الشركة الأمريكية، حيث لم يجد سببًا للمخاوف التي أثيرت من أن يكون وجود الشركة خطوة لاستعمار البلاد، فالشركة أعمالها تجارية بحتة وهمها الربح والتنقيب عن النفط واستخراجه، والبلاد بحاجة إلى مورد جديد لدعم اقتصادها، وكان ميله إليها منطقيًا، فقد كان يتخوف من الشركات الإنجليزية التي تملكها الحكومة، إضافة إلى ضعف منافسة الشركات الإنجليزية[3]. وقد سجل أحمد حسين رأيًا لمدير عام شركة أرامكو سمعه شخصيًا منه في أثناء لقائه به نورده ليكون شهادة تاريخية للملك عبدالعزيز ودوره البارز في اكتشاف النفط على الرغم من الصعوبات التي واجهته من فئات الشعب حيث قال: «إذا كان هناك رجل له فضل في اكتشاف البترول في هذه المنطقة من العالم التي أصبحت أغنى المناطق على الإطلاق، فذلك الرجل هو الملك عبدالعزيز الذي كانت لديه الشجاعة التي جعلت منح امتياز التنقيب لشركة كاليفورنيا في سنة ١٩٣٣م. إننا ندرك الصعوبات التي كانت تعترض منحنا مثل هذا الامتياز، فقد مضت

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٨٨ .
(٢) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٢٣، عبدالرحمن، عائشة . مرجع سابق، ص٥٢ .
(٣) **موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي**، ص٨٩ .

قرون وأجيال لم يطأ هذه الأراضي شخص غير مسلم، وقد أصبحت قاعدة يعد مجرد المساس بها بمثابة الكفر والمروق من الإيمان في نظر المتعصبين من بدو الصحراء، ومع ذلك فقد أقدم ابن السعود على تحطيم هذه القاعدة ... وأحاطنا بجو من الأمن والطمأنينة))[1].

وقد استطاع أحمد حسين عن طريق مطبوعات الشركة وتقاريرها أن يتابع إنتاج الشركة منذ عام ١٩٣٣م حتى عام ١٩٤٩م، فأكد أن الإنتاج عام ١٩٣٩م تجاوز سبعة أضعاف الكمية المستخرجة خلال خمس سنوات ، وهذا ناتج عن اكتشاف البئر السابعة عام ١٩٣٨م والتي حوت النفط بكميات تجارية[2].

ثم تضاعف الإنتاج خلال سنوات قليلة بطريقة مثيرة للدهشة، ففي عام ١٩٤٦م بلغ الإنتاج حوالي ستين مليون برميل، ثم بلغ في عام ١٩٤٧م تسعين مليون برميل. وفي عام ١٩٤٩م توقع مدير الشركة أن يصل الإنتاج إلى مائة مليون برميل،وحين اطلع أحمد حسين على تقارير الشركة ذلك العام، وجد أن المبلغ قد تجاوز ذلك بكثير، وقال: ((وقد وقع في يدي تقرير الشركة عن عام ١٩٤٨م، فإذا به ينص على أن مقدار ما كرر بالفعل في هذه السنة القدر الذي كان محدداً لبلوغه عام ١٩٥١م))[3] . وقد تعجب من هذا الإنتاج الذي عده استنزافاً لموارد البترول، ووجه تحذيراً إلى حكومة المملكة بوجوب التدخل لتحديد الكميات التي لا يجوز للشركة أن تتجاوزها في إنتاجها، وأن تقدر هذه الكميات بنسبة معينة إلى المخزون تحت الأرض، وبذلك تضمن المملكة العربية السعودية موارد البترول لفترة أطول[4].

---

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٥ .

(٣)حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٣٢١، عبدالرحمن، عائشة.مرجع سابق، ص٥٤.

(٤)حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٩٥ – ٢٩٦. تأسست المديرية العامة لشئون البترول والمعادن عام ١٣٧٢هـ، وألحقت بوزارة المالية، ومن مهام هذه المديرية مراقبة إنتاج النفط لحفظ الثروة النفطية حتى لا يتجاوز الإنتاج السقف المقرر، أم القرى العدد ١٤٣٦ بتاريخ ١٣٧٢/٢/١٢هـ، ص٢.

وذكر محمد رفعت أن صافي أرباح الشركة في اليوم الواحد وصل إلى ٦٢٥٠٠٠ دولار بعد خصم المصروفات، ويبلغ دخل الحكومة في اليوم الواحد نصف هذه الأرباح، تتقاضاها من الشركة ذهبًا طبقًا لنص الامتياز[١]. وقد طرأ على الاتفاقية الأولى بين المملكة والشركة تغيير لشروطها، وتعديل لحقوق المملكة، في سبيل عدالة التوزيع لعائد البترول[٢]. كما تتقاضى من معمل التكرير التابع للشركة برأس تنورة في كل شهر خمسة ملايين جالون بنزين، ونصف مليون جالون كيروسين، ونصف مليون جالون ديزل[٣].

ولا شك أن اكتشاف النفط قد أثر تأثيرًا مباشرًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، حيث انخرط كثير من سكان البلاد في العمل لدى شركة أرامكو في مجالات كثيرة، حتى بلغ عدد العمال العاملين في شركة أرامكو حوالي عشرين ألفًا، طبقًا لما ذكره أحمد حسين نقلاً عن تقارير الشركة، وكان محمد رفعت أكثر دقة حين أورد جدولاً لجنسيات هؤلاء العاملين وأعدادهم، وحدد عددهم الإجمالي ٢٠٥٥٤[٤].

وقد واجه تصدير البترول صعوبة في البداية، فلم يكن هناك طريقة سوى السفن حاملة البترول، والتي لم تستطع الوصول إلى الساحل عند الدمام لأن مياه الخليج هناك ضحلة قريبة الغور، فتم إنشاء ميناء الدمام وميناء رأس تنورة، وحتى يتم وصول النفط إلى البحر المتوسط استعدادًا للتصدير كان على حاملات البترول أن تقطع ثلاثة آلاف ميل كي تصل من معامل الزيت في الظهران ورأس تنورة إلى موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط، عن طريق خليج عدن والبحر الأحمر وقناة السويس[٥]، ولم تكن تلك الطريق كافية

(١) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٢٤، عبدالرحمن، عائشة . مرجع سابق، ص٥٤ .
(٢) عبدالرحمن، عائشة . مرجع سابق، ص٥٤ .
(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٢٥ .
(٤) كانت رحلة أحمد حسين في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، وكذلك رحلة محمد رفعت في ذلك العام، لذا أجريت المقارنة بين الأعداد الواردة لديهما .
(٥) عبدالرحمن، عائشة . مرجع سابق، ص٥٤ .

لتصدير الإنتاج ولم تسمح باستغلال الآبار كلها، فظهر مشروع خط التابلاين، وهو أكبر خط أنابيب بترول في العالم في تلك الفترة، ويبدأ من حقول البترول في الظهران إلى أن ينتهي عند ميناء صيدا على البحر المتوسط في لبنان، وطول الخط ١١٦٠ ميلاً، معظمها في الجزيرة العربية، ما عدا ٢٠٠ ميل تمر في شرق الأردن وسورية ولبنان، ويمر عبر هذا الخط في كل يوم ٣٠٠,٠٠٠ برميل من الزيت يمكن زيادتها إلى ٥٠٠,٠٠٠ برميل، وقد تكلف إنشاؤه ٥١٠ ملايين دولار[١]. ويبلغ قطر الأنابيب ٣١ بوصة، وفي بعض أجزائه ٣٠ بوصة، وقد صنعت هذه الأنابيب بحيث تتحمل التمدد والتقلص من اختلاف درجات الحرارة [٢] .

الميزانيــة :

الميزانية عبارة عن منشور تصدره دولة أو هيئة يبين وارداتها ونفقاتها خلال فترة محددة، ويتم من خلاله تقدير الواردات والمصروفات[٣].

ولم يكن في نجد وملحقاتها تنظيم للميزانية؛ لأن موارد الدولة المالية فيها كانت عينية في غالبها، وتصرف محليًا حسب ما يأمر به الملك عبدالعزيز، وكانت أوامر الصرف توجه مباشرة إلى المسؤول عن المالية والتموين محمد بن صالح بن شلهوب، ويصف الريحاني بساطة التنظيمات المالية بما نقله على لسان ابن شلهوب: ((الذي يجيء نقيده، والذي يروح نقيده))[٤]. ومن الواضح - مما ذكره ابن شلهوب - أنه نادرًا ما يزيد الوارد على الحاجة المحلية، بل إنه أحيانًا لا يغطي الاحتياج الفعلي للبلاد .

---

(١) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٢٥. عبدالرحمن، عائشة . مرجع سابق، ص٥٤. حتة، محمد كامل. **صور من الحجاز**، ص١٨٧ .

(٢) عبدالرحمن، عائشة . مرجع سابق، ص٥٤ .

(٣) العتيبي، إبراهيم . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٢٩٢ .

(٤) الريحاني، أمين . **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٨ .

وبعد أن ضم الحجاز قام الملك عبدالعزيز بإعادة تنظيم الدوائر الحكومية، ومنها دوائر المالية، وتم عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م إنشاء إدارة تشرف على جميع الدوائر المالية في الحجاز باسم (مديرية الأمور المالية)[١]، وقد بدأ أول تنظيم للميزانية مع تكوين المجلس الأهلي بمكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م وكان إعداد الميزانية من أبرز مهامه، وبعد تأسيس مجلس الشورى تولى تلك المهمة، وقد تشكلت لجنة للميزانية في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م ملحقة (بوكالة المالية)[٢]، وفصل نظام وكالة المالية طريقة إعداد الميزانية [٣]، وظهرت أول ميزانية موحدة للحجاز عام١٣٥٠ هـ- ١٣٥١هـ/ ١٩٣١م - ١٩٣٢م، ثم ظهرت الميزانية الموحدة للمملكة عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م وفيها بيانات تفصيلية بالمبالغ التي استحصلت من كل مورد، وكذلك المبالغ التي اعتمدت لكل فصل من فصول وجوه الإنفاق لجميع الدوائر والمصالح الحكومية[٤].

وخطت الحكومة السعودية بالميزانية خطوة أخرى وصفها أحمد حسين بقوله: ((لقد كنت في هذه الأثناء قد اطلعت على أول ميزانية للدولة السعودية مطبوعة ومنشورة في جريدة أم القرى، وفي تقويم الحجاز، فهنأت الوزير على هذه الخطوة، أو بالأحرى هذه الوثبة، فإن نشر أرقام الميزانية هي

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطني ومراحل تطور النظام المالي في المملكة العربية السعودية، إعداد الشؤون الإدارية والمالية بوزارة المالية والاقتصاد الوطني، شوال ١٤١٩هـ، ص٨.

(٢) صدر نظام وكالة المالية العامة بأمر ملكي بتاريخ ١٨ ربيع الأول من عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وبموجب ذلك تحولت مديرية الأمور المالية إلى (وكالة المالية العامة) وأصبح عبدالله بن سليمان الحمدان وكيلاً لها، المرجع السابق، ص١٠.

(٣) حيث بين أن واجبات لجنة الميزانية هي تقدير الواردات والمصروفات السنوية في رأس كل سنة مالية بنسبة الأعوام السابقة، بمعرفة الدوائر ذات الحسابات، واستمرت كل دائرة في بعث موازانتها السنوية إلى لجنة الميزانية لمراجعتها قبل عرضها على مجلس الشورى إلى أن صدرت أول موازنة عامة موحدة للدولة في الحجاز عام ١٣٥٠هـ/ ١٣٥١هـ، العتيبي، إبراهيم . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٢٩٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩٤، ص٢٩٧.

الخطوة الأولى لظهور الدولة بنظمها الحديثة، وهي الخطوة لإيجاد مجلس وزراء مسؤول))[1]. ولم يحدد أحمد حسين العام الذي نشرت فيه تلك الميزانية، إلا أنه من الواضح من النص أنه اطلع عليه في أثناء وجوده بالحجاز، وكانت رحلته عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، فربما يكون نشرها في ذلك العام.

وذكر أحمد حسين أن نشر الميزانية لم يتكرر في الأعوام اللاحقة، ولا نعلم ما هي الظروف التي حالت دون نشر الميزانية في تلك الفترة، إلا أن محمد حتة رصد في كتابه ميزانية عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، ووصفها بأنها أول ميزانية منظمة تذاع تفاصيلها على الشعب[2]، وهذا لا يتنافى مع ما ذكره أحمد حسين عن نشر الميزانية في فترة سابقة لهذا التاريخ فمحمد حتة قد يكون قصده أذاعتها بالإذاعة وأحمد حسين يقصد نشرها في الجريدة الرسمية أم القرى.

النقـد :

لاحظ الرحالة أن النقود المستعملة في المملكة هي خليط من شتى العملات، ولعل من أسباب هذا التنوع أن المملكة تألفت من مناطق متعددة، لكل منطقة قبل توحيدها مجموعة مختلفة من العملات السائدة فيها، ولعل أكثر المناطق تنوعًا في العملات منطقة الحجاز، لكثرة الوافدين عليها من الحجاج، فكانت النقود المتداولة خليطًا من العملات الإسلامية والعالمية أبرزها الجنيه الذهبي الإنجليزي، والنقود العثمانية كالليرة الذهبية، والقرش، والبارة، والمجيدية، والنقود الهندية بما فيها الروبية، والنقود المصرية غير الورقية[3].

(١) حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٤٧ ، ١٤٨ .
(٢) حتة ، محمد كامل . **في أرض المعجزات**، ص٣٩٩ .
(٣) شهبندر، عبدالغني. مرجع سابق، ص٢٥. عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص٢٠٣ .

وبعد ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م أمر الملك عبدالعزيز بسك نقود نحاسية سعودية من فئة القرش ونصف القرش وربع القرش، كما أمر بالتعامل بالنقود التركية بعد أن ضرب عليها كلمة (الحجاز – نجد) [١]، وكانت الحكومة السعودية تعترف بالعملات المتداولة بشرط أن يتم تداولها حسب سعر الصرف يوم التعامل بها[٢].

وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م تم سك الريال السعودي من الفضة على أساس الريال المجيدي التركي من ناحية حجمه ومقدار الفضة فيه، وأمر بإلغاء جميع النقود التركية والهاشمية وبذا أصبحت العملة السعودية هي الشائعة والواجب استعمالها في أنحاء البلاد[٣].

وقد لاحظ الرحالة أن العملات المتداولة ليس لها سعر صرف ثابت ومنها الريال الفضي السعودي مما دفع المازني إلى القول: ((ولم تكن الأثمان معتدلة ولا الحساب بالنقود الحجازية بالذي يسهل فهمه، ذلك أن الجنيه المصري يساوي عشرة ريالات حجازية، والريال عشرة قروش ونصفه خمسة وهكذا ... فإذا ذهبت تحسب الجنية بالقروش وجدته يساوي شيئًا عجيبًا : مئة قرش وبضعة قروش أخرى تكون تارة اثنى عشر قرشًا وطورًا أربعة عشر... فقد كنت أجد قيمة الجنيه عند تاجر غيرها عند سواه))[٤]. كما ذكر عباس حمادة أن الريال السعودي ليس له قيمة ثابتة، وأن التجار يتجرون به كأي سلعة، وضرب لذلك مثالاً سعر صرف الريال بالنسبة للجنيه المصري، وأن سعره يتغير في اليوم الواحد عدة مرات، وأن ذلك التفاوت في السعر يتراوح ما بين نصف ريال وريال واحد في مكة المكرمة، وقد دهش في

(١) أبو علية، عبدالفتاح. مرجع سابق، ص٢١٥. محمد، مصطفى. مرجع سابق، ص٩٦ .
(٢) حمدي، محمد . مرجع سابق، ص٩٨، ٩٩ .
(٣) حمزة، فؤاد . **البلاد العربية السعودية**، ص١٧٥، أبو علية، عبدالفتاح. مرجع سابق، ص٢١٥.
(٤) المازني، إبراهيم، مرجع سابق، ص١١٢، ١١٣ .

أثناء عودته إلى جدة في طريقه إلى مصر حيث ارتفع سعر الجنيه المصري من عشرة ريالات سعودية إلى خمسة عشر ريالاً، وبعض التجار رفع ثمنه إلى عشرين ريالاً سعوديًا، وعلل ذلك بأن هدف التجار أخذ ما تبقى مع الحجاج من الريالات السعودية بأبخس ثمن، وأكد ما يتعرض له الحجاج من خسائر نتيجة تلك الأساليب، ونصح الحجاج المصريين باستخدام العملة المصرية الفضية فهي متداولة وثابتة أكثر من الجنيه المصري، كما اقترح على الحكومة السعودية أن تجعل لعملتها وحدة صحيحة، وأن تحدد سعر الصرف للعملة السعودية، وأن تبطل الاتجار بها لأن ذلك يقلل الثقة بتلك العملة [1].

ولم يقتصر الأمر على منطقة الحجاز، بل إن محمود ياسين في أثناء وجوده في بلدة سكاكا وصف مظهرًا آخر من مظاهر الاتجار بالعملات، حيث قال: ((إن أهل السوق في سكاكا قد اعتادوا ألا يصرفوا الليرة الذهبية بل تعطى لدلال منهم فيمسكها بيده وينادي : من يسوم الإفرنجي ؟ ويعني الليرة الإنجليزية، فيقول واحد : ثلاثين ريالاً سعوديًا وهكذا، وقد بعنا الليرة الإنجليزية بأربعة وثلاثين ريالاً وربع ريال))[2].

وقلة الثقة في العملة السعودية كانت واضحة من خلال ما ذكره اثنان من الرحالة أن التجار يفضلون العملة المصرية، وأنهم ربما يرفضون العملة السعودية، وأنها في بداياتها إذا لاحت لهم فرصة الحصول على نقود مصرية[3]، ولعل عدم ثبات قيمة العملة السعودية وأنها في بداياتها دفعهم إلى تفضيل العملة المصرية عليها إضافة إلى المكاسب التي يمكن تحقيقها من جراء استبدال العملة المصرية بالعملة السعودية خاصة في موسم الحج .

---

(١) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٤٩ — ٥٠ .
(٢) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٩٥ ، ١٩٦ .
(٣) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص٢٠٣. محمد، مصطفى، مرجع سابق، ص٩٧ .

ولعل ما اعتقده بعض الرحالة حول عدم تحديد الحكومة السعودية سعر صرف ثابت لعملتها غير صحيح، فأحمد عيسى قد أورد قائمة لسعر صرف العملة السعودية مقابل العملة المصرية كما سيأتي :

(١) ٤/١ القرش السعودي ويسمى (هللا) ويساوي مليمًا واحدًا تقريبًا .

(٢) ٢/١ القرش السعودي ويساوي مليمين .

(٣) القرش السعودي ويساوي أربعة مليمات تقريبًا .

(٤) ٤/١ الريال السعودي ويساوي قرشين مصريين تقريبًا .

(٥) ٢/١ الريال السعودي ويساوي أربعة قروش مصرية تقريبًا .

(٦) الريال السعودي ويساوي ثمانية قروش مصرية تقريبًا[١].

ولعل من الواضح أن تلك القائمة ليست تقديرية من لدنه وأنها وضعت من قبل الحكومة السعودية، فقد كانت وزارة المالية تصدر بين فترة وأخرى نشرات تحدد أسعار العملات بالنسبة للريال العربي السعودي[٢].

كما أن وزارة المالية قد سعت جاهدة لتثبيت قيمة الريال السعودي ولكنها لم توفق في ذلك[٣]، ويمكن تعليل ذلك التذبذب بخضوع العملة لقانون العرض والطلب إضافة إلى تلاعب الصيارفة وعدم التزامهم بأسعار العملات، وتلافيًا لذلك تم عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م استبدال الريال الفضي السعودي بريال جديد أصغر حجمًا وأقل وزنًا من الريال القديم والريال الجديد هو بحجم الروبية الهندية ووزنها ولكن قيمته الاسمية أعلى وأثبت من الريال القديم، وقد حددت قيمته بجزء من عشرين من الجنيه الإنجليزي الذهبي[٤]، وقد ربطت قيمة الريال السعودي بالجنيه الإنجليزي الذهب. وكان سعر صرف الريال العربي السعودي ثابتًا بالنسبة للجنيه الإنجليزي، ولعل ثبات قيمة

(١) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص٢٠٣ .

(٢) العتيبي، إبراهيم . **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٢٨٩ .

(٣) **أم القرى** : العدد ٦٠٣ في ١٣٥٥/٤/٦هـ، ص٢. حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص١٧٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٧٥ .

الجنيه الذهبي الإنجليزي هي التي دفعت أحد الرحالة أن ينصح الحجاج باقتنائه حتى لا يتعرضوا للخسائر التي يتعرض لها حاملو العملات الأخرى[١].

وقد طرح الرحالة كثيراً من الاقتراحات بشأن النقد والأوضاع المالية في المملكة، وقد اعتمد محمد حتة في اقتراحاته على آراء حسين خالد حمدي وهو أحد خبراء مراقبة النقد المركزي في مصر، وقد استعانت به الحكومة السعودية لدراسة شؤون النقد، والذي أكد ضرورة أن يكون لدى المملكة العربية السعودية جهاز فني لشؤون النقد يمكن له السيطرة على الأوضاع المالية ويكون له القوامة على تحديد أسعار العملة وتنسيق التعامل بمختلف أنواع النقد العالمي الذي يتدفق على البلاد في موسم الحج، كما اقترح أن تصدر المملكة العربية السعودية جنيهًا ذهبيًا خاصاً بها تكون له القدرة الشرائية في التعامل الدولي بدلاً من الاعتماد على الجنيه الإنجليزي الذي تضربه لحسابها شركه أرامكو في جنوب إفريقيا[٢]. كما طرح أحمد عيسى رأيًا مشابهًا حيث أكد ضرورة سك جنيه ذهبي خاص بالحكومة السعودية، وعده من مظاهر استقلال النقد السعودي حيث قال: ((فإن الاستقلال في النقد من ألزم ضروريات استقلال البلاد وسيادتها))[٣].

ولم تتسرع الحكومة السعودية في إصدار عملة ذهبية لأن سعر صرف الريال السعودي كان ثابتًا بالنسبة للجنيه الإنجليزي، ولكن عندما تحسنت الأوضاع الاقتصادية في المملكة بعد انتظام تصدير النفط وقيام المملكة بتوسيع دائرة تعاملها مع المؤسسات المالية العالمية، أصدرت الجنيه الذهبي السعودي الذي جعل عملـة قانونية بداية من ١٣٧٢/٢/٣هـ / ١٩٥٢/١٠/٢٥م، وكان مساويًا في وزنه ونقاوته للجنيه الذهبي الإنجليزي (جورج الخامس)،

---

(١) شهبندر، عبدالغني . مرجع سابق، ص٢٥ .
(٢) حته، محمد. صور من الحجاز، ص٧٦، ٧٧ .
(٣) عيسى، أحمد . مرجع سابق، ص٢٠٣ .

وحدد سعر الصرف الرسمي للجنيه الذهبي السعودي بأربعين ريالاً سعوديًا، وبدأ الجنيه الإنجليزي في الأفول في السوق السعودي وأصبحت المملكة تسدد التزاماتها الخارجية بالجنيه السعودي[1].

وكان الجنيه السعودي قد سك عام ١٣٧٠هـ، ولكن التعامل الرسمي لم يتم إلا عام ١٣٧٢هـ بعد افتتاح مؤسسة النقد العربي السعودي في المحرم عام ١٣٧١هـ وذلك لعدم وجود مصرف مركزي يشرف على طريقة تداوله في سوق المال ضمانًا لعدم تعرضه لمشكلات غير متوقعة[2]، ويبدو أن محمد حتة كان يدرك تلك الحقيقة مما دفعه إلى القول: ((وقد علمت أن الحكومة السعودية أخذت بهذا الاقتراح، ولكن في نطاق محدود، وبقي عليها أن تلزم شركة أرامكو بأن تدفع حصة الحكومة من موارد الزيت بجنيه ذهبي يحمل شعار الدولة السعودية))[3].

المشروعات الاقتصادية :

الاتصـالات :

كان لاتساع رقعة المملكة العربية السعودية دور كبير في إدخال واستعمال أجهزة الاتصال المختلفة للربط بين أرجائها الشاسعة، وإصدار الأوامر للمناطق المختلفة، وتلقي نتائج الأوامر .

وأيضًا لضبط الأوضاع وخاصة الأمنية والاطلاع على أخبار المدن والقرى كافة أولا بأول حتى يتمكن ولي الأمر من سرعة التصرف وسرعة البت في شؤونها .

ولم يكن دخول الاتصالات الحديثة للمملكة بالأمر السهل في ذلك الوقت حيث بذل الملك عبدالعزيز جهودًا مضنية في سبيل ذلك وصفها عدد من الرحالة إما سماعًا أو نقلاً عن معاصرين للملك عبدالعزيز، من ذلك ما ذكره

(١) العتيبي، إبراهيم. **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ص ٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٠ .

(٣) ويقصد أنها أخذت بالاقتراح السابق المتعلق بسك جنيه ذهبي سعودي خاص بها. حتة، محمد. **صور من الحجاز**، ص٧٧ .

أحد الرحالة: ((لقد مكث الملك عبدالعزيز يجاهد في سبيل التلفون والتلغراف اللاسلكي مرة مع الإخوان وآونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات، وكان هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارت حفيظة الإخوان))[1]، ويقول هيكل عن ذلك: ((وكان النجديون أشد الناس طعنًا على (التليفون) و(الراديو) وكانوا يزعمون أن الشياطين هي التي تتكلم فيها، فكانوا لذلك يحرمون استعمالها))[2].

واستطاع الملك عبدالعزيز اجتياز تلك العقبات وإنشاء محطات لاسلكية في أنحاء المملكة، وتمكن بها من الاتصال اليومي مع جهات المملكة اختصارًا للوقت الذي كان يستغرقه البريد بين تلك الجهات الشاسعة، وقدر فؤاد حمزة عدد المراكز اللاسلكية بنحو أربعين مركزًا، منها ١٦ مركزًا سيارًا [3].

وانتشرت المحطات اللاسلكية في عدد من المدن والقرى حيث ربطت بشبكة منتظمة.

وقد لاحظ محمود ياسين في أثناء رحلته إلى المدينة المنورة أن الاتصال بين مدينة تبوك والعلا كان عن طريق البرقيات، وأن أمير العلا علم بخروجهم من تبوك فأرسل وفدًا لاستقبالهم [4]. وفي أثناء وجود المازني في ينبع زار المحطة اللاسلكية برفقة وفد الصحافة المصرية ودهش حين وجد القائمين عليها من أهل البلاد وبعث مع رفاقه برقية تحمل تحياتهم إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز في مكة المكرمة[5]، وكأنما أرادوا من بعث هذه البرقية التأكد من كفاءة الموظفين وحسن أدائهم .

(١) حمدي، محمد. مرجع سابق، ص١٧٥ .
(٢) هيكل، محمد. مرجع سابق، ص١٥١ .
(٣) حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص٢٣٩ .
(٤) ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة المنورة**، ص٧٥ .
(٥) المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص٢١ .

كما رأى وجود دائرة للبرق في بحرة، وشاهد أحمد حسين محطة لاسلكية في الدوادمي وهي إحدى المحطات على الطريق بين الرياض ومكة وقال عنها: ((على أن ما يجعل الدوادمي تفخر على كل ما سبقها من محطات هو وجود محطة لاسلكية بها، وهذه المحطة تصلها بجميع أطراف المملكة، ويشعر الإنسان أنه لم يضع في هذه البرية، وأنه لا يزال على اتصال بالعالم[1].

وكان هناك مدرسة لاسلكية لتدريب الموظفين، وقد دار حوار بين محمود ياسين وبين أحد مرافقيهم في الرحلة وهو من المقيمين في المدينة المنورة حول المدرسة اللاسلكية ، حيث أكد أن جميع موظفيها من أهل الحجاز، وأنه لا يوجد أجانب فيها، ومدة الدراسة فيها من سبعة أشهر إلى سنتين، وتصرف رواتب للدارسين حوالي مائة ريال[2].

لقد أثنى أحمد حسين على جهود الملك عبدالعزيز وعبقريته ، حيث أدرك منذ زمن مبكر ضرورة هذا الاختراع لبلاده فأسرع بالانتفاع به في حكم البلاد وربط أطرافها على اتساع مساحتها وتباعد مناطقها . يقول عن ذلك ((وتكاد تكون المملكة العربية السعودية اليوم أكثر بلاد الشرق الأوسط ـ إن لم يكن كثير من دول العالم - اعتمادًا على اللاسلكي في مواصلاتها البرقية، ذلك أنها خلت تمامًا من التلغراف العادي الذي نشأ في المجتمعات الأخرى قبل نشوء اللاسلكي، وكان من العبث بل من المستحيل التفكير في مد أعمدة التلغراف إلى هذه الألوف من الأميال بعد أن أصبح جهاز صغير يغني عن كل ذلك))[3].

(١) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٩٢ .
(٢) ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**، ص١٨٤ .
(٣) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص١٩٣ .

وكان يتم إمداد تلك المحطات بما يستجد من الأجهزة وما يلزم لصيانتها كما تم إنشاء المحطات اللاسلكية الحديثة عوضًا عن المحطات القديمة وكان من تلك المشروعات إنشاء المحطة اللاسلكية في جدة والتي زارها أحمد حسين ودهش منها وعدها أكبر محطة لاسلكية في الشرق الأوسط، وذلك أن المملكة ورثت عن الأشراف اتفاقًا بين الحجاز وبين شركة (إسترن التلغرافية) يجعل نقل البرقيات السلكية واللاسلكية بين الحجاز وأفريقيا وأوربا حكرًا لهذه الشركة، ولكن الحكومة السعودية رأت أن تستغل هذه الثغرة في احتكار الشركة والمخصص بأفريقيا وأوربا فقط فرأت أن تنشئ محطة ضخمة تربطها بأمريكا مباشرة. يصف أحمد حسين العمل في هذه المحطة بقوله: « فكانت هذه المحطة التي لم نر لها مثيلاً في مصر ذاتها حيث تتلقى الآلات الإشارات مباشرة من الولايات المتحدة الأمريكية مكتوبة على شريط من الورق وترسلها بدورها فتستقبل في شرق الولايات المتحدة وفي غربها مكتوبة مسجلة، وأسعدنا أن نرى إخواننا العرب يجلسون إلى هذه الآلات المعقدة ويديرونها، ولم نر سوى أمريكي واحد يعمل في الميدان »[1].

وحتى يضمن الملك عبدالعزيز الاتصال الدائم بينه وبين هذه المحطات وفر في قصره كثيراً من الآلات البرقية واللاسكية والهاتف كي تكون الصلة مستمرة بينه وبين دوائر الحكومة في جميع أنحاء المملكة[2].

ولم يقتصر الاهتمام على البرق واللاسلكي، فقد نال البريد أيضًا اهتمامًا من قبل حكومة البلاد، فقد كانت دوائر البرق تشمل البريد أيضًا وقد انضمت الحكومة السعودية إلى الاتحاد البريدي الدولي، ونظمت أعمالها طبقًا لما هو منصوص عليه دوليًا[3].

(١) المرجع السابق، ص٣٥٠ ، ٣٥١ .
(٢) مظهر، عبدالوهاب. مرجع سابق، ص٦٩ .
(٣) حمزة، فؤاد . **البلاد العربية السعودية**، ص٢٣٣ .

وتوافرت دوائر البريد التي شاهدها الرحالة في عدد من المدن الرئيسة مثل مكة، والمدينة المنورة، وجدة، والرياض، كما توافرت دوائر للبريد حتى في أصغر البلدان فمثلاً كان في (بحرة) دائرة للبريد مع أن بحرة ليست إلا محطة على الطريق بين جدة ومكة المكرمة [1].

وكان الاهتمام بنقل البريد الداخلي والخارجي على حد سواء، فالبريد الداخلي حسبما ذكر المازني كان ينقل بين جدة ومكة، وبين جدة والمدينة على السيارات مرتين في اليوم[2].

كما كان البريد ينقل بين مكة والرياض في أربع وعشرين ساعة للبريد السريع وغير السريع بست وثلاثين إلى ثمان وأربعين ساعة[3].

وقد أثنى مصطفى محمد على نظام البريد في المملكة، وذكر أن البريد كان يصلهم على يد المطوف بمجرد وصول البواخر[4] التي تحمل البريد وقال عن ذلك: ((وكانت الرسائل التي ترد إليّ من أهلي تباعًا خير شاهد على حسن انتظام مصلحة البريد بالحجاز))[5].

مشروعات المياه :

الماء عنصر أساس من عناصر الحياه قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[6] والماء يشكل ضرورة للإنسان في حياته الخاصة إضافة إلى أنه أساس لكثير من الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والصناعة .

---

(١) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص٥٥ .
(٢) المرجع السابق، ص١٦٣ .
(٣) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص١٨٤ .
(٤) ويتم نقل البريد الخارجي عن طريق شركات الملاحة الخديوية والإيطالية والهندية، وينقل البريد الداخلي بين المراكز البريدية في المملكة إما في السيارات وإما بواسطة متعهدين على ركائب، حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص٢٣٤ – ٢٣٥ .
(٥) محمد، مصطفى . مرجع سابق، ص٩٧ .
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠ .

والثروة المائية في المملكة تتمثل في المياه الجوفية وعدد من الينابيع والعيون، وتعتمد غالبية مناطق المملكة على مياه الأمطار والمياه الجوفية ويتأثر منسوب المياه الجوفية في عدد من المناطق بمدى غزارة الأمطار أو شحها .

وقد كان الماء من الأمور التي شغلت حيزًا من اهتمام الرحالة، وخاصة الحجاج منهم لشح المياه في الحجاز وفي الطرق المؤدية إليه، فكانوا يحرصون على تحديد موارد المياه حتى يرشدوا بقية الحجاج في أثناء مرورهم بتلك المواضع للتزود من مائها تحسبًا لمفاجآت الطريق، وقد وجه الملك عبدالعزيز عنايته إلى هذه الناحية وجعلها من أولويات المشروعات، وقد تناولنا في الفصل الثالث جهوده في جلب الماء إلى الحجاز لمواجهة احتياجات الأهالي والحجاج.

ولم تقتصر مشروعات المياه في المملكة على توفير المياه النقية الصالحة للشرب فقط، بل شملت تلك المشروعات توفير المياه لأغراض الزراعة[1]، حيث تم تأسيس مديرية الزراعة كما أسلفنا، وبيعت الآلات والمضخات للمزارعين لحفر الآبار الارتوازية وجذب المياه الجوفية، وتم تقسيط أثمانها على المزارعين. ويجمل المازني الجهود المبذولة لتوفير المياه بقوله: «إن الدولة بدأت تجدد الآبار المطمورة، وتكشف العيون المسدودة، وحفرت الآبار الارتوازية، وجلبت الآلات لاستنباط الماء من جوف الأرض، واستدعت الخبراء لاختيار المواقع التي يمكن أن تحفر فيها الآبار الارتوازية ... ومن أجل الماء تعفي الحكومة كل الآلات التي تتخذ لاستنباطه من الرسوم الجمركية وكذلك الآلات الزراعية »[2].

(١) Armstrong, Op, Cit, p.229

(٢) المازني، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٦٣ .

وكان من أوائل مشروعات المياه الاهتمام بالآبار الارتوازية في أنحاء البلاد حيث رأى هيكل وعبدالوهاب عزام عددًا من الآبار في نجد قد تمت عمارتها وتعميقها وبناؤها بحيث تكون المياه في متناول من يرد هذه الآبار يقول هيكل عن ذلك: « وأما النصب فتذكار لهذا البناء نقش عليه ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمارة هذه الآبار صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية سنة ١٣٥٣هـ))[١].

وهذا الاهتمام بحفر الآبار الارتوازية يشمل المدن والقرى والمحطات على الطرق، ومن الأمثلة على ذلك إرسال مكينة حفر للآبار الارتوازية إلى المدينة المنورة مع جميع قطع الغيار اللازمة لها والمهندسين للقيام بحفر مجموعة من الآبار الارتوازية في أطراف المدينة المنورة وجهات ازدحام السكان فيها ومنازل الحجاج ومحطات استراحاتهم، كما تم حفر الآبار الارتوازية في كل محطة أو قرية من المحطات والقرى المنتشرة بين جدة والمدينة [٢].

كما تم بعث آلات لحفر الآبار الارتوازية إلى الظهران والخبر والدمام، ونجحت في استنباط الماء وظهر الماء نافوريًا على سطح الأرض، فاستخدم لأغراض الشرب، كما قامت عليه مزارع حديثه [٣].

وإضافة إلى حفر الآبار الارتوازية كانت هناك مشروعات لإيصال المياه إلى المدن من العيون والآبار القريبة من ذلك جلب الماء إلى الرياض من منطقة السويدي الواقعة جنوب غرب الرياض المشهورة بعذوبة مياهها، وقد مدت أنابيب من السويدي إلى الرياض كما تم بناء حنفيات صحية بكباساتها لحفظ الماء وتوزيعه في سائر أنحاء المدينة [٤].

(١) هيكل، محمد . مرجع السابق، ص٣٧٨، عزام، عبدالوهاب . مرجع سابق، ص٢٥٨ .
(٢) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات**، ص٣٦، ص٣٨ .
(٣) رفعت، محمد . مرجع سابق، ص١٨٤ .
(٤) رضا، محيي الدين . **صور ومشاهدات**، ص٣٩ .

ومن أبرز مشروعات المياه جلب الماء من وادي فاطمة إلى مدينة جدة، حيث تم مد الماء من العيون في ذلك الوادي، ويؤخذ من كل عين جزء من مائها ويساق في أنابيب إلى مدينة جدة، ويترك الجزء الآخر لأغراض الزراعة في ذلك الوادي، ويضرب محيى الدين رضا لذلك عدة أمثلة، منها عين الخيف حين أخذت الحكومة قسمًا من ماء العين فأوصلته إلى جدة وهي تدفع لأصحاب العين مبلغ ستة آلاف ريال سنويًا، كما تتحمل نصف مصروفات العمارة اللازمة للعين، كما أنفقت مبلغ عشرين ألف ريال على تبريح العين، وتنظيف قنواتها، فزاد الماء فيها بنسبة ثلاثين في المائة، فتم إمداد جدة بجزء من تلك الزيادة التي حصلت بعد عمارة العين، وتحققت الفائدة أيضًا للأهالي في الزراعة حيث تعهدت الحكومة العين بالاهتمام والإصلاح الدائم ومجمل إنتاج تلك العين ثمانمائة ألف جالون في الساعة، ومن تلك العيون عين الجموم وتنتج ميلونا ومائتي ألف جالون يذهب منها إلى جدة يوميًا مئتان وخمسون ألف جالون، وتعد من أعذب العيون، ويستفاد من الباقي في الزراعة. وهناك أيضًا عين أبي شهيب، ويذهب منها إلى جدة نحو أربعمائة ألف جالون [1] .

ونخلص مما سبق إلى أن الحكومة السعودية أعطت الأولوية في مشروعات المياه لتوفير المياه النقية الصالحة للشرب، ثم توفير المياه لأغراض الزراعة ونستدل مما ذكره محيى الدين رضا عن العيون في وادي فاطمة أن كميات المياه التي يتم توصيلها إلى جدة روعي فيها أن يؤخذ من كل عين جزء ويترك الجزء الآخر تشجيعًا للزراعة ومراعاة لمصالح الأهالي في المنطقة .

(١) المرجع السابق، ص٩٧، ٩٨ .

الفصل السادس

الجوانب الداخلية والجوانب الثقافية

من خلال الرحلات العربية

أولاً : الأحوال الداخلية.

- الأمن.
- السياسة الأمنية .
- مظاهر الأمن .

ثانيا: الأحوال الثقافية.

- المكتبات .
- الصحافة.
- الطباعة.
- الأدب

أولا : الأحوال الداخلية :

الأمـن :

الأمن ضد الخوف، أمن فلان يأْمَنُ أَمْنًا وأَمَنًا، وأَمَنةً وأمانًا فهو آَمِنٌ، وقد أَمِنْتُ فأنا أَمِنٌ، وآمنتُ غيري من الأَمْن والأمَان(1). وقد ورد ذكر الأمن في كتاب الله الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعال ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾(2) وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾(3). والأمن نعمة من نعم الله العظيمة على عباده، إذ بدونه لا تستقيم الحياة، وهو من أهم عوامل الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي، وكان إرساء قواعد الأمن من أهم الأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز، كما كانت مظاهر الأمن واضحة جلية، وحتى نتمكن من تبيين حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز لابد من إيراد نبذة عن الأوضاع الأمنية سابقًا تساعدنا على المقارنة بين تلك الأوضاع وما آلت إليه، ومن خلال مادونه المؤرخون والرحالة ممن عاصروا تلك الأحداث، يتضح لنا مدى تدهور الأوضاع الأمنية. واستشهد الرحالة العرب المعاصرون للملك عبدالعزيز بكثير من الأمثلة عن الفوضى والاضطراب، وانقطاع حبل الأمن. وهذه الأمثلة إما أن تكون شخصية من مشاهدات الرحالة أنفسهم أو أمثلة مستقاة من رحالة سابقين لهم، وكذلك روايات شفهية ممن سبق لهم أداء الفريضة، أو روايات شفهية من الأهالي ممن عاصروا العهدين. ومن أمثلة مشاهدات الرحالة أنفسهم، رحلة البيطار عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م، وقد وصف فيها ما عاناه في رحلته(4)، حيث ركب القطار من دمشق إلى المدينة المنورة، وكان يصحبهم

---

(١) ابن منظور، جمال الدين. مرجع سابق، ج١٣، ص٢١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.

(٣) سورة قريش: الآية ٣.

(٤) كان المفترض أن يتوجه البيطار إلى نجد لتسليم الرسائل التي بحوزته إلى (الأمير) عبدالعزيز، وهي موجهة إليه من (الأمير) فيصل بن الحسين ومن محمد رشيد رضا، وقد كانت الأخطار التي لاقاها في الطريق من الأسباب التي دعته إلى عدم مواصلة الرحلة إلى نجد. وكلف رفيقه شلاش النجدي بمواصلة الطريق إلى نجد، أما هو فتوجه إلى المدينة المنورة. البيطار، محمد بهجة. مرجع سابق، ص٣.

ثمانية من الجنود مزودين بالسلاح حماية لأنفسهم ومرافقيهم، وعلى الرغم من تلك الاحتياطات هاجم عدد من البدو القطار، ووصف البيطار ذلك الهجوم بقوله: « ولكنهم أخذوا يسلبون بلا مبالاة، ويختارون ما خف حمله وغلا ثمنه بحال مخيفة مرعبة ووجوه وأزياء تقشعر منها الأبدان، وساعة رهيبة تشيب لهولها الولدان »[1]. وقد تعرضوا لهجوم آخر حين أكملوا رحلتهم على ظهور الإبل، ولكن معرفة أحد رفاقهم للمهاجمين كان فيه خلاصهم، ثم تعرضوا لهجوم ثالث، حيث أطلق عليهم بعض الأعراب الرصاص من وراء جبل، ونجوا منهم بصعوبة. ويصف مشاعرهم في تلك الرحلة: « وأما الحوادث والنوادر والفظائع في أثناء الطريق، .... هنا ذبح فلان، وهناك قتل فلان، وهنالك أخذ حلال فلان، ولم أسمع في طول تلك الأيام إلا الحوادث الفظيعة وما أشبهها، ... وفي كل يوم كان يشتد بنا الخطر، ويزداد ضيق الصدر، ولا ندري متى يوافينا الأجل؟ ولا كيف يكون القتل »[2].

ومن الرحالة الذين أعطوا أمثلة من خلال مشاهداتهم الشخصية مصطفى محمد، حيث قارن بين الأوضاع الأمنية في رحلته السابقة ورحلته في عهد الملك عبدالعزيز، واستشهد على ذلك بأوضاع الطرق، ومنها الطريق بين جدة ومكة، حيث كان يشاهد بين كل مسافة وأخرى حشدًا من الجنود الترك يجتمع في حصن لهم فوق قمم الجبال لحفظ الطريق من الأعراب، وكانت حراستهم تلك صورية، فهؤلاء الجنود يتخوفون من الاشتباك مع أولئك الأعراب تحسبًا لانتقامهم منهم لاحقًا، لذا فهم يتجاهلون أصوات الاستغاثة التي يطلقها المتضررون من الحجاج، كما وصف الطريق إلى المدينة المنورة وما يلاقيه الحجاج، حيث كانوا يسمعون طلقات نارية من قمم الجبال، وما أن يسمعوا أول طلقة حتى تتوقف القافلة لتتفاوض مع أولئك الأعراب وتدفع لهم المال، ثم يتكرر وقوف القافلة بعد كل مسافة لدفع الرسوم لتلك القبائل،

(١) المرجع السابق، ص١١.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧ .

وفي حال امتناعهم عن الدفع فإنهم يتعرضون للتعذيب والقتل، أو على الأقل العودة دون زيارة المدينة المنورة. ولم يقتصر الأمر على تهديد تلك القبائل بل إن (الجمالين) المرافقين للحجاج، وجلهم من البادية كان على الحاج إطعامهم وإكرامهم باستمرار وإلا تعرض لنقمتهم، وربما انفردوا به عن القافلة وقتلوه[1].

ولعل أبرز من استشهد به الرحالة العرب من رحلات سابقيهم رحلات إبراهيم رفعت في الأعوام ١٣١٨/ ١٣٢٠هـ - ١٣٢١/١٣٢٥هـ، ورحلة البتنوني عام ١٣٢٧هـ، وقد وصفوا ما يتعرض له الحجاج من اعتداءات من القبائل على الطرق المؤدية إلى الحجاز ، بل وصفوا ما يتعرض له الحجاج من الجمالة المرافقين لهم، واعتداءاتهم المتكررة عليهم، فإذا كان الحاج كريمًا في عطائه لهم ووعدهم بالكسوة في المحطة الأخيرة اعتنوا به، ومن كان شحيحًا معهم فإنه يتعرض لانتقامهم، فتارة يقطعون حزام الجمل ليقع راكبه ويتأخر عن القافلة، وإذا انفردوا به قتلوه، وتارة يؤخرونه بدعوى أن رحله في حاجة إلى إصلاح، ويريدون من ذلك سلبه والفتك به[2]. وتكثر السرقات من الجمالة في أثناء تحميل القافلة أو تنزيلها، ويسهر عدد من الحجاج لحراسة القافلة حين توقفها للراحة، وبلغ الأمر أن الحجاج يقضون حاجتهم بين رحالهم خوفاً من الأعراب سواء من القبائل المحيطة أو من الجمالة، فمن ابتعد عن الركب لقضاء حاجته بادره الأعراب أو الجمالة في أثناء غفلته بضربة على رأسه بعصا قصيرة غليظة ثم يسلبون نقوده وملابسه، ومنهم من يموت جراء هذه الضربة أو يتضرر منها بقية حياته[3]. ويقول إبراهيم رفعت عن قتل الأعراب للحجاج

---

(١) محمد، مصطفى. مرجع سابق، ص١٦٠ – ١٦١ .

(٢) باشا، إبراهيم رفعت. مرجع سابق، ج١، ص٦٨، البتنوني، محمد لبيب. مرجع سابق، ص٢٧٩.

(٣) البتنوني، محمد لبيب. مرجع سابق، ص٢٧٩.

وجرأتهم على ذلك: « وقد بلغني أن أعرابيًا قتل حاجًا فلم يجد معه غير ريال واحد ، فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح الريال أحسن منه »[1] .

ولا يقتصر تدهور الأوضاع الأمنية على الطرق الرئيسة بين مدن الحجاز، بل إن المشاعر المقدسة تفتقر إلى الأمن وكذلك المناطق المحيطة بمكة المكرمة، فقد اقترح إبراهيم رفعت على الراغبين في زيارة غار حراء أن يكونوا جماعات يحملون السلاح اتقاءً لشر اللصوص والأعراب الذين يتربصون لسلب أمتعة الحجاج ونقودهم خصوصًا في هذه الأماكن التي قل أن يرتادها الحجاج[2].

لقد بلغت الأوضاع الأمنية في الحجاز حدًا مزريًا دفعت الشاعر أحمد شوقي لنظم قصيدة يصف فيها حال الحجاج ومعاناتهم، ويستنجد بالسلطان العثماني ضد الأشراف وحكمهم وطغيناهم في الحجاز، ومما قاله في هذه القصيدة:

ضج الحجاز وضج البيت والحرم — واستصرخت ربها في مكة الأمم

تلك الربوع التي ريع الحجيج بها — أللشريف عليها أم لك العلم؟

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا — إن أنت لم تنتقم فالله ينتقم

أفي الضحى وعيون الجند ناظرة — تسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم

ويسفك الدم في أرض مقدسة — وتستباح بها الأعراض والحرم؟[3]

كما استشهد عدد من الرحالة بالروايات الشفهية للأهالي أنفسهم عن الأوضاع الأمنية سابقًا وما آلت إليه، فالسكان أكدوا أن الحروب

(١) باشا ، إبراهيم رفعت. مرجع سابق، ج١ ، ص٥٩.
(٢) المرجع السابق، ج١ ، ص٥٩.
(٣) وقد أورد الرحالة السوادي تلك القصيدة مدللاً على سوء الأوضاع الأمنية سابقًا ، السوادي، محمد. مرجع سابق، ص١١٧.

والثارات بين تلك القبائل متصلة والغارات بينهم مستمرة. يقول أرسلان عن عادة الثأر بينهم: ((وإنه إذا وقع دم بين قبيلة وأخرى انقطع كل اتصال بينها، وصار ابن إحداهما لا يقدر أن يمر بأرض الأخرى إلا تحت خطر القتل، وقد سمعت من القبائل التي شافهتها في الحجاز أنها إلى زمن استيلاء ابن سعود كان بعضها لا يقدر أن يدخل منطقة بعض ولو كان في أقرب محل إليه))[1].
ويؤكد فؤاد حمزة العداوات القائمة بين القبائل والثأر المستحكم بينهم، ويستشهد على ذلك بدليله في الرحلة الذي اضطر إلى استبداله بعد أن تجاوز أراضي قبيلته، لعدم خبرته بأراضي القبائل المجاورة، وأكد أنه قبل حكم الملك عبدالعزيز لم يكن يستطيع أن يتنقل بحرية أو يرعى مواشيه في أراضي تلك القبائل لاستحكام العداء بينهم[2]. كما أن أرسلان وصف جبال الطائف ومرتفعاتها ومدى خطورة عبورها في السابق بشهادة الأهالي أنفسهم: ((وقيل لنا: إن الأودية التي سلكناها والفروع التي فرعناها لم يكن أحد في الماضي يسلكها إلا برفقة شائكة السلاح، وإن الحكومة في أيام الأتراك لم تصل ولا مرة إلى الفرع والشفا، ولا قدر أحد من الترك أن يطأ تلك الأراضي))[3].

ولم تكن نجد والأحساء وجنوب البلاد أوفر حظًا من الحجاز من الناحية الأمنية، حيث نالت نصيبها من الفوضى والاضطراب وانعدام الأمن، وإن كنا لا نستطيع إعطاء صورة لمجمل الأوضاع الأمنية في جميع أنحاء البلاد نظرًا ؛ لأن اهتمام غالبية الرحالة كان منصبًا على منطقة الحجاز لأهميتها الدينية وقداستها ، إضافة إلى أن غالبية هؤلاء الرحالة كانوا من الحجاج. على أن الريحاني أعطى وصفًا للأوضاع الأمنية السابقة في منطقة الأحساء التي تمتاز بموقعها على مفترق طرق التجارة البحرية والبرية بين الخليج العربي

(١) أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٢٠٤.
(٢) حمزة، فؤاد . **في بلاد عسير**، ص٢٥.
(٣) أرسلان، شكيب، مرجع سابق، ص٢٦٩.

وداخلية نجد، مما جعلها مطمعًا لقبائل البادية، يقول الريحاني في وصف حالة التجار على تلك الطريق: « كان يجيء التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل أن يطأ برحاله العُقير (خوة) للعجمان، ومن العقير إلى النخل خمسة أميال وخمسون ريالاً (خوة) للمناصير، ومن النخل إلى أم الذر خمسة أميال وخمسون ريالاً (خوة) لبني مرة، ومن أم الذر إلى العلاة خمسون ريالاً (خوة) لبني هاجر... وإذا فاز التاجر المسكين بحياته وبقي شيء في كيسه، فمن المؤكد أن أحماله لا تصل كلها إلى الحسا، ولم تجدِ القلاع والحصون التي أقامتها القوات العثمانية ما بين ميناء العقير والهفوف لحماية القوافل التجارية، بل كانت مثار سخرية تلك القبائل. يقول الريحاني: ((وكان إذا خرج عسكر الترك لتأديب أحد من هؤلاء العشائر يطاردهم البدو فيغلبونهم، ويأخذون خيلهم وثيابهم، ويرجعونهم إلى الحسا حفاة عراة. ثم يجئ البدوي منهم راكبًا حصان الجندي التركي .... على مرأى من السلطة المدنية))[1].

ويتضح من الأمثلة السابقة ضعف السلطات الحاكمة التي لا تتجاوز سلطتها أسوار المدن، بل كانت عاجزة عن حفظ الأمن داخل المدن، وكانت السلطات الحاكمة تدفع رواتب سنوية لرؤساء القبائل، كما كانت تتودد إليهم لحفظ الأمن في مناطقهم، ولم يجد ذلك الأسلوب مع قبائل البادية، بل إنه فتح المجال أمام زيادة تلك التعديات لشعورهم بضعف السلطات واسترضائها لهم.

السياسة الأمنية:

انتهج الملك عبدالعزيز لإقرار الأمن في البلاد سياسة تنم عن حكمة وحنكة ومعرفة ودراية بأوضاع البلاد وما يناسبها، وقد تجلت سياسته الأمنية في كثير من الوسائل والأساليب والتي في طليعتها تطبيق الشريعة الإسلامية وسوف نعرض فيما سيأتي لهذه السياسة الأمنية ووسائل وأساليب إقرارها .

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٩.

أولاً : تطبيق الشريعة الإسلامية :

قامت الدولة السعودية على أساس الدين الإسلامي منذ اتفاق الإمام محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١١٥٧هـ[1]، وأدت تلك الدولة في مراحلها المختلفة دورًا بارزًا في تقويم عقيدة أهل البلاد ونهيهم عن البدع والشركيات وتحكيم الشريعة الإسلامية بلا هوادة في جميع أنحاء البلاد. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2]،وسار الملك عبدالعزيز على هذا النهج وجاهد في تطبيق الشريعة الإسلامية وأكد على ذلك في الخطب والبلاغات الموجهة للشعب[3]، وبلغ من اهتمامه بشرع الله أن قرن دخوله لمكة المكرمة برفع المظالم وتطبيق الشريعة الإسلامية حيث قال: ((إني مسافر إلى مكة، لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم عنها ... إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة الإسلامية، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع))[4] . وقد اهتم بالقضاء والقضاة كما أسلفنا، وأعطاهم صلاحيات واسعة في إصدار الأحكام الشرعية وتنفيذ الحدود بتعاون من إدارات الأمن وأمراء المناطق.

(١) وهذا ما أكده الملك عبدالعزيز في إحدى خطبه حيث قال: ((تفهمون أن الله – سبحانه - مَنَّ علينا وعليكم في آخر هذا الزمان بنعمة عظيمة ومنة جسيمة، وهي نعمة الإسلام التي من الله بتجديدها على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ومَنَّ علينا بنصرها والقيام بها، وأوجب علينا رعايتها وحمايتها وتعبدنا بذلك، ومن أعظم ما يكون سببًا لزوالها ووقوع الخلل فيها مجاوزتها إلى مالم يشرعه الله ولم يأمر به)) . مختارات من الخطب الملكية. (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ) ج١، ص٢١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) بلاغ صادر من الملك عبدالعزيز إلى أهل الحجاز. وثيقة رقم ٢٧٧ في ١٣٤٤/٦/٨هـ (الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز)

(٤) في خطاب ألقاه على مودعيه حين خروجه من الرياض لضم الحجاز عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م. الزركلي، خيرالدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، ص٣٣٥.

لقد كان الملك عبدالعزيز جادًا في تطبيق الشريعة الإسلامية قولاً وفعلاً، ففي إحدى خطبه قال: ((وأعلمكم بأن الجزاء والقصاص لا يكون إلا صارمًا، فأوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم باجتناب ما نهى عنه))[1] .

وطبقت الشريعة الإسلامية تطبيقًا عمليًا استنادًا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، وهذا التطبيق الفعلي وخاصة للحدود الشرعية وتنفيذ القصاص دفعت أحد الرحالة إلى القول: ((ولما كانت هذه الحكومة السعودية تحكم البلاد في حدود أحكام الشريعة الغراء فإنها تمكنت من إقامة قسطاس العدل حتى لزم كل فرد من أفراد الرعية حدود الاستقامة))[2]. وهكذا ربط هذا الرحالة بين الأمن وتطبيق الشريعة الإسلامية، بل رآه بعضهم السبب الأول في انتشار الأمن وقطع دابر الجريمة[3].

وأكد إبراهيم حبيب أن الشريعة الإسلامية طبقت على المقيمين والوافدين من عرب وأجانب مسلمين وغيرهم، وضرب مثالاً على ذلك تعدد الأجناس في موسم الحج، ومع ذلك كان تنفيذ الحدود والقصاص يسري على الجميع [4].

وقد كان للأمن في الحجاز تأثيره وصداه في المسلمين كافة، حيث اندفع كثير من المفكرين والكتاب في أنحاء العالم الإسلامي إلى حض حكوماتهم على تطبيق الشريعة الإسلامية، بل إن من الرحالة من دعا إلى ذلك، ففي الكلمة التي ألقاها عباس حمادة في المأدبة الملكية التي تقام في موسم الحج لتكريم وفود الحجاج نلحظ إعجابه الشديد بجهود الملك عبدالعزيز في هذا المجال وما تحقق على يديه حيث قال: ((وصار الصالحون

---

(١) من خطاب الملك عبدالعزيز في اجتماع الموظفين في الديوان الملكي بأجياد في مكة المكرمة في أول ربيع الأول سنة ١٣٤٦هـ. **مختارات من الخطب الملكية**، مرجع سابق، ج١، ص٤٠.

(٢) محمد، مصطفى. مرجع سابق، ص١١٤.

(٣) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٥١، الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٦٠.

(٤) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٤٨.

يضرعون إلى خالق الأرض والسماء أن يرسل إلى حرمه من يحميه من أيدي الظلمة، فاستجاب الله دعاءهم وأرسل آل سعود بالدين والهدى وسدد خطاهم... فحكم بينهم بما حكم الله، وأقام الحدود والقصاص، فاستتب الأمن وساد النظام وليس أدل على صدق ما أقول : من أن مكة بها الآن ما يقرب من مئة ألف حاج وجيوبهم مملوءة بالذهب والفضة، ولا نكاد نسمع في رقعة الحجاز على اتساعها وكثرة جبالها وحجاجها حادثة واحدة تكدر صفو الأمن. فيا شعوب الإسلام: هذه ثمرة من ثمرات الحكم بشرع الله، فعاهدوني الآن .... أن تعملوا في بلادكم على إعادة الحكم بشرع الله ونبذ الشرائع الوضعية))[1].

ثانيًا : الأجهزة الأمنية :

إن من عوامل استتباب الأمن في الدولة وجود أجهزة أمنية منظمة وحازمة، وهي تعد من أهم أجهزة الدولة، لضمان الأمن والهدوء والاستقرار اللازم لنمو البلاد، ولعل من أبرز الأجهزة الأمنية ما سيأتي :

الشرطة :

للشرطة وظيفتان أساسيتان: الأولى المحافظة على النظام، والثانية المحافظة على الأمن في الدولة، وهذا يتطلب أن تكون الشرطة ذات صبغة نظامية وأن تكون ذات سلطان وقوة وإمكانات ووسائل[2].

وكان تنظيم الشرطة من أول الأعمال التي اهتم بها الملك عبدالعزيز بعد دخوله الحجاز، فتأسست (مديرية الشرطة العامة) بمكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وتوالى إنشاء إدارات ومراكز للشرطة في كل من المدينة المنورة وجدة والطائف والرياض[3]. وقد تم انتخاب لجنة عن طريق المجلس

(١) حمادة، عباس. مرجع سابق، ص٧٣.

(٢) جمعة، رابح لطفي. **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص١٧٧.

(٣) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٤٥٤.

الأهلي لوضع نظام للشرطة ووظائفها، وقد صدرت الموافقة الملكية على هذا النظام للعمل بموجبه عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ونص هذا النظام على أن: ((الشرطة هي هيئة مختصة بحفظ الراحة العمومية، وملزمة بدوام المحافظة على الأمن العام والسكينة والآداب))[١].

وقد تم توحيد جميع إدارات الشرطة في المملكة تحت رئاسة إدارة مقرها مكة المكرمة بناءً على أمر ملكي صادر في ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، كما تضمن الأمر الملكي تجهيز نظام خاص لعموم إدارات الشرطة ومعاملاتها، وخلال الفترة من عام ١٣٤٩هـ إلى ١٣٧٠هـ استمرت الشرطة قائمة باختصاصاتها السابقة مع التوسع في إداراتها وأقسامها، بعد أن أطلق عليها اسم (مديرية الأمن العام)، وصدر نظام مديرية الأمن العام عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠هـ [٢] . وحتى يتم تطوير جهاز الشرطة على أسس سليمة تم إنشاء مدرسة للشرطة في مكة المكرمة عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وكان الطلبة يتقاضون رواتب شهرية لتشجيعهم على الاستمرار في الدراسة [٣] .

إن مظاهر الأمن التي رآها الرحالة دفعت عددًا منهم لزيارة مديرية الأمن العام في مكة المكرمة للاطلاع على أعمالها وإنجازاتها. يصف عباس حمادة زيارته تلك: ((وتوجهت إلى مدير الأمن العام بدار الحكومة ... وما تركت الباب الخارجي حتى أبصرت (رولاً) قد علق به صور الأشرار والمجرمين وقطاع الطريق، وقد كتب على كل صورة اسم صاحبها وقبيلته ونوع جنايته، والصورة تمثله بعد أن أجري القصاص عليه، أي أن صورة السارق تظهر مقطوعة اليد، وقد حلي هذا (الرول) من أعلاه بآية من القرآن الكريم وهي: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾[٤] فأدركت على

---

(١) نظام الشرطة ووظائفها الصادر عام ١٣٤٤هـ، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض.

(٢) جمعة ، رابح لطفي. مرجع سابق، ص١٨٦، ١٨٧.

(٣) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٤٥٥ - ٤٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٩ .

الأثر أن تنفيذ هذه الآية في هذه البلاد هو الذي أوجد الأمن وأصلح حال الحجاز))[1] .

كما زار إبراهيم حبيب تلك المديرية ورأى أن إحدى الغرف مليئة بالأمتعة والناس يدخلون تباعًا، وبعد تقديم الوصف الكافي لمفقوداتهم يستلمونها، وغالبها يكون قد فقد في الطريق بين جدة ومكة في أثناء قدوم الحجاج، وأكد وكيل مدير الأمن أن تلك المفقودات يتم تسليمها من قبل الأهالي إلى أقرب مركز للشرطة، ثم يتم إرسالها إلى مديرية الأمن العام، فيحضر أصحابها للسؤال عنها، وأكد وكيل الأمن العام ندرة حوادث السرقة نظرًا لتطبيق الشريعة الإسلامية، وأعجب إبراهيم حبيب بالسرعة والدقة في إنجاز الأعمال في ذلك الجهاز المهم[2]. ونخلص مما ذكره عباس حمادة وإبراهيم حبيب إلى الدور المهم الذي اضطلعت به مديرية الأمن العام، فبالإضافة إلى متابعة المجرمين والقبض عليهم كانت تقوم بتنفيذ الحدود بعد صدور الحكم الشرعي من القاضي مع العلانية في التنفيذ، إضافة إلى نشرها لقائمة بأسماء وصور من أقيمت عليهم الحدود الشرعية ليكون ذلك رادعًا لغيرهم، وإن كتابة الآية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ في أعلى القائمة لم يكن عبثًا، بل كان تطبيقها واقعًا مشهودًا . وهذا ما حدا بكثير من الرحالة إلى الربط بين الأمن في المملكة وتطبيق الشريعة الإسلامية، ونتج عنه ما رآه إبراهيم حبيب في مديرية الأمن العام في مكة المكرمة من كثرة المفقودات التي يتم تسليمها، وقد يكون بعضها تافه القيمة ولكن تنفيذ الحدود وانتشار الوعي لدى السكان أدى إلى ندرة حوادث السرقة، بل تورع الناس عن مد أيديهم حتى إلى اللقطة على قارعة الطريق.

---

(١) حمادة، عباس، مرجع سابق، ص٥٦ .

(٢) حبيب، إبراهيم . مرجع سابق، ص١٤٦ .

ولم تقتصر المهام التي يقوم بها رجال الأمن على ما ذكرناها آنفًا من تعقب المجرمين والقبض عليهم، ومراقبة المشبوهين، بل كان لهم دورهم الواضح في النقاط الأمنية في مداخل المدن وخاصة في الحجاز، فعلى سبيل المثال كان هناك نقطة أمنية عند مدخل مكة المكرمة تقوم بالتفتيش على السيارات والجمال والبضائع. ورأى إبراهيم حبيب أن العمل في هذا المركز يجري بدقة، وكان هناك سجلات معدة لقيد الداخلين إلى مكة والخارجين منها، ولا شك أن هذا الإجراء يعد احتياطًا أمنيًا بالدرجة الأولى[1]. وفي مدخل المدينة المنورة توجد نقطة أمنية للتفتيش على جوازات المرور، كما تقوم بفحص الأمتعة، ويجب أن يحمل الحجاج والمسافرون تصاريح للتنقل بين مدن الحجاز، ويطلق على هذا التصريح اسم (الكوشان) والذي سبق الحديث عنه في الفصل الثالث.

ويلي جهاز الشرطة في الأهمية هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أسهمت متضامنة مع الشرطة في حفظ الأمن في أنحاء البلاد والقضاء على مظاهر الفساد.

هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا شك إن لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأثر البالغ في حماية الأخلاق، وإصلاح المجتمع من الناحية الأخلاقية والسلوكية والقضاء على مظاهر الفساد، وقد أمر الله - تعالى - عباده بالقيام بهذا الأمر في قوله: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3] .

(١) المرجع السابق، ص٥٨ ، ٥٩ .
(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

وإيمانًا من الملك عبدالعزيز بضرورة القيام بهذا الأمر أمر بإنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموجب الأمر الملكي رقم ٥٤٤ في المحرم من عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، واختار لهذه الهيئة نخبة من العلماء،وكذلك من الرجال المشهود لهم بالصلاح والاستقامة[١].

وبالإضافة إلى تشكيل الهيئات كان الملك عبدالعزيز يؤكد في خطبه الموجهة إلى الشعب على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول في إحدى خطبه: ((إذا علم هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات . .... وهذا لازم لكل واحد بحسب قدرته، فإذا قام به بعض المعينين له سقط عن الباقين، فإذا تركوه أثموا وعوقبوا .... فلا صلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... لأن ذلك سبب صلاحهم وفلاحهم في معاشهم ومعادهم، وبتركه والتغافل عنه يكثر الشر والفساد))[٢]. إن هذا الخطاب يدل بوضوح على إيمان الملك عبدالعزيز التام بمسؤولية الحكومة والمجتمع عن هذا الأمر لضرورته لصلاح البلاد والعباد، وهو يشير إلى قاعدة فقهية في أن الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف[٣].

وقد تم إنشاء كثير من هذه الهيئات في أنحاء البلاد ووضع لها نظام وصلاحيات، وأدت دورًا بارزًا في القضاء على مظاهر الفساد وكان لها أثرها في إصلاح المجتمع من الناحية الدينية والأخلاقية ، مما أسهم في انتشار الأمن

---

(١) وثيقة عن تشكيل هئية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعيين الشيخ عبدالظاهر أبو السمح رئيسًا لها وتعيين أعضائها، منهم عبدالله بن عمار ومحمد الخضيري وعبدالرحمن العقل وعبدالله خياط. وثيقة رقم ٢٩ في ١٨ المحرم ١٣٤٧هـ، مركز الوثائق، معهد الإدارة العامة بالرياض .

(٢) خطبة للملك عبدالعزيز بتاريخ ١٣٤١هـ، **مختارات من الخطب الملكية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٩.

(٣) جمعة، رابح. مرجع سابق، ص٩٤.

والطمأنينة والقضاء على الفوضى والاضطراب. ونستطيع من خلال ما دونه الرحالة أن نتبين أبرز المهام التي اضطلع بها رجال الهيئات، حيث رأى الرحالة طواف رجال الهيئة بالأسواق يرافقهم رجال من الشرطة لمراقبة الأخلاق العامة، وحث الناس على أداء الصلاة في أوقاتها والتوجه إلى المساجد عند سماع الأذان وترك البيع والشراء وكانوا يسمعون نداءهم المتكرر (الصلاة الصلاة)[1] .

ولا يقتصر مراقبة أداء الصلوات وحث الناس عليها على الأسواق، بل يشمل الأحياء المختلفة، ففي كل حي مسجد ولكل مسجد إمام يحمل كشفاً بأسماء من تجب عليهم الصلاة في حيه لمتابعة المتخلفين عن الصلاة، فيعذر المرضى وينبه المتكاسلين في المرة الأولى ويوعظون ويغرمون في الثانية ثم يجلدون في الثالثة، مع العلم بأن هذا المتهاون غير تارك للصلاة، ولكنه تخلف عنها بلا عذر مقبول[2] .

ورجال الهيئة بتوجيههم الناس وحثهم على أداء الصلوات في أوقاتها إنما يقدمون خدمة كبيرة للمجتمع، فالصلاة تعد الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي خير وازع للفرد عما حرم الله. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ....﴾ [3] .

كما أسهمت الهيئات في مهمة التوجيه والإرشاد وخاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة في أثناء توافد الحجاج والزوار والمعتمرين، حيث يتم توعيتهم ونهيهم عن المنكرات والبدع والشركيات على القبور خاصة ، والتي كانت شائعة فيما سبق. يصف التميمي ذلك: « ومما يشكر عليه عبدالعزيز ابن سعود أنه أنشأ هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعمل تحت إداراتها

(١) السوادي. محمد. مرجع سابق، ص١١٤ ، ١١٥.
(٢) التميمي ، محمد. مرجع سابق، ص٦٨ ، الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٩٤.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥ .

جنود يرشدون الزائرين إلى آداب الزيارة ويمنعون الجاهلين من التمسح بحديد المقصورة النبوية أو السجود أمامها أو غير ذلك من المخالفات ››[1] .

كما شملت مهام رجال الهيئة مراقبة الموازين والمكاييل ومنع الغش في البيع والشراء ومراقبة أي مخالف لتعاليم الدين الإسلامي[2]. وهكذا أدى رجال الهيئات بالتعاون مع رجال الشرطة في عهد الملك عبدالعزيز دورًا بارزًا في إشاعة الأمن والاطمئنان بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقويم الأخلاق وحماية المجتمع من الرذائل عن طريق الوعظ والإرشاد ودعوة الناس إلى الخير وفضائل الأخلاق. ولا شك أن هذا أسهم في توعية الناس وزرع الوازع الديني في قلوبهم مما نتج عنه قطع دابر الفساد والإجرام.

ثالثًا : تنفيذ الحدود والقصاص علنًا :

لقد كان الملك عبدالعزيز حريصًا أشد الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية، وخاصة العقوبات الجنائية لتكون رادعًا للناس، لذا فقد وجه رجال الأمن إلى ملاحقة المجرمين والقبض عليهم وعدم التهاون في ذلك، ثم إحالتهم إلى القضاء، كما وجه القضاة إلى سرعة البت في القضايا عند ثبوت التهمة، حتى إذا صدر الحكم الشرعي تم تنفيذ الحكم بلا تردد ولا إمهال[3].

وكان لتنفيذ الأحكام الشرعية علانيةً اثرها الفعال في نفوس مشاهديها، وهي خير رادع لهم، ويتم تناقل أنباء تنفيذ القصاص والحدود الشرعية عمن شاهدوها، فيعلم الحاضر الغائب لأخذ العظة والعبرة، مما أثار الهيبة في النفوس، وهذا ما حدا بأحد الرحالة إلى القول: ‹‹ الواقع أن تنفيذ القانون السماوي هو الذي أمن الناس على أموالهم وأرواحهم .... وهذه العلانية

(١) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٨٠.
(٢) جمعة، رابح. مرجع سابق، ص٩٦.
(٣) الزركلي، **خير الدين. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٤٥٣.

في الأحكام والشدة والدقة في إصدارها وتنفيذها هي صاحبة الفضل الأول في استتباب النظام والأمن في ربوع هذه الأراضي المقدسة »[1].

وقد شهد عدد من الرحالة بأنفسهم مظاهر تنفيذ الحدود الشرعية والقصاص، وكان الريحاني من أوائل الرحالة رصدًا لمظاهرها، حيث شهد تنفيذ الحد الشرعي في رجل اغتصب فتاة صغيرة، فتم جلده علانية على مشهد من الناس في مدينة الرياض[2].

ومن الواضح وكانت الأحكام تنفذ علانية في ساحة البلدة أو في أماكن التجمعات، وغالبًا ما تكون بعد صلاة الجمعة لكثافة عدد المصلين، فيشهد تنفيذ الحكم أكبر عدد ممكن من الناس، فمثلاً في مكة المكرمة كانت الأحكام تنفذ على مقربة من الحرم المكي الشريف في الشارع المسمى (شارع الحكومة) [3]، وكانت الحدود تنفذ فورًا بمجرد صدور الحكم وفي أي وقت حتى في موسم الحج، فكان هذا رادعًا للسكان ولضعاف النفوس من الحجاج كما أسلفنا. وقد شهد الطنطاوي كيفية تنفيذ الأحكام الشرعية على مقربة من الحرم المكي الشريف، ووصف ذلك المشهد وصفاً دقيقاً. فبعد انقضاء صلاة الجمعة بفترة وجيزة امتلأ المكان بالناس من كل جنس ولون، ولم يبق فيه موطئ قدم، وقد حضر تنفيذ الحكم الأمير فيصل ابن عبدالعزيز نائب الملك في الحجاز، كما حضره كثير من رجال الدولة وموظفوها، وقد عقب الطنطاوي على وصفه مشهد إقامة الحد الشرعي بقوله: « أما إنه لولا هذا ما بلغتم أرض الحجاز سالمين، وما العهد السابق ببعيد، أفلا نستحيي بقتل واحد أو اثنين الناس جميعًا؟ .... صدق الله العظيم ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ »[4] .

(١) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٥٠ – ١٥١.
(٢) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥٧.
(٣) الطنطاوي، علي. مرجع سابق، ص٦٣.
(٤) الطنطاوي ، علي. مرجع سابق، ص٦٧.

كما رصد السوادي مشهدين من مشاهد التنفيذ العلنية الأول في مكة المكرمة قرب الحرم المكي بعد صلاة الجمعة، حيث أقيم الحد على سارق.

وفي جدة شهد تنفيذ القصاص في قاتلين أحضرا إلى ساحة البلدة ثم تلي عليهما الحكم، وأقيم عليها الحد الشرعي . وأكد السوادي أن تطبيق الأحكام الشرعية وعلانية التنفيذ من أسباب استتباب الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، بل إنها من مآثره التي نال بها ثناء المسلمين كافة[1].

ودون الهواري ما شهده في إدارة الأمن العام من جلد مجرم حدًا لشربه الخمر، وقطع يد سارق على مرأى من عامة الناس[2].

ولا يقتصر الأمر على علانية تنفيذ الأحكام، بل كان يتم التشهير بالمجرمين والتحذير منهم، فقد رأى عباس حمادة في المسجد النبوي في المدينة المنورة رجلاً قد طلي وجهه بالسواد تدور به الشرطة يعلنون للملأ أنه شهد شهادة زور فحكم عليه القاضي بذلك وسيكون مصيره السجن[3]. وعلى باب مديرية الأمن العام في مكة المكرمة رأى عباس حمادة وكذلك الهواري لوحة معلقة على الباب تحوي صورًا لمن سرقوا من قبل وأقيم عليهم الحد، مع إعلان أسمائهم وصورهم بعد إقامة الحد، ومنشور أيضًا فيها صور المجرمين من القتلة الذين أقيم عليهم حد القصاص[4]، ومن الواضح أن هذا الإعلان فيه تشهير بهؤلاء المجرمين وتحذير من سلوك مسلكهم وهذا بلا شك يثير الرهبة في النفوس الضعيفة من أن ينالها مثل هذا العقاب.

---

(١) السوادي، محمد. مرجع سابق، ص ١١٦ – ١١٧.

(٢) وقد ذكر الهواري أنه حتى زمن رحلته ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م قد نفذ حد السرقة في نحو خمسين شخصًا، كما أقيم القصاص على نحو ٣٠ قاتلاً، ولكنه لم يحدد المصدر الذي استقى منه معلوماته واكتفى بالقول (ذكر لنا) ولا ندري هل هذا العدد قاصر على منطقة الحجاز أم في عموم المملكة. الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص ١٧٦ ،١٧٧.

(٣) حمادة، عباس. مرجع سابق ، ص١١٠.

(٤) المرجع السابق، ص١١٠، الهواري، أحمد. مرجع سابق ، ص١٢٩.

رابعًا : الأساليب التي انتهجها الملك عبدالعزيز في التعامل مع القبائل :

جمع الملك عبدالعزيز في تعامله مع القبائل بين أسلوبين: الأول : الحزم والشدة، والأسلوب الثاني : تآلف رؤساء القبائل وأفرادها بالكرم معهم، ومع أن عطاءه ورفده للقبائل مستمر، ولكن عطاءه كان تألفًا لتلك القبائل لا خوفًا منها، فقد كان يحتفظ بقوته وصلابته وهيبته في التعامل مع تلك القبائل، وهذا من أهم الأسباب التي ساعدته على ضبط القبائل، فهو في أيام السلم كريم إلى أبعد الحدود معهم ولكنه صارم معهم في تعدياتهم بلا محاباة[1]. فبعد دخوله الحجاز جمع رؤساء القبائل في المنطقة وحثهم على التمسك بالدين الإسلامي، وطمأنهم على عوائدهم من الحكومة، وحدد لهم المناطق الخاصة بكل قبيلة على ما هو متعارف عليه، وعهد إلى كل قبيلة حفظ الأمن والنظام وتأمين السابلة، والمحافظة على أرواح الحجاج وممتلكاتهم داخل المنطقة المعينة لهم، وأن يكون شيخ القبيلة مسؤولاً عنهم مسؤولية تامة عما يقع في نطاقه من جرائم أو تعديات، ويكون ملزمًا بتسليم المذنبين، وإلاّعرض نفسه وقبيلته للعقاب الصارم[2]. وقد ذكر المازني وهيكل ما أسمياه (بالتصبيحة) وهي نوع من العقاب التأديبي الذي لا يلجأ إليه الملك عبدالعزيز إلا بعد تكرار التحذير والإنذار للقبيلة، كما سبق أن ذكرنا[3]، كما أيد هيكل ذلك العقاب ورآه استئصالاً للعضو المريض من جسد الأمة، وأن هذا الأسلوب كان ضروريًا لضبط تلك القبائل التي لم ترع حرمة دماء المسلمين وحرمة البلاد المقدسة والأشهر الحرم[4].

إن شدة الملك عبدالعزيز وحزمه في تطبيق الشريعة الإسلامية، إضافة إلى قوة شخصيته أثارت الهيبة في نفوس الرعية وخاصة من البادية ، وهذا ما لمسه

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٥١ .
(٢) الزامل، عبدالله . مرجع سابق، ص١٩٣ .
(٣) المازني، إبراهيم . مرجع سابق ، ص٦٨ — ٦٩ .
(٤) هيكل، محمد . مرجع سابق ، ص١٥٢ — ١٥٣ .

الرحالة ومنهم محمود ياسين وعباس حمادة، فقد التقى محمود ياسين ورفاقه في طريقهم إلى المدينة المنورة أحد البدو فدار بينهم حوار، وقد وجهوا إليه مجموعة من الأسئلة حول أمور دينه، ثم سألوه: « هل عندكم من يسرق؟ أجاب: لا. لأن من يسرق يقطع ابن سعود يده ورجله، فقالوا له إن ابن سعود في الرياض وهي بعيدة فكيف يقطع يد السارق ورجله. فقال: رجاجيله يفعلون)). وعدد البلاد القريبة من منطقته والتي يقيم فيها رجال الملك عبدالعزيز من أمراء وقضاة وغيرهم[1]. وقريبًا من هذه الرواية ما رواه عباس حمادة في طريقه من مكة إلى المدينة، وكان سيرهم في ليلة مظلمة فتعطلت بهم السيارة، فتخوفوا من البدو وما كانوا يسمعونه عنهم سابقاً، إلا أن البدو أقبلوا إليهم يطلبون إحسانًا، وحين قال عباس حمادة لأحدهم : خذ من جيبي يريد بذلك اختباره هلع الأعرابي وقال: ((أتريد قطع يدي؟ ... لا يابوي، لا أطلب شيئًا!!)) ولما سأله ممن تخاف؟ قال من ابن سعود وحين ذكره بأنهم في عزلة عن ابن سعود ورجاله قال البدوي: ((إنهم يرونني حتى داخل هذه المغارة)) . وعلق عباس حمادة على هذا الموقف بقوله: « فدهشت لهذا ورددت قول سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: ((إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)) . كما تعجب من موقف أولئك البدو فقد جلسوا معهم لساعة متأخرة من الليل، وقدموا لهم الماء واللبن، وأكرموهم، بل لقد نام بعضهم في حراسة أولئك البدو[2]. ونلحظ من النصين السابقين مدى هيبة الحكومة وتحديدًا الملك عبدالعزيز في نفوس البادية، حتى في المناطق النائية، وقد توصل إلى ذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية، وتنفيذ الحدود والقصاص دون هوادة، مع السرعة والعلانية في التنفيذ .

---

(١) ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة**، ص٦٨ - ٦٩.
(٢) حمادة، عباس . مرجع سابق، ص٥٦ ، ٥٧ .

وعلى الرغم من الظروف الاقتصادية السيئة قبل اكتشاف النفط والفقر الذي كان يعيشه أبناء البلاد، خاصة من البادية لاعتمادهم على الثروة الحيوانية والتي كانت عرضة للتناقص في سنين القحط والجدب، إلا أن حوادث السرقة كانت نادرة، وهذا ما أدهش الرحالة أن يقترن ذلك الفقر بالتعفف عن السرقة مع شدة الحاجة وضيق ذات اليد، وكان أن لجأ بعض أفراد القبائل إلى المدن الرئيسة في الحجاز للعمل في مجال خدمات الحجيج، كحرفة السقاية فيحملون الماء إلى مساكن الحجاج مقابل مبلغ من المال، أو يعمل بعضهم في بيع المواد الغذائية على الطرق الرئيسة بين مدن الحجاز، لكسب لقمة العيش[1]. أما من لم يجدوا موردًا لكسب العيش فكانوا يلجأون إلى التسول في البلاد المقدسة وعلى الطرق التي يسلكها الحجاج. يقول الطنطاوي: « ولما حللنا .... حف بنا أكثر من خمسين سائلاً .. كلهم يطلب حسنة ... هي قبائل كانت أيام الأتراك وما بعدها مفزع الحجاج، ومثار الخوف، وكانت تفسد الأرض، وتهلك الحرث والنسل، أصبحت اليوم تسأل الناس، لا تجرؤ أن تمد إليهم يدًا بغير السؤال، فسبحان مغير الأحوال »[2] . وبلغ من تعففهم عن السرقة حدًا تعجب منه مصطفى محمد الذي سبق له أداء فريضة الحج وشهد بنفسه مدى تهديد الأعراب للحجاج ومدى تحكمهم بتلك الطرق يقول عن ذلك: « والآن ماذا نرى؟ نرى ذراري هؤلاء العربان يقفون حفايا عرايا وسط طريق السيارات يستندون الأكف .... تقف السيارة ليملأ السائق خزانها بالبنزين ويلقي الصفيحة فارغة على قارعة الطريق، وأقسم أننا كنا نعود فنرى الصفيحة كما هي ولا يجسر أحد من الدنو إليها »[3].

---

(١) محمد ، مصطفى . مرجع سابق، ص٩٦، ص١٦٠ .
(٢)الطنطاوي، علي . مرجع سابق ، ص٤٤ .
(٣) محمد ، مصطفى . مرجع سابق ، ص١٦١ .

وهكذا كان امتناع هؤلاء عن السرقة دافعًا لبعضهم إلى التسول عند عدم توافر فرص الكسب الشريف، وهذا ربما يكون سببًا في ظاهرة التسول التي لاحظها عدد من الرحالة في الحجاز، وقد كان الملك عبدالعزيز يدرك اعتماد هؤلاء على السلب والنهب فعمد إضافة إلى إنفاذ حكم الشرع إلى بسط يده بالإحسان إلى فقرائهم[1]، سواء في الحجاز أو في نجد، فقد رأى الريحاني مئات من المحتاجين حول القصر عند وصوله إلى الرياض، وعطاء الملك عبدالعزيز لهم كان الهدف منه عدم لجوئهم إلى السرقة تحت ضغط الحاجة، ولم يقتصر رفده وعطاؤه على فقرائهم، بل كان يعطي رؤساء القبائل كما أسلفنا تألفًا لهم ولحفظ الأمن في مناطقهم، وكان هذا أسلوبًا آخر من أساليب التعامل مع تلك القبائل، وكان رؤساء تلك القبائل يفدون مع المئات من أتباعهم إلى قصره في الرياض حتى ينالوا هباته وأعطياته السنوية، وعندما يعطيهم في المرة الأولى يعدون ذلك حقًا دائمًا وراتبًا مستمرًا في كل عام، ويفدون إليه تباعًا لثقتهم بأنه لا يرد الوافدين عليه، بل إنه يتوخى الكرم في عطائه معهم ليكسبهم في جانبه. وقد وصف الريحاني مظهرًا من مظاهر ذلك العطاء، وقد استأذن الملك عبدالعزيز في النظر إلى أحد الكشوف، فرأى فيه أكثر من مئة اسم يكتب الملك عبدالعزيز أمام كل اسم منها ما يعطى لصاحبه عند رحيله، ويتنوع هذا العطاء حيث يشمل المال والكسوة والأطعمة من تمر وسمن وأرز وسكر وبن وغيره. ويكون عطاؤه لهم بحسب مكانتهم، فشيوخ القبائل في المقام الأول، يليهم رجالهم ثم حاشيتهم وأتباعهم، وكان الملك عبدالعزيز يجني من وراء هذا العطاء مكاسب مهمة لدولته، فهو يكسب ولاء شيوخ القبائل وأفراد قبائلهم، كما أن عطاءه لهم في أثناء السلم له مردوده في أثناء الحرب، فعند صدور الأمر من الرياض

(١) مصطفى، محمد شفيق . مرجع سابق ، ص٦٤ . وثيقة رقم ٦٠٦ في ١٣٦٩/٩/١٨هـ (الوثائق الوطنية، دارة الملك عبدالعزيز).

تكون الاستجابة سريعة من قبل تلك القبائل ، كما أن جيشهم لا يكلف تموينًا يذكر، فكل فرد يأتي بسلاحه وزاده، وهكذا كان يعطيهم الكثير تأليفاً لهم وخاصة شيوخهم ليجني ثمرته في حفظهم الأمن في مناطقهم[١] .

ولم يقتصر الملك عبدالعزيز على الوسائل السابقة في تعامله مع القبائل، بل اتخذ خطوة تعد أعظم أثرًا مما سبق، حيث أدرك أن البادية إن ظلوا على حالهم في تنقلهم وترحالهم فإنهم لا يخضعون لسلطان الحكومة، ومن الصعب تعقب المعتدين منهم ومعاقبتهم فلا بد من استقرار تلك القبائل وربطها بالأرض حتى يقضي على العصبية القبلية والنزعة الاستقلالية لديهم المتمثلة في عدم خضوعهم لأي سلطة عدا شيوخهم، وكانت حركة توطين البادية وتحضيرهم خطوة جريئة من الملك عبدالعزيز، ومع أنه واجه الكثير من العقبات إلا أنه استطاع التغلب عليها كما أسلفنا، فتم إنشاء الهجر حول موارد المياه وأقام في كل هجرة مسجدًا، وبث العلماء والوعاظ والمرشدين في تلك الهجر بهدف توعيتهم بأمور دينهم لتهذيب أخلاقهم وربطهم برابطة الدين، وجد أولئك البدو في طلب العلم، فاكتظت بهم المساجد في تلك الهجر، كما أكد أولئك المرشدون على ضرورة العمل والكسب الحلال، فاشتغل أهل الهجر بالزراعة بتشجيع من الملك عبدالعزيز، إذ قدم لهم معدات حفر الآبار لاستخراج المياه، والأدوات اللازمة للزراعة[٢]، وبهذا يمكن توفير سبل العيش الكريم لهم حتى لا يصبحوا عالة على الدولة.

ومن نتائج توطين البادية وتحضيرهم أن أصبحت رابطة الدين هي الرابطة الأولى بينهم، وكانوا يطلقون على أنفسهم الإخوان إشارة إلى أنهم إخوة في الدين، وكان للتوعية الدينية أثرها في أسلوب حياتهم فأصبحوا أكثر تمسكًا بالدين وحفاظًا على فروضه، كما عرفوا حدود الحلال والحرام

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٧٥.
(٢) الزامل، عبدالله. مرجع سابق، ص١٢٨ – ١٣٤.

فلزموها، وكان لهذا أثره الفعال في استتباب الأمن بامتناعهم عن السلب والنهب وغزو القبائل بعضها بعضًا، كما أصبحوا هم الأساس لجيش الملك عبدالعزيز وكان لهم إسهامات عسكرية مشهودة في حركة توحيد البلاد [1].

خامسًا : الاستعانة بقصاص الأثر والاتصالات اللاسلكية:

(القيافة) يَقْفوُ ويَقوُفُ ويَقْتافُ أي يتبع الأثر، والعرب تقول قُفْتُ أثره وقَفَوْته واقتفى أثره وتقفاه: اتبعه . وقفيت على أثره بفلان: أي أتبعته إياه [2] .

والقيافة معروفة لدى العرب منذ الجاهلية، وهناك قبائل تميزت بوجود هذه الخاصية بين أفرادها منهم بنو سليم، وكان تتبع الأثر وما زال من أهم وسائل الاستدلال لمتابعة المجرمين والتعرف عليهم، فقاص الأثر إذا شاهد أثرًا في مكان الحادث انطبع الأثر في مخيلته بحيث يتمكن من التعرف على صاحب ذلك الأثر عند مشاهدته مرة أخرى[3] .

وفي تلك الفترة اشتهرت قبيلة آل مرة بالقيافة، ويطلق على الفرد منهم (المري) وجمعها (المرية) وتستخدم الأجهزة الأمنية رجالاً منهم، كما يستعين بهم أمراء المناطق لتعقب المجرمين[4].

وتعجب أحمد حسين لكثرة ما سمع في أنحاء البلاد عن براعة آل مرة في اقتفاء الأثر، وقد طلب من الأمير سعود بن عبدالعزيز إجراء تجربة أمامهم ليقف بنفسه على مدى صحة ما يقال عنهم، وتم إجراء التجربة كما أسلفنا، واستشهد منها أحمد حسين على براعة (المرية) في هذا المجال، كما أكد أن براعتهم تلك واستعانة الحكومة بهم لتعقب المجرمين كان سببًا من أسباب

(١) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٦٥ – ٥٦٧، للمزيد عن مشروع توطين البادية. انظر الفصل الثاني.

(٢) ابن منظور، جمال الدين . **لسان العرب**، ج١٥، ص١٩٤.

(٣) العتيبي، إبراهيم. **الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٢٠٠.

(٤) في تلك الفترة كان يطلق لفظ المري على مقتفي الأثر ولولم يكن من قبيلة آل مرة. الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، ص٤٥٣، ياسين ، محمود. **الرحلة إلى المدينة** ، ص٩١ – ٩٧.

انتشار الأمن، ويصف أحمد حسين الأثر الناتج عن استخدامهم بقوله: ((ولقد أصبح من الأقوال المرددة بين الأعراب أن الإفلات من يد ابن السعود هو ضرب من ضروب المستحيلات بعد أن أصبح له: (**في السماء برقية وفي الأرض مرية**) إشارة إلى التلغراف اللاسلكي الذي ينقل الأخبار، وإلى بني مرة الذين يتتبعون الآثار))[١] .

ولا شك أن هذا النص يدل دلالة واضحة على استعانة الملك عبدالعزيز بأولئك المرية وثقته بقدراتهم وإمكانية اعتماد شهادتهم في البت في عدد من القضايا[٢]. كما يدل على مدى الهيبة لدى المواطنين من استخدام هؤلاء (المرية).

ويؤكد محمود ياسين وجود قصاص الأثر لدى كثير من الأمراء، وشهد بنفسه مظهرًا من مظاهر الاستعانة بهم ففي طريقه من مكة إلى المدينة المنورة وبعد خروجهم من بلدة (مستورة) إحدى المحطات على الطريق افتقد أحد رفاقهم بعض الأمتعة فعادوا لإبلاغ أمير البلدة وفي طريق عودتهم وجدوا بعضها ولم يجدوا الباقي فأرسل معهم أمير البلدة على الفور قاص الأثر، فوجدوا أمتعتهم حيث سلمتها لهم إحدى الفتيات لكن قاص الأثر شك في الأمر فصحبها إلى أمير البلدة لتقصي الحقيقة[٣].

وإضافة إلى قصاص الأثر استخدم اللاسلكي في تتبع وتعقب المجرمين، فنظرًا لاتساع رقعة المملكة وصعوبة المواصلات في ذلك الوقت أمر الملك عبدالعزيز باستخدام الاتصال اللاسلكي خدمة للأمن بدءًا من عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، وما لبث أن توسع في استخدامه، وربط أنحاء المملكة بشبكة من

(١) حسين، أحمد. **مشاهداتي في جزيرة العرب**، ص٢٦٢.
(٢) وثيقة رقم ٤٤١ في ١٣٦٩/٦/٩هـ، **الوثائق الوطنية**، دارة الملك عبدالعزيز.
(٣) ياسين، محمود. **رحلة الحج والعمرة**، ص ١٤٨، كما أكد الرحالة نفسه في رحلة سابقة له وجود أحد قصاصي الأثر لدى أمير العلا واعتماده عليه ولم يذكر في كلتا المرتين القبيلة التي ينتمي إليها قاص الأثر وهذا يدل على أن هناك قبائل أخرى اشتهرت في هذا الجانب غير قبيلة آل مرة، ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**، ص ٩١.

الأجهزة اللاسلكية في محطات ثابتة ومتحركة، وسخرت لخدمة الأمن فسرعة الإبلاغ عن المتهمين عن طريق تلك الأجهزة تمكن سلطات الأمن من متابعة المجرمين وإبلاغ نقاط التفتيش على الطرق بالقبض عليهم، ولا شك أن لهذا الإجراء أهميته في تخويف المجرمين ومنعهم من ارتكاب المخالفات الأمنية، وفي الوقت نفسه مساعدة رجال الأمن في سرعة تعقب الجناة اختصارًا للوقت والجهد(1).

مظاهر الأمـن :

لا شك أن مظاهر الأمن في المملكة واضحة جلية للعيان، أشاد بها كثير ممن زاروا المملكة من عرب وأجانب ، ومنهم الرحالة العرب حيث نشروا كثيراً من مشاهداتهم وانطباعاتهم عن مظاهر الأمن التي تحققت، وأعطوا نماذج لذلك، إما شخصية وقعت لهم أو روايات شفهية عن الحجاج والأهالي، وسوف نوجز فيما سيأتي بعض هذه النماذج للدلالة على مدى الأمن والاستقرار الذي تمتعت به البلاد، وسوف نبدأ بأمثلة وقعت للرحالة أو من مشاهداتهم الشخصية:

١ - ما رواه المازني في أثناء رحلته في طريقه من جدة إلى مكة، فقد توقفت بهم السيارة لتصاعد الدخان منها، وحين نزولهم منها على عجل سقطت عصا المازني دون أن يفطن لها، وبعد إصلاح العطل استأنفوا السير ، وحين وصولهم المحطة التالية تم سؤالهم إن كان لهم عصا قد سقطت منهم في الطريق وقال السائل: « لقد وجدت عصا في الطريق ... فقطعت على الناس السبيل ... لا أحد يروح ولا أحد يغدو » وقد علق المازني على هذه الحادثة بقوله: « ولست مبالغًا فيما رويت عن عصاي وما صنعت». وعقب على ذلك بمثال آخر، فعند وقوفهم بإحدى المحطات كان سائق السيارة إذا احتاج ماء للسيارة وطلبه من أحد الواقفين لا يقترب أحد

(١) العتيبي ، إبراهيم. **الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، ص٢٣٤ ، ٢٣٥.

منهم من السيارة، ويضطر السائق للنزول، ويأخذ حاجته، فتساءل المازني ورفاقه عن سر هذه الجفوة، فقيل لهم: بل هو الخوف من أن يدنو أحدهم من السيارة ويفقد شيئًا لأصحابها فيتهم بالسرقة ويقام عليه الحد[1].

كما رأى المازني قافلة مكونة من عدد كبير من الجمال، محملة بالصناديق والأكياس وليس معها سوى طفل واحد هو كل حرس هذه القافلة[2] .

٢ - ما ذكر أرسلان عن سقوط عباءته من السيارة على الطريق بين مكة والطائف، يقول عن وصف هذه الحادثة: ((فأخذ الناس يمرون فيرون هذه العباءة ملقاة على قارعة الطريق، فلا يجرؤ أحد أن يمسها، بل شرعت القوافل تتنكب عن الطريق عمدًا حتى لا تمر على العباءة خشية أنه إذا أصاب هذه حادث يكون من مر من هناك مسؤولاً، فكانت هذه العباءة على الطريق أشبه بأفعى يفر الناس منها، بل لو كانت ثمة أفعى ما تجنبوها هذا التجنب كله؟)) . وحين وصل خبرها إلى أمير الطائف أرسل في طلبها وتحقق من أمرها، وترجح لديه أن تكون سقطت من أرسلان ورفاقه في أثناء مرورهم بذلك الطريق، فزارهم الأمير وأخبرهم بخبرها وردها إليهم، وهذا ما دفع أرسلان إلى القول: ((وقد أتيت على هذه النادرة هنا مثلاً من أمثال لا تعد ولا تحصى من الأمن الشامل للقليل والكثير من أيام ابن سعود ... فالمكان الذي سقطت فيه العباءة كان في الماضي كثيرًا ما تقع فيه وقائع السلب والقتل، ولا يمر الناس فيه إلا مسلحين))[3].

(١) المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص٦٥ -٦٧.
(٢) المرجع السابق، ص٦٤.
(٣) أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص١٢٢.

٣ - وقد سجل محمد السائح أيضًا مظهرًا من مظاهر الأمن حين سقطت حقيبته في منى، وكان فيها كمية كبيرة من النقود، فأشار عليه المطوف بإبلاغ دائرة الشرطة في منى بأوصافها ومحتوياتها، وبمجرد عودتهم إلى مكة استدعته دائرة الشرطة لاستلام الحقيبة بنفسه مع التوقيع باستلامها زيادة في الحذر والدقة في تسليم المفقودات، ودهش السائح لاستلام الحقيبة كاملة تامة المحتويات، ودفعه هذا إلى القول: ((وهذا من مآثر الملك ابن السعود ومزاياه، فقد شاهد الناس في أيامه من الأمن ما يذكره بالثناء والإعجاب كل صادر ووارد، ويعترف له به الصديق والشانئ))[1].

٤ - ومن تلك الأمثلة ما رواه محمود ياسين عن صاحب له حج عام ١٣٤٩هـ وفي طريقه إلى المدينة المنورة عند ينبع فقد ثلاثة مفاتيح صغار، وقد جمعها في خيط بال لا يزيد طوله عن الإصبع، فزار الأمير وأبلغه بفقدها، وفي اليوم التالي في أثناء استعدادهم لمغادرة البلدة إلى المدينة المنورة دعاه مندوب الأمير لمقابلته، فذهب إليه ووجد عنده مدير الشرطة، فرحب به الأمير وأمر مدير الشرطة بتسليمها له بعد أن سأله عن علامة تميزها، يقول صاحبها : ((لا أنس هذه الحادثة ما حييت، وأنا أدعو منذ ذلك الحين أن يجزي ... عبدالعزيز آل سعود أفضل الجزاء، ويعطيه على سهره لراحة شعبه أجزل العطاء)) [2] .

٥ - كما أن من المظاهر التي رآها الرحالة كثرة اللقطات والمفقودات في دوائر الشرطة، حتى الأشياء التافهة القيمة يؤتى بها [3] ، وعزوا ذلك

(١) السائح، محمد. مرجع سابق، ص١٦٣.

(٢) ياسين، محمود. **رحلة الحج والعمرة**، ص١٤٨.

(٣) أمر ملكي بشأن وضع تعليمات تنظم كيفية التصرف في اللقطات. وثيقة رقم ٦٩٥ بتاريخ ١٣٥٦/٤/١٧هـ (الوثائق الوطنية ، دارة الملك عبدالعزيز).

إلى الهيبة الشديدة في نفوس السكان من حاضرة وبادية، يصف أرسلان ذلك بقوله: ((وكل يوم يؤتى إلى دوائر الشرطة في كل بلدة بأمتعة وأسباب وحوائج وأموال، منها الكثير ومنها القليل ومنها الثمين ومنها الخسيس مما يجده السابلة في الطرق اتفاقًا، فلا تجد أحدًا يطمع في شيء ...))[1] .

٦ - كما كان الناس يتركون أحمالهم وأمتعتهم على الطريق وحتى جمالهم وتبقى أيامًا وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها، ولا يجرؤ أحد أن يتطلع إليها أو يمسها[2]، يقول الريحاني: ((أما اليوم فقد مررنا في النفود بجمل بارك رازح تحت حمله، فسألت عن صاحبه فقيل لي: إنه سار في طريقه وسيرجع بعد أن يصل إلى البلد بجمل آخر يحمل البضاعة، وقد يموت الجمل الرازح، ويبقى حمله على قارعة الطريق عشرة أيام، فيعود صاحبه فيجده وما مسته يد بشرية، كما تركه في مكانه)) [3].

وفي أثناء رحلة محمد شفيق مصطفى ورفاقه افتقدوا ناقة من قافلتهم على الطريق بين حائل وبريدة، وجدوا في البحث عنها فلم يجدوها، وفي هذه الأثناء حضر بدوي وأبلغهم أنه شاهد ناقة في طريقه وأعطى أوصافها، وكانت هي الناقة الضالة، وذكر أنه كان في وسعه أن يقودها معه إليهم لولا خوفه من أن يتهم بسرقتها، فشكره صاحب الناقة، وتم العثور عليها. ويقول ذلك الرحالة معقبًا على تلك الحادثة: ((فاستخلصت من ذلك ما أيد لي أمانة القوم وانعدام حوادث السرقة انعدامًا باتًا في قلب نجد)) [4]. واستشهد على ذلك بسجن مدينة حائل حيث زاره وتعجب من خلوه من المحكومين حيث لم يجد

---

(١) أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٢٠٤.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٣.
(٣) الريحاني، أمين. **ملوك العرب**، ج٢، ص٥٦٠.
(٤) مصطفى ، محمد شفيق. مرجع سابق، ص٢٦.

فيه غير حراسه، فقال: «وقد عرفت السر في خلو السجن من المسجونين، ذلك لأن الأحكام الشرعية وحدها هي خير وازع تقطع خط الرجعة دون الجرائم على أشكالها وضروبها»[1] .

وقد نظم البلغيثي أبياتًا عبر فيها عما شهده من مظاهر الأمن الذي عم البلاد :

هـــذا وأمـــا حالـــة الحجـــاز	**فـــالأمن عـــم كـــل مـــا مجـــاز**
بحالـــة لم تمـــض قـــط في زمـــن	**ســبحان مــن ســخرها بــذا الــزمن**
ومـــــا ســــــوى ذا أمـــــره لله	**يفعـــل مـــا يشـــاء بغـــير نـــاه**
وغايـــة القـــول علـــى الإجمـــال	**مغبطًـــا في صـــالح الأعمـــال**
مـــن يـــرم الحـــج يجـــده أحمـــدا	**(ومـــا لنـــا إلا اتبـــاع أحمـــدا)** [2]

ونخلص مما ذكره الرحالة إلى ندرة حوادث القتل والسرقة والاعتداء على أرواح السكان والحجاج وأموالهم، بل بلغ الأمر إلى تورع الناس عن مد أيديهم إلى اللقطات على الطريق تباعدًا عن الشبهة فكانوا يرشدون دوائر الشرطة إليها لإعادتها إلى أصحابها .

ولم يكتف الرحالة بمشاهداتهم وتجاربهم الشخصية في مجال الأمن، بل استشهدوا على ذلك بروايات الأهالي وشهاداتهم .

شهادات الأهالي :

لقد أجمع السكان على استتباب الأمن، وكانوا يلهجون بشكر الله عز وجل والثناء عليه، ثم الدعاء للملك عبدالعزيز على ما بذله من جهود في استتباب الأمن واستقرار البلاد، لقد رصد الرحالة كثيراً من تلك الروايات الشفهية عن السكان من الحاضرة والبادية، سواء منهم المثقفون أو عامة الناس، وحتى

(١) المرجع السابق، ص٢٤.
(٢) البلغيثي، أحمد . مرجع سابق ، ص١٧ .

الرعاة في الصحراء شهدوا بهذا الأمن وأثنوا عليه، ومن هذه الروايات ما سيأتي :

١ – في أثناء رحلة التميمي وفي طريقه بين حائل والمدينة المنورة كانوا قد انطلقوا في رحلتهم منذ طلوع الفجر دون طعام، وعند الصباح شعروا بالجوع فشاهدوا قطيعًا من الإبل فتوجهوا إليه واستسقوا الراعي من لبنها، فسقاهم وكان كريمًا معهم، فلما شكره التميمي على صنيعه قال: « طول الله عمر عبدالعزيز، فهو الذي أمن لنا البلاد حتى ما يتجاسر أحد على الاعتداء على أحد، ولو كان مرورك من هذا الطريق قبل ست سنين لما خطر ببالك أن تحيد عن طريقك لتشرب اللبن من راع مثلي، بل كنت تشعر بالخوف من أي زول تراه، وتظن أنه غزو يبتغيك، حتى لو كنت أنا الذي رأيتكم مقبلين علي كنت أخاف منكم وأستفزع عليكم العرب، لأن الواحد منا كان يغزو الآخر وينهب جماله وحلاله ... وكنا نعيش في خوف دائم ونأكل الحرام، لكننا نعيش هالحين في أمن وأمان ونأكل الحلال، وهذا كله من فضل الله ثم من فضل عبدالعزيز »[1] . وقد ذكر التميمي أن ذلك الراعي كان فتىً لا يتجاوز عمره اثنتي عشرة سنة، ومع ذلك فقد أعطى مقارنة دقيقة بين الماضي والحاضر، ووصف أوضاعهم أبلغ وصف، كما يتضح من النص شعور ذلك الراعي الصغير بالتقدير والامتنان للملك عبدالعزيز على جهوده في هذا المجال.

٢ – ولعل من أبلغ الروايات عن الأهالي ما دونه شكيب أرسلان عن بعض الأشراف الهاشميين حيث قال: « حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابهم ليلاً ولا يفتحونها لأي طارق خشية الغيلة، وحذرًا من سطو اللصوص،

---

(١) التميمي، محمد. مرجع سابق، ص٧٤ -٧٥.

حتى جاء هذا العهد فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم))[1] .

كما نقل رواية أخرى عن الأهالي: أن الأمن الذي يتمتعون به لم يعرفوا شيئًا منه من قبل لاهم ولا أباؤهم ولا أجدادهم، وأن الفرق شاسع بين حالتهم الحاضرة وحالتهم الماضية، وضربوا لذلك مثالاً: « وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كل إنسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئًا ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة)) . كما حاول التحقق من أفراد القبائل عن الأوضاع الأمنية، فأكدوا له أنهم كانوا في السابق لا يستطيعون دخول المناطق الخاصة بالقبائل الأخرى ولو في أقرب موضع إليهم، وكانت الثارات والغزوات بينهم مستمرة، وشهدوا بتبدل الأوضاع وحرية التنقل، يسير الفرد منهم أعزل من السلاح دونما خوف في أراضي القبائل التي كانت معادية لهم في السابق، وانطوت تلك الغارات لهيبة الحكومة في أنفسهم))[2] .

ثانيًا : الجوانب الثقافية:

المكتبات:

تركزت المكتبات في تلك الفترة في منطقة الحجاز، خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويرجع إنشاء معظم المكتبات إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ومن هذه المكتبات في مكة المكرمة مكتبة الحرم المكي، وقد كانت من أغنى المكتبات وأشهرها، وقد اطلع محيى الدين رضا على محتويات تلك المكتبة، وذكر أن فيها عشرة آلاف كتاب في شتى العلوم: دينية ، وأدبية، وتاريخية، ولغوية، وغير ذلك، ورأى أنه يتردد عليها بعض الأدباء والمثقفين للقراءة وللنسخ، وقد عني أمين المكتبة

(١) أرسلان، شكيب. مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٢) مرجع سابق، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤..

بعمل فهارس لها منظمة وصف فيها كل كتاب بأوصافه المميزة له خشية أن يستبدل بغيرة، وهذا يحفظ محتويات المكتبة من الضياع، وقد دعا هذا الرحالة المؤلفين والناشرين إلى إمداد المكتبة بنسخ من مؤلفاتهم لإثراء محتوياتها [1]. ومن مكتبات مكة المكرمة المكتبة الماجدية وقد أسسها محمد ماجد الكردي، وتشتمل على كثير من نوادر المطبوعات ونفائس المخطوطات، وبعد وفاة صاحبها ألحقت تلك المكتبة بالمكتبات الموقوفة التابعة لوزارة الحج والأوقاف، وهناك كثير من المكتبات وهي متفاوتة في محتواها من الكتب وتنظيمها، منها مكتبة محمد سرور الصبان، ومكتبة عبدالوهاب الدهلوي، ومكتبة إبراهيم فودة، وهناك المكتبات التابعة للمدارس مثل مكتبة مدرسة تحضير البعثات، ومكتبة المعهد العلمي السعودي[2].

ولا شك أن المدينة المنورة كانت أوفر حظًا من غيرها في مجال المكتبات حتى إنها فاقت مكة المكرمة، وقد عد إبراهيم رفعت فيها حوالي ثماني عشرة مكتبة، وأشهر المكتبات في المدينة مكتبة (عارف حكمت) التي تأسست عام ١٢٧٠هـ، وقد زارها محمود ياسين عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، وذكر أن فيها من الكتب ما لا يقل عن ٥٤٠٠ كتاب، وهي تقع قرب باب سيدنا جبريل - عليه السلام - أحد أبواب الحرم النبوي الشريف، وقد خصص لها بناء حجري مربع الشكل، مزخرف من الداخل، ومفروش بالطنافس والأرائك. وقد تصفح محمود ياسين فهارس المكتبة وكانت فهارس دقيقة لكل علم أو فن فهرس خاص. وقد لفت انتباهه الفهرس الخاص بعلم الحديث الشريف، وأورد أسماء عدد من الكتب مع ذكر أرقامها. كما زار

(١) رضا، محيي الدين. **رحلتي إلى الحجاز**، ص٩٨.

(٢) حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٢٥٥ - ٢٥٦. الزركلي. خير الدين. **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٣، ص ١٠٣٥. العوري، محمد . مرجع سابق، ص٣٠.

عددًا من المكتبات منها مكتبة السلطان محمود قرب باب السلام، وقدر الكتب الموجودة فيها بـ ٤٥٦٩كتابًا، وهي أقل نظامًا وأصغر من مكتبة عارف حكمت، وقد ذكر أن الدار التي تضمها المكتبة في وضع سيئ، حيث جمعت تلك الكتب في غرفة من غرف الدار.

وأيضًا من تلك المكتبات مكتبة السلطان (عبدالحميد الأول) وقدر كتبها بنحو ١٦٥٩كتابًا، ومكتبة (تيسير آغا) في (زقاق الخياطين) وتقدر كتبها بنحة ١٢٦٣ كتابًا، ومكتبة (رباط عثمان رضي الله عنه)، وهي حافلة بنفائس الكتب وخاصة في مذهب الإمام مالك، وقد قدر محمود ياسين مجموع محتوى تلك المكتبات بنحو ثلاثين ألف كتاب، الكثير منها يعد من النوادر، وقد اقترح على الحكومة السعودية جمعها في دار واحدة، وعمل نظام خاص لها وفهارس عامة[1].

ومن أشهر المكتبات في مدينة جدة مكتبة (محمد نصيف)، وهي من أضخم مكتبات الحجاز وأحفلها بنوادر الكتب ، وفيها كتب خطية قيمة، وقد كانت مزارًا ومعلمًا من معالم جدة، حرص عدد من الرحالة على زيارتها والاطلاع على محتوياتها[2]. ومن المكتبات في جدة مكتبة (محمد سرور الصبان)، ومكتبة (أحمد باعشن)، ومكتبة (يوسف زينل)[3]، وفي الرياض كان هناك مكتبة القصر الملكي، وفيها كتب كثيرة مما أمر بجمعه الإمام عبدالرحمن الفيصل وكذلك الملك عبدالعزيز[4].

وبالإضافة إلى ما ذكرناه عن الاقتراح الذي طرحه محمود ياسين المتعلق بمكتبات المدينة المنورة نجد أن محمد حتة يطرح اقتراحًا مماثلاً

(١) ياسين، محمود. **الرحلة إلى المدينة**، ص١٥٠ - ١٥٢.

(٢) المازني، إبراهيم. مرجع سابق، ص٤٠.

(٣) حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٢٥٦.

(٤)المرجع السابق، ص٢٥٦، الزركلي. خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٣، ص١٠٤٣، حمزة، فؤاد. **البلاد العربية السعودية**، ص٢٣٢.

ولكنه يشمل جميع مكتبات المملكة من حيث ضرورة حماية التراث الذي تحويه تلك المكتبات وخاصة من المخطوطات النادرة وضرورة التعريف بمحتوياتها من نفائس علمية وأدبية[1].

الصحافة:

أول ما أنشئ في مكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز صحيفة أم القرى، في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣/ ١٢ديسمبر ١٩٢٤م، وتصدر أسبوعية، وهي رسمية، تحوي كثيراً من البلاغات الحكومية والنظم والتعليمات والبيانات كما تحوي كثيراً من خطب الملك عبدالعزيز ونصوص المعاهدات والاتفاقيات السياسية. ومع أن عدداً من الرحالة وصفها بأنها الصحيفة الرسمية للبلاد والناطقة بلسان الحكومة، إلا أن الزركلي ذكر أنها شبه الرسمية، يؤيد هذا أنها تحوي كثيراً من الأبحاث الأدبية والأخبار المحلية والاجتماعية وكثيراً من الإعلانات[2]،كما أكد إبراهيم حبيب أنها إضافة إلى أخبار الحكومة كانت شاملة أيضًا لأخبار البلاد، وتنشر فيها مقالات أخلاقية ودينية بأسلوب جزل قوي[3].

وقد زار إبراهيم حبيب دار صحيفة أم القرى قرب الحرم المكي الشريف، ووصفها بأنها دار كبيرة، وفي الدور الأرضي مطبعة يشتغل فيها عدد كبير من العمال، وكان رئيس التحرير في ذلك الوقت فؤاد شاكر[4]، وقد وفر في هذه المطبعة الآلات اللازمة لها[5]. كما زارها الهواري في عام

---

(١) حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٢٥٧ ،٢٥٨.

(٢) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٣، ص١٠٢٦.

(٣) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٣٢.

(٤) توالى على رئاسة تحريرها كل من يوسف ياسين (١٣٤٣ ـ ١٣٤٧هـ)، ثم رشدي ملحس (١٣٤٧ ـ ١٣٤٩هـ)، ومحمد سعيد عبدالمقصود (١٣٥٠ ـ ١٣٥٥هـ)، وفؤاد شاكر (١٣٥٥ ـ ١٣٥٩هـ)، وعبدالقدوس الأنصاري (١٣٥٩ ـ ١٣٦٠هـ) ، والطيب الساسي. حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٢١٥.

(٥) حبيب ، إبراهيم. مرجع سابق، ص ١٣١ ، ١٣٢.

١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م وقال عن زيارته: ((وطفنا بأقسام الإدارة الواقعة في الطابق العلوي من بنايتها المخصصة لها على طريقة عصرية كما زرنا بأسفلها قسم الطباعة المجهز بالأدوات اللازمة الكافية))[1].

ولم تكن الصحف تصدر يومية، فصحيفة أم القرى كانت تصدر أسبوعية. وقد صدرت صحيفة صوت الحجاز في مكة المكرمة في يوم الاثنين ٢٧ ذو القعدة ١٣٥٠هـ/ الموافق ٤ إبريل عام ١٩٣٢م، وكانت أسبوعية حتى عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م حيث أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع، وكان امتيازها لمحمد صالح نصيف[2]، وقد تميزت منذ إنشائها بطابعها الأدبي، وصارت منبرًا للأدباء والمثقفين، ومعرضًا لشعرهم ونثرهم، فساعدت بهذا على رواج الحركة الأدبية والموضوعات الثقافية[3]. وقد زار الهواري مبنى الصحيفة في أثناء رحلته وقال: ((وهي جريدة أسبوعية يحررها نخبة من علماء الأدب والاجتماع، وتطرق من الموضوعات ما فيه مصلحة للدين والبلاد وتنوير الأفكار وإفادة القراء بأنباء العالم، وقد زرنا أيضًا إدارتها فراقنا تنظيمها))[4]. وظلت هذه الصحيفة تصدر حتى قيام الحرب العالمية الثانية حيث توقفت عن الصدور، وعقب انتهاء الحرب عادت صحيفة(صوت الحجاز) إلى الصدور باسم آخر هو (البلاد السعودية) وصدرت أسبوعية ثم مرتين فثلاث مرات في الأسبوع، وحين زيارة محمد رفعت لها أكد أنها تصدر ثلاث مرات في الأسبوع، ووصفها بأنها من أهم صحف الحجاز وأوسعها انتشارًا، ومنذ

(١) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٧١.

(٢) وانتقل امتيازها سنة ١٣٥٤هـ إلى (الشركة العربية الطبع والنشر) برئاسة محمد سرور الصبان وحسن عبدالحي قزاز، وتعاقب على رئاسة تحريرها عبدالوهاب آشي، ومحمد حسن فقي، ومحمد حسن عواد وغيرهم. حتة، محمد. **في أرض المعجزات**، ص٢١٦.

(٣) عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص٢٠٢. الشهيل، عبدالله. **فترة تأسيس الدولة المعاصرة**. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤٠٤هـ، ص٢٥١، ٢٥٢.

(٤) حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص ١٣١، ١٣٢.

عام ١٣٧٣هـ صدرت هذه الصحيفة يومية وكانت الوحيدة في ذلك الوقت التي تصدر يومية، وكان يرأس تحريرها فؤاد شاكر وحسن عبدالحي قزاز[١].

وصدرت في ٢٦ المحرم عام ١٣٥٦هـ/ ٨ إبريل ١٩٣٧م جريدة (المدينة المنورة) ويملكها أخوان هما علي وعثمان حافظ في المدينة المنورة، وقد أسهمت في نشر الآثار الأدبية والشعرية، وزار مبنى الصحيفة ومطبعتها عدد من الرحالة، فوصفها محمد رفعت بأنها جريدة الجزيرة العربية الثانية، وكانت تصدر أسبوعية، وهي الصحيفة الوحيدة في المدينة المنورة[٢].

ومن المجلات التي صدرت في تلك الفترة (مجلة المنهل) وتصدر شهرية، وكان أول صدورها في المدينة المنورة في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٥هـ / فبراير ١٩٣٧م، وتوقفت عن الصدور خلال الحرب العالمية الثانية، ثم عادت إلى الصدور في مكة المكرمة، وتعد من أوائل المجلات صدورًا في المملكة، وكانت سجلاً للحركة الأدبية، وأسهم في الكتابة فيها الكثير من أدباء البلاد وشعرائها ومفكريها [٣].

والمجلة الثانية هي مجلة (الحج) صدرت في شهر رجب عام ١٣٦٦هـ / مايو١٩٤٧م في مكة المكرمة تصدرها إدارة شئون الحج، وتطبع في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، وتعنى بنشر موضوعات دينية وأدبية وتاريخية، وذكر محمد رفعت أنها كانت تحرر باللغات العربية والأردية والملايوية والإنجليزية بهدف التعريف بالدين الإسلامي والدعوة إليه[٤].

---

(١) حبيب ، إبراهيم. مرجع سابق، ص ١٣١ ، ١٣٢.

(٢) مغربي، محمد. **ملامح الحياة الاجتماعية**، ص١٤٦، رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٠٥، حمدي، محمد. مرجع سابق ، ص١٨٨، عزام، عبدالوهاب. مرجع سابق ، ص٣٨٧، وتحولت جريدة المدينة المنورة إلى صحيفة يومية تحت مسمى صحيفة المدينة ، ومن يوم الأحد ٢ ذي القعدة عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٥ مارس ١٩٦٤م أصبحت تصدر يومياً ، ومكانها جدة، ولا تزال تصدر حتى الآن.

(٣) الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج٣، ص١٠٢٧. عيسى، أحمد . مرجع سابق ، ص٢٠٢، حتة، محمد **في أرض المعجزات**، ص٢١٦.

(٤) رفعت ، محمد. مرجع سابق ، ص١٠٤.

كما صدرت مجلة (الإصلاح) شهرية في مكة المكرمة عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م تحت إدارة محمد حامد الفقي، وكان من أهدافها نشر الدين الصحيح، ومحاربة البدع والمنكرات والأخلاق الفاسدة، وإحكام الصلة بين المملكة ودول العالم الإسلامي[١].

كما صدرت في مكة المكرمة مجلة (النداء الإسلامي) صدر عددها الأول في شهر ربيع الآخر عام ١٣٥٦هـ/ يونيو ١٩٣٧م وتصدر باللغتين العربية والملايوية، ورئيس تحريرها مصطفى أنور قيرى.

وقد أكد عدد من الرحالة أن الصحافة في تلك الفترة قد استطاعت أن تؤدي رسالتها بقدر ماتسمح به الحالة المالية، وقال عنها إبراهيم حبيب: ((الصحافة هناك ممثلة أحسن تمثيل بقدر حاجة البلاد ومواردها))[٢].

وقد نشر محمد رفعت مختارات ومقتطفات من الصحف السعودية في تلك الفترة، منها أخبار حول نزول الأمطار والاستبشار بها، ومقال عن ضرورة اهتمام عمال النظافة بنظافة الشوارع والإخلاص في عملهم، ومنها موضوع حول متاعب التموين وغش بعض القائمين على بيع أرغفة الخبز، وأيضًا نشرَ أبياتاً من الشعر ذات طابع فكاهي، وأخبار الدول العربية والإسلامية وخاصة مصر، كما أورد خبرًا عن وفاة إحدى القائمات على تعليم البنات في كتاتيب المدينة المنورة[٣].

وهكذا نلحظ من خلال هذه المقتطفات التي نشرها محمد رفعت تنوع الموضوعات التي تناولتها الصحف السعودية في تلك الفترة، وقد شملت النواحي السياسية والاقتصادية والجوانب الأدبية والثقافية، كما أعطت اهتمامًا بالغًا للنواحي الاجتماعية من حيث هموم المجتمع ومتطلباته، ومن الواضح أنها قد أدت خدمات جليلة للمجتمع حسب إمكاناتها.

(١) الهواري، أحمد. مرجع سابق، ص١٧٢، وكانت تصدر شهرية ثم نصف شهرية، وتوقفت عن الصدور بعد عامين، الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة**، ج٣، ص١٠٢٧.
(٢) عيسى، أحمد. مرجع سابق، ص٢٠٢، حبيب، إبراهيم. مرجع سابق، ص١٣٢.
(٣) رفعت، محمد. مرجع سابق، ص١٠٥ – ١٠٨.

الطباعــة:

كانت في مكة المكرمة مطبعة من العهد العثماني، واستخدمت لطباعة جريدة (القبلة) في عهد الشريف حسين، وقد تم تجديدها في عهد الملك عبدالعزيز بإضافة (ماكينة) حديثة إليها. وكان إلى جانب هذه المطبعة في مكة المكرمة بضع مطابع أهلية صغيرة، اشترتها الحكومة السعودية وضمتها إلى الأولى، وسمتها (مطبعة أم القرى) ؛ لأن صحيفة أم القرى كانت تطبع فيها، وقد زار العوري هذه المطبعة، وكذلك محمد رفعت ؛ حيث قال عن زيارته لها: ((ثم قصدنا مطبعة الحكومة ، واسمها مطبعة أم القرى نسبة إلى جريدة الحكومة الرسمية (أم القرى) ... وهذه المطبعة تطبع الجريدة الرسمية، كما تطبع جميع مطبوعات الحكومة))[1] ثم سميت (مطبعة الحكومة)،وفي عام ١٣٤٥هـ طرأ عليها كثير من الإصلاحات والتحسينات، وفي عام ١٣٤٧هـ جلبت الحكومة مهندسًا وعمالاً فنيين في صف الحروف على الطريقة الحديثة في الطباعة، وعمل (الطوابع) ، واستمرت هذه المطبعة محورًا لحركة الطباعة وتموين الدوائر الحكومية بحسب طاقتها.

وفي عام ١٣٥٤هـ استوردت الحكومة كثيراً من آلات الطباعة الحديثة، وفي سنة ١٣٥٦هـ افتتحت قسمًا خاصًا للتجليد على الأساليب الحديثة، وكانت أول بعثة طباعية أوفدت إلى مصر عام ١٣٥٧هـ للتخصص في فنون الطباعة المختلفة تتألف من سبعة أشخاص، وقد أسهم هؤلاء في تطوير فن الطباعة والتجليد في (المطبعة الحكومية).

أما عن عناية الحكومة السعودية بالمطابع الأهلية وتشجيعها إياها، فيتمثل واضحًا في إعفائها لمستوردات المطبعة السلفية بمكة وجدة ومطبعة المدينة المنورة من ورق وآلات طباعة من الرسوم الجمركية[2].

(١) رفعت، محمد. مرجع سابق ، ص١٠٤. العوري، محمد. مرجع سابق ، ص٢٦

(٢) جمال، أحمد. **ماذا في الحجاز**. ـ ط٢ . ـ مكة المكرمة: دار الثقافة للطباعة، ١٤٠٨هـ، ص٤٨ ، ٤٩.

الأدب:

ظهرت بوادر الأدب السعودي في عهد الملك عبدالعزيز نتيجة الاستقرار الذي شمل أنحاء البلاد، ولا شك أن قدوم الرحالة إلى المملكة في تلك الفترة أدى إلى تعريف هؤلاء الرحالة بالأدباء السعوديين، فنقلوا في مؤلفاتهم صورة عن الأدب وبداياته في المملكة، بل دهش عدد منهم لما شاهدوه ، يقول السوادي: ((وكنت قد ظننت أن الأدب لا سوق له في الحجاز، وأن أدباءهم قلة أو حفنة ... ولكن الإقامة في مكة أخلفت تلك الظنون)) . ومن الأدباء الذين التقاهم أحمد قنديل وقد أهداه بضعة كتب من تأليفه بعضها شعر وبعضها نثر وهي (الأبراج) و(أغاريد) و(أصداء) وكلها دووابن شعر، وكتاب (كما رأيتها) وهو كتاب يصف فيه مصر كما رآها وكما يود أن تكون، وقد تصفح السوادي هذه المؤلفات وقال في حق صاحبها: « ورأيت في نقداته ظلاً واضحًا للناقد ... ورأيت في شعره حلاوة وطلاوة وعمقاً في بعض المعاني وفلسفة في بعض الآراء ... فلم يسعني إلا أن أرى فيه شاعرًا مجيدًا وكاتبًا قادرًا ومفكرًا وأديبًا)). كما تحدث عن الشاعر إبراهيم الغزاوي والذي كان أغلب شعره عن الملك عبدالعزيز يلقيه غالبًا في المناسبات الرسمية، وأثنى كذلك على فؤاد شاكر[1] .

وتعجبت عائشة عبدالرحمن كذلك من أدباء القطيف وسعة اطلاعهم فقالت: « وهي على الهجر الأليم، لا تكف عن ذكر مصر، وتتبع نهضتها العلمية والأدبية، إنها في معزلها النائي .... تستورد البضاعة الأدبية من ضفاف النيل، وتعرف عن سير الفن والحياة بها، وأعلام الأدب والفكر فيها ما قد يجهله المصريون أنفسهم، لا أكاد أستثني منهم سوى قلة من خاصة المتعلمين...)). ومن أدباء القطيف الذين التقتهم في رحلتها عبد رب الرسول الجشي، ومحمد سعيد الخنيزي ، ونشرت لهذين الأديبين قصيدتين في كتابها[2].

(١) السوادي، محمد. مرجع سابق، ص١٠٠، ص١٠٤.
(٢) عبدالرحمن، عائشة . المرجع السابق، ص٩٤ – ٩٦ .

وقد اطلع محمد حتة على كثير من القصائد لشعراء سعوديين وقال في وصفهم: « في المملكة العربية السعودية شعراء مجيدون يؤلفون ديوانًا ضخمًا من المعاني الشعرية والاتجاهات الأدبية)) وأثنى على رصانة ذلك الشعر وجزالته وقوة معانيه، وقد عد من الأدباء الذين اطلع على قصائد لهم: محمد سرور الصبان، وفؤاد شاكر، وعبدالله بلخير،ر وإبراهيم فودة، وأحمد عبدالغفور عطار[1].

وقد التقى العقاد أثناء رحلته أحد أدباء المملكة وهو أحمد عبدالغفور عطار، ودار بينهما حوار حول الحياة الأدبية، وعلق العقاد على الأدب في المملكة، وأثنى على اندفاع الأدباء في المملكة إلى الاطلاع الدائم، ومتابعة الحركة الأدبية باهتمام واضح [2].

ونشر عدد من الرحالة الكثير من القصائد لشعراء المملكة، وهذه القصائد حوت كثيراً من الأغراض الشعرية .

ولا شك أنه ظهرت في تلك الفترة كثير من الأسماء الأدبية في مجال الشعر والنثر، وما يهمنا في هذا المجال دور الرحالة العرب في الاتصال بالأدباء السعوديين والاطلاع على إنتاجهم ونشر نماذج منه في رحلاتهم، ولا شك أنهم أسهموا إلى حد ما بتعريف العالم العربي والإسلامي بالحركة الأدبية التي ظهرت بوادرها في عهد الملك عبدالعزيز، وأثمرت ثمارها نتيجة اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم في المملكة، وابتعاث كثير من أبناء البلاد لطلب العلم مما كان له أكبر الأثر فيما بعد في النواحي الثقافية والأدبية في المملكة.

(١) حتة ، محمد . **صور من الحجاز**، ص٥٨ .

(٢) العقاد ، عباس . مرجع سابق، ص٧٨ .

الخاتمة :

حظيت المملكة العربية السعودية بكثير من الدراسات التاريخية لما لها من أهمية ومكانة في العالمين العربي والإسلامي، واستخدمت كثيراً من المصادر والوثائق للإلمام بتاريخ هذه البلاد، ولكن الاعتماد على كتب الرحلات العربية وإظهار أهميتها؛ لكونها مصدرًا مهمًا من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية لم تنل ما تستحقه من البحث والدراسة. ولا نزعم أننا شملنا جميع الرحلات العربية، وإنما هي محاولة جادة لحصر معظم الرحلات العربية واستخراج المادة الوفيرة في تلك المصنفات، ولفت الانتباه إليها بصفتها مصادر مهمة لتاريخ تلك الفترة وفاتحة لدراسات وأبحاث مستقبلة لمن أراد الاستزادة في هذا المجال.

أما عن أهم النتائج التي كشف عنها البحث فهي كما سيأتي :

- لقد كان من أهم أهداف البحث تأكيد أهمية كتب الرحلات العربية بوصفها مصدرًا من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية، وتعود مصدريتها كما اتضح من خلال البحث إلى معاصرتها للأحداث، إضافة إلى أن ما دونه الرحالة العرب كان عن مشاهدة شخصية أو سماع عن مصادر قريبة من الأحداث أو معاصرة لها. وتميزت مدونات الرحلات العربية غالبًا بالمصداقية في القضايا التي تناولتها ،حيث اتسمت بدرجات متفاوتة بكثير من الخصائص العامة: كالدقة واتباع الخطوات العلمية والتحقيق والتمحيص ومعارضة الروايات مع الإنصاف والموضوعية والتوثيق التاريخي .
- أبرزت هذه الرحلات كثيراً من صفات الملك عبدالعزيز، وترجع أهمية ما دونه أولئك الرحالة إلى أن كثيراً منهم التقوا الملك عبدالعزيز شخصيًا، وفيهم من تكررت لقاءاتهم به، كما أن كتابتهم عن الملك عبدالعزيز اتسمت بالحيادية إلى حد ما. ومؤلفو تلك الرحلات قدموا من كثير من البلاد العربية الإسلامية فجسدت مؤلفاتهم عظم مكانة الملك عبدالعزيز

في العالمين العربي والإسلامي وتقدير العرب والمسلمين له على جهوده في خدمة الإسلام والمسلمين .

- اتضح من خلال كتب الرحلات العربية أن جوانب النهضة في البلاد لم تكن تسير على وتيرة واحدة، حيث ميزوا بين ما يقبل التغيير في زمن قصير وبين ما يحتاج في تطويره إلى زمن أطول، فمثلاً جوانب الأمن كانت أسرع تحسنًا مما سواها، فيما احتاجت الجوانب الأخرى كالتعليم والنواحي الصحية والتطور الاجتماعي والجوانب الاقتصادية إلى فترة أطول .
- اتفاق غالبية الرحالة على الدور الذي قام به الملك عبدالعزيز في سبيل توحيد البلاد وتوفير الأمن والاستقرار، وهو الأمن الذي شهد به القاصي والداني، واستظل به أهل البلاد والوافدون إليها من حجاج بيت الله الحرام وغيرهم، وقد رصد هؤلاء الرحالة كثيراً من الأمثلة على ذلك الأمن، شهدوها بأنفسهم أو رواية عن السكان وخاصة من عاصروا عهد الملك عبدالعزيز وما سبقه، وترجع أهمية هذه الأمثلة إلى أنها تعد من الشواهد على توافر الأمن ومظاهره الوارفة في عهد الملك عبدالعزيز .
- كان لتوافر الأمن أثره في كثير من جوانب الحياة، فمثلاً في الجانب الاقتصادي أدى توافر الأمن إلى ازدهار الناحية الاقتصادية، وتمثل ذلك في زيادة التبادل التجاري بين مناطق المملكة، وكذلك زيادة حجم التبادل التجاري مع البلاد المجاورة، مع نشاط حركة الأسواق في المدن والقرى . وكان لتوافر الأمن أثره أيضًا في النواحي الاجتماعية، فقد أتاح الأمن للسكان حرية التنقل بين المناطق المختلفة، وأصبح في مقدور القبائل دخول مناطق القبائل الأخرى بعد أن كانت ممنوعة من ذلك سابقًا نتيجة الفتن والعداوات بين تلك القبائل، كما أصبح بإمكان الأفراد من الحاضرة والبادية التنقل والترحال دون الحاجة إلى حراسة أو حمل السلاح نتيجة بسط الأمن .

- أثنى كثير من الرحالة ممن أدوا فريضة الحج على اهتمام الملك عبدالعزيز وعنايته بالحرمين الشريفين وبالخدمات المقدمة لحجاج بيت الله الحرام واستشهدوا على ذلك بحرصه على حضور كثير من مواسم الحج للإشراف بنفسه على خدمة ضيوف الرحمن، كما حفلت مؤلفاتهم بنماذج للجهود المبذولة في هذا المجال، من ذلك إنشاء مديرية الحج وإقرار التنظيمات الخاصة بموسم الحج وتنظيم شؤون المطوفين، وكذلك العناية بالنواحي الصحية في موسم الحج وعلى الأخص المحاجر الصحية لتلافي دخول المصابين بأمراض وبائية إلى المملكة، كما حرصت إدارة الصحة العامة على إعداد النصائح والإرشادات لتوعية الحجاج صحيًا، وتم توفير كثير من المستشفيات والمراكز الصحية المتنقلة في أثناء موسم الحج في مكة والمشاعر المقدسة، ونتج عن تلك السياسة الصحية والاهتمام المتزايد الحد من انتشار الأمراض والأوبئة في أثناء موسم الحج .
- ومن الخدمات المبذولة في موسم الحج إنشاء المشروعات لإمداد مكة وجدة بالمياه لمواجهة موسم الحج وتخفيف معاناة الحجاج من عدم توافر المياه الصالحة للشرب .
- وكذلك في مجال نقل الحجاج تم توفير وسائل المواصلات المختلفة، واستخدمت السيارات على نطاق واسع لتسهيل حركة الحجاج، وحين توفرت الإمكانات تم رصف طرق المواصلات .
- كما أولى الملك عبدالعزيز عناية خاصة بالحرمين الشريفين؛ ورصد أولئك الرحالة مظاهر الإصلاحات والترميمات وأنواع الخدمات المتمثلة في توفير الإضاءة ومياه الشرب ونظافة الحرمين الشريفين .

- الدور الإعلامي الذي قام به مصنفو الرحلات العربية في وقت كانت البلاد بأمس الحاجة إلى وسائل الإعلام الفعالة لإعطاء صورة حقيقية عن الأوضاع

في المملكة العربية السعودية، من ناحية توافر الأمن والاطمئنان والخدمات المتاحة لحجاج بيت الله الحرام والعناية بالحرمين الشريفين، والتطور الذي شمل جميع نواحي الحياة في المملكة العربية السعودية، كما أسهم عدد من هؤلاء الرحالة في طرح كثير من القضايا ومناقشتها بطريقة موضوعية منصفة، من ذلك ما أثير حول عقائد أهل البلاد وحكومتهم نتيجة لما روجه خصومها خارج المملكة، وفند هؤلاء الرحالة كثيراً من المزاعم وأكدوا من خلال مشاهداتهم أن أهل البلاد مؤمنون، يسيرون على نهج السلف الصالح متمسكين بالشريعة الإسلامية لا يخالفون المسلمين في أصل من أصول الإسلام ولا ركن من أركانه وأنهم يثبتون الشفاعة للنبي ﷺ ويصلون عليه على عكس ما أشيع عنهم من دعايات مضللة قصد بها تنفير المسلمين وإثارتهم ضد حكومة المملكة العربية السعودية وشعبها .

- أسهم عدد من مصنفي الرحلات العربية في النقد وإبداء الملحوظات والمقترحات البناءة ولفت النظر إلى نواحي القصور، ولا شك أن ذلك كان حافزًا للإصلاح في حال توافر الإمكانات .

والحمد لله أولاً وآخرًا له الفضل ومنه المنة وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .



المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق العربية :

- مركز الوثائق بمعهد الإدارة العامة بالرياض .

- نظام الشرطة ووظائفها الصادر في ١٣٤٤/١/٢٩هـ .
- الأمر الملكي رقم ٦٦ في ١٣٤٤/٩/٣هـ بشأن إنشاء مديرية المعارف .
- الأمر الملكي رقم ٤٢٥ في ١٣٤٤/١١/٢١هـ بشأن الاستعدادات الصحية لموسم حج عام ١٣٤٤هـ .
- التعليمات المؤقتة وخطاب نائب جلالة الملك الموجه إلى أمير المدينة المنورة رقم ٨٠٨/ ٦٨ في ١٣٤٥/١/٢٦هـ .
- التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية بموجب الأمر الملكي في ١٣٤٥/٢/٢١هـ.
- الأمر الملكي رقم ٧٠ في ١٣٤٦/١/٢٧هـ بشأن تأليف مجلس المعارف وصلاحياته.
- الأمر الملكي رقم ٢٩ في ١٣٤٧/١/١٨هـ بشأن تشكيل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- نظام مجلس الوكلاء عام ١٣٥٠هـ .
- الأمر الملكي رقم ٣٨١ في ١٣٥١/٤/١١هـ بشأن تحويل وكالة المالية إلى وزارة.
- الأمر الملكي رقم ٣٨٢ في ١٣٥١/٤/١١هـ بشأن نظام وزارة المالية .

- دارة الملك عبدالعزيز .

- وثيقة رقم ٢٢٧ بتاريخ ١٣٣٨هـ .
- وثيقة رقم ٢٧٧ بتاريخ ١٣٤٤/٦/٨هـ .
- وثيقة رقم ٣٢٠ بتاريخ ١٣٤٧/١٢/٤هـ .
- وثيقة رقم ٦٩٥ بتاريخ ١٣٥٦/٤/١٧هـ .
- وثيقة رقم ٢٥٦ بتاريخ ١٣٦٤/١١/٢١هـ .
- وثيقة رقم ٤٤١ بتاريخ ١٣٦٩/٦/٩هـ .
- وثيقة رقم ٦٠٦ بتاريخ ١٣٦٩/٩/٨هـ .

ثانيًا : مقابلة شخصية :

- **الريحاني، أمين آلبرت** . مقابلة شخصية في مدينة الرياض بمناسبة حضوره ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٤ - ٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م) يوم الإثنين ١٤٢١/٧/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٠/١٠/٢٤م .

ثالثًا : الدوريات :

جريدة أم القرى :

- العدد ٣، ٢٩/٥/ ١٣٤٣هـ .
- العدد ١٢، ١٣٤٣/٨/٣هـ .
- العدد ٣٠، ١٣٤٤/١/٢هـ .
- العدد ٥٢، ١٣٤٤/٦/١١هـ .
- العدد ٦٠، ١٣٤٤/٨/٦هـ .
- العدد ٨٤، ١٣٤٥/١/١٣هـ .
- العدد ٩٤، ١٣٤٥/٣/٢٤هـ .
- العدد ٩٧، ١٣٤٥/٤/١٥هـ .
- العدد ١٠٨، ١٣٤٥/٧/٣هـ .
- العدد ١١٩، ١٣٤٥/٩/٢٢هـ .
- العدد ١٣٠، ٣٠/١١/ ١٣٤٥هـ .
- العدد ١٣٨، ١٣٤٦/٢/٧هـ .
- العدد ١٤١، ١٣٤٦/٢/٢٨هـ .
- العدد ١٨١، ١٣٤٦/١٢/١٩هـ .
- العدد ١٨٥، ١٣٤٧/١/١٨هـ .
- العدد ١٩٧، ١٣٤٧/٤/٢١هـ .
- العدد ٢٢٩، ١٣٤٧/١٢/٦هـ .

- العدد ٢٥٦، ١٣٤٨/٦/١٣هـ .

- العدد ٣٣١، ١٣٤٩/١١/٣٠هـ .

- العدد ٥٨٨، ١٣٥٤/١٢/١٩هـ .

- العدد ٦٠٣، ١٣٥٥/٤/٦هـ .

- العدد ١١٣٠، ١٣٦٥/١١/٣٠هـ .

- العدد ١٢٨٣، ١٣٦٨/١٢/٢٩هـ .

- العدد ١٣٣٥، ١٣٧٠/١/٢٣هـ .

- العدد ١٤٣٦، ١٣٧٢/٢/١٢هـ .

رابعًا : المؤلفات العربية :

- أبو راس، عبدالله سعيد وبدر الدين الديب. **الملك عبدالعزيز والتعليم** . ـ الرياض: دار عكاظ، ١٤١٣هـ .

- أبو علية ، عبدالفتاح. **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز** . ـ الرياض: دار المريخ، ١٤١٨هـ .

- أرسلان، شكيب. **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف** . ـ الطائف: مكتبة المعارف، د. ت .

- البتنوني، محمد لبيب. **الرحلة الحجازية** . ـ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

- بدوي، حسين. **الزراعة الحديثة في المملكة العربية السعودية** . ـ القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٤٥م .

- البسام، عبدالله عبدالرحمن . **علماء نجد خلال ستة قرون**. ـ ط١ . ـ مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـ .

- ابن بشر، عثمان بن عبدالله. **عنوان المجد في تاريخ نجد**. ـ ط١ . ـ الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩١هـ.

- بطي، رفائيل. **أعلام النهضة الحديثة**. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الحمراء، ١٩٩٠م .
- البلغيثي، أحمد بن المأمون. **النحلة الموهوبة النجازية في الرحلة الحجازية**. ـ ط١. ـ فاس: المطبعة الجديدة، ١٣٤٦هـ .
- البيطار، محمد بهجة. **الرحلة النجدية الحجازية** . ـ دمشق: المطبعة الجديدة، ١٣٨٧هـ.
- التميمي، محمد أمين . **لماذا أحببت ابن سعود** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- التوزاني، محمد . **الرحلة** . ـ الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٩٦م .
- ثابت، محمد. **جولة في ربوع العالم الإسلامي** . ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.
- الثعالبي، عبدالعزيز . **الرحلة اليمنية**. ـ ط١. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٩٧م.
- الجراري، عبدالله. **التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين** . ـ الرباط: النادي الجراري، د.ت .
- جمال، أحمد **محمد . ماذا في الحجاز**. ـ ط٢ . ـ مكة المكرمة : دار الثقافة للطباعة، ١٤٠٨هـ .
- جمعة، رابح لطفي. **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- جمعة، محمد لطفي. **الأيام المبرورة في البقاع المقدسة** . ـ القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م - ١٩٩٩م .
- الجندي، أنور . **أعلام وأصحاب أقلام** . ـ القاهرة: دار نهضة مصر، د. ت .
- حبيب، إبراهيم محمد . **في الأرض المقدسة بين مصر والحجاز**. ـ ط١ . ـ القاهرة: دار التوزيع والطباعة والنشر، ١٩٥٠م .

- حتة، محمد كامل. **في أرض المعجزات** . ـ القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٣٧٧هـ.
- ـــــــ **صور من الحجاز** . ـ القاهرة: مطابع فؤاد ، ١٣٧٢هـ.
- حسين، أحمد . **مشاهداتي في جزيرة العرب** . ـ القاهرة: مطبعة مصر ، ١٩٥٠م.
  ووالد وما ولد . ـ بيروت: المكتبة العصرية ، ١٩٧٤م .
- حمادة ، عباس متولي. **مشاهداتي في الحجاز** . ـ د. م: د.ن، ١٣٥٥هـ.
- حمدي، محمد . **ثلاثون يومًا في بلاد ابن سعود**. ـ ط١ . ـ القاهرة: مطبعة عطايا ، ١٩٤١م.
- حمزة ، فؤاد. **في بلاد عسير**. ـ الرياض: مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
  البلاد العربية السعودية، ط٢. ـ الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- خضير، عبدالوهاب. **مشاهداتي في بلاد الحجاز** . ـ القاهرة: مكتبة ومطبعة خضير، ١٣٥٤هـ.
- خلف، يوسف. **النفحات الإلهية في البقاع الحجازية** . ـ د.م، د.ن، د.ت .
- دارة الملك عبدالعزيز. **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ـــــــ **الطريق إلى الرياض** : (دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ – ١٩٠٢م) . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .
- رداوي، محمود. **الرحلات العربية والإسلامية وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر** : دراسة ونصوص. ـ ط١ . ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٦هـ.
- رضا، محيى الدين. **طويل العمر الملك عبدالعزيز آل** سعود. ـ (القاهرة: المؤلف، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.
- ـــــــ **صور ومشاهدات** . ـ القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة، ١٣٧هـ/ ١٩٥٣م.
- ـــــــ **رحلتي إلى الحجاز** . ـ القاهرة: مطبعة المنار، ١٩٥٣م .

ـ ــــــــــ **في الحجاز** . ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٨هـ .

ـ رفعت، إبراهيم. **مرآة الحرمين** . ـ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت .

ـ رفعت، محمد. **أسد الجزيرة قال** لي . ـ ط٢ . ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

– رمضان، أحمد. **الرحلة والرحالة المسلمون**. ـ جدة: دار البيان العربي، د.ت.

ــــــــــ تتمة الأعلام، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨هـ) .

ـ الرهوني، أحمد . **الرحلة المكية** . ـ تطوان: مطبعة الأحرار، ١٩٤١م .

ـ الريحاني، أمين. **ملوك العرب**. ـ ط٨ . ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م .

ــــــــــ **تاريخ نجد الحديث** . ـ بيروت: دار الجيل، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.

ـ الزامل، عبدالله العلي. **أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود**. ـ ط١ . ـ بيروت: المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ـ الزركلي، خير الدين. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**. ـ ط٥ . ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م .

ــــــــــ **الأعلام**. ـ ط٥ . ـ بيروت: دار العلم للملايين: ١٩٨٠م.

ـ زيادة، نقولا. **الجغرافيا والرحلات عند العرب**. ـ ط٣ . ـ بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م .

ـ السائح، محمد. **لمحة بصر عن البلاد المقدسة**. ـ ط١ . ـ دمشق: مطبعة الكاتب العربي، ١٤١٦هـ.

ـ السجستاني، سليمان بن الأشعث (أبو داوود). **سنن أبي داوود**؛ راجعة محمد محيى عبدالحميد . ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت .

ـ السحار، سعيد جودة. **مصور أعلام الفكر العربي**. ـ القاهرة: مكتبة مصر، د.ت.

ـ سعيد، أمين. **تاريخ الدولة السعودية** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، د.ت.

ـ السلاح، محمد . **وثبة الديار الحجازية في عهد عاهل الجزيرة العربية** . ـ حلب: مطبعة المعارف، ١٣٦٩هـ.

ـــــــ **عبدالعزيز والحج** . ـ حلب: د.ن، ١٣٥٩هـ .

ـ السلمان، محمد. **التعليم في عهد الملك عبدالعزيز**. ـ ط١ . ـ الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

ـ السلوم، لطيفة. **التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة** . ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ .

ـ السوادي، محمد . **مملكة في الميزان** . ـ القاهرة: المطبعة العالمية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

ـ السويداء، عبدالرحمن. **نجد في الأمس القريب**. ـ ط١ . ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ـ شهبندر، عبدالغني. **رحلة الحجاز** . ـ بيروت: مجلة الحكمة، ١٣٥٦هـ .

ـ الشهيل، عبدالله محمد . **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣ – ١٣٥١هـ/ ١٩١٥ – ١٩٣٢م** . ـ الرياض: دار الوطن، ١٤٠٤هـ .

ـ الشيخ، أبو عمران. **معجم مشاهير المغاربة** . ـ الجزائر: جامعة الجزائر، د. ت.

ـ الطنطاوي، علي . **من نفحات الحرم**. ـ ط٣ . ـ جدة: دار المنارة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

ـ عبدالرحمن، عائشة. **أرض المعجزات** . ـ رحلة في جزيرة العرب. ـ القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٣٧٠هـ .

ـ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد . **تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان** . ـ الرياض: مطابع مؤسسة النور، ١٤٠٦هـ) .

ـ العتيبي، إبراهيم عويض. **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**. ـ ط١ . ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ .

ـــــــ **الأمن في عهد الملك عبدالعزيز تطوره وآثاره**. ـ ط١ . ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

- العثيمين، عبدالله صالح. **تاريخ المملكة العربية السعودية**. ـ ط٢ . ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ .
- عزام، عبدالوهاب. **الرحلات الثانية**. ـ ط١ . ـ القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- العقاد، عباس. **مع عاهل الجزيرة العربية**. ـ بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٤٧م .
- العقبي، أحمد حسين. **أسرار لقاء الملك عبدالعزيز والرئيس روزفلت مع دراسة موجزة لتاريخ العلاقات الأمريكية السعودية في الحقبة السابقة للاجتماع**. ـ ط١ . ـ جده: د.ن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- العلاونة، أحمد . **ذيل الأعلام**. ـ ط١ . ـ جدة: دار المنار، ١٤١٨هـ .
- العوري، محمد سعود . **الرحلة السعودية الحجازية النجدية** . ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٩هـ.
- عيسى، أحمد. **الحجاز في عام ١٣٥٦هـ**. ـ ط١. ـ القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٣٥٧هـ.
- غريب، جورج. **أدب الرحلة تاريخه وأعلامه**. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٦م.
- ابن غنام، حسين . **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام، تحقيق ناصر الدين الأسد**. ـ ط٣ . ـ الرياض: مطابع شركة الصفحات الذهبية، ١٤٠٣هـ.
- الفوزان، إبراهيم فوزان. **إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة** . ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد . **القاموس المحيط** . ـ القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ت.
- فيلبي، عبدالله. **حاج في الجزيرة العربية**، ترجمة عبدالقادر محمود عبدالله. ـ ط١ . ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

ـــــــ **الذكرى العربية الذهبية**؛ تعريب مصطفى كمال فايد . ـ القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٥٣م .

ـــــــ **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية**؛ تعريب عمر الديراوي . ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، د. ت.

ـ كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين** . ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت .

ـــــــ **المستدرك على معجم المؤلفين**. ـ ط١ . ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

ـ الكيالي، سامي. **أعلام النهضة الحديثة**. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الحمراء، ١٩٩٠م.

ـ المازني، إبراهيم عبدالقادر. **رحلة الحجاز**. ـ ط١ . ـ القاهرة: مطبعة فؤاد، ١٣٤٩هـ.

ـ مبروك، أحمد . **رحلة إلى بلاد العرب**. ـ د.م، د.ن، د.ت. .

ـ محمد، مصطفى. **في المملكة الروحية للعالم الإسلامي**. ـ ط١ . ـ القاهرة: مطبعة المدينة المنورة، د.ت.

ـ **مختارات من الخطب الملكية**، الجزء الأول . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

ـ مصطفى، محمد شفيق. **في قلب نجد والحجاز**. ـ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. د.ت .

ـ مظهر، عبدالوهاب. **مرشد الحاج**. ـ ط٣ . ـ القاهرة: مكتبة ومطبعة خضير، ١٣٤٨هـ.

ـ مغربي، محمد علي. **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري**. ـ ط١ . ـ الرياض: تهامة، ١٤٠١هـ .

ـــــــ **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري**. ـ ط١ . ـ جدة: تهامة، ١٤٠٢هـ .

- مكتب الدراسات العربية والسورية. **من هو في سورية** . ـ دمشق: مطبعة العلوم والآداب، د.ت .
- ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**. ـ ط٣ . ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي**. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .
- **الموسوعة العربية العالمية** (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع) .
- نجيب، متولي . **نفحات الحج والزيارة** . ـ القاهرة: المؤلف، ١٩٥١م .
- نصار، حسين. **أدب الرحلة** . ـ القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١م.
- نصيف، حسين محمد . **ماضي الحجاز وحاضره**. ـ ط١ . ـ جدة: د.ن، ١٣٤٩هـ .
- نواب، عواطف. **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين** . ـ الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤١٧هـ .
- ابن هذلول، سعود. **تاريخ ملوك آل سعود**. ـ ط٢ . ـ الرياض: المؤلف، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- الهواري، أحمد محمد . **دليل الحج والسياحة** . ـ الرباط: د.ن، ١٣٥٤هـ.
- هيكل، محمد حسين. **في منزل الوحي**. ـ ط٥ . ـ القاهرة: دار المعارف، د.ت .
- **وزارة المالية والاقتصاد الوطني ومراحل تطور النظام المالي في المملكة** العربية السعودية. إعداد الشؤون الإدارية بوزارة المالية والاقتصاد الوطني، شوال ١٤١٩هـ.
- وليمز، كنث. ابن سعود سيد **نجد وملك الحجاز، تعريب كامل صموئيل مسيحة** . ـ بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م .
- وهبة، حافظ. **خمسون عامًا في جزيرة العرب**. ـ ط١ . ـ القاهرة: دار الأفاق العربية، ١٤٢١هـ.

ـــــــ **جزيرة العرب في القرن العشرين**. ـ ط٣ . ـ القاهرة: دار الأفاق العربية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

- ياسين، محمود . **الرحلة إلى المدينة المنورة** . ـ ط١ . ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٠٧هـ.

ــــــــ **رحلة الحج والعمرة**. ـ ط١ . ـ بيروت: دار الهجرة، ١٤٠٨هـ .

خامسًا - المقالات العربية :

- الحازمي، منصور . **رحلات العرب في جزيرة العرب** . ـ البلاد العربية السعودية ١٩٠١م - ١٩٧٢م. **الدارة**، العدد الثالث، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ، مارس ١٩٨٠م.

- السماري، فهد بن عبدالله. ((سياسة الملك عبدالعزيز تجاه إجراءات الحجر الصحي الدوليي)) **الدرعية**، العدد الأول، السنة الأولى، المحرم ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

- آل الشيخ، عبدالرحمن عبداللطيف.((البَّحاثة أمين التميمي)) **الدارة**، العدد ٤، السنة السادسة، شعبان ١٤٠١هـ، يونيو ١٩٨١م .

سادسًا - بحوث منشورة :

- أحمدون، عبدالخالق المفضل. **الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبدالله محمد بن عبدالسلام الدرعي، من بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

- جبر، يحيى عبدالرؤوف . **شمال الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة، من بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية** . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- الحازمي، منصور. **بلادنا في عيون الرحالة العرب (عهد الملك عبدالعزيز) ١٣١٩هـ - ١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢م - ١٩٥٣م** . ـ الرياض: الأمانة العامة للاحتفالات بمرور مئة سنة على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

- الفارس، أسعد. الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهم وغاياتهم، من بحوث ندوة الرحلات العربية إلى شبه الجزيرة العربية . ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

سابعًا : رسائل جامعية غير منشورة :

- آل حمادي، عبدالله بن أحمد . **أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية**، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية. ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى، ١٤١٧ – ١٤١٨هـ .
- جميل، وليد محمد . **مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبدالعزيز**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية . ـ (الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٧ه.

ثامنًا : المراجع الأجنبية :

- Armstrong, H. C. Lord of Arabia : Ibn Saud an Intimate Study of a King. Beirut, Khayats, 1966 .
- Kay, Shirley. Travels In Saudi Arabia.Edited by Rosalind Ingrams .
- Shah, The Sayed Idries. Destination Mecca. First Published, London, Rider, 1957.

الكتاب

تنفرد مؤلفات الرحلات العربية بأهمية خاصة ؛ فمصنفو تلك المؤلفات هم من معاصري الأحداث في فترة مهمة مرت فيها المملكة بتغيرات وتطورات متتابعة ، مقارنة بما قبلها ، ومعاصرة هؤلاء وكونهم شهود عيان للأحداث يزيد من قيمة مؤلفاتهم ، مقارنة بمعاصريهم ممن صنفوا في تاريخ المملكة ؛ إضافة إلى أن المصادر المعاصرة لتلك الفترة صبت جل اهتمامها في الغالب على الجوانب السياسية. أما مؤلفات الرحلات العربية فقد ألقت الضوء على كثير من الجوانب في تاريخ المملكة العربية السعودية سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية ، كما أن تنقل الرحالة في أنحاء البلاد أعطى صورة أوضح وأشمل لتاريخ تلك الفترة ، وبما أن تلك المؤلفات قد حوت الكثير من المعلومات المهمة ؛ فقد حرصت الباحثة على تتبع هذه المعلومات ، وجمعها ، ودراستها ، وتصنيفها في فصول مختلفة كانت حصيلتها هذا الكتاب.

المؤلفة

د. الجوهرة بنت عبدالرحمن المنيع.

- بكالوريوس من جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن تخصص تاريخ.
- ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من الجامعة نفسها.
- دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر من الجامعة نفسها.
- تعمل الآن أستاذاً مساعداً بكلية التربية بالجامعة نفسها.

